

نراثنا

الأخبار الطوال

تأليف
أبي حنيفة
أحمد بن داود الذهري
(٨٢٨٢)

مراجعة
الدكتور جمال الدين الشبان
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
جامعة الاسكندرية

تحقيق
عبد المنعم عامر
إدارة لحياء التراث
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإقليم الجنوبي
الإدارة العامة للثقافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينورى من أهم المصادر التاريخية الأولى ، وفأية في سرد حوادث الحياة المعاشية والسياسية والحربية عند الفرس ، وفي الإبانة عن الأحداث الدقيقة في الدولة العربية من بعد ظهور الإسلام إلى آخر عهد الخليفة العباسي ، المتصم بالله ، أبي إسحاق محمد بن هرون الرشيد ، المتوفى سنة ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) .

ويكاد كتاب الأخبار الطوال ينفرد بأنه من أوائل الكتب المتكاملة التي وضعت باللغة العربية لتأريخ حياة العزة القومية إبان الحكم العربي ، الذي شملت حدوده البلاد شرقاً وغرباً ، من الصين إلى المحيط الأطلسي ، فالكتاب يكشف إلى حد بعيد عما ابتكر الإسلام وأبدع في الحرب والإدارة والسياسة ، بعد أن انتشر حملة لوائه من جزيرتهم ، فساحوا في بلاد الله من الأرض الممورة ، وأبانوا في مواقفهم العديدة عن عقول مثقفة ، ونفوس شريفة ، وبُعد نظر في إدارة الممالك والشعوب .

وتبدو القيمة التاريخية لكتاب الأخبار الطوال في أن مؤلفه قد عاصر بعضاً من حوادثه ، وأنه دَوَّنَ في كتابه تفاصيل ما شاهد ورأى ، وحقائق ما سمعه ممن شاهد قبله ورأى ، فهو يذكر في كتابه تاريخ مصر الأول للدولة العباسية ، ومكائد الملويين ، وبخاصة في خراسان ، وسقوط دولة الأمويين بعد فتنة المختار وفتن الأزارقة ، ويروى مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ، ويتحدث عن الخوارج ، ويسهب في وصف معركة القادسية ، والمبارك التي وقعت بين علي

ومعاوية ، ويعرض بالتفصيل الوافي أخباراً هامة عن تاريخ الإسكندر ، ودولة الساسانيين ، وفتح العراق على يد العرب ، ثم يتخير المؤلف من حياة الفُرس فترات ، يزودنا فيها حديثه عنها بمادة تاريخية تصلح للبحث المستفيض .

وليس بين المؤرخين العرب وغيرهم مَنْ هو أقدر من أبي حنيفة الدينوري على معالجة تاريخ الفُرس ، وعلى رواية تاريخ العرب في بلاد الفُرس ، فالدينوري فارسي الأصل ، تجرّى في عروقه دماء الفرس ، وتنصهر في نفسه عزّة العرب وأبجاء الإسلام ، وهو فوق هذا إنسان ، عاش رفيع القدر أصلاً ومعاشاً ، وقد صار إماماً من أئمة العلم واللغة والأدب .

وينسب أبو حنيفة أحمد بن داود وأجداده الأقربون إلى دينور Dinawer ويقال لها كثيراً دَيْنُور^(١) ، بسكون الياء وفتح النون ، وهي مدينة من أهم مدن الجبال في العصور الوسطى ، ومكانها وفق ما جاء في الخريطة التي أعدها الرحالة شتراوس Streuss على خط طول ٤٨° شرق جرينتش ، وعلى خط عرض ٣٤° شمالاً ، على ارتفاع نحو خمسة آلاف قدم ، وتقع على الطرف الشمالي الشرقي لوادي خصيب ، يرويها نهر آب دينور ، الذي يسير في الركن الجنوبي الغربي للهضبة ، ثم ينفرج في وادي عريض .

ويرجع تأسيس مدينة دينور - التي تظهر في المصادر السريانية باسم دينهور - إلى عهد الجاهلية ، وكانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أكثر مدن إقليم همدان عمارة ، وقد سلمها الوالي الفارسي للعرب عقب وقعة نهاوند الحاسمة ، أي حوالي سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وعُرفت في أيام معاوية بن أبي سفيان بالاسم الجديد « ماه^(٢) الكوفة » ، لأن الضرائب المتحصّلة منها كانت تستخدم لخير أهل الكوفة عامة ، ولدفع أعطيات جنود حاميتها خاصة .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد التاسع . (٢) كلمة فارسية بمعنى قصبة .

وقد ظهرت ماء الكوفة في التقسيم الإداري لدولة الأمويين في عهد معاوية ،
بوصفها قسماً إدارياً للجبال ذا طَسُوجَيْن^(١) ؛ دينور ، وتشمل الأراضي العليا ؛
وَقَرْمِيسِينَ ، وتشمل الأراضي السفلى ؛ وكان يحسد ماء الكوفة من الغرب
بَطْسُوجْ خُلُوان ، ومن الشرف هَمْدَان ، ومن الجنوب مَسَبْدَان ، ومن الشمال
أَذْرِيَجَان .

وازدهرت دينور ازدهارا كبيرا^(٢) في عهد الأمويين والعباسيين ، وكان سكانها
خليطاً من الفرس والعرب ، ويميش فيما حولها قبيلة شوهيجان الكردية عيشة
البداوة في الأراضي المحيطة بها^(٣) .

وقد حل الخراب بمدينة دينور من جراء الاضطرابات ، التي حدثت في السنين
الأخيرة من عهد المقتدر بالله ، الخليفة العباسي ، بعد أن انتقض عليه القائد مَرْدَاوِيح
الْجِلَالِي ، وهزم الجيش الذي سيّره عليه ، واستولى على كُورَةِ الجبال بأسرها ،
فسقطت دينور في يده عام ٣١٩ هـ (٩٣١ م) ، وهلك من أهلها آلاف عديدة .

ثم استقل بقصبة دينور أمير من أمراء الأكراد ، يدعى حَسَنَوِيه ، واتخذها
مملكة صغيرة له ، واستطاع الاحتفاظ بها مدة خمسين سنة ، إلى أن توفي سنة
٣٦٩ هـ (٩٧٩ م) ، وظلت دينور مدينة عامرة حتى لاقت مصيرها المحتوم ، في
الخراب أثناء الفظائع التي حلت بالبلاد الإسلامية ، عقب الغزوات المغولية التي شنها
تَيْمُور .

ولقد زار خرائب دينور الحالية المهجورة الرحّالة Th. Strauss ، ووصف الخرائب
التي شاهدها وصفا موجزا ، فقال : « لا يحدّد دينور إلا آكام من الأرض ، نبشت

(١) الطسوج هو الناحية .

(٢) امتدح الفزويني في خططه الجبل الفاخر الذي كان يصنع فيها ، وقد أشاد المقدسي في
كتابه بأسواقها حسنة البناء وبالبساتين الزاهرة المحيطة بها .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٥٣ .

عدة مرات بحثنا عن السكّة ، ولا يزال المتقبون يمشون على أشياء كثيرة من هذا القبيل ، وبخاصة الفلاحون الذين يحرقون الحقول .

ويقول هذا الرحالة أيضا « إن ثمة آثارا في دينور لطريق قديم ، نحتت في الصخر ، كان يصل دينور ببغداد ، وهذه الآثار لا تزال تشاهد في عدة مواضع » .

وأبو حنيفة أحمد بن داود بن وَنْدٌ^(١) الدينوري ، مؤلف كتاب الأخبار الطوال ، قد ولد في المقد الأول من القرن الثالث الهجري ، بمدينة دينور ، من أعمال العراق المجبى ، ونشأ في أسرة من أصل فارسي ، وقد عاش معظم حياته في مدينة دينور ، وأمضى شبابه في الرحلات ، وقادته خطواته إلى قلب الحضارة العربية ، في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات ، ثم امتدت به أسفاره إلى المدينة النورة ، وإلى الأرض المقدسة فلسطين ، وإلى شواطئ الخليج العربي (الفارسي) ، فعاش فيها أزمانا ، طالت أو قصرت ، ولكنها تركت في نفسه ذكرا ، وفي فكره علما .

وقد أخذ أبو حنيفة دروسه عن البصريين والكوفيين ، وتعلم في فقه اللثة على والد النحوى الكوفي ابن السكيت ، وعلى ابن السكيت نفسه ، ودرس معارف كثيرة ، وكان مفتتا في علوم النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب ، ثقة فيا يرويه ويُعلميه .

وانتقل أبو حنيفة إلى أصفهان سنة ٢٣٥ هـ (٨٥٠ م) وعاش بها مدة ، اشتغل فيها برصد الكواكب ، وتسجيل نتائج الأرصاد التي يقوم بها في معمله الفلكي ، ولقد شاهد الفلكي المشهور ، عبد الرحمن الصوفي ، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) « المنزل الذي كان يستخدمه أبو حنيفة معملا للدراسات الفلكية » .

(١) بعض المؤرخين يذكرونها (وتند) وعليهم اعتماد مرجليوث في كتابه ج ١ ص ١٢٣ .

وإن المصادر التاريخية كلها تجمع على أن أبا حنيفة ، أحمد بن داود الدينوري ، كان نحوياً لغوياً ، ومهندساً منجّماً حاسباً ، راوية ثقة .

ويقول^(١) العالم اللغوي ، أبو خيان التوحيدى ، فى كتابه « تفريظ الجاحظ » :
« قلت لأبى محمد الأندلسى - وكان من أصحاب السيرافى - قد اختلف أصحابنا فى مجلس أبى سعيد السيرافى ، فى بلاغة الجاحظ وأبى حنيفة ، ووقع الرضى بحكمك ، فما قولك ؟ .

فقال : « أنا أحقر نفسى عن الحكم لهما وعليهما » .

فقال : لابد من قول .

قال : « أبو حنيفة أكثر نداوة ، وأبو عثمان أكثر حلاوة ، وممانى أبى عثمان لائطة بالنفس ، سهلة فى السمع ؛ ولفظ أبى حنيفة أعذب وأعرب ، وأدخل فى أساليب العرب » .

قال أبو حيان : والذى أقول وأعتقده ، وأخذ به ، وأستهم عليه ، أنى لم أجد فى جميع من تقدم وتأخر إلا ثلاثة ، لو اجتمع الثقلان على تقريرهم ومدحهم ، ونشر فضائلهم فى أخلاقهم ، وعلمهم ، ومصنفاتهم ، ووسائلهم مدى الدنيا ، إلى أن يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ؛ أحدهم ، هذا الشيخ الذى أنشأنا له هذه الرسالة ، وبسببه جئنا هذه الكلفة - أعنى أبا عثمان عمرو بن بحر - .

والثانى أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى ، فإنه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة ، وبيان العرب ، له فى كل فن ساق وقدم ، ورؤاء وحكم ، وهذا كتابه فى الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ؛ فأما كتابه فى النبات ، فكلامه فيه فى عروض كلام أبدى بدوى ، وعلى طباع أفصح عربى ، ولقد

(١) معجم البلدان لياقوت الرومى ، الجزء الأول ، طبعة هندية .

قيل إن له في القرآن كتابا ، يبلغ ثلاثة عشر مجلدا ، ما رأيته ، وإنه ما سبق إلى ذلك النمط ، هذا مع ورعه وجلالة قدره^(١) .

وقد حكى ابن رَوَاحَةَ البرُّوجَرْدِيُّ^(٢) قال : « زعموا أن أبا العباس المبرِّد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه ، وقضى سلامه قال له : أيها الشيخ ، ما الشاة المجتمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحها ؟ قال : هي الشاة القليلة اللبن ، مثل اللجبة .

فقال : هل من شاهد ؟

قال : نعم ، قول الراجز :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ الْجُعَيْدِ نَسَمَةٌ إِلَّا عُنَيْرٌ لَجْبَةٌ مُجْتَمَةٌ

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فأذن له .

فلما دخل قال له عيسى بن ماهان : ما الشاة المجتمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكلها ؟

فقال : هي التي جثت على ركباتها ، ونحرت من قفاها .

فقال : كيف تقول ؟ وهذا شيخ العراق - أبا العباس المبرد - يقول هي مثل اللجبة ، وهي قليلة اللبن ، وأنشد البيت .

فقال أبو حنيفة : « أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير ، وإن كان البيت إلا لساعته هذه .

فقال أبو العباس المبرد : « صدق الشيخ أبو حنيفة ، أنفت أن أريد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه .

فاستحسن منه هذا الإقرار .

وترك البهت .

(١) وأما الثالث فهو أبو زيد البلخي ، وله مؤلفات قليلة .

(٢) لإنباه الرواة للفظي ، طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٤١ .

نعم ، لقد كانت أبو حنيفة الدينورى عالماً بحق فى شتى العلوم والمعارف ،
حباؤه الله بعقلية علمية واسعة ، استوعبت معارف كثيرة ، وانفرد بها
عن علماء تلك الفترة وما تلاها ممن كان لهم شأن فى تاريخ الأدب العربى ، وعلوم
اللغة ، فلقد كان أبو حنيفة عالماً فى كثير من فروع العلوم ، وكان دائماً مجتهداً ،
وظل مع كل هذا مبدعاً ، دون تكرار عن أسلافه ومعاصريه ، وإن لنا أن نشارك
أبا حيان التوحيدي وغيره من العلماء الناقدين آراءهم فى أبى حنيفة ، إذ يرون فيه
واحداً من ألع ممثلى هذا العصر الزاهر فى تاريخ الأدب العربى .

وإن مؤلفات الجاحظ تثبت إثباتاً قاطعاً ما شهد به الجاحظ فى حرارة وتحمس
لأبى حنيفة ، وتوضح فى نفس الوقت الاختلاف الموجود بين الجاحظ وأبى حنيفة
من ناحية طيبة عقل كل منهما ، وتأثره بالتكوين العلمى ، فآفاق أبى حنيفة
كانت أكثر اتساعاً من آفاق معاصريه ، بل ومن أساتذته الذين اتخذوا الرسائل اللغوية
وسيلة للشهرة ، وفتحوا فى سبيلها بكل شىء ، وقد وسعت مدارك الدينورى كثيراً
من فروع المعرفة فى ذلك الوقت .

ولقد حظيت مؤلفات أبى حنيفة الدينورى بعناية رجال التراجم قديماً وحديثاً ،
فدوتوا قاعاًتها فى كتبهم ، وفى مصنفاتهم^(١) ، وبلغت عدة مجلداتها عشرين كتاباً
كما حققها المستشرق Flugel ، وكما ذكرها القفطى فى كتاب إنباء الرواة على
أنباء النجاة .

وهذه الكتب هى :

(١) تفسير القرآن ؛ ويقع فى ثلاثة عشر مجلداً ، وقد ذكره أبو حيان التوحيدي
ضمن مؤلفات الدينورى ، وأضاف إلى ذكره أنه لم يره .

(١) الفهرست لياقوت ، خزانة الأدب لابن العبرى ، الجواهر المضيئة لعبد القادر ، لإنباء
الرواة للقفطى ، كشف الظنون لحاجى خليفة .

(٢) كتاب الوصايا ؛ وموضوعه أحكام الموارث في الشريعة الإسلامية ، وقد أضاف إليه أبو حنيفة رسالة خاصة في الموضوع ، أوجز فيها بعض ما ذكره في الكتاب .

(٣) كتاب في حساب الدّور والموّل ؛ ومباحثه تدور حول أجزاء الميراث التي رُدّ على الورثة الأصليين إذا لم تستوفها أنصبتهم المفروضة ، وقد ذكره حاجي خليفة صاحب كتاب كشف الظنون بدون عنوان في فصل حكم الدور والوصايا .

(٤) كتاب إضلاح المنطق ؛ وقد اعتبره بعض العلماء الأوربيين رسالة في المنطق ، ومن المحققين من ينسب هذا الكتاب إلى ابن السكيت ؛ والحق أنه كتاب متكامل لأبي حنيفة ، وقد هذّبه أبو القاسم حسين بن عليّ المعروف بالوزير المغربي^(١) .

(٥) كتاب الجمع والتفريق ؛ ويشمل جزءاً من علوم البلاغة التي يوليها المؤلفون العرب قسطاً كبيراً من الدراسات العامة .

(٦) كتاب الشعر والشعراء ؛ ويغلب على هذا الكتاب صفة كتب التراجم ، وهو يشبه إلى حد كبير كتاب ابن قتيبة الذي يحمل نفس الاسم .

(٧) كتاب الردّ على رصّد الأصفهاني ؛ وقد كان الأصفهاني من «لبقة أبي حنيفة» ، وبينهما في هذا الكتاب مناقضات .

(٨) كتاب جواهر العلم ؛ وهو عبارة عن دائرة معارف صغيرة عن الخواص الدقيقة لمباحث العلوم .

(٩) كتاب ما بلحن فيه العامة ؛ وقد أورد فيه أبو حنيفة ما شاع بين الناس من أخطاء لغوية ، وأبان وجه الصواب فيها على أسس من المقاييس العربية السليمة .

(١٠) كتاب الفصاحة ؛ ويتضمن عدة مباحث عامة في علوم البلاغة .

(١) فهرست درنبرج Derenbourg صحيفة ٤١٤: ٤١٥ .

(١١) كتاب النبات ؛ وهو مؤلف لا مثيل له في تاريخ النبات ، وقد اشتهر به صاحبه ، وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب مفقودة ، ولكن بقيت منه مقتطفات عدة مدونة في كتب فقهاء اللغة وبخاصة ابن سيده ، وابن البيطار .

وهذا الكتاب يمد ثمرة لدراسة الشعراء الأقدمين دراسة لغوية ، وهو في منهجه مثل الكتب الأخرى التي تقل عنه كثيراً في الشمول ، والتي تشترك معه في الاسم ، ككتاب ابن زيد ، وكتاب الأصمى .

ويبدو أن الغرض من تأليف هذا الكتاب هو شرح النباتات الكثيرة التي ذكرها الشعراء العرب في أشعارهم ، وتوضيح لدلالاتها ، حتى يعلم العقل العربي العام النبات الأولى لحياته العربية .

ومن ثم فقد اقتصر الكتاب على نباتات بلاد العرب ، والنباتات الأجنبية التي تأقلمت فيها .

ولهذا الكتاب أهمية عظمى لدى علماء الغرب ، الذين اعتمدوا عليه في مؤلفاتهم حيناً طويلاً من الزمان ، واعتبروه دائرة معارف نباتية عربية على درجة كبيرة من الوفاة والوضوح : وإنه لمن القدرة الفائقة أن يصنف أبو حنيفة الدينوري - وهو فارسي الأصل - مؤلفاً علمياً في نباتات التربة العربية ، ويكون لهذا المؤلف ذلك الصيت الذائع في المباحث العلمية .

ويبدأ هذا الكتاب بوصف تفصيلي لأنواع تربة بلاد العرب ، وتركيبها ، ومناخها ، وتوزيع مائها ، والأحوال العامة اللازمة لنمو النباتات ؛ ثم يتناول الكتاب تصنيف النباتات بصفة عامة ، وتركيب كل نبات على حدة ، مقسماً النبات إلى ثلاثة أنواع ، نباتات تزرع ليققات الناس بها ، ونباتات برية ، ونباتات تثمر ما يؤكل ؛ ويتناول الكتاب النوع الثاني من النباتات حسب أماكن وجودها ، ثم وفق طبيعتها وخواصها ، وعلى قدر قيمتها الاقتصادية .

وقد أصبح هذا المؤلف عمدة فقهاء اللغة المتأخرين في أسماء النباتات ، وكتب

عنه على بن حمزة البصرى قسما فى مؤلفه المعروف ، باسم كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة .

(١٢) كتاب البيان ، وقد ذكره العالم غازيرى Casiri عند وصفه مخطوطات مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ، وبعد دراسته قائمة المؤلفين الذين ذكرهم ابن المَوَّام ، كما ذكره أيضا حاجى خليفة ، وقال عنه الذهبى فى كتاب تاديخ الإسلام : « إنه يتألف من ستين مجلدا » .

ويرى المستشرق الروسى كراتشكوفسكى Kratchkovsky ، أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات أبى حنيفة الدينورى ، وإنما هو من بين مؤلفات الكاتب عبد القادر الجرجانى ، صاحب الجواهر المضيئة ، ويقول كراتشكوفسكى : « إن غازيرى قد وقع فى خطأ ، فكتاب البيان هو كتاب النبات ، وأنه ربما اشتبه على « غازيرى » الرسم قريب الشكل بين كلتى النبات والبيان ، وهو الخطأ الذى يقع فيه الناسخون كثيرا ؛ ويدلل كراتشكوفسكى على رأيه بأن ابن المَوَّام صاحب كتاب فى الزراعة والعلب البيطرى ، وقد جاء ذكره لأبى حنيفة فى معرض كتابه علم النبات الذى يعنى ابن المَوَّام ، ويتسق موضوعه مع موضوعات كتابه .

(١٣) رسالة فى الطب مجموعة فى ورقات قليلة ؛ ولم تحظ هذه الرسالة بشهرة عظيمة بين المؤلفات .

(١٤) كتاب البحث فى حساب الهند ؛ ويرويه بعض الباحثين الأوربيين بأنه كتاب التخت فى حساب الهند .

(١٥) كتاب الجبر والمقابلة .

(١٦) كتاب نواذر الجبر .

ولم يتناولهما الرواة بكثير من الذكر .

(١٧) كتاب الأنواء ؛ وهو كتاب يلى كتاب النبات فى الشهرة لكثرة ما به من أسانيد ، وقد ذكره ياقوت الحموى فى معجمه فقال : « إن كلام أبى حنيفة فى كتاب الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ومجائب القبة السماوية » .

ويؤكد حاجي خليفة في حماس شديد أن أبا حنيفة قد ركز في هذا الكتاب كل علوم العرب .

وقد اعتبر البيروني إمام الفلك ، هذا الكتاب اعتبارا كبيرا وسجل منه في لوحاته أجزاء كاملة ، اقتبسها كلها من أبي حنيفة .

(١٨) كتاب القبلة والزوال ؛ وقد ذكره المترجمون باختصار في كثير من المصادر .

(١٩) كتاب السكوف ؛ وقد جاء ذكره في كتاب خزانة الأدب ، لابن المنبري ، وفي معجم الأدباء لياقوت ، وذكره عنهما حاجي خليفة في كتاب كشف الظنون ، ويرى المستشرق كراتشكوفسكي أن هذا الكتاب هو نفس كتاب الرصد للدينوري الذي صنّفه بأصبهان سنة ٢٣٥ هـ كما يذكر كراتشكوفسكي أن ما جاء بكتاب كشف الظنون من أن الدينوري قد ألف كتاب الرصد لركن الدولة حسن بن بويه الديلمي مردود ، لأن أبا حنيفة الدينوري لم يناصر ركن الدولة ، وأن ما وقع فيه حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » قد سبقه إليه كل من البيروني والبتّاني وعبد الرحمن الصوفي .

(٢٠) كتاب البلدان أو كتاب كبير ، وقد جاء ذكره في كتاب كشف الظنون تحت عنوان تاريخ أبي حنيفة ، وليس لهذا الكتاب شهرة كبيرة . ويرى المسمودي أن ابن قتيبة قد انتحل لنفسه هذا المؤلف ، وأنه قد فعل هذا في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري ، وكان هذا الأمر شائما في ذلك الوقت ، وقد ساعد عليه عوامل عديدة ، وله في التاريخ نظائر كثيرة .

(٢١) كتاب الأخبار الطوال

ولقد ظل كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري مجهولا حقبا طويلة من الزمان ، تعرض فيها لأدوار عديدة من الظهور والاختفاء ، شأنه في ذلك شأن كثرة من المخطوطات العربية ، حتى كانت سنة ١٨٧٧ م ونشرت قائمة المخطوطات العربية ،

المودعة خزانات معهد اللغات الشرقية في بطرسبرج (ليننجراد) ، وفيها دراسة
لمخطوطة الكتاب كتبها البارون ف . روزن V. Rosen المستشرق الذي كان
قد نشر قبل هذا بوقت قصير الجزء الخاص بسقوط الأمويين من الكتاب .

وأظهر روزن رغبته في نشر المخطوط كاملا ، عند ما تهيأ له الأسباب العلمية
للنشر ، ولكن وقف في سبيل متابعتها لهذا المشروع قيامه بأعمال أخرى ، فأقنع
زميله المستشرق جرجاس Guirgass بالقيام بهذا العمل ، وبخاصة بعد أن استعان
المؤرخ نولدكه Noldeke بكتاب الأخبار الطوال في مؤلفه عن تاريخ الساسانيين .

وشرع جرجاس في تحقيق المخطوط بما عهد عنه من دقة ، وكان مقدرا أن يظهر
الكتاب على الناس منشورا في فبراير سنة ١٨٨٧ م ، ولكن المنية عاجلت جرجاس
العالم الروسي ، فصمم روزن على نشر ما حققه جرجاس ، دون أن يضيف إليه شيئا ،
رغبة منه في ألا يحرم الأوربيين المشتغلين بالشئون الشرقية من كتاب تم إعداداه .

وقد أعدّ روزن العدة لعمل الفهارس الفنية للكتاب ، وظل يباشر طبع
الكتاب إلى أن مات في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٨ .

فقام من بعده آخر تلاميذه كراتشكوفسكي ، يكمل العمل الذي بدأه أستاذه
بمعاونة المؤسسة العلمية للنشر « بريل Brill » ، وكان عليه أيضا أن يتابع عمل
الفهارس التي بدأها قبله روزن .

وقد جمع المستشرق كراتشكوفسكي نسخا خطية مختلفة للكتاب قام بمقارنتها ،
وتصحيح الأخطاء التي حشرت بين سطورها ، وكانت هذه المخطوطات هي :

(١) نسخة ليننجراد رقم ٨٢٢ ، وعدد أورافها ٢٥٠ صحيفة بمقاس

١٦٠ × ٢٣٥ مليمترا ، ومسطرتها أربعة عشر سطرا ، كتبت كلها بخط واحد ،
عدا المقدمة والنهاية وبعض الصفحات ، فإنها قد كتبت بخط مخالف . وقام بكتابة
هذه المخطوطة الناسخ المشهور كمال الدين في سنة ٦٥٥ هـ .

ويصف كراتشكوفسكي هذا المخطوط ، فيقول : « إنه نسخ نسخا جيدا ،

ولا يتبين الإنسان فيه أية صعوبة إلا في المواضع التالية بعامل الزمن ، أو بقرض الشؤس ، ويجد القارئ للمخطوط بعض الملاحظات القصيرة والتصويبات في الهوامش مكتوبة بنفس اليد ومصحوبة بكلمة : أظنه أوضح ؛ وأما الملاحظات الطويلة التي تبدأ بكلمة حاشية فقد كتب معظمها محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله ابن بدر .

(ب) نسخة أخرى ، بجامعة ليدن تحت رقم ١١٢٢ ، وعدد أوراقها ٢١٩ صحيفة ، مقاسها ٢١٠ × ١٥٠ سم ، ومسطرتها ٢١ سطرا في الأول ، و ١٩ سطرا في النهاية ، ويبدأ النص فيها من صحيفة ٣ حتى صحيفة ١٩ ب ، وناسخها غير مذكور ، وقد تمت كتابتها عام ١٠٠٠ هـ ، ويرجح كراتشكوفسكي أنها قد نسخت في المدينة المنورة ، لما يبدو على الخط من طابع مميز للخط المدني في ذلك الوقت .

(ج) نسخة ثالثة ، كتبت سنة ١٠٦١ هـ بمكتبة ليدن تحت رقم ٢٤٣٦ ؛ وهي منسوخة عن النسخة السابقة .

ويرى المستشرق كراتشكوفسكي أن النسخة الأولى من هذه المخطوطات الثلاث هي الأصل ، وأنها أصح النسخ ، وأقربها إلى عصر المؤلف ، وعليها اعتمد كراتشكوفسكي في تحقيقاته ، وإضافاته ، وفهارسه التي نشرها سنة ١٩١٢ بعد أن نشرت مؤسسة بريل الكتاب بتاريخ سنة ١٨٨٨ ، وهي السنة التي بدأ فيها البارون روزن تحقيقه فيها .

ولما طبع الكتاب ونشرته مؤسسة بريل انتقلت نسخ قليلة منه إلى بلاد الشرق الأوسط ، وقامت مطبعة السعادة بالقاهرة بإعادة طبعه كما حققه جرجاس بدوي تعليقات أو إضافات ، وبغير تحقيق .

الكشف عن أقدم مخطوطات الكتاب

وبعد موت كراتشكوفسكى ، وفى سنة ١٩٥٧م كشف فى مكتبة رفاعة الطهطاوى بمدينة سوهاج عن نسخة خطية لكتاب الأخبار الطوال مسجلة تحت رقم ٧٣ تاريخ ، وهى مخطوطة أمّ ، تعتبر أقدم من تلك المخطوطات الثلاثة التى عرفها الغرب ، وقد رجع إليها كثيرا المغفور له رفاعة رافع الطهطاوى فى تصانيفه التاريخية . وقبل أن تنشرها مؤسسة بريل ، ولو أن المستشرق كراتشكوفسكى قد علم أمر هذه المخطوطة لصوب كثيرا من عمل أستاذه جرجاس ، ولاعتبرها أصلا للمخطوطات . وتحمل هذه المخطوطة فى الصحيفة الأخيرة منها تليكا باسم الفضل بن جعفر ابن طاهر ، تاريخه سنة تسع وسبعين وخمسة من الهجرة ، ومطالمة للشيخ أحمد ولى الدين الهنيدى العربى الساعدى الدمشقى ، وخاتم وقف للمرحوم محمد رفاعة ، ويوجد على بعض هوامشها تعليقات شروح قليلة ، وإضافات ترسم ، بعضها بخط المغفور له رفاعة رافع الطهطاوى رائد الحركة الوطنية فى العصر الحديث .

وعدد أوراق هذه المخطوطة فى مجلدها إحدى وثمانون ومائة ورقة ، ذات لون واحد وبمقاسها ١٩٨ × ٢٣٦ مليمترا ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا ، فى كل سطر منها اثنتا عشرة كلمة ، وقد كتبت كلها بخط قديم ، بقلم واحد ، وبالحبر الأسود . والتزم الناسخ فيها مد ما بين الحرف الأول والثانى من الكلمات التى تبدأ بها رؤوس الموضوعات .

ويوجد فى ثنايا هذه المخطوطة على شتات وتفرق بميد خطوط حمراء ، تحت بعض الكلمات ، وضبط لكلمات أخرى بالحبر الأحمر يرجح أنها من عمل المغفور له رفاعة رافع الطهطاوى ، إذ أنها تكاد تكون محصورة فى حوادث التاريخ التى أرنخها رفاعة فى كتابيه « أنوار توفيق الجليل » و « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » ؛ وتحوى مادة الورق فى صنعه علامات مائية مميزة ، وهى عبارة عن خطوط طولية بيضاء ، امتازت بها صناعة الورق فى القرن السادس الهجرى .

وقد كتب على صحيفة العنوان اسم الكتاب ، ومن تحته فهرست موجز لأبوابه بخط مماثل لخط متن الكتاب ، وعليها خاتم وقف محمد رفاعة ، ويبدأ المتن من الصحيفة الثانية حتى نهاية صحيفة ٣٦١ في اتساق تاريخي منتظم ، وتعقيب مطرد إلى حد ما في آخر كل كراسة ، غير أن بالكتاب خرما بين صيفتي ١٧١٦ و ١٧١٧ ، مقداره ورقتان ؛ وقد أشرت إليه في مكانه ، واعتمدت في إثباته وتحقيقه على النص المقابل له في النسخة التي نشرتها مؤسسة بريل ١٨٨٨ م ، وعلى المصادر التاريخية الأخرى .

وتنتظم حوادث هذه المخطوطة قصة آدم عليه السلام ، وقصص الأنبياء من بعده ، وتاريخ الوثنية عند الفرس وفي اليمن ، وقصة الإسكندر الأكبر ، ويعرض الكتاب تاريخ الساسانيين في خطوط واضحة المعالم ، وغزوات العرب الأولى على حدودهم عند ما بدءوا دورهم الأساسي في المجال العالمي ، ويحكي بالتفصيل حملات خالد بن الوليد وأبي عبيدة الجراح ، وموقعة نهاوند ، والقادسية ، ويذكر سقوط إمبراطورية الفرس تحت سلطان العرب ، ولا يكاد الدينوري يعرض في كتابه لتاريخ الخلفاء الراشدين إلا بقدر صلته بفتح بلاد فارس .

ثم يروي الكتاب بعد هذا المتاعب التي لحقت بالمسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان ، ويصور حرب صفين مبتدئاً بامتاع فصل من فصولها التاريخية ، ويفصل المنافسة بين معاوية وعليّ ، ويقصّ تاريخه مع الخوارج ، ويحكي ما آل إليه أمره ، ولا يفوت أبا حنيفة أن يبرز تاريخ الحسين بن عليّ ، رضي الله عنهما ، فيذكر حياته وأعماله ، ويصف مقتلة كربلاء وصفاً دقيقاً مؤثراً ، مبيناً أسبابها ، وموضحاً تنازل أهل العراق عن نصرته إمامهم الذي دعوه إليهم ، مما كان له أثره في تفتيت الجبهة العربية .

ولا يمس الدينوري تاريخ الحكم الأمويين إلا بالقدر الذي يتصل بالحركات

الدينية والسياسية في أيامهم ، فيذكر ثورة الأزارقة ، وبخاصة ثورة المختار ، ثم يصل إلى بدء ثورة الشيعة ، وقيام أبي مسلم الخراساني داعية لبني العباس ، فيوضح كل هذا في دقة ووقاية .

ثم يعود الدينوري فيكبل تاريخه في اختصار ودلالة من موت مروان بن محمد ، آخر الخلفاء من بني أمية ، وقيام الدولة العباسية ، إلى موت الخليفة المعتصم بالله في سنة ٢٢٧ هـ ، ولا يكاد يفصل في شيء من حوادث هذا التاريخ إلا في بعض الوقائع ، مثل إنشاء بغداد ، وقتل أبي مسلم الخراساني ، وثورة النفس الزكية ، وتاريخ الأمين والمأمون ، وثورة بابك .

وإنه لما يلفت النظر في كتاب الأخبار الطوال أن أبا حنيفة قد وقف فيه عند سنة ٢٢٧ هـ ، وهي السنة التي مات فيها الخليفة العباسي المعتصم ، وأنه قد أهمل تدوين الحوادث التاريخية في الحقبة التي عاشها أبو حنيفة ، وعاصر فيها الأحداث التي كانت قائمة بين الأحزاب المتطاحنة على السيادة في الدولة ، وهي الحزب العربي ، والحزب الفارسي ، والحزب التركي ، تلك الفترة الزمنية التي تقع بين سنة ٢٢٧ هـ وسنة ٢٨٢ هـ^(١) التي مات فيها أبو حنيفة ، كما يذكر معظم المؤرخين .

ويبدو لي أن أبا حنيفة قد عني في كتابه بالتأريخ للحياة الفارسية في ظل الحكم ، فرسا كانوا أو عربا ، أكثر من عنايته بالتأريخ للحياة العربية في بلاد الفرس ، وأنه حين يعرض الحوادث يسوق دائما منابها الأولى ومراجعتها الأصلية وملابساتها الدخيلة ، ويذكر حولها كل ما يستبين به الباحث سبيله فيها إلى الحقائق ، وإن الفترة التي أهمل الدينوري تدوين حوادثها كانت فترة اضطراب سياسي ، وكان العصر عصر كيد وحذر .

وكانت المؤلفات في هذا العصر تلعب دورا كبيرا في توجيه سياسة الدولة ،

(١) وكانت وفاته يوم ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ هـ (٢٤ من يوليو سنة ٨٩٥ م) .

وتركيز سلطان الحكم ، وفي بحث روح النقد الاجتماعي والسياسي ، وقد جرت المؤلفات الوبال على أصحابها أحيانا ، فكان القتل نهاية ابن المقفع بسبب كتابه « كلیلة ودمنة » ؛ وقد خشي أبو حنیفة إن هو أرتخ لهذه الفترة المضطربة أن يجر عليه كتابه الوبال ، وأن يتخذ منه مناهضوه مادة مسمومة تجلب عليه الشر .

وإن أبا حنیفة وهو عالم فلك وصاحب مرصد قد غاب عليه عقله العلمي في كتابة التاريخ ، فلم يتناول كتابه « الأخبار الطوال » حوادث قصيرة العمر لم تترسب مفاعلاتها ، فتكون تاريخا ، له مقدماته وله نتائجها ، مثل الفترة التي عاش فيها أبو حنیفة ؛ وقد أراد الدينوري أن يبني كتابه من الأخبار التاريخية التي طالت أزمانها ، وبعدت نتائجها ، وكثر الحديث عنها ، كما يدل على هذا عنوان الكتاب .

وإنه بالرغم من أن المعارف العلمية البحتة كانت تشغل بال الدينوري أكثر مما يشغله غيرها إلا أنه استطاع في كتاب « الأخبار الطوال » أن يكتسب نبوغا ممتازا في تصوير الحوادث التاريخية بأسلوب عربي مبين ، وبطراز فريد من النهج التأليفي ؛ فأبو حنیفة لا يذكر التاريخ موقتا ، عاما بعد عام ، كما يفعل مؤرخو العرب ، وإنما يحكي الحوادث والأحداث ، من بدئها إلى ماصارت إليه ، ويتبعمها بما يلزم ذكره من ملابساتها ، مما جعل كتابه مجموعة أدبية من القصص التاريخية .

وإن المصادر التاريخية التي رجع إليها ، وروى عنها أبو حنیفة تعتبر جلها مفقودة ، وليس في بطون الكتب المراجع المعروفة عنها إلا الإشارة إليها ، مثل كتاب الأنساب لابن الكيس النمری ، مالك بن عبيد بن شراحيل ، وكتاب الملوک ، وأخبار الماضي لعبيد بن الشرية الجرهمي ، الذي استقدمه معاوية بن أبي سفيان ليدون له التاريخ في كتاب ، وهما المؤرخان اللذان أشار إليهما أبو حنیفة في كتابه الأخبار الطوال (الصحيفة رقم ٧) .

وليس من شك في أن الدواوين الشعرية التي كانت معروفة في ذلك الوقت ،

للخوارج ، وللشيعية ، ولغيرها من الطوائف المذهبية كانت من المراجع الهامة للذين يدونون التاريخ الإسلامى ، وقد أنلفت كل هذه الدواوين بسبب المنازعات الطائفية التى سادت الحياة العربية بمد مقتل على بن أبى طالب ، ولم يبق منها إلا تنف مأثورة ، مبنوثة فى الكتب العديدة . وأبو حنيفة الدينورى قد أطلع على هذه الدواوين ، وروى عنها ، كما روى عن أولئك الذين اشتركوا فى الحوادث التاريخية وطال بهم العمر ، فأدركهم أبو حنيفة ، وفاباهم فى أسفاره المدينة لبلاد الدولة العربية .

ولقد حرص أبو حنيفة أن يذكر فى كتابه « الأخبار الطوال » المصادر التى يروى عنها ، ولكنه لا يورد السند فيها كاملاً ، وإنما يذكر .. قال الهيثم ... وقال إسماعيل .. وقال السكبي ... وقال الأصمى ... وقال القعقاع الظفرى ... وأحياناً يكتفى بلفظ .. قال .. أو بنحو منه ؛ وإذا نحن أحصينا هذه المصادر فإن عدتها تبلغ واحداً وعشرين مصدراً ، وقد أفردت لها فهرساً خاصاً بها فى آخر الكتاب .

وإن أبرز مؤرخ روى عنه أبو حنيفة هو الهيثم بن عدى ، وقد ورد اسمه فى عشر مواضع من كتاب « الأخبار الطوال » ؛ وكان الهيثم راوية ، نقل كثيراً من كلام العرب ، وله من الكتب المصنفة عدة فى التاريخ ، منها كتاب « هبوط آدم عليه السلام » وكتاب « افتراق العرب ونزولها منازلها » وكتاب « نزول العرب بخراسان والسواد » وكتاب « الخوارج » وكتاب « التاريخ على السنين » ؛ وقد توفى الهيثم بن عدى سنة تسع ومائتين ، كما ذكر ابن قتيبة فى كتاب « المعارف » وقد ترك ثروة تاريخية ، استضاء بها المؤرخون من بعده .

وإذا كان أبو حنيفة قد أفاد كثيراً من مصنفات الهيثم بن عدى فإنه اعتمد إلى حد ما على الشعبيّ أبى عمرو عامر بن شراحيل ، والشعبيّ تالبي جليل القدر ، كوفى وافر العلم ، عظيم الدراية ، كثير الرواية ، وقد روى أن ابن عمر ،

رضى الله عنه، مرّ بالشعبيّ يوماً، وهو يحدث الناس بالمنازى، فقال ابن عمر: «شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني» .

وقال الزهرى: «العلماء أربعة: ابن المسيّب بالمدينة، والشعبيّ بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام». ويقال إن الشعبيّ أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ويروى أنه توفى الشعبيّ سنة أربع ومائة. ورواية أبي حنيفة الدينوريّ عن الأصمميّ أبي سعيد عبد الملك بن قريب الباهليّ رواية كثيرة في كتاب «الأخبار الطوال»، وكان الأصمميّ إماماً في الأخبار والنوادر، والملح والغرائب، كما كان صاحب لغة ونحو، وهو من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هرون الرشيد، ويروى عن إسحاق الموصلي أنه قال: «لم أر الأصمميّ يدعى شيئاً من العلم فيكون أحد أعلم به منه». وكانت وفاة الأصمميّ في صفر سنة سبع عشرة ومائتين، وقد عاش ثمانى وثمانين سنة.

وكما روى أبو حنيفة عن المؤرخين السابقين له فقد نقل عنه كثير من المؤرخين الذين جاءوا من بعده، ومنهم من اعتمد عليه اعتماداً كبيراً، كما فعل الفارقيّ أحمد ابن يوسف بن عليّ بن الأزرق في تاريخه حين يتكلم عن الحروب والوقائع التي كانت بين الفرس والروم، وبين هؤلاء والمسلمين، أو عن تاريخ ديار بكر، وديار ربيعة وميافارقين؛ فإنه اعتمد على كتاب الأخبار الطوال اعتماداً كبيراً، وأشار إليه مراراً في كتابه، فأبو حنيفة من أقرب المؤرخين عهداً بحدوث كتابه «الأخبار الطوال» ومن أكثرهم معرفة بالبيئة الفارسية.

وإن كتب التاريخ القديمة ذات شأن واحد في معالجة تاريخ نشاط الجنس البشرى في حياته الأولى وكلها تسير على هذا النمط الذي سار عليه أبو حنيفة في كتاب «الأخبار الطوال»، من الاعتماد على المصادر الدينية، وعلى القصص الشائع المتخلف في أدب الشعوب، وعلى الوقائع المترسبة في عقول الأجيال، بعضها عن بعض، وهذه كلها تمحوى بعض المعارف من الميثولوجيا التاريخية، التي تموزها الأسانيد المادية العلمية، ولا تفيد الباحث إلا بقدر ما فيها من مفاهيم تصلح لأن تكون مادة لدراسات وأبحاث علمية.

وفى كتاب الأخبار الطوال شيء من هذه الميثولوجيا ، التى وقع فيها المؤرخون القدماى ، وقد أثبتت الجهود العلمية والكشوفات الحديثة حقائقها ، فإذا هى تناقض مناقضة تامة ما كان يعرفه الناس عنها قديما ، ولقد ذكر أبو حنيفة فى كتابه « أن الوليد بن مصعب هو فرعون موسى عليه السلام » ، والمعروف أن فرعون موسى هو منتاح بن رمسيس الثانى ، أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، وقد خلط أبو حنيفة بين الإسكندر الأكبر المقدونى وبين ذى القرنين ، صاحب الخضر ، الذى قص القرآن خبره فى حكاية يأجوج ومأجوج ، فذكر أنه ملك مدة ثلاثين عاما ، جال الأرض منها أربعا وعشرين سنة ، والثابت أن الإسكندر الأكبر قد عاش ستا وثلاثين سنة ، وأنه لم يملك هذه المدة التى ذكرها أبو حنيفة .

وإن هذه الأخبار ، ومثلها غيرها مما ورد فى كتاب « الأخبار الطوال » روايات شائعة فى كل كتب التواريخ القديمة ، وليس من شأنها التقليل مما لهذه الكتب من فوائد علمية ، صارت بها مصادر هامة من مصادر التاريخ العربى والإسلامى .

وينقسم كتاب الأخبار الطوال فى عرضه التاريخى إلى ثلاثة أقسام :

(١) الباب الأول ، ويتناول فيه أبو حنيفة الأحداث التاريخية مبتدئا بآدم ، عليه السلام ، والأنبياء ومن بعده ، وبأخبار العرب البائدة ، عاد وثمود وطسم وجديس ، وملوك الحبشة والفرس واليمن ، ومملكة داود ، وعرش بلقيس ، ودولة سليمان ، وبني إسرائيل ، وملك تبع : وفى هذا الباب يعرض الدينورى الأحداث عرضا سريعا لا يتقيد فيه بنظم بيتى ، ولا ترتيب زمنى ، ولكنه يحاول فى عرضه التاريخى أن يربط بين تاريخ المعجم وبين تاريخ الشعوب المجاورة .

(٢) الباب الثانى ، وهو الجزء الخاص بتاريخ بلاد الفرس ، وقد بدأه المؤلف بتاريخ الإسكندر وفتوحاته شرقا وغربا ، ثم خلس منه إلى ذكر ملوك الطوائف وأحوال بلادهم الذهبية والحربية ، وقد خص بلاد الفرس بكثير من الإفاضة ، فاستوعب

ملوكهم واحدا بعد واحد ، وذكر من أحوالهم قصصا تاريخيا رائعا ، صورته بأسلوب أدبي ممتاز .

وفي هذا الباب عرض أبو حنيفة أحوال الفرس والروم في عهد كسرى مقدمة لتاريخ العرب بعد ظهور الإسلام ، ويعتبر تصويره للحوادث التي وقعت بين هرمزد وبهرام من أمتع القصص التاريخية ذي المفاجئات المثيرة ، ومن أصدق العرض لما عليه نفس الإنسان من النزوع إلى الأثرة والذاتية .

(٣) الباب الثالث ، ويذكر فيه الدينورى حروب العرب مع العجم ، والفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ، وفي عهد الحكام من بعده ، كل هذا في بسط يتناول فيه أعمارهم ، ومأثور أقوالهم ، ومشهور أيامهم ، ويذكر فيه خلافتهم ، وما صارت إليه أمورهم ، دولة بعد دولة ، حتى يصل إلى موت المعتصم الخليفة العباسي

وهذا الجزء أهم أقسام الكتاب وأكبرها ، وقد عني فيه المؤلف بذكر تفاصيل الوقائع ، وربط الأسباب بمسبباتها ، والإبانة عن العوامل الذاتية والاتجاهات الشعبية التي قوضت أركان الكيان العربي ، وفرقت المذهب الإسلامي إلى شيع ، وطوائف متنازعة قد نسيت في معترك نضالها السياسي الأهداف السامية ، التي قامت على تحقيقها الدولة الإسلامية في المجال الدولي ، تمكينا للمدالة ، ونشرا للاشتراكية الاجتماعية .

ويمتاز أسلوب أبي حنيفة الدينورى في كتاب الأخبار الطوال بأنه أسلوب منطقي ، يخاطب العقل قبل أن يثير العاطفة ، ويستهوى القارىء ، فيدفعه إلى قراءة الكتاب من أوله إلى آخره ، غير عجول ولا ضجر ، في لفظ سهل ، وجرس موسيقى متلاحق ، وعبارة متصلة أخاذا ، نسجها الدينورى نسجا فريدا .

ولم يكن أسلوب أبي حنيفة فريدا في عصره ، ولكن أسلوب زمانه كان فريدا في أساليب العصور ، ولغة أبي حنيفة في كتابه ليست علمية ولا فلسفية ولا تاريخية ، ولكنها نثر فيه كثير من الفن ، وفيه ميل إلى إحداث اللذة عند القارىء فوق العناية بتأدية

- خ -

الفكرة ، وقد تأثر أبو حنيفة إلى حد كبير بما تأثر به النثر في العصر الأول من عهد الدولة العباسية ، بأسلوب القرآن الكريم ، والفلسفة والفكر اليوناني ، والفن الفارسي ، وهي العناصر التي تفاعلت في كيان اللغة العربية .

ولقد عنت في تحقيق الكتاب بإخراج النص في صورته التي نطق بها مؤلفه ، وكتبها عنه ناسخه ، وعمدت في سبيل هذا إلى المراجع الأخرى التي تناولت التاريخ لهذه الحقبة من الزمن إذا أشكل الرسم في تصحيح الأعلام أو تصويب النصوص ، وقسمت الكتاب إلى أبواب وفصول ، وأضفت إليه شروحا وإيضاحات في هوامشه ولم أشأ أن أعنى القارئ فأملأ هوامش الكتاب بمرض كلمات تأثرت بنقط حروفها ، أو أجزاء كلماتها بفعل المثل والأرضة والرطوبة ، وقد بقى منها ما يدل عليها صراحة ، ودون أى احتمال لسواها ، وهذا حدث كثير في المخطوطة مثل :

شهر بار : شهر بار	بكل مدحجج : بكل مدحج
انتقصه : انتقصه	نزلت : رلت
خاصته : خاصته	من تحت أخمصك الحشر : ... أخمصك ...
فرس شقراء : فرس سقراء	اليمينية : اليمينه
وقد صوّبت ما وقع فيه الناسخ من خطأ غير مقصود ، أوقعه فيه السماع مثل :	
قطميرا : قطيرا	بنات من الطير اجتمعن على سقر :
	... سقر

يا أبا سعيد : يا ابن سميد (الخدرى)	طالوت : طالوك
إذا هفا فلا تؤنبه : ... لا تؤنبه	نخضبوه : نخذبوه
حرقوص بن زهير : حربوص بن زهير	تبجفاف : تكفاف

ولم ألزم ما ألزمه الناسخ من اختزال الصيغ الدعائية ، فكتبت الصيغة كاملة مثل « صلى الله عليه وسلم » بدل « صلعم » و « رضى الله عنه » بدل « رمنه » و « عليه السلام » بدل « عم » .

وقد غيّرت الإماء القديم إلى المؤلف عليه الآن مثل : الحياة ، والصلاة ، وثلاث ،
وآلاف ، ومائة ، وبخارى ، وإسماعيل ؛ بدل : الحياة ، والصلاة ، وثلاث ، وآلف ،
ومئة ، وبخارا ، وإسماعيل .

وعمدت إلى متن الكتاب فجزأته إلى فقرات ، ووضعت بين الجمل علامات الترقيم
حتى يسهل تناوله ، ثم ذيلته بالفهارس المديدة ليكن الرجوع إليها في الإحاطة
بالتراجم ، والأعلام ، ومأثور القول ؛ وأضفت إليه خريطة تبين الطبيعة الجغرافية
لحوادث التاريخ .

وإنى بعد هذا الجهد أرجو أن أكون قد وقّعت في نشر الكتاب إلى إظهار
فضل أبي حنيفة الدينورى ، وإلى وضع كتاب الأخبار الطوال في مكانه اللائق
بين المصادر التاريخية للحياة العربية .

عبد النعم عامر

المعادي في جمادى الآخرة ١٣٧٩
ديسمبر ١٩٥٩

كِتَابُ
الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ

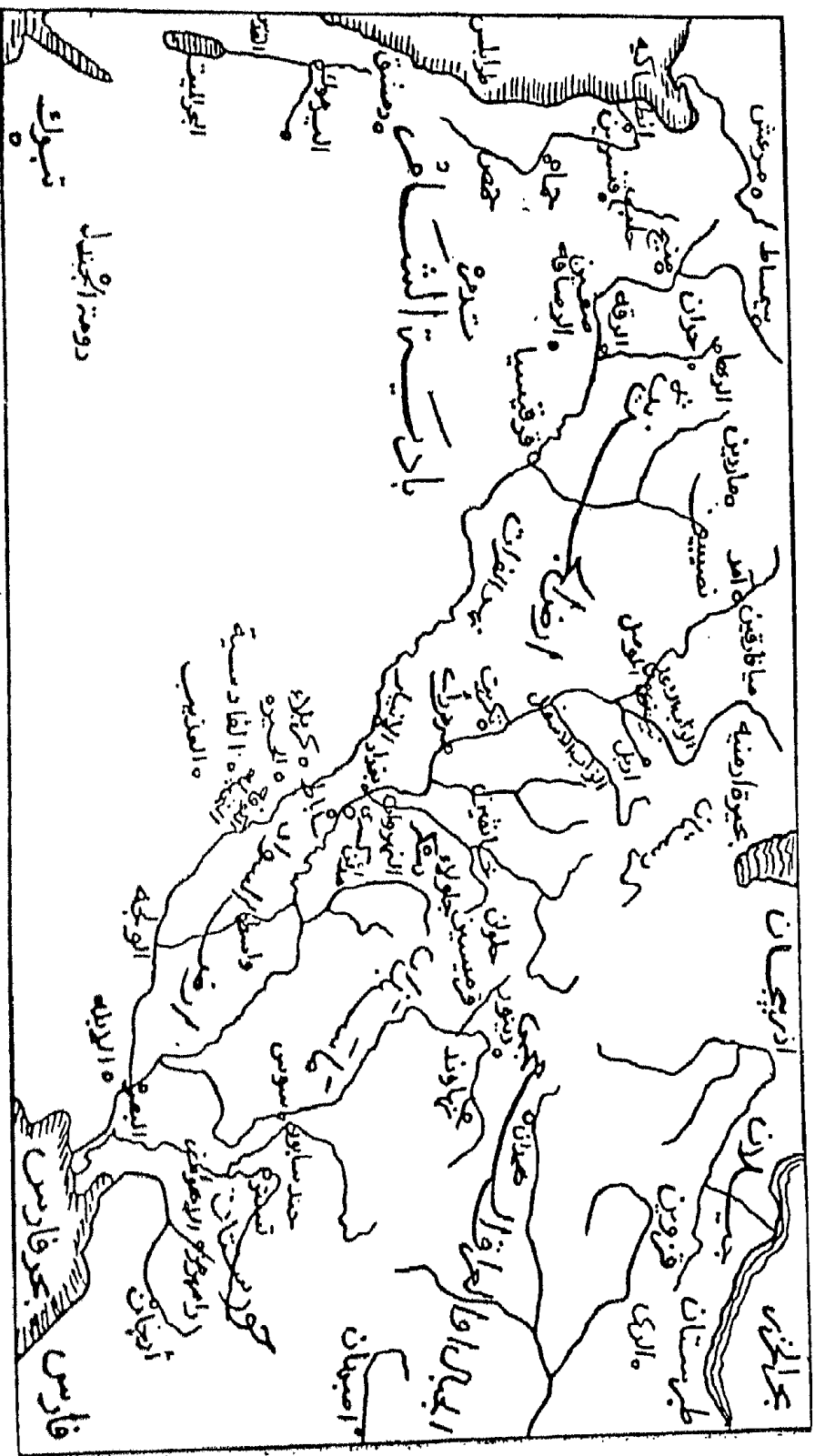
كتاب الأخبار الطوال

فيه ذكر ملوك الأرض من لدن آدم عليه السلام إلى انقضاء ملك يزدجرد ابن شهریار بن كسرى أبرویز ، وذكر من ملك من ملوك قحطان وملوك الروم وملوك الترك في كل عصر وأوان ، وذكر الأئمة والخلفاء والحروب التي كانت ، مثل يوم القادسية ، وفتوح العراق ، وانصرام دولة المعجم ، وحرب الجمل ، وصفين ، ويوم النهروان ، ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وفتنة ابن الزبير ، وخروج الأزارقة ، وحروبهم ، وأيامهم ، ومقتل المختار بن أبي عبيد ، وقصته ، وسبب خروجه ، وخروج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، وما كان بينهما ، وذكر خلافة الوليد بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز إلى انقضاء ملك بني أمية ، وخبر الدولة ، دولة بني هاشم ، وقصة أبي مسلم ، إلى خلافة المنصور ، وبنائه مدينة بغداد ، وأيام الخلفاء من بعده إلى انقضاء أمر محمد الأمين ، والمأمون ، إلى آخر أيام المعتصم ، وخبر بابك وحروبه وأيامه مختصرا من السير مقتصرًا عن الإطالة .

تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله

[illegible]

[illegible]



خريطة توضح طبيعة جغرافية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوضت أمري إلى الله

[أولاد آدم]

- قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله ، وجدت فيما كتب أهل العلم بالأخبار الأولى ، أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم ، وأن ولده كثروا في زمان مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ؛ وكان سيد ولد آدم في دهره ، والقائم بأمره ، وكذلك كان آباؤه إلى آدم عليهم السلام أجمعين ، ووقع بينهم التنازع في الأوطان ، ففرقهم مهليل في مهب الرياح الأربع ، وخص ولد شيث بأفضل الأرض ، فأسكنهم العراق .

[إدريس ونوح]

- وكان أول نبي بعد شيث إدريس ، واسمه «أخنوخ بن يرد بن مهليل» ، وسمى إدريس ، لكثرة دراسته ، ثم بعث الله نوحا عليه السلام إلى أهل عصره ، وكان مسكنه بأرض العراق ، وهو نوح بن لَمَك بن مَتُوشَلِح ، فكذبوه ، فأغرقهم الله ، ونجى نوحا ومن كان معه في السفينة ، وكان جنوح السفينة واستقرارها على رأس الجودي ، جبل بقرْدَى وبازْبَدَى^(١) من أرض الجزيرة ، فلما مات نوح استخلف ابنه ساما ، فكان أول من وطد السلطان ، وأقام منار الملك بعد سام جُمُ ابن وَيَرَ نَجْهَان بن إيران ، وهو أرغشذ بن سام بن نوح ، وأعقم الله جميع من نجى مع نوح في السفينة إلا بنيه الثلاثة ، ساما وحاما وياثنا . وكان لنوح ابن رابع اسمه يام ، وهو الغريق ، ولم يكن له عقب ؛ وأما الثلاثة فكلهم أعقب .

(١) كورتان متقابلتان أولاما شرق نهر دجلة والأخرى غريه ، وفي نسخة قرداي

وبازبدي .

وكان سام هو المتولى لأمر نوح من بعده ، وكان يشتمو بأرض « جَوْخَى »
ويصيف بالموصل ، وكان طريقه في مبدئه ومنصرفه على شط دجلة من الجانب
الشرق ، فسمى لذلك سام راه^(١) ، وهو الذى تسميه المعجم « إيران » . وقد كان
تبوأ أرض العراق ، واختصها لنفسه ، فسمى إيران شهر ، وقام بالأمر بعده ابنه
(شالغ) ، فلما حضرته الوفاة أسند الأمر إلى ابن أخيه جَمّ بن ويرنجهان بن أرغشذ
فثبت أساس الملك ، ووطد أركانه وبني معاله ، واتخذ يوم النيروز عيداً^(٢) .

[اختلاف الألسن]

قالوا : وفي زمان جمّ تبليلت الألسن ببابل . وذلك أن ولد نوح كثروا بها ،
فشجنت بهم ، وكان كلام الجميع السريانية ، وهى لغة نوح ، فأصبحوا ذات يوم ،
وقد تبليلت ألسنتهم ، وتغيرت ألفاظهم ، وماج بعضهم في بعض ، فتكلمت كل
فرقة منهم باللسان الذى عليه أعقابهم إلى اليوم ، فخرجوا من أرض بابل ، وتفرقت
كل فرقة جهة ، وكان أول من خرج منهم ولد يافث بن نوح ، وكانوا سبمة إخوة :
الترك ، والخزر ، وصقلاب ، وتاريس ، ومنسك ، وكمارى ، والصين . فأخذوا
ما بين الشرق والشمال ، ثم سار بعدهم ولد حام بن نوح ، وكانوا أيضا سبمة إخوة :
السند والهند والزنج والقبط وحَبَش ونوبة وكنعان ؛ فأخذوا ما بين الجنوب
والدبور^(٣) ، وأقام ولد سام بن نوح مع ابن عمهم جَمّ الملك بأرض بابل على تغير
ألفاظهم .

(١) أى طريق سام ، وكلمة راه Rāh فارسية معناها طريق .

(٢) كلمة فارسية مركبة من : نو ؛ بمعنى جديد ، وروز بمعنى يوم ؛ ويوم النيروز عند
الفرس هو أول يوم من أيام السنة الشمسية حيث يفرح الناس به ستة أيام ، وقد كتب الحكيم
عمر الحيام النيسابورى رسالة عن النيروز بالفارسية ، عنوانها « نوروزنامه » وطبعت سنة ١٣٣٠ هـ
بتهران .

(٣) المراد الغرب ، فالدبور بفتح الدال ريع تهب من نحو المغرب تقابل ريع الصبا .

[الساميون]

وكان لسام بن نوح خمسة بنين : إرم وكان أكبرهم سنا ، وأرنخشد ، وعالم ، وأليفَر ، والأُسُور ، نخص ولد إرم باللسان العربي عند تبليل الألسن ، وكانوا أيضا سبعة إخوة : عاد ، وشمود ، وصُحار ، وطَّسَم ، وجديس ، وجاسم ، ووبار ؛ فارتحل عاد مع من تبعه حتى حل بأرض اليمين ؛ ونزل شمود بن إرم ما بين الحجاز إلى الشام ؛ ونزل طسم بن إرم عُمان والبحرين ، ونزل جديس بن إرم اليمامة ، ونزل صُحار ما بين الطائف إلى جبل طيء ، ونزل جاسم ما بين الحرم إلى سفوان^(١) ، ونزل وبار بن إرم ما وراء الرمل بالبلاد التي تعرف بوبار ، وهؤلاء العرب الأولى انقراضوا عن آخرهم .

١٠ قالوا : ولما خرج هؤلاء تحركت قلوب سائر ولد نوح للخروج من بابل ، فخرج خُراسان بن عالم بن سام ، فاتخذ خراسان خطة ، وفارس بن الأسور بن سام ، والروم بن أليفَر بن سام ، وإرمين بن نُورَج بن سام ، وهو صاحب إرمينية ، وكرمان بن تَارَح بن سام ، وهيطَل بن عالم بن سام ، وولده من وراء نهر بلخ^(٢) ، وتسمى بلاد الهياطلة ؛ ونزل كل رجل منهم مع ولده في الأرض التي سميت به ، ونسبت إليه ، فلم يبق مع الملك جَمّ بأرض بابل إلا ولد أرنخشد بن سام .

١٥ قالوا : ولما كثرت عاد باليمن تجبروا وعتوا ، وعليهم شديد بن عمليق بن عاد ابن إرم بن سام بن نوح ، فوجه إلى ولد سام ابن أخيه الضحاك بن علوان بن عمليق ابن عاد ، وهو الذي تسميه المعجم بيورَاسيف ، فصار إلى أرض بابل ، وهرب منه جَمّ الملك ، فطلبه الضحاك حتى ظفر به ، فأخذه ، وأشره بمِيشار^(٣) ،

(١) سفوان واد من ناحية بدر .

(٢) نهر في شمال أفغانستان تقع عليه مدينة بلخ عاصمة دولة آل سبكتكين وقد دمرت مدينة بلخ على يد جنكيزخان ، وكانت محاطة بسور وفيها قلعة وجوامع ومدارس .

(٣) اللشار بالهمز هو المنشار بالنون ، وأشرت الحصة أشرا إذا شققها مثل نشرتها نصرا .

فاستولى على ملكه . وكان الذى وجه إلى ولد حام بن نوح ابن عمه الوليد بن الريان ابن عاد بن إرم ، وكان ملكهم يومئذ مصر بن القبط بن حام الذى تبوأ أرض مصر ، فسار إليه الوليد بن الريان حتى قتله ، واستولى على ملكه .

ومن ولد الوليد بن الريان بن الوليد بن مصر ، صاحب يوسف عليه السلام ، ومن ولدهما الوليد بن مصعب فرعون موسى عليه السلام ، وكان جالوت الجبار الذى قتله داود النبي من ولد الوليد بن الريان .

وكان الذى وجه شديد بن عمليق إلى ولد يافث بن نوح ابن أخيه غانم بن علوان أخو الضحّاك بن علوان ، وكان ملك ولد يافث بن نوح يومئذ فراسياب بن تُوذِل ابن الترك بن يافث بن نوح ، فغلب على ملكه أيضا ، واستولى على أرضه ، ومن ولد غانم بن علوان فيما يقال قُورُ ملك الهند الذى قتله الإسكندر مبارزة ، ويقال إن رُسْتَمُ الشديد من ولد غانم .

[الضحّاك]

قالوا : وإن الضحّاك الذى تسميه العجم بيوراسف عندما كان من غلبته جَمّ الملك وقتله إياه واطمئنانه فى الملك وفراغه أخذ يجمع إليه السحرة من آفاق مملكته ، ويتعلم السحر حتى صار فيه إماما ، وبني مدينة بابل^(١) ، وجعلها أربعة فراسخ فى أربعة ، وشحنها بجنود من الجبابرة وسماها (خُوب) ، وسام أولاد أرغشند الخسف ، ونبتت فى منكبيه سلعتان كهيئة الحيتين ، تؤذيانه حتى يطعمهما أدمغة الناس فتسكنان . قالوا : فكان يؤتى كل يوم بأربعة رجال جسام فيذبجون

(١) بابل عاصمة الكلدانيين القدماء ، ومكانها يبعد عن بغداد بمقدار ٩٣ ك . م إلى الجنوب على شاطئ نهر الفرات ، وقد بناها نمرود وشيد بها معبدا كبيرا لعبادة الشمس وقد زادت شهرتها فى التاريخ القديم بعد خراب نينوى وعظم عمراتها حتى إن حداثتها المعلقة اعتبرت من عجائب الدنيا السبع ، وقد استعملت أنقاض بابل فى تعبير بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور ، وتقوم الآن بعثات أوربية بالتنقيب عن آثارها بجوار قرية « حله » فعثرت على بعض الآثار وعلى كتبها من عهد بخت نصر والملوك القدماء .

وتؤخذ أدمغتهم فيمنذى بها تانك الحيتان . وكان له وزير من قومه ، فولى وزارته رجلا من ولد أرغشذ يسمى أرْمِيَايِيل ، فكان إذا أتى بالرجال ليذبحوا استجيا منهم اثنين ، وجعل مكانهما كبشين من الغنم ، وأمر الرجلين أن يذهبا حيث لا يوجد أثرهما ، فكانوا يصيرون إلى الجبال ، فيكونون فيها ، ولا يقربون القرى والأمصار ، فيقال إنهم أصل الأكراد^(١) .

[بعثة هود]

وملك بعد شديد بن عمليق أخوه شدّاد بن عمليق بن عاد بن إرم ، فعنتا ، وتجر ، فبعث الله إليه هوداً عليه السلام رسولا ، وكان من صميم قومه وأشرافهم ، وهو هود بن خالد بن الخلود بن العيص بن عمليق بن عاد ، فلم يحفل به ، فأهلكه ، ومن كفر منه من عاد ، كما قد قصه الله تبارك وتعالى في كتابه ، وهو أصدق الحديث^(٢) .

قال : ونشأ في ذلك الدهر عابر بن شالخ بن أرغشذ بن سام بن نوح ، فولد له فالغ بن عابر ، ثم ولد له بعد ذلك قحطان بن عابر ، قال : وإنما سمي قحطان لقحطه القحوط ، وطردّه بالسحاء والجود ، ثم ولد له لأم بن عابر ، فكان أعبد أهل عصره ، وكانت أسفار آدم وشيث ونوح وقعت إليه ، فدرسها ، وعلمها .

ثم إن الضحّاك البَيَّوَرَّاسِيَّ طلبه ليفتنه عن دينه ، فهرب منه بأهله وولده من مدينة بابل حتى حل بمفازة من أرض الروم ، فقبّره بها ، ويقال : إن مكان قبره معروف حتى الآن .

(١) جمع كرد ، وهم قوم يسكنون الحدود العربية لإيران وما يجاورها ، ويتكلمون لغة شبيهة باللغة الفارسية .

(٢) الآيات من ٢١ - ٢٦ من سورة الأحقاف .

[نمروذ بن كنعان]

ولما أهلك الله عاداً مع شداد ضعف ركن الضحاك ، وهى أمره ، واجترأ عليه
ولد أرخشذ بن سام ، وكان الوباء وقع في جنده ، ومن كان معه من الجبابرة ،
فخرج يريد أخاه غانم بن علوان الذى ملكه شديد على ولد يافث ، ويستعين به
على أمره ، فاستغفم ولد أرخشذ بن سام خروجه ، فأرسلوا إلى نمروذ بن كنعان
ابن جهم الملك ، وكان مستتراً هو وأبوه في طول ملك الضحاك ، بجبل دُنبأود^(١) ،
فأتاهم ، فلكوه عليهم ، فصمد [و] صمد من كان بأرض بابل من أهل بيت
الضحاك ، فقتلهم أجمعين ، واستولى على ملك الضحاك ، وباع ذلك الضحاك
فأقبل نحوه ، فظفر به نمروذ وضربه على هامته بجُرز^(٢) حديد ، فأنخنه ، ثم شده
وثاقاً ، وأقبل به إلى غار في جبل دنباوند ، فأدخله فيه وسد عليه ، واستدف^(٣)
الملك لنمروذ واستؤسق ، وهو الذى يسميه العجم فريدون .

قالوا : ولما توفى هود عليه السلام اجتمع ولد إرم بن سام من أقطار الأرض ،
فلكوا مرثد بن شداد ، وذلك في أول ملك نمروذ بن كنعان ، فغزاهم نمروذ في
آخر ملكه ، وقد وهى أمرهم ، فقدّر عليهم . وقالوا : فالنح وقحطان أخوان ،
وهما ابنا عابر ، ففالنح جد إبراهيم عليه السلام ؛ وأما قحطان فأبو اليمن ؛ ويروى
أن ابن المقفع كان يقول : « يزعم جهال العجم ومن لا علم له أن جهم الملك هو سليمان
ابن داود ، وهذا غلط ، فبين سليمان وبين جهم أكثر من ثلاثة آلاف^(٤) سنة » ،
ويقال : إن نمروذ بن كنعان فرعون إبراهيم من ولد جهم . وكان ابن عم آزر بن تارح
أبى إبراهيم ، وهو إبراهيم بن آزر بن تارح بن ناخور بن أرغوا بن شالح بن أرخشذ

(١) جبل في نواحي الرى .

(٢) عمود من الحديد وجمع جرز أجزاز وجرزة وفي بعض النسخ الأوربية جرد حديد
والصواب ما ذكرناه .

(٣) استنّب واستقام .

(٤) ثلاثة آلاف . في الأصل ثلاثة آلاف .

الذى سمته المعجم إيران ، ومن ولد أرغشذ جميع العرب ، ومنهم أيضا ملوك المعجم وأشرافهم من أهل العراق وغيرهم .

[قحطان]

- قالوا : ولما انقرضت عاد من أرض اليمن وبادوا ، وذلك في عصر نمروذ ابن كنهان ، أقطعها نمروذ ابن عمه قحطان بن عابر ، فسار إليها في ولده ، حتى نزلها ، وبها بقايا قليلة ممن آمن بهود عليه السلام من عاد ، فجاورهم قحطان بها ، فلم يكن إلا قليل حتى انقرضوا وبادوا ، وصفت الأرض لقحطان .
- ويقال : إن السائر إليها يعرّب بن قحطان بعد وفاة أبيه ، فسار إليها في إخوته وأولادهم ، فقطنها ، فكانت أمّ يعرّب دون إخوته من عاد ، فتكلم بلسان أمه .
- وذكر عن ابن الكيس النعمري^(١) أنه قال : إن قحطان تزوج امرأة من المالقي ؛ فولدت يعرّب ، وجرّهم ، والمعتّم ، والمتكّمس ، وعاصمًا ، ومنيبًا ، والقطامي ، وعاصيًا ، ورحمير ؛ فتكلموا جميعا بلسان أمهم بالمربية ؛ وكان قحطان في عصر نمروذ . وذكر عن ابن الشّرية^(٢) أنه قال : كان الذي خرج إليها يعرب بن قحطان في ولده ، وكان أكبرهم سنا ، وأعظمهم قدرا .

١٥ [ثمود]

- قالوا : وإن ثموداً قفّت ما كانت عليه عاد من الكفر بالله ، والعتوّ عليه ، فأرسل الله إليهم صالحا رسولا ، فكان من أشرفهم منصبا ، وأكرمهم حسبا ، فدعاهم إلى توحيد الله ، فلم يقبلوا منه ، ولم يراعوا ؛ فأهلكهم الله عز وجل ، كما نص في كتابه ، وهو أصدق الحديث^(٣) . ويقال : إنه كان بين مهلك عاد ومهلك ثمود خمسمائة عام ، وكان ذلك في عصر إبراهيم عليه السلام .

٢٠

(١) وكان من أعلم الناس بالنسب (الاشتقاق لابن دريد) ، وابن الكيس النسابة هو مالك ابن عبيد بن شراحيل بن الكيس (جمهرة الأنساب) .

(٢) كذا في الأصل ، وهو عبيد بن شربة الجرهمي ، من صنعاء ، وقد استقدمه معاوية ابن أبي سفيان ، ليدون له التاريخ في كتاب ، فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضي .

(٣) الآيات : من ٤٥ إلى ٥٣ من سورة النمل .

[إبراهيم]

وفي آخر ملك نمرود ، وتسميه المعجم « فريدون » تجبر نمرود ، وعنتا ، ولهج
بسلم النجوم ، واجتلب النجمين من آفاق الأرض ، وجباهم بالأموال ، واختار
سبعة نفر من أهل بيته ، فسماهم « الكوهبارين »^(١) فولاهم أموره ، ووكل كل
رجل منهم بعمل أفردة به .

وكان آزر أبو إبراهيم أحد السبعة الذين اختار [هم] . وقد كان دان له الشرق
والقرب ، فكان من أمر مولد إبراهيم ما قد جاءت به الآثار ؛ وكان أول من آمن
بإبراهيم امرأته سارة ، وكانت من أجمل أهل عصرها . ولوط كان ابن أخته ،
فأقام إبراهيم مع أبيه ما شاء الله ، ثم خرج مهاجراً له ، وخرجت معه سارة ؛
وكان أبو لوط من أهل مدينة « سدوم »^(٢) وكانت أمه بنت آزر ؛ وإنما كان قدم
إلى بابل زائراً لجدّه آزر ، فأمن إبراهيم ، فأقام معه ببابل مؤازراً له على أمره ،
فلما خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً خرج معه لوط ، فلحق بأبيه وأهل بيته
بمدينة سدوم ، وهي فيما بين أرض الأردن وتقوم أرض العرب ، وسار إبراهيم
حتى أتى أرض مصر .

[هجرة جرهم والمتمم]

قالوا : وإن ولد قحطان كثروا بأرض اليمن ، فوقع بينهم التباغى والتحاسد ،
فاجتمع ولد يعرب بن قحطان على جرهم بن قحطان وولد المتمم بن قحطان ، فنقوم
عن اليمن وأرضه ، فسارت جرهم نحو الحرم ، وسار بنو المتمم نحو الحجاز ،
ورئيس جرهم مُصَاص بن عمر بن عبد الله بن جرهم بن قحطان ، وأرادوا نزول الحرم ،

(١) في بعض النسخ الأوربية القوهيارتين . والصحيح ما ذكر ، والمعنى « المختارون » .

(٢) سدوم مدينة قديمة في فلسطين أحرقت بنار سماوية لارتكاب أهلها الفحشاء وعدم
طاعتهم نبيهم لوطاً ، ويقال إنها سميت باسم فاضلها الذي كان يضرب به المثل في الجور والظلم .

فمنهم المأليق من ذلك ، فاقتتلوا ، فغلبتهم جرم على الحرم ، ونفوه منه ، ونزلت جرم الحرم .

فلما قطنوه بلغ ذلك بنى المعتمر بن قحطان ، فأقبلوا من أرض الحجاز حتى أتوا الحرم ، وسألوا جرم السكني معهم ، فأبت عليهم جرم ، ورئيس بنى المعتمر السَّمِيدَع بن عمرو بن قنطور بن المعتمر بن قحطان ، فتداعى الفريقان للحرب ، فبحرهم هذه سميت قَمَيْقَمَانِ وَالْمَطَايِخِ وَأَجْيَادِ وَفَاضِحِ ، لأن به فضحت بنو المعتمر ، وقتل السَّمِيدَع ، وكان الظفر لجرم .

[نمرود وأولاده]

قالوا : وكان لنمرود ثلاثة بنين : أَيْرَج ، وَسَلَمُ ، وَطُوسُ ، ففوّض إلى أَيْرَج ملكه ، وجعل سلما على ولد حام ، وطوسا على ولد يافث ، فحسد أيرج أخواه ، إذ خصه أبوه بالأمر دونهما ، وهو أصغر سنا منهما ، فاغتلاه ، فقتلاه ، فصير الملك إلى ابن ابنه مَنُوشَهْرَ بن أيرج ، وصرفه عن ابنه : سلم ، وطوس ، ثم مات . فلك منوشهر بن أيرج ؟ وفي عصر منوشهر كثرت قحطان باليمن ، فلكوا عليهم سَبَأُ بن يَشْجُبُ ؟ واسم سبأ عبد شمس .

[أولاد إسماعيل]

قالوا : وفي ذلك العصر توفى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وخلف ثلاثة بنين ، قَيْذَرُ بن إسماعيل ، وَنَابِتُ بن إسماعيل ، وهو كان القيمُّ بأمر مكة والحرم بعد إبراهيم ، وَمَدْيَنُ بن إسماعيل ، وهو الذى صار إلى أرض مدين ، فنزلها ؛ ومن ولده شعيب النبي عليه السلام ، وقومه الذين أرسل إليهم .

[غلبة جرم على الحرم]

قالوا : ولما توفى نابت بن إسماعيل غلبت جرم على البيت والحرم ، فخرج قيذر ابن إسماعيل بأهله وماله يَتَّبِعُ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ فَيَا بَيْنَ كَاطِمَةِ ، وَغَمَرُ ذِي كَنْدَةَ ،

والشَّعْمَيْنِ ، وما والى تلك الأرضين حتى كثر ولده ، وانتشروا في جميع أرض
تهامة ، والحجاز ، ونجد .

[بنو قحطان]

فلک سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أرض اليمن طول ملك منوشهر مائة
عشرين سنة ، ثم مات ، وملك بعده ابنه حمير بن سبأ ، وجعل ابنه كهلان
وزير حمير . ٥

[نهاية ملك منوشهر]

قالوا : ولما أتى للک منوشهر مائة سنة وعشرون سنة سار إليه فراسياب
ابن فايش بن نوذسف بن الترك بن يافث بن نوح . وذلك حين ملك حمير أرض
اليمن . وكان مسيره من ناحية المشرق في جموع من ولد يافث بن نوح ، حتى انتهى
إلى أرض بابل ؛ وخرج إليه منوشهر الملك في جنوده ، فقصّت جموع منوشهر ،
وقفا فراسياب إثر منوشهر حتى لحقه ، فقتله ، واستولى على ملكه ، وجلس
على سريره . ١٠

وسام ولد أرخشذ الخسف ، وهدم ما كان بأرض بابل من الحصون ، وعور^(١)
ما كان فيها من العيون ، وطم^(٢) ما كان فيها من الأنهار ، وقحط الناس في ملكه
قحطاً شديداً ؛ وكان أهل إيران شهر في ملكه في أعظم بلاء . ١٥

[زاب بن بودکان]

فلما تم للک فراسياب تسع سنين ظهر زاب بن بودکان بن منوشهر بن أيرج
ابن نمرود بأرض فارس ، تغلّع فراسياب ، ودعا لنفسه ، قال إليه جميع ولد سام
ابن نوح للجهد الذي نألم في ملك فراسياب ، فسار إلى فراسياب حتى نفاه عن ٢٠

(١) أثلّف عيون الماء . (٢) طم : جف .

- ملكته ، وعمد إلى المدن والحصون التي هدمها فراسياب ، فأعاد بناءها ، وحفر الأنهار والقنّى التي كان طمها ، وأصلح كل ما كان فراسياب أفسده ، وكرى بالعراق أنهاراً عظيمة سماها الزّوابى ، اشتق اسمها من اسمه ، وهى الزابى الأعلى ، والزابى الأوسط ، والزابى الأسفل ، وابتنى المدينة العتيقة ، وسماها طيسفون^(١) ، ثم سار فى إثر فراسياب ، وقد أقام بخراسان فى جموعه ، وعساكره ، فزحف إليه فراسياب فاقتتلوا ، وأقبل أرسنأس الذى كان منوشهر أمره بتعليم الناس الرمي بالنشّاب ، وقد وتر قوسه وفوق^(٢) فيها نشابة ، فأقبل حتى دنا من فراسياب ، فلما تمكّن رماه رمية خالطت فؤاده ، وخر ميتاً ، وانصرف ولد يافث حين قتل ملوكهم حتى لحقوا بأرضهم ، وكان زاب قد أصابته جراحات كثيرة ، فمات منها بعد مهلك فراسياب بشهر . وفى ذلك العام مات حمير بن سبأ .
- ١٠ قالوا : كان ملك الوليد بن مُعصب فرعون موسى عليه السلام^(٣) على جميع أرض ولد حام ، وهى المملكة التى تعرف بملك مصر بن حام . وقالوا : « ولما توفى يوسف بن يعقوب وإخوته بأرض مصر بقى أعقابهم بها ، وكثروا فيها ، وكانوا فى زمان موسى عليه السلام ستمائة ألف رجل ، وكان ملك المين فى زمن موسى المِلطاط بن عمرو بن حمير بن سبأ » .
- ١٥

[كيقباز بن زاب]

وكان ملك أرض بابل كَيْقَبَاز بن زاب ، وكان المِلطاط يلقب بالرائش ، لأنه رايش قومه وأغنامهم ، وكانت ملوك الأرض كلها قد دانوا لكيقباز ، واتقوه بالإتاوة^(٤) ،

(١) يذكرونها الجغرافيون العرب باسم طيسفون أو طيسفونج أو طوسفون ، والأوربيون باسم Atsibhon ، وكانت مدينة بها قصر لكسرى وتبعد من بغداد مقدار ثلاثة فراسخ .
 (٢) فوق النشابة : وضعها فى وتر القوس .
 (٣) عليه السلام : عم ، والمعروف بعد الكشف الفرعونية أن فرعون موسى هو منفتاح ابن رمسيس الثانى ، أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة .
 (٤) الإتاوة : كل ما أخذ بالإكراه من رشوة أو خراج .

وكان له ثلاثة بنين : قابُوس ، وهو الذى ملك من بعده ، وكَيَّا بته ، وهو جد
لَهْرَاسِيف الذى ملك بعد سليمان بن داود عليه السلام ، وقَبُوس ، وهو جد الأشفانيتين
الذين كانوا ملوك الجبل فى زمان الطوائف .

وفى عصره خرج موسى بن عمران من مصر هارباً من فرعون حتى أتى أرض
مدين^(١) ، ونزل على شعيب ، فأجره نفسه ثمانى حجيج ، كما ذكر الله جل ثناؤه
فى الكتاب الناطق^(٢) ، ثم خرج من عند شعيب لما قضى الأجل ، وسار بأهله ،
فكان من أمره وإكرام الله إياه بتشكيمه ورسالته ما قد قصه علينا فى كتابه ؛
وانصرف إلى شعيب ، ورد أهله إليه ، ومضى حتى بلغ رسالة ربه ؛ وفى هذا المصر
بعث شعيب إلى قومه ، فكان منهم ما حكاه الله فى كتابه^(٣) .

[أبرهة]

قالوا : ثم ملك أرض اليمن أبرهة بن اللطاط ، وهو أبرهة ذو النار ، سمي بذلك ،
لأنه أمر بعمل المنار والإيقاد عليها بالليل ، ليهتدى بهسا جنوده ، وتوفى موسى
ابن عمران عليه السلام ، وتولى أمر إسرائيل من بعده يوشع بن نون ، فخرج
ببنى إسرائيل من أرض مصر إلى أرض الشام ، فأسكنهم بفلسطين .

قالوا : وإن أبرهة تجهز وسار فى بشر كثير يؤم أرض المغرب ، واستخلف
على مملكته ابنه إفريقيس ، فأوغل فى أرض السودان ، فأعطوه الطاعة ، فجاز
أرضهم ، وسار حتى انتهى إلى أمة من الناس ، أعينهم وأفواههم فى صدورهم ،
ويقال إنهم أمة من ولد نوح عليه السلام ، غضب الله عليهم ، فبدل خلقهم ،
فأعطوه الطاعة ، وانصرف راجعاً ، فمر بأمة من الناس ، يقال لهم النسناس ، للرجل
والمرأة منهم نصف رأس ، ونصف وجه ، وعين واحدة ، ونصف بدن ، ويد واحدة ،

(١) قرية النبی شعيب .

(٢) الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ من سور القصص

(٣) الآيات من رقم ١٧٦ إلى ١٩٠ من سورة الشعراء

ورجل واحدة ، يقفزون قفْزاً في أسرع من حُضر^(١) الفرس الجواد ، وهم يهيمون في الغياض التي على شاطئ البحر ، خلف رمل عاجل^(٢) ، يعني رمل بلاد اليمن ، فسأل عنهم ، فأخبر أنهم أمة من ولد وبار بن إرم بن سام بن نوح .

[كيكائوس بن كيقباز]

- ٥ قالوا : وكان ملك المعجم في عصر أبرهة بن اللطاط كيكائوس بن كيقباز ، وكان متشدداً على الأقوياء^(٣) ، رحباً بالضعفاء ، وكان منصوراً محموداً إلى أن خطرت منه خطرة ضلال ، فيما كان همّ به من الصعود إلى السماء ، فهو صاحب التابوت والنسور ، وكان قد وجد على ابنه سياوش ، ولم يكن له ولد غيره ، فأراد قتله ، فهرب منه ، فلحق بملك الترك ، فخل منه محلاً لطيفاً لما بلّاه واختبره ، ورأى عقله وآدابه وبأسه ونجده ، ففوّض إليه أمره ، فلما رأى ذلك أهل بيت الملك حسدوه ، وخافوا أن يبرّهم الأمر ، فدسّوا إليه النوائل^(٤) عند الملك حتى أقدم عليه ، فقتله ، وقد كان زوجته ابنته ، وحملت منه ، فأراد أن يقر بطنها عن جنينها ، فناشده برايان الوزير فيها ، وفي ولدها ألا يقتلها من غير جرم ، فقال له : « دونك ، نخذها إليك ، فإذا ولدت فاقتل ولدها » . فكانت عنده حتى ولدت غلاماً ، وهو كيخسرو الذي ملك بعده ، فأخرجه من مصر ، واسترضع له في سكان الجبال من الأكراذ ، فنشأ عندهم ؛ وقال للملك : « إنها ولدت جارية وقد قتلها » فصدقه .

[ملك كيخسرو]

وإن أهل فارس شنّوا كيكاوس لما أظهر من الجبروت والعتو والجراة على الله ،

(١) الحضر بضم الحاء وسكون الضاد ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) عاجل : موضع بالبادية به رمل .

(٣) الأقوياء في الأصل : الأقرباء .

(٤) النوائل جمع غائلة وهي الداهية والمصيبة .

وتأسروا على خلمه ؛ وفشا ذلك حتى بلغ أم الغلام ، وقد أتى له سبع عشرة سنة ،
فدست رسولا إلى أهل فارس ، تعلمهم مقتل سياوش ، وأمر الغلام ؛ فاختاروا رجلا
من أفاضلهم ، يسمى « زَوَ » ، فوجهوه إلى ابريان الوزير في الإقبال بالغلام ،
فقدم عليه ، وأعلمه ما أجمعت عليه أهل فارس ، فسلم إليه الغلام ، وحمله على فرس
أبيه سياوش الذى قدم عليه من العراق ، فسار به زَوَ ، يكنى النهار ، ويسير الليل ،
حتى ورد يَمَّ جيجون^(١) ، وهو نهر بلغ مما يلي خوارزم ، فمبره سباحة على فرسه ،
وأقبل به ، حتى أورده دار الملك ، فخلعوا كيكائوس ، وملكوا الغلام ، وسموه
كيخسرو ، ومنحوه الطاعة ، فأمر يَجْدَه فخبس ، فلم يزل محبوساً حتى هلك .

[إفريقيس واليمن]

قالوا : وكان ملك كيوخسرو وملك إفريقيس بن أبرهة فى عصر واحد ، وإن
أفريقيس تجهز يريد المغرب ، حتى أوغل فى أرض طنجة والأندلس ، فرأى بلاداً
واسعة ، فابتنى هناك مدينة ، وسمها إفريقية اشتق اسمها من اسمها ، ونقل إليها
سكانا ، وهى المدينة التى ينزلها اليوم سلطان ذلك البلد وعظماؤها ، ثم انصرف إلى
وطنه ؛ وفى ذلك العصر نشأ معد بن عدنان ، وفيه انقرض ولد إرم من جميع
أرض العرب إلا بقايا من طسم وجديس ، غبروا بعمان والبحرين واليمامة .

[ملك ابن إفريقيس وهلال طسم وجديس]

ولما مات إفريقيس بن أبرهة ملك ابنه ذو جَيْشان بن إفريقيس ، فتجهز لغزو
كيخسرو ملك فارس ، وجمع جنوده ، وسار حتى نزل بنجران^(٢) ، وكان بئمان

(١) جيجون : نهر من أكبر أنهار آسيا ينبع من جبال بامير ويجرى نحو الغرب حتى يصب
فى بحيرة أورال ، وفيضانه بين شهرى مايو واكتوبر ، وهو الآن حد فاصل بين أفغانستان
وجمهورية آسيا السوفياتية ، ويطلق المؤرخون العرب على البلاد الواقعة شمال جيجون بلاد
ما وراء النهر .

(٢) نجران : موضع بالبحرين .

والبحرين واليمامة بشر كثير من ولد طسم، وجديس، ابني إرم بن سام، وكانوا من العرب الماربة، وكان ملكهم رجلا من طسم، يسمى عمليقا، وكان جائرا ظلوما، وبلغ من عتوه أن أمر ألا تزف امرأة من جديس إلى زوجها إلا بدءوه بها، فكثوا بذلك دهرا طويلا.

- ٥ وإن رجلا من جديس تزوج عقيزة بنت غفار أخت الأسود بن غفار عظيم جديس وسيدها، فلما أرادوا إهداءها أدخلت على الملك، فافترعها، ثم خلى سبيلها، فخرجت إلى قومها في دماها رافعة ثوبها عن عورتها، وهي تقول :

أَيْصْلُحْ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ ثَوْرَةٌ عَدَدَ النَّمْلِ
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقْرُ عَلَى الدَّلِّ
فَبِمَدَا لِبَعْلٍ لَيْسَ فِيهِ حَمِيمَةٌ وَيَخْتَالُ يَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ الْفَحْلِ

- ١٠ فحميت من ذلك جديس، فاغتالوا عمليقا، فقتلوه على غرة، وإمامهم الأسود ابن غفار يرتجز، ويقول :

يَا لَيْلَةَ مَا لَيْلَةُ الْعُرُوسِ جَاءَتْ تَمْشِي بِدَمٍ جَعِيسٍ (١)
يَا طَسْمُ مَا لَأَقَيْتَ مِنْ جَدِيسٍ إِحْدَى لِيَا لِيكِ فَهَيْسَ هَيْسَ (٢)
١٥ فأبادوا طسما، فلم يفلت منهم إلا رجل يقال له، رياح بن مرة، فإنه مضى على وجهه حتى أتى ذا جيشان، وهو معسكر في جنوده بنجران، فثل بين يديه، ثم قال :

إِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ يَوْمَ وَلَا تَرَى كَيْوَمَ أَبَادَ الْحَيِّ طَسْمًا بِهِ الْمَكْرُ
أَتَيْنَاهُمْ فِي أَزْرَانَا وَنِمَالِنَا عَلَيْنَا الْمَلَأَ الْحُمْرُ وَالْحُلُّ الْخَضَرُ
٢٠ قَصِرْنَا لِحُومًا بِالْمَرَاءِ وَطُعْمَةً تَنَازَعَهَا ذِيبُ الْوَشِيمَةِ وَالنَّمْرِ (٣)

(١) الدم الجعيس : هو الدم المتجمد .

(٢) هيس هيس : كلمتان تقالان للحن عند إمكان الأمر والإغراء به .

(٣) الوشيمة : الشر والعداوة والضراوة .

فَدُونَكَ قَوْمًا لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ وَلَا لَهُمْ مِنْهُ حِجَابٌ وَلَا سِتْرٌ
فَقَالَ الْمَلِكُ : كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ ، قَالَ : ثَلَاثَ . فَقَالَ مِنْ حَضْرَةِ : كَذِبٌ ،
أَيُّهَا الْمَلِكُ ، بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقَوْمِ عَشْرُونَ لَيْلَةً ، فَأَمَرَ جُنُودَهُ بِالْمَسِيرِ نَحْوَ الْيَمَامَةِ ، فَفِي
مَسِيرِهِمْ ، وَقِصَّةُ الزَّرْقَاءِ^(١) يَقُولُ الْأَعَشَى بَعْدَ ذَلِكَ بَدْهَرٍ طَوِيلٍ :
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ ، لَهْفَى أَيْةً صَنَعًا
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ ، فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ جَيْشَانَ ، يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوْءٍ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَهَدَّموا مُشْرِفَ الْبُنْيَانِ ، فَاتَّصَمَا
فَأَمَّ جَدِيسَا ، وَاسْتَأْصَلَهُمْ ، ثُمَّ رَحَلَ نَحْوَ الْعِرَاقِ يَرِيدُ كَيْخَسَرُو ، وَزَحَفَ
إِلَيْهِ كَيْخَسَرُو ، فَالْتَقُوا ، فَاقْتُلَ ذُو جَيْشَانَ ، وَانْفَضَّتْ جَمُوعُهُ .

[مَلِكُ الْفَنْدِ ذِي الْإِذْعَارِ]

فَمَلَكَتِ الْيَمِينَ ابْنَةُ الْفَنْدِ ذَا الْإِذْعَارِ ، وَإِنَّمَا لَقِبَ ذَا الْإِذْعَارِ لِرُعْبِ النَّاسِ مِنْهُ ،
فَلَمْ تَسْكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الْطَلَبَ بِثَأْرِ أَبِيهِ .

[هِجْرَةُ رَبِيعَةَ إِلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ]

قَالَ : وَبَقِيَتِ الْيَمَامَةُ وَالْبَحْرَيْنِ بَعْدَ قَتْلِ جَدِيسَ لَيْسَ بِهِمَا أَحَدٌ إِلَى أَنْ كَثُرَتْ
رَبِيعَةُ ، وَاتَّشَرَتْ ، وَتَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ ، فَسَارَتْ عِتْرَةُ^(٢) بِنِ اسْدَ بْنِ رَبِيعَةَ ،
تَتَّبِعُ مَوَاقِعَ الْغَيْثِ ، وَتَقْدُمُهَا عَبْدُ الْمُزَيِّ بْنِ عَمْرِو الْمَزَيِّ حَتَّى هَجَمَ عَلَى الْيَمَامَةِ ، فَرَأَى
بِلَادًا وَاسِعَةً ، وَنَخْلًا وَقُصُورًا ، وَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ قَاعِدٍ تَحْتَ نَخْلَةٍ سَيِّحُوقِ^(٣) ،
يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

تَقَاصَرَى ، أَجْنِرْ جَنَّاكَ قَاعِدًا إِنِّي أَرَى حَمْلَكَ يَنْبِئِي^(٤) صَاعِدًا

(١) امرأة من قبيلة جدريس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، وقد حذرت قومها
من هجوم حير فلم يصدقوها حتى صبحهم حسان فاجتاحهم وأخذ الزرقاء فشق عيניה .

(٢) العترة بالكسر : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون .

(٣) النخلة الطويلة الجرداء التي بعد ثمرها على المجنئ . (٤) ينبئ : يرتفع .

فقال له عبد المُرّي : مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : أَنَا مِنْ هِزَّانَ ، الضَّرَاغِمَةُ
الْأَقْرَانُ ، غَزَانَا ذُو جَيْشَانِ ، الْمَلِكُ الْقَرْمُ^(١) الْيَمَانِ ، فَأَعْمَلُ فِيهَا الْمُرَّانَ^(٢) ، فَلَمْ يَبْقَ
بِهَذَا الْمَكَانَ غَيْرِي ، وَإِنِّي لَفَانٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمُرِّي : وَمَنْ هِزَّانُ ؟ قَالَ :
هِزَّانُ بْنُ طَسَمٍ أَخُو النَّهْيِ وَالْحَزْمِ ، وَابْنُ الشُّجَاعِ الْقَرْمِ .

- ٥ فَأَقَامَ عَبْدُ الْمُرِّي أَيَّامًا ، ثُمَّ تَبَرَّمَ بِمَكَانِهِ ، فَضَى سَائِرًا حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ،
فَرَأَى بِلَادًا أَوْسَعَ مِنَ الْيَمَامَةِ ، وَبِهَا مَنْ وَقَعَ إِلَيْهَا مِنْ وَلَدِ كَهْلَانَ ، حِينَ هَرَبُوا مِنْ
سَيْلِ الْعَرَمِ^(٣) ، فَأَقَامَ مَعَهُمْ ؛ وَسَارَتْ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ السَّمْتِ ، يَتَّبِعُونَ
مَوَاقِعَ الْغَيْثِ ، وَتَقْدِمُهُمْ عُبَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ ؛ فَزَلَّ قَرِيبًا مِنْهَا ،
فَضَى غَلَامٌ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى جَمَّ عَلَى الْيَمَامَةِ ، فَرَأَى نَخْلًا وَرَيْفًا ، وَإِذَا هُوَ بِشَيْءٍ
مِنْ تَمَرٍ قَدْ تَنَازَرَتْ تَحْتَ النَّخْلِ ، فَأَخَذَهُ ، وَأَتَى بِهِ عُبَيْدًا ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، فَقَالَ :
١٠ وَأَبِيكَ إِنْ هَذَا الطَّعَامُ طَيِّبٌ . فَارْتَفَعَ حَتَّى أَتَى الْيَمَامَةَ ، فَدَفَعَ فَرَسَهُ ، نَحَطَّ عَلَى
ثَلَاثِينَ دَارًا وَثَلَاثِينَ حَدِيقَةً ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَكَانَ حَبْجَرًا ، فَهُوَ الْيَوْمَ قَصْبَةُ الْيَمَامَةِ ،
وَمَوْضِعُ وَلَاتِهَا ، وَسَوْقُهَا ؛ وَتَسَامَعَتْ بَنُو حَنِيفَةَ بِمَا أَصَابَ عُبَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ ،
فَأَقْبَلُوا حَتَّى أَتَوْا الْيَمَامَةَ ، فَقَطَّنُوهَا ؛ فَمَعَهُمْ بِهَا إِلَى الْيَوْمِ . قَالَ : وَكَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ
١٥ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَصْرِ ذِي الْإِذْخَارِ ، وَكَانَ مَلِكُ الْمَعْجَمِ كَيْخَسَرُ بْنُ سَيَاوُشَ .

[دَاوُدُ الْمَلِكُ]

وَكَانَ سُلْطَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ وَهَى ، فَكَانَ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ يَفْزَوْنَهُمْ ،
فَيَقْتُلُونَ ، وَيَأْسُرُونَ ، فَأَتَوْا نَبِيَهُمْ شَعِييَا ، فَقَالُوا : « ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا ، نَقَاتِلُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ »^(٤) . فَلَمَّا عَلَيْهِمْ طَالُوتُ ، وَكَانَ مِنْ سَبْطِ يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) ،

(١) السَّيِّدُ ، وَالرَّئِيسُ ؛ فَهُوَ يَشْبُهُ الْقَرْمَ مِنَ الْإِبِلِ فِي عَظَمِ شَأْنِهِ . (٢) الرِّيحُ الصَّالِبَةُ الدَّائِمَةُ .

(٣) الْعَرَمُ : السَّيْلُ الَّذِي لَا يَطَاقُ ، وَكَانَ قَوْمٌ سَبَأٌ فِي نِعْمَةٍ وَجَنَانٍ كَثِيرَةٍ ، فَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ

اللَّهِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَرْدًا ثَقَبَتْ سِدَاهُمْ ، فِيهِ أَبْوَابٌ ، فَانْبَثَقَ الْمَاءُ ، فَفَرَّقَتْ جَنَانَهُمْ .

(٤) الْآيَةُ رَقْمُ ٢٤٦ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . (٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ

وكان الملك في بيت يهوذا ؛ وقد كان بقى في ذلك العصر من ولد عاد جالوت الجبار ، فسار غازياً لبنى إسرائيل في جنوده ، لجمع طالوت بني إسرائيل ، وخرج لمبارته ، ففروا بالنهر الذي نهام طالوت عن شربه ، وشربوا منه إلا ثلاثمائة رجل وسبعة عشر رجلاً ، عدد أهل بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ وكان داود النبي حينئذ حدث السن ؛ فلما تواقف الفريقان وضع داود - عليه السلام - حجراً في قذافة ، ثم فلقها ، ورماه ، فصك بين عيني جالوت ، فكانت نفسه فيه ، وانهزم جنوده ، وغنم بنو إسرائيل أموالهم ؛ فاجتمع بنو إسرائيل عند ذلك على تمليك داود صلى الله عليه وسلم ، وخلع طالوت برضى منه ؛ وداود من سبط يهوذا بن يعقوب . قالوا : وكان ملك الروم في ذلك العصر « دَقَيْنُوس » صاحب الفتية أصحاب الكهف .

١٠

وذكر عن عبد الله بن الصامت ، قال : وجهنى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -^(١) سنة استخلف إلى ملك الروم ، لأدعوه إلى الإسلام ، أو آذنه بحرب ، قال ، فسرت حتى أتيت القسطنطينية ، فأذن لنا عظيم الروم ، فدخلنا عليه ، فنجاسنا ، ولم نسلم ؛ ثم سألنا عن أشياء من أمر الإسلام ، ثم صرفنا يومنا ذلك ؛ ثم دعا بنا يوماً آخر ، ودعا خادماً له ، فكلّمه بشيء ، فانطلق ، فأناه بمتيّدة^(٢) ، فيها بيوت كثيرة ، وعلى كل بيت باب صغير ، ففتح باباً ، فاستخرج خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، كهيئة رجل أجمل ما يكون من الناس وجهها ، مثل دائرة القمر ليلة البدر ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا أبونا آدم عليه السلام ؛ ثم رده . وفتح باباً آخر ، فاستخرج خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، كهيئة شيخ جفيل الوجه ، في وجهه تقطيب ، كهيئة المحزون المهموم ، فقال : أتدرون من هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا نوح ؛ ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء^(٣) على صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع الأنبياء ؛

٢٠

(١) رضى الله عنه : رضه . (٢) نموذج مهبأ . (٣) خرم في الأصل ، مقداره ورقة .

فلما نظرنا إليه بكينا ؛ فقال : ما لكم ؟ قلنا : هذه صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبدىكم ، إنها صورة نبيكم ؟ قلنا : نعم ، هي صورة نبينا ، كأننا نراه حياً ، فطواها ، وردّها ، وقال : أما إنها آخر البيوت إلا أنى أحيت أن أعلم ما عندكم ؛ ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج منه خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، أجمل ما يكون من الرجال ، وأشبههم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 وهذا إبراهيم ؛ ثم فتح بيتاً آخر ، فاستخرج صورة رجل آدم^(١) ، كهيئة المحزون :
 المفكر ، ثم قال : هذا موسى بن عمران ؛ ثم فتح بيتاً آخر ، فاستخرج صورة رجل ، له صفيرتان ، كأن وجهه دائرة القمر ، ثم قال : وهذا داود ؛ ثم فتح بيتاً آخر ، فاستخرج صورة رجل جميل على فرس ، له جناحان ، ثم قال : وهذا سليمان^(٢) ، وهذه الريح تحمله ؛ ثم فتح بيتاً آخر ، فاستخرج صورة شاب جميل الوجه ، في يده عكازة ، وعليه مِذْرَعَة^(٣) صوف ، ثم قال : وهذا عيسى ، روح الله ، وكلته ، ثم قال : إن هذه الصورة وقعت إلى الإسكندر ، فتوارثها الملوك من بعده حتى أفضت إلى .

قالوا : وإن ذا الأذعار خرج في جنوده ، يطلب بثأر أبيه ذى جيشان الذى صار إلى أرض فارس ، فخارب كيخسرو ، فقتل في المعركة ، فأت ذو الأذعار في طريقه قبل أن يدرك ما أراد .

[ملك بلقيس]

فلما كنت اليمن عليهم الهدّهاد بن شَرْخِيل بن عمرو بن مالك بن الرائس ، وكان الهدّهاد يلقب بذي شَرْخ ، فأمر بجسم ذى الأذعار ، فحمل ، ورجع بقومه إلى أرض اليمن ، فأمر به ، فدفن بِصَنْعَاء^(٤) في مقبرة الملوك . قالوا : وإن الهدّهاد

(١) أسمر ، والأدمة ، في الناس ، السمرة ، وفي الطيلاء ، لون مشرب بياضا ، وفي الإبل ، لون مشرب سوادا . (٢) سليمان : سليمان .

(٣) حبة مشقوقة من القدم ، تلبس ، ولا تكون إلا من الصوف .

(٤) العاصمة الحالية لمملكة اليمن .

تزوج ابنة ملك الجن بأرض اليمى ، فولدت له بلقيس ، وهذا حديث منتشر ،
قد حملته الرواة .

قالوا : فلما أتى لها ثلاثون سنة حضر الهدهاد الموت ، فجمع وجوه حمير ،
فقال : يا قوم ، إني قد عجمت الناس ، واختبرت أهل الرأى والمقل ، فلم أرَ مثل
بلقيس ، وإني قد وليتها أمركم ، لتقيم لكم الملك إلى أن يبلغ ابن أخى ياسر ينعم بن
عمرو ، فرضوا بذلك ، فملك بلقيس .

[ملك سليمان]

وفى أول ملكها توفى داود، عليه السلام ، وورث سليمان ملكه ، وذلك كله
فى عصر كيخسرو بن سياوش ؛ فلما ملك سليمان سار من أرض الشام إلى أرض
العراق بأهله وخزائنه ، فلحق بخراسان ، فنزل مدينة بلخ^(١) ؛ وكان هو الذى بناها
قبل ذلك ، وأقبل سليمان حتى نزل العراق ، فبلغ كيخسرو نزول سليمان بأرض
العراق ، وما أعطى من عظيم السلطان ، فدخله فزع ، وأسف خامره ، فنهكه ،
فلم يلبث إلا قليلا حتى مات .

وإن سليمان سار من العراق إلى مرو^(٢) ، ثم سار منها إلى بلخ ، ثم سار من
بلخ إلى بلاد الترك ، فوغل فيها ، وجاوزها إلى بلاد الصين ، ثم عطف ميثامنا
عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى القندهار^(٣) ، ثم سار منها إلى
كسكر^(٤) ، ثم عاد إلى الشام ، فوافى تدمر ، وكانت موطنه .
قالوا : ووُجد فى صخر بكسكر :

غَدَوْنَا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ

فَهَا نَحْنُ قَدْ قَلْنَا بِبَلَدِ كَسْكَرٍ

(١) مدينة مشهورة بخراسان ، من أجل المدن بها ، وأكثرها غلة ؛ وقد افتتحها الأخنف
ابن قيس فى أيام عثمان بن عفان ، وينسب إليها خلق كثير ، منهم الحسن بن شجاع ؛ المحدث المشهور
(٢) مدينة بفارس .

(٣) القندهار : الد على بعد ٣٠٠ كم . من كابل عاصمة أفغانستان ، ولها أهمية تجارية
كبيرة لوقوعها بين الهند وإيران . (٤) كسكر : كورة بين البصرة والكوفة ، عاصمتها واسط .

وَنَحْنُ وَلَا حَوْلَ سِوَى حَوْلِ رَبَّنَا
نَرُوحُ إِلَى الْأَوْطَانِ مِنْ أَرْضِ تَذْمُرٍ^(١)

- وكان داود عليه السلام ابتداءً ببناء مسجد بيت المقدس ، فتوفي قبل استتمامه ،
فاستتمه سليمان^(٢) ، وأتم بناء مدينة إيليا^(٣) ، وقد كان أبوه ابتدأها قبله ، فبنى
مسجدها بناء لم ير الناس مثله ، وكان يضيء في ظلمة الليل الجندس إضاءة السراج
الزاهر ، لكثرة ما كان جعل فيه من الجواهر والذهب ، وجعل اليوم الذي فرغ
فيه منه عيداً في كل سنة ، فلم يكن في الأرض عيد أبهى ولا أعظم خطراً منه ،
ولا أحسن منظراً ؛ فلم يزل المسجد على ما بناه سليمان حتى غزا « بُخْتُ نَصْر »
بَيْتَ الْقُدْسِ ، فَأَخْرَبَهَا ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان فيه من الذهب
والفضة والجواهر ، فنقله إلى العراق .

١٠

- قالوا : وكان سليمان مطعماً للطعام ، فكان يُذبح في مطابخه كل غداة ستة
آلاف ثور ، وعشرون ألف شاة . قالوا : ولما فرغ سليمان من بناء مسجد إيليا^(٤)
تجهز سائراً إلى تهامة^(٥) ، يريد بيت الله الحرام ، فطاف به ، وكساه ، وذبح
عنده ، وأقام سبعا ، ثم سار إلى صنعاء ، وتفقد الطير ، فلم ير الهدد ؛
فكان من حديثه وحديث صاحبة سبأ — وهي بلقيس — ما قد قصه الله تبارك وتعالى
في كتابه^(٦) ، إلى أن تزوجها ، وبنى بأرض اليمن ثلاثة حصون ، لم ير الناس
مثلاً ، وهي سَلْحِين ، وَبَيْتُون ، وَغَمْدَان ؛ وانصرف سليمان إلى الشام ، فكان
يزورها في كل شهر ، فيقيم عندها ثلاثاً .

١٥

وإنه غزا بلاد المغرب: الأندلس، وطرَنْجَة، وِفْرَنْجَة، وإفريقية، ونواحيها من أرض

(١) تدمر: مدينة بأرض الشام . (٢) اسم قديم لمدينة القدس .

(٣) إلى هنا ينتهي الحرم في الأصل .

(٤) تهامة: أرض بالجزيرة العربية ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من مكة ، وذات عرق أول
تهامة إلى البحر وجدة ، وتذكر بعض الكتب العربية ، أنها مكة .

(٥) سورة النمل ، الآيات من رقم ٢٠ إلى رقم ٤٤ .

بني كنعان بن حام بن نوح ؛ وعليهم ملك جبار عاتٍ ، عظيمُ الملك ، فدعاه إلى الإيمان بالله ، وخلع الأنداد ، فتمرد عليه ، فقتله ؛ وأصاب ابنة له من أجمل الناس ، قسراًها ، ووقعت منه موقماً لطيفاً .

وقفل إلى الشام ، فأمر بمقصورة ، فبنيت لها ، وأفردها فيها مع ظئورتها^(١) وخدمها ، وكان سليمان لا يدخل عليها إلا وجدها باكية حزينة ، فكدر ذلك عليه حبه لها ، وعجبه بها ، وهى المرأة التى نال سليمان فى أمرها ما ناله من سلب ملكه ، وزوال سلطانه وبهائه ، حين اتخذت تلك المرأة تمثال أبيها فى داره ، وعبدته سرّاً من سليمان ؛ إلا أن اتخذها التمثال كان عن علم من سليمان ، وأذن لها ؛ أراد بذلك أن تسكن إذا نظرت إليه ، فتتسلى .

١٠ ويقال : إن سليمان بنى فى أقصى بلاد المغرب مدينة من نحاس فى مفاوز الأندلس ، وأودعها خزائن من خزائنه ؛ وإن عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله على بلاد المغرب ، موسى بن نصير - وكان من أبناء المعجم ، غير أن ولده كان لقيس - يأمره بالمسير إلى هذه المدينة ليعلم له علم خبرها ، ويكتب إليه ، وإن موسى بن نصير سار إليها ، وانصرف راجعاً حتى سار إلى القيروان ، وكتب بالخبر إلى عبد الملك ، يصف له المدينة ، وما لقي فى سفره إليها ، وما رآه عند مصيره نحوها . ١٥

[أرخبعم بن سليمان]

قالوا : ولما توفى سليمان قام بالأمر بعده أرخبعم بن سليمان ، ففتنرت بنو إسرائيل ، ووهى أمره ، فكث بذلك إلى أن سار « بنحت نصر » - وهو « بُوخت نرسي » عند المعجم - إلى بيت المقدس ، فهدمه .

[انقسام امبراطورية سليمان]

٢٠ قالوا : وقام باليمن بعد بلقيس ياسر ينعم بن عمر بن شرخبييل بن عمرو ، وكان

(١) الطائر مهموز ، الأنثى العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له .

ابن أخى الهدهاد ؛ وإنما سمي ياسر ينعم لأنعامه على قومه . قالوا : وإن ياسر ينعم تجهز غازياً لأرض المغرب ، حتى بلغ وادى الرَّمْل ، ولم يبلغه ملك قبله ، فأراد أن يعبره ، فلم يجد مجازاً ، لأنه رمل فيما زعموا ، يجري كما يجري الماء ، فمسكروا على حافته ، ونصب عليه صنماً ، وكتب على جبهته « ليس ورأى مذهب ، فانصرف » ؛ وانصرف إلى بلاده .

[هدم مدينة « إيليا »]

قالوا : وإن فارس لما مات سليمان بن داود اجتمع عظاماؤها وأشرافها ليختموا رجلاً من ولد كيقباز الملك ، فيملكوه عليهم ، فوقع خيرتهم على لُهرَاسف ابن كيميس بن كيان بن كيقباز الملك ، فملكوه عليهم ، وإن لُهرَاسف عقد لابن عمه ، بخت نصر بن كانجار بن كيان بن كيقباز في اثني عشر ألف رجل من خيله ، وأمره أن يأتي الشام فيحارب أرخبعم بن سليمان ، فإن كان الظفر له قتل من قدر عليه من عطاء إسرائيل ، وهدم مدينة إيليا ؛ فسار بخت نصر حتى أتى الشام ، فشنّ فيها الفارات ، وعاث ؛ فانهزم ملوك الشام منه ، وهرب أرخبعم من بيت المقدس ، فزل فلسطين ، فتوفى بها .

وأقبل بخت نصر حتى ورد مدينة بيت المقدس ، فدخلها لا يمتنع منه أحد ، فوضع في بني إسرائيل السيف ، وسبى أبناء الملوك والعظماء ، وهدم مدينة إيليا ، فلم يدع فيها بيتاً قائماً ، ونقض المسجد ، وحمل ما كان فيه من الذهب والفضة والجوهر ، وحمل كرسى سليمان ، وقفل راجعاً إلى العراق ؛ وكان في السبي دانيال النبي عليه السلام ، فسار حتى قدم على لُهرَاسف الملك ، وهو نازل بالسوس^(١) ، فأتى دانيال عنده بالسوس .

[ملك العجم واليمن]

قالوا : ولما حضر لُهرَاسف الموت أسند الملك إلى ابنه بُشتَاسف ، وفي ذلك

(١) مدينة قديمة بأرض فارس ، تقع بإيالة خوزستان ، وقد اتخذها ملوك الفرس مشقياً لهم .

- العصر مات ياسر ينعم صاحب اليمن ، وقام بالأمر بعده شمر بن إفریقیس بن أبرهة ابن الرایش ، وهو الذى يزعمون أنه أتى الصين وهدم مدينة سمرقند^(١) ، فيزعمون أن وزير صاحب الصين مكر به ؛ وذلك أنه أمر الملك أن يجده ويخلى سبيله ، فسار الأجذع إلى شمر ، فأخبره أنه نصح لصاحبه ، يعنى ملك الصين ، وأمره بالنجوع^(٢) لشمر ، وإعطائه الطاعة والإتاوة ، فنضب عليه ، وجده ، وأنه سار إلى شمر ليدله على عورة صاحب الصين جزاء بما فعل به ، فأغتر شمر بذلك ، وسأله عن الرأى ، فقال : إن بينك وبينه مفازة ، تقطع فى ثلاثة أيام ، ومأتاه منها قريب ، فأحمل الماء لثلاثة أيام ، وسر حتى أفاجئه بك من كئيب ، فتستبيح بلده ، وتأخذه سِلْمًا ، وأهله ، وماله . ففعل ؛ فسلك به مفازة لا ترام ؛ فلما ساروا ثلاثة ، ونفذ الماء ، ولم يروا علمًا ، ولا انتهوا إلى ماء ، قالوا له : أين ما زعمت ؟ ، فأعلمه أنه مكر به ، ووقى أهل بيته بنفسه ، لأنه قد علم أنه سيقتله ، وقال قد أهلكتك ، فاصنع ما أنت صانع ، فمالك ولن تبعك فى الحياة^(٣) مطمع . فوضع شمر درعه^(٤) تحت رأسه ، وترس^(٥) حديد كان معه فوق رأسه ، يستكن به من الشمس .
- ١٥ قالوا : وقد كان النجمون قالوا له ، إنك تموت بين جبلي حديد ، فات بين درعه وترسه عطشا ، فلم يبق من جنوده أحد إلا هلك ، وقد سمعنا نحن بهذا الحديث فى غير قصة شمر .

(١) بلد فى أرض كسكر فيما وراء نهر جيحون ، وهى من البلاد المشهورة والتاريخ القديم ، ويقال إنها سميت باسم الذى بناها ، شمر أبو كرب ، ثم عربها العرب فى كلامهم إلى سمرقند .

(٢) النجوع : الإتيان ، ونجى فلانا إذا أنام طالبا معروفه .

(٣) الحياة : الحيوية .

(٤) الدرع : قيس من حديد يتدرع به فى الحرب .

(٥) الترس من السلاح : ما يتوقى به .

[زرادشت ودعوته]

قالوا : وكان زَرَادُشْت صاحب المجوس أتى بُشْتَاْسِفَ الْمَلِك ، فقال : إني رسول الله إليك ، وأتاه بالكتاب الذي في أيدي المجوس ، فأمن له بُشْتَاْسِفَ ، ودان بدين المجوسية ، وحمل عليه أهل مملكته ، فأجابوه طوعاً وكرهاً .

- ٥ وكان رُسْتَمُ^(١) الشديد عامله على سِجِسْتَان^(٢) وخراسان ، وكان جباراً مديد القامة ، شديد القوة ، عظيم الجسم ؛ وكان ينتمى إلى كيقباز الملك ، ولما بلغه دخول بُشْتَاْسِفَ في المجوسية ، وتركه دين آبائه غضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : ترك دين آبائنا الذي توارثوه آخرأ عن أول ، وصبا إلى دين محدث .

- ١٠ ثم جمع أهل سِجِسْتَان ، فزَيَّنَ لهم خلع بُشْتَاْسِفَ ؛ وأظهروا عصيانه ؛ فدعا بُشْتَاْسِفَ ابنه « أَسْفَنْدِيَاذ » وكان أشد أهل عصره ، فقال له : يا بني ، إن الملك مفض إليك وشيكا ، ولا تصاح أمورك كلها إلا بقتل رُسْتَمُ ؛ وقد عرفت شدته وقوته ، وأنت نظيره في الشدة والقوة ، فانتخب من الجنود ما أحببت ، ثم سِرْ إليه .

- ١٥ فانتخب أَسْفَنْدِيَاذ من جنود أبيه اثني عشر ألف رجل من أبطال المعجم ، وسار نحو رستم ، وزحف إليه رستم ، فالتقيا ما بين بلاد سِجِسْتَان وخراسان ، فدعاه أَسْفَنْدِيَاذ إلى إعفاء الجيشين من القتال ، وأن يبرز كل واحد منهما لصاحبه ، فأيهما قتل صاحبه استولى على أصحابه ؛ فرضى رستم بذلك ، وعاهده عليه ،

(١) رستم : بطل فارسي مشهور ، أفرد لبطولته في الشهامة فصول تعتبر من أروع فصول الكتاب .

(٢) سجستان : ولاية واسعة ، مدينتها ذرنج ، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا إلى الجنوب ، وأرضها رملية ، والرياح فيها لاتسكن ، وهي واقعة الآن بين إيران وأفغانستان وعاصمتها نصرatabاد ، وفيها نشأ رستم بطل إيران الأسطوري ، ولها ينسب أبو حاتم السجستاني اللغوي المعروف .

وحالفه ، فوقف العسكران ، وخرج كل واحد منهما إلى صاحبه ، فاقتتلا بين
الصفين ؛ فيقول المعجم في ذلك قولاً كثيراً ، إلا أن رستم هو الذى قتل أسفندياز ،
وانصرف جنوده إلى أبيه بُشتاسف ، فأخبروه بمصاب ابنه أسفندياز ؛ فخامره
حزن أنهكه ، فرض من ذلك ، فأتى وأسند الملك إلى ابن ابنه بهمن
ابن أسفندياز .

قالوا : ولما رجع رستم إلى مستقره من أرض سيجستان لم يلبث أن هلك .

[ملك اليمن]

قالوا : وإن أهل اليمن لما بلغهم مهلك شمر وجنوده بأرض الصين اجتمعوا ،
فلكوا عليهم أبا مالك بن شمر ، وهو الذى ذكره الأعشى في قوله :

وَخَانَ النَّعِيمُ زُأْبَا مَالِكٍ وَأَيُّ أَمْرِي صَالِحٍ لَمْ يُخَنَّ

وهو الذى يزعمون أنه هلك في طرف الظلمة^(١) التى في ناحية الشمال ، فدفن
على طرفها .

قالوا : وذلك ، أنه بلغه مسير ذى القرنين إليها ، وأنه أخرج منها جوهراً
كثيراً ؛ فتجهّز يريد الدخول فيها ، فقطع إليها أرض الروم ، وجاوزها حتى
انتهى إلى طرف الظلمة ، وتهاى لاقتحامها ، فأتى قبل أن يدخلها ، فدفن
في طرفها ، فانصرف من كان معه إلى أرض اليمن .

[ملك المعجم ، وخلص بنى إسرائيل]

قالوا : وملك بهمن بن أسفندياز ، فأمر ببقايا ذلك السبي الذى سباهم
بخت نصر من بنى إسرائيل ، أن يُردّوا إلى أوطانهم من أرض الشام ، وقد كان
تزوج قبل أن يقضى الملك إليه إبراهيم بنت سامال بن أرخبهم بن سليمان بن داود ،
وملك « رُوَيْيل » أخت امرأته أرض الشام ، وأمره أن يُخرج معه من بقى من ذلك
السبي ، وأن يعيد بناء إيليا ، ويسكنهم فيه ، كما لم يزالوا ، ويرد كرسى سليمان ،

(١) الأرض التى في شمال البحر الأسود .

فينصبه مكانه ، فخرج روبييل بذلك السبي ، حتى ورد بهم إيليا ، وأعاد بناءها ،
وبنى المسجد . وسار بهمن إلى سيجستان ، وقتل من قدر عليه من ولد رستم
وأهل بيته ، وأخرب قريته .

قالوا : وقد كان بهمن دخل في دين بني إسرائيل ، فرفضه أخيراً ، ورجع
إلى المجوسية ، وتزوج ابنته « نخائي » وكانت أجمل أهل عصرها ، فأدركه الموت
وهي حامل منه ، فأمر بالتاج فوضع على بطنها ، وأوعز إلى عظماء أهل المملكة
أن ينقادوا لأمرها حتى تضع ما في بطنها ، فإن كان غلاماً أقروا الملك في يدها
إلى أن يشب ويدرك ، ويبلغ ثلاثين سنة ، فيسلم له الملك .

قالوا : وكان ساسان بن بهمن يومئذ رجلاً ذارواً وعقل وأدب وفضل ،
وهو أبو ملوك الفرس من الأكاسرة ، ولذلك يقال لهم الساسانية ، فلم يشك الناس
أن الملك يفضي إليه بعد أبيه ، فلما جعل أبوه الملك لابنته نخائي أنف من ذلك
أنفاً شديداً ، فانطلق ، فاقتنى غنماً ، وصار مع الأكراد في الجبل ، يقوم عليها
بنفسه ، وفارق الحاضرة غيظاً من تقصير أبيه .

قالوا : فن تمّ يُعير ولد ساسان إلى اليوم برعى الغنم ، فيقال ساسان الكردي ،

وساسان الراعي .

[نخائي زوج بهمن]

فلكت نخائي ، فلما تم حملها وضعت غلاماً ، وهو دارا بن بهمن ، ثم إنها
تجهّزت غازية لأرض الروم ، فسارت حتى أوغلت في بلاد الروم ، وخرج إليها
ملك الروم في جنوده ، فالتقوا ، واقتتلوا ، فكان الظفر لنخائي ، فقتلت ، وأسرت ،
وغنمت ؛ فغفلت وقد حملت معها بنّاءين من بنّائي الروم ، فبنوا لها بأرض فارس
ثلاثة إيوانات^(١) : أحدها وسط مدينة اصطخر^(٢) ، والثاني على الدرجة

(١) جمع إيوان ، وهو البناء ذو الصفة العظيمة .

(٢) عاصمة لإالة فارس ، وفيها نشأ بعض علماء المسلمين .

التي يسلك فيها من إصطخر إلى خراسان ، والثالث على طريق « دَارَا بُجَرْد »
على فرسخين من إصطخر .

[دارا بن بهمن]

فلما أتى لابنها دَارَا ثلاثون سنة جمعت عظماء المملكة ، ودعت بابنها دَارَا ،
فأقدمته على سرير الملك ، وتوجّته بالتاج ، وولّته الأمر . ٥

[ملك تبّع بن أبي مالك]

قالوا : ولما هلك أبو مالك بطرف الظلمة اجتمع أشراف أهل اليمن ، فلكوا
أمرهم ابنه تبّع الأقران وإنما سعى لنجدته تبّع الأقران ، وقد قيل : بل هو
تبّع الأقران . كل ذلك يقال .

١٠ فلما ملك تجهّز يريد بلاد الصين طالبا بثأر أبيه وجده ، فسار إليها ، فرآه
بسمرقند ، وهي خراب ، فأمر ببنائها ، فأعيد ؛ ثم ركب المفازة حتى انتهى إلى
بلاد التبت^(١) ، فرأى مكانا واسعا ظاهر المياه مكثثا ، فابتنى هناك مدينة ،
فأسكن فيها ثلاثين ألف رجل من أصحابه ، فهم التبتيّون ، وزيّهم إلى اليوم
زى العرب ، وهيئتهم هيئة العرب ؛ ثم سار إلى أرض الصين ، فقتل ، وأخرب
١٥ مدينة الملك ، فهي خراب إلى اليوم ؛ ثم قفل راجعا إلى اليمن ، وامتد ملكه ، إلى
أن ملك الإسكندر ، نفرج الملك عنه ، فصار في المداول . قالوا ، وفي ذلك
المصر نشأ النضر بن كنانة .

[دارا والروم]

٢٠ قالوا : وإن دارا بن بهمن لما ملك تجهّز غازيا إلى أرض الروم ، فسار حتى
أوغل في أرضهم ، نفرج إليه الفيلفوس ملك الروم في جنوده ، فالتقوا ،

(١) التبت : سطح مرتفع في آسيا الوسطى تقع بين خطي عرض ٥٢٧، ٥٣٧ شمالا ، وبين
خطي طول ٥٩٦٥٧٦ شرقا ؛ وعاصمتها لhasa .

فاقتتلوا ، فكان الظفر لدارا ، فصالحه الفيلفوس على إتاوة يؤديها إليه كل عام ،
وهي مائة ألف بيضة ذهب ، في كل بيضة أربعون مثقالا^(١) ، وتزوج ابنته ؛ ثم
انصرف إلى فارس .

[ملك دار يوش]

- ٥ فلما تم لدارا اثنتا عشرة سنة في الملك حضرته الوفاة ، فأسند الملك إلى ابنه
دارا بن دارا ، وهو الذي يعرف بداريوش ، مُقارع الإسكندر ، فلما أفضى
الملك إلى دارا بن دارا تجبر ، واستكبر ، وطفى . وكانت نسخة كتبه إلى عماله :
من دارا بن دارا المضى لأهل مملكته كالشمس إلى فلان . وكان عظيم السلطان ،
كثير الجنود ، لم يبق في عصره ملك من ملوك الأرض إلا يخضع له بالطاعة ،
واتقاء بالإتاوة .
- ١٠

[نشأة الإسكندر]

- ونشأ الإسكندر ؛ وقد اختلف العلماء في نسبه ؛ فأما أهل فارس فيزعمون أنه
لم يكن ابن الفيلفوس ، ولكن كان ابن ابنته ، وأن أباه دارا بن بهمن .
قالوا : وذلك أن دارا بن بهمن لما غزا أرض الروم صالح الفيلفوس
١٥ ملك الروم على الإتاوة ، فخطب إليه دارا ابنته ، وحملها بعد تزويجها إياه إلى وطنه ،
فلما أراد مباشرتها وجد منها ذفرا^(٢) ، فمافها ، وردّها إلى قيّمة نسائه ، وأمرها
أن تحتال لذلك الذفر ، فمالجتها القيّمة بحشيشة ، تسمى السندر ، فذهب عنها بعض
تلك الرائحة ، ودعا بها دارا ، فوجد منها رائحة السندر ، فقال : آل سندر .
أى ما أشد رائحة السندر ، وآل ، كلمة في لغة فارس يراد بها الشدة ؛ وواقعها ،
فماقت منه ؛ ونبا قلبه عنها لتلك الذفرة التي كانت بها ، فردّها إلى أبيها
- ٢٠

(١) المثقال : درهم وثلاثة أسباع الدرهم .

(٢) الذفر : الريح النتنة الكريهة .

الفيلفوس ، فولدت الإسكندر ، فاشتقت له اسماً من اسم تلك المشبة التي عولجت بها ، على ما سمعت داراً قاله ليلة واقمها ، فنشأ الإسكندر غلاماً ليبياً أدبياً ذهنياً ؛ فولاه جده الفيلفوس جميع أمره لما رأى من حزمه وضبطه ما رأى . ولما حضر الفيلفوس الوفاة أسند الملك إليه ، وأوعز إلى عظماء المملكة بالسمع والطاعة له .

[غلبة الإسكندر]

فلما ملك الإسكندر لم تكن له همّة إلا ملك أبيه داراً بن بهمن ، فسار إلى أخيه داراً بن داراً ، فخاربه على الملك . وأما علماء الروم فيأبون هذا ، وبزعمون أنه ابن الفيلفوس لصلبه ، وأنه لما مات الفيلفوس وأفضى الملك إلى الإسكندر امتنع على داراً بن داراً بتلك الضريبة التي كان يؤديها أبوه إليه .

١٠ فكتب إليه داراً بن داراً يأمره بحمل تلك الإتاوة ، ويعلمه ما كان بين أبيه وبينه من المواعدة عليها ، فكتب إليه الإسكندر « إن الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض ماتت » . فغضب داراً من ذلك ، وآلى لينزؤن أرض الروم بنفسه حتى يخربها ؛ فلم يحفل الإسكندر بذلك ، ولم يعبأ به ؛ وكان الإسكندر جبّاراً متعجباً ، وقد كان عتاً في بدء أمره عتواً شديداً ، واستكبر .

١٥ وكان بأرض الروم رجل من بقايا الصالحين في ذلك العصر ، حكيم فيلسوف ، يسمى «أرسطاطاليس» ، يؤخذ الله ، ويؤمن به ، ولا يشرك به شيئاً ؛ فلما بلغه عتو الإسكندر وفضاظته وسوء سيرته أقبل من أقاصى أرض الروم حتى انتهى إلى مدينة الإسكندر ، فدخل عليه ، وعنده بطارقه^(١) ، ورؤساء أهل مملكته ، فثل قائماً بين يديه غير هائب له ، فقال له : أيها الجبّار العاتى ، ألا تخاف ربك الذى خلّقتك ، فسوّاك وأنعم عليك ، ولا تعتبر بالجبارة الذين كانوا قبلك ، كيف أهلكهم الله حين قلّ شكرهم ، واشتد عتوهم ... ؟! في موعظة طويلة .

(١) البطارقة : جمع بطريق ، وهو الماخذ بالحرب وأمورها .

- فلما سمع الإسكندر ذلك غضب غضباً شديداً ، وحمّ به ، ثم أمر بحبسه ليجعله
عظة لأهل مملكته . ثم إن الإسكندر راجع نفسه ، وتدبر كلامه لما أراد الله به
من الخير ، فوقع منه في نفسه ما غير قلبه ، فبعث إليه على خلاء ، فأصغى إليه ،
واستمع لموعظته وأمثاله وعبره ، وعلم أن ما قال هو الحق ، وأن ما خلا الله من
معبود باطل ، فارعوى واستجاب للحق ، وصح يقينه ؛ فقال لذلك العابد : فإني
أسألك أن تلزمني ، لأقتبس من علمك ، وأستضيء بنور معرفتك . فقال له :
إن كنت تريد ذلك فاحسم أتباعك من الغشم والظلم وارتكاب المحارم .
فتقدم الإسكندر بذلك ، وأوعد فيه ؛ وجمع أهل مملكته ورؤساء
جنوده ، فقال لهم : اعلّموا أنا إنما كنا نعبد إلى هذا اليوم أصناما ،
لم تكن تنفعنا ولا تضرنا . وإني آمركم ، فلا تردّوا علىّ أمرى ، وأرضى لكم
ما أرضاه لنفسى ، من عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلّع ما كنا نعبد من دونه ،
فقالوا بأجمعهم : قد قبلنا قولك ، وعلمنا أن ما قلت الحق ، وآمنا بإلهك وإلهنا .
فلما صحّت له نيات خاصته ، واستقامت له طريقتهم ، وطابقوه
على الحق أمر أن يعلن للعامة ، إنا قد أمرنا بالأصنام التي كنتم تعبدونها أن
تكسر ، فإن ظننتم أنها تنفعكم أو تضركم فلتدفع عن أنفسها ما يحل بها ،
واعلموا أنه ليس لأحد عندي هوادة في مخالفة أمرى ، وعبادة غير إلهى ، وهو
الإله الذى خلقنا جميعا . ثم أمر بتفريق الكتب بذلك في شرق الأرض ، وغربها ،
ليعامل الناس على قدر القبول والإباء ، فمضت رسله بكتبه بذلك إلى ملوك الأرض .
فلما انتهى كتابه إلى دارا بن دارا غضب من ذلك غضبا شديدا ، وكتب إليه :
« من دارا بن دارا المضى لأهل مملكته كالشمس إلى الإسكندر بن الفيلفوس ؛
إنه قد كان بيننا وبين الفيلفوس عهد ومهادنة على ضريبة ، لم يزل يؤدّيها إلينا
أيام حياته ؛ فإذا أتاك كتابى هذا فلا أعلن ما بطأت بها ، فأذيقك وبال أمرى ،
ثم لا أقبل عذرَكَ ، والسلام » .

[دارا والإسكندر]

- فلما ورد كتابه على الإسكندر جمع إليه جنوده ، وخرج متوجهاً نحو أرض العراق ، وبلغ ذلك دارا بن دارا ، فأحرز خزائنه وحرمه وأولاده في حصن همدان ، وكان من بنائه ، ثم لقي الإسكندر جاداً مستنفراً ، فواقمه وقائع كثيرة ، لم يجد الإسكندر مطمئناً فيه ، ولا في شيء منها ؛ ثم إنه دسّ إلى رجلين من أهل همدان ، كانا من بطائنه وخاصة حرسه ، وأرغبهما ، فرغبا ؛ وغدرا بدارا : أتياه من ورائه حين صافّ الإسكندر في بعض أيامه ، ففتكا به ، وانفضت جموع دارا ، وأقبل الإسكندر حتى وقف على دارا صريماً ، فزول ، فجعل رأسه في حجرة ، وبه رمق ، فجزع عليه ، وقال : « يا أخى ، إن سلمت من مصرعك خليت بينك وبين ملكك ، فاعهد إليّ بما أحببت ، أف لك به » . ٥
- فقال دارا : « اعتبر بي ^(١) ، كيف كنت أمس ، وكيف أنا اليوم ؛ أأستُ الذى كان يهابنى الملوك ، ويدعون لى بالطاعة ، ويتقوننى بالإتاوة ؟ وها أنا [ذا] اليوم صريع فريد بعد الجنود الكثيرة والسلطان العظيم » .
- فقال الإسكندر : « إن المقادير لا تهاب ملكاً لثروته ، ولا تحقر فقيراً لفاقته ، وإنما الدنيا ظل يزول وشيكا ، وينصرم سريماً » . ١٥
- قال دارا : « قد علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره ، وأن كل شيء سواه فانٍ ، وأنا موصيك لمن خلفت من أهلى وولدى ، وسألك أن تزوج « رؤسناك » ابنتى ، فقد كانت قرة عينى وثمرة قلبى » .
- فقال الإسكندر : « أنا فاعل ذلك ، فاخبرنى من فعل هذا بك ، لأنتقم منه » .
- فلم يحر فى ذلك جواباً دارا ، واعتقل لسانه بعد ذلك ، ثم قضى ؛ فأمر الإسكندر بقاتليه ، فصلبا على قبر دارا ، فقالا : أيها الملك ، ألم تزعم أنك ترفعنا على جنودك ؟! قال : قد فعلت . ٢٥

(١) اعتبر بى : اعتبرنى .

ثم أمر بهما ، فرُجعا حتى ماتا . ثم كتب إلى أم دَارَا وامرأته بالتمزية ،
وهما بمدينة هَمَذَان ؛ وكتب إلى أمه وهي بالإسكندرية أن تسير إلى أرض بابل ،
فَتَجَهَّزَ رُوشَنُكَ بنت دَارَا بأحسن جهاز ، وتوجهها إليه إلى أرض فارس ،
ففعلت .

[فتوح الإسكندر]

•

ثم شخص الإسكندر نحو « فُور » ملك الهند ، فالتقيا على تخوم^(١) أرض
الهند ، وإن الإسكندر دعا « فُورا » إلى البراز ، وآلا يقتل الجمعان ، بعضهم بعضا
بينهما ، فاهتَبَلَا^(٢) منه فُور ، وكان رجلاً مديداً عظيماً أَيْدَا قويا ؛ فرأى الإسكندر
قليلاً قَـضِيغاً^(٣) ، وبرز إليه ، فأجلى النَّقْعَ عن فُور قتيلاً ، واستسلم له جنوده ،
فقبل سلمهم .

١٠

وسار حتى دخل أرض السودان ، فرأى ناساً كالغربان ، عُراة ، حُفَاة ،
يهيمون في النِّياض ، ويأكلون من الثَّار ، فإن استَنَوْا^(٤) وأجذبوا أكل بعضهم
بعضاً ، فجاوزهم حتى انتهى إلى البحر ، فقطع إلى ساحل عدن من أرض اليمن ،
فخرج إليه تبَّع الأقرن ملك اليمن ، فأذعن له بالطاعة ، وأقر بالإتاوة ، وأدخله
مدينة صنعاء ، فأنزله ، وألطف له^(٥) من أُلطاف اليمن ، فأقام شهراً .

١٥

[الإسكندر في مكة]

ثم سار إلى تهامة ، وسُكَّان مكة يومئذ خُزاعة ، قد غلبوا عليها ، فدخل عليه
النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ ، فقال له الإسكندر : ما بال هذا الحى من خُزاعة تزولاً بهذا

(١) التَّخُوم : الفصل بين الأرضين من الحدود والعالم . (٢) الِاهْتِبَال : الاعتنام .

(٣) القُضْف : النخافة . (٤) أصابتهم سنتهم بالجفاف وقلة الغلة .

(٥) ألطف له ، وألطفه ، أحسن إليه وبرّه .

الحرم ؟ ، ثم أخرج خزاعة عن مكة ، وأخلصه للنضر ، ولبنى أبيه ، وحج الإسكندر بيت الله الحرام ، وفرق في ولد معد بن عدنان ، القاطنين بالحرم ، صلات وجوائز . ثم قطع البحر من جدة يؤم بلاد المغرب .

[الإسكندر في بلاد المغرب]

٥ وروى عن ابن عباس : أن نوحاً عليه السلام قسم الأرض بين ولده الثلاثة ؛ فخص ساماً بوسط الأرض التي تسقيه الأنهار الخمسة : الفرات ، ودجلة ، وسينجان ، وجيحان^(١) ، وقيسون ، وهو نهر بلخ ؛ وجعل لحام ما وراء النيل إلى منفح الدبور ؛ وجعل ليافت ما وراء قيسون إلى منفح الصبا .

١٠ وقالوا : الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلاد الأتراك من ذلك ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض الخزر^(٢) ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض الصين ألفا فرسخ ، وأرض الهند والسند والحبشة وسائر السودان ستة آلاف فرسخ ، وأرض الروم ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض الصقالبة ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض كنعان ، وهي مصر ، وما وراءها مثل إفريقية ، وطنجة ، وفرنجة ، والأندلس ثلاثة آلاف فرسخ ، وجزيرة العرب وما والاها ألف فرسخ .

١٥ قالوا : وبلغ الإسكندر أمر قنடைة ملكة المغرب ، وسعة بلادها ، وخصب أرضها وعظم ملكها ، وأن مدينتها أربعة فراسخ ، وأن طول الحجر الواحد من سور مدينتها ستون ذراعاً . وأخبر عن حال قنடைة وعقلها وحزمها ، فكتب إليها : « من الإسكندر بن الفيلفوس الملك المسلط على ملوك الأرض إلى قنடைة ملكة سمرة ؛ أما بعد ، فقد بلغك ما أفاء الله على به من الملاد ، وأعطاني من العدة

(١) سينجان وحيجان - هيران نأرس الأناضول قرب طرسوس

(٢) الأرض المحيطة ببحر قزوين

والنصرة ، فإن سمعت ، وأطعت ، وآمنت بالله ، وخلصت الأنداد التي تُعبد من دون الله ، وحلت إلى وظيفة الخراج ، قبلت منك وكففت عنك ، وتنكبت أرضك ، وإن آيت ذلك سرت إليك ، ولا قوة إلا بالله .

فكتب إليه : « إن الذي حملك على ما كتبت به فرط بغيك ، وعجبك بنفسك ، فإذا شئت أن تسير فسر ، تذق غير ما ذقت من غيري ، والسلام » .

فلما رجع جواب كتابه أرسل إليها بملك مصر ، وكان في طاعته ، ليدعوها إلى الطاعة ، وينذرها وبال المصيبة ، فسار إليها في مائة رجل من خاصته ، فلم يجد عندها ما يحب ؛ فرجع إلى الإسكندر ، فأعلمه ، فتجهز الإسكندر إليها ، ومضى في جنوده ، حتى انتهى إلى مدينة القيروان^(١) - وهي من مصر على شهر - فافتتحها بالمجانيق^(٢) ؛ ثم سار إلى القنطرة ، فكانت له ولها قصص وأنباء ؛ فماهدما على الموادة والمسالمة ، وألا يطور بسلطانها وشيء مما في مملكتها . ثم سار من هناك قاصداً الظلمة التي في الشمال ، حتى دخلها ، فسار فيها ما شاء الله ، ثم انكبفاً راجعا حتى إذا صار في تخوم أرض الروم ابنتى هناك مدينتين ، يقال لإحداها ، قافونية ، وللأخرى سوربة .

١٥ [الإسكندر وبلاد الشرق الأقصى]

ثم هم بالاجتياز إلى أرض الشرق ، فقال له وزراؤه : « كيف يمكنك الاجتياز إلى مطلع الشمس من هذه الجهة ، ودون ذلك البحر الأخضر ، ولا تعمل فيه السفن ، لأن ماءه شبيه بالقئح ، ولا يصبر على نتن ريحه أحد ؟ » فقال : « لا بد من السير ، ولو لم أسر إلا وحدي » . قالوا : « نحن معك حيث سرت » . فسار حتى قطع أرض الروم ، يوم مشرق الشمس ، ثم جاوزهم

(١) مدينة بتولس بناها عقبة بن نافع سنة ٥٥ هـ . واتخذت عاصمة لبلاد المغرب ، وبها جوامع كثيرة .

(٢) جمع منجنيق ، لفظة معربة من الفارسية ، وهو آلة للحرب ، ترمى بها الحجارة .

إلى أرض الصقالية ، فأذعنوا له بالطاعة ، فجازمهم إلى أرض الخزر ، فأذعنوا له ،
فجازمهم إلى أرض الترك ، فأذعنوا له ، فسار في أرضهم حتى بلغ الغاية التي بينهم
وبين بلاد الصين ، فركبها ، وسار ، حتى إذا قَرُب من أرض الصين أجلس
وزيراً له يقال له « فينأوس » في مجلسه ، وأمره أن يتسمى باسمه ، وتسمى هو
فينأوس ، وقصد الملك حتى وصل إليه ، فلما دخل عليه قال له : « مَنْ أَنْتَ ؟ »
قال : « أنا رسول الإسكندر ، المسلط على ملوك الأرض » ، قال : « وأين
خلفته ؟ » ، قال : « على تخوم أرضك » ، قال : « وبماذا أرسلك ؟ » ،
قال : « أرسلني لأنطلق بك إليه ، فإن أجبت أقرئك في أرضك ، وأحسن
حَبَاءك^(١) ؛ وإن أبيت قتلك ، وأخرب أرضك ، فإن كنتَ جاهلاً بما أقول ،
فَسَلْ عن دَارَا بَن دَارَا ملك إيران شهر ، هل كان في الأرض ملك أعظم مُلْكاً
منه ، وأكثر جنوداً ، وأقوى سلطاناً ، وكيف سار إليه ، واعتصبه نفسه ، وسلبه
مُلْكهُ ، وسَلْ عن فور ملك الهند إلى ما آل أمره . »

قال ملك الصين : « يا فينأوس ، إنه قد بلغني أمر هذا الرجل ، وما أعطى
من النصر والظفر ، وكنت على توجيه وفدٍ إليه ، أسأله الموادعة ، وأساله على
الهُدنة ، فأبلغه ، أني له على السمع والطاعة ، وأداء الإتاوة في كل عام ، فليست به
حاجة إلى دخول أرضي » .

ثم بعث إليه بِتَاجِهِ ، وبهدايا من تحف أرضه ، من السُّمُور^(٢) والقاقم ، والخز ،
والحرير الصيني ، والسيوف الهندية ، والسروج الصينية ، والسك ، والعنبر ، وصحاف
الذهب والفضة ، والدروع ، والسواعد ، والبييض^(٣) ، فقبض ذلك الإسكندر .

(١) الحباء : العطاء .

(٢) السُمُور : حيوان يشبه الثعلب يتخذ من فروه بعض اللباس .

(٣) البيض جمع بيضة ، نوع من السلاح ؛ وابتاض الرجل : لبس البيضة .

[يأجوج ومأجوج]

- وسار راجعا إلى عسكره ، وثنكب أرض الصين ، وسار إلى الأمة التي قص الله جل ثناؤه قصتها ف (قَالُوا : يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ ، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) فكان من قصته وبنائه الرِّدَمَ ما قد أخبر الله به في كتابه^(١) ، فسألهم عن أجناس تلك الأمم ، فقالوا : نحن نسمي لك مَنْ بالقرب منا منهم ، فأما ما سِوَى ذلك ، فلا نعرفه ؛ هم يأجوج ومأجوج ، وتأويل وتَارِيس ، وَمِنْسَكْ وَكُمَارِي .

- فلما فرغ من بناء السدّ بينهم وبين تلك الأم رحل عنهم ، فوقع إلى أمة من الناس ، سحر الألوان ، صُهب الشعور ، رجالهم معتزلون عن نساءهم ، لا يجتمعون إلا ثلاثة أيام في كل عام ؛ فمن أراد منهم التزويج ، فإنما يتزوّج في تلك الثلاثة الأيام ، وإذا ولدت المرأة ذكراً ، وفَطَمَتُهُ دفعته إلى أبيه في تلك الثلاثة الأيام ، وإن كانت أنثى حبستها عندها ؛ فارتحل عنهم ، وسار حتى صار إلى فُرْغَانَةِ^(٢) ، فرأى قوماً لهم أجسام وسجّال ، فأعطوه الطاعة ؛ فسار من فُرْغَانَةِ إلى سَمَرْقَنْدَ ، فنزلها وأقام شهراً ؛ ثم رحل ، فسلك على بُخَارَى^(٣) ، حتى انتهى إلى النهر العظيم ، فَمَبَرَهُ في السفن إلى مدينة آمُويَةٍ ، وهي آمل خراسان ؛ ثم سلك المفاضة حتى خرج إلى أرض قد غلب عليها الماء ، فصارت آجاما ومُروجا ، فأمر بتلك المياه ، فَسُدَّتْ عنها حتى جفّت الأرض ، فابتنى هناك مدينة ، وأسكنها قُطّانا ، وجعل لها رساتيق، وقرى، وحصونا ، وسمّاها «مَرْخَانُوس» ، وهي مدينة مَرُوءِ^(٤) ، وتسمّى

(١) سورة الكهف ، الآية رقم ٩٤

(٢) إمالة كبيرة في تركستان، وصلت فيها العلوم والمعارف إلى أقصى حد من الرق، إبان العهد الإسلامي بها، وظهر منها علماء وأدباء كثيرون ، وقد احتلها الروس سنة ١٨٧٦ م .

(٣) مدينة من أعظم المدن في آسيا الوسطى، وهي مركز هام للتجارة بين الصين والهندو الأفغان وروسيا، ولها نشاط كبير في العلم والصناعة والأسلحة، وقد فتحها العرب في عهد معاوية سنة ٤٠٥ هـ .

(٤) أشهر مدن خراسان ، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا ، ومعنى لفظ مَرُوءِ الحجارة البيض التي يقتدح بها ،

أيضا ميلائوس ؛ ثم اجتاز بنيسابور ، وطوس حتى وافي الرى^(١) ؛ ولم تكن أيا مئذ ، وإنما بُنيت بعد ذلك في ملك فيروز بن يزجرد بن بهرام جور ؛ ثم اجتاز من هناك على الجبل ، وحلوان^(٢) ، حتى وافي العراق ؛ فنزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون^(٣) ، فأقام حولا ، ثم سار يريد الشام حتى أتى بيت المقدس .

[ملوك الطوائف]

فلما اطمأن بها ، قال لمؤدبه أرسطاطاليس : « إني قد ورت أهل الأرض جميعا لقتل ملوكهم ؛ واحتوائى على بلدانهم وأخذى أموالهم ، وقد خفت أن يتضافروا على أهل أرضى من بعدى ، فيقتلونهم ويبيدونهم ليحتمقهم على ؛ وقد رأيت أن أرسل إلى كل نبيه وشريف ، ومن كان من أهل الرياسة في كل أرض ، وإلى أبناء الملوك فأقتلهم » .

فقال له مؤدبه : ليس ذاك رأى أهل الورع والدين ، مع أنك إن قتلت أبناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك ، وعلى أهل أرضك أشد حنقا من بعدك ؛ ولكن لو بعثت إلى أبناء الملوك وأهل النباهة فتجمعهم إليك ، فتتوهم بالتيجان ، وتملك كل رجل منهم كورة^(٤) واحدة ، وبلدا واحدا ، فإنك تشغلهم بذلك ، بتنافسهم في الملك ، وحرص كل واحد على أخذ ما في

(١) الرى : مدينة من أشهر مدن إيران ، وأقدمها ، وهى واقعة في أقصى شمال عراق العجم ، وقد كانت عاصمة السليوقيين ، وفتحها عروة بن زيد الخيل أيام الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٠ بأمر والى الكوفة عمار بن ياسر ، وقد نشأ فيها علماء كثيرون .

(٢) حلوان من المدن المشهورة بالعراق ، وتقع على بعد ١٦٠ كم. شمال شرق بغداد ، وقد كانت حلوان معبورة أيام الأكاسرة ، وفتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في عهد عمر بن الخطاب ، وهى مسقط رأس بعض العلماء .

(٣) ذكر الجغرافيون أنها كانت تقع على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقد كان بها قصر لكسرى ، ويذكرها الأوريون باسم اكتيسفون .

(٤) الكورة : الصقع والمدينة .

يدى صاحبه ، عن إهلاك بلادك ، فتلقى بأسهم بينهم ، وتَجمل شغلهم بأنفسهم ؛
فقبل الإسكندر ذلك منه ، وفعله ؛ وهم الذين يقال لهم ملوك الطوائف .

[نهاية الإسكندر]

- ثم هلك الإسكندر ببيت المقدس ، وقدمك ثلاثين سنة ، جال الأرض منها
أربعا وعشرين سنة ، وأقام بالإسكندرية في مبتدأ أمره ثلاث سنين ، وبالشام
عند انصرافه ثلاث سنين ، فجعل في تابوت من ذهب ، وحمل إلى الإسكندرية .
وبنى [الإسكندر]^(١) اثنتي عشرة مدينة ، الإسكندرية بأرض مصر ، ومدينة
نَجْران بأرض العرب ، ومدينة مَرَوْ بأرض خراسان ، ومدينة جَيَّ بأرض أسبهان ،
ومدينة على شاطئ البحر تدعى صَيْدودا ، ومدينة بأرض الهند تدعى جَرَوِين ،
ومدينة بأرض الصين تدعى « قَرْنِيه » ؛ وسائر ذلك بأرض الروم .

- قالوا : ولما توفي الإسكندر حمى كلُّ رجل من أولئك الذين ملكهم
حَيَّزَه^(٢) ، ودفعوا الحرب ، فلم يكن يغلب أحدهم صاحبه إلا بالحكمة والآداب ؛
يتراسلون بالمسائل ، فإن أصاب السئول حمل إليه السائل ، وإن بنى أحد منهم
على الآخر ، وانتقصه شيئا من حيزه أنكروا جميعا ذلك عليه ، فإن تمادى
أجمعوا على حربه ؛ فسَمَّوا بذلك ملوك الطوائف .

[ملوك اليمن]

- وزعموا أن الملوك الأربعة^(٣) ، الذين لعنَهُمُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ولمن
أختهم أبْضَعَة ، لما همُّوا بنقل الحجر الأسود إلى صنْعاء ليقطعوا حجَّ العرب عن البيت
الحرام إلى صنْعاء ، وتوجَّهوا لذلك إلى مكة ، فاجتمعت كِنَانَة إلى فِهْر بن مالك
ابن النضر ، فلقبهم ، فقاتلهم ، فقتل ابن فِهْر ، يسمَّى الحارثة ، لم يُعَقِّب ؛

(١) يياض في الأصل . (٢) نواحي بلاده . (٣) ملوك كندة .

وُقْتِلَ من الملوك الأربعة ثلاثة ، وأسير الرابع ، فلم يزل مأسوراً عند فِهر بن مالك حتى مات .

وأما أبَضَمَة ، فهي التي يُقال لها (المَنَقَفِير) ، ملكت بعد إختوها بأخيثة سيرة ، كانت تتخير الرجل على عينها ، فمن أعجبها دعتة إلى نفسها ، فوقع بها ، لا يَقْدِرُ أحد أن ينكر عليها ، وأنها أبصرت فتى من قيس ، فأعجبها ، فدعته إلى نفسها ، فوقع بها ، فألقحها غلامين في بطن ، فسَمَّت أحدهما سَهْلاً ، والآخر عَوْفاً ؛ وفي ذلك يقول شاعر من شعراء قيس :

وَذِي تُوْمَةٍ فِي أُذُنِهِ وَضَفِيرَةٍ وَسِيمٍ جَمِيلٍ لَا يُخِيلُ نَحَايِلُهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ قَبِيلَةُ حَمِيرِيَّةٍ تَجَرُّ لَهُ حَبْلَ الشَّمُوسِ تَهَايِلُهُ

١٠ قالوا : وكان ذو الشَّنَارِ ملك عَنَسٍ وَيَحَايِر^(١) ، وكان عظيم الملك ، كثير الجنود ، وكان مُلْكُهُ على عُمان ، والبحرين ، واليمامة ، وسواحل البحر .

[ملك أردوان بن أشه]

١٥ قالوا : ولم يكن في ملوك الطوائف الذين كانوا بأرض العجم ملك أعظم مُلكاً ، ولا أكثر جنوداً من أَرْدَوَانَ بن أشه بن أَشْغَانَ ملك الجبل ، كان إليه المَاهَانُ وَهَمْدَانُ ، وَمَسَبْدَانُ ، وَمِهْرَجَانَقْدَقُ ، وَحُلَوَانُ^(٢) ؛ وسائر الملوك إنما كان يكون إلى الرجل منهم كورة واحدة وبلد واحد . وكان الملك منهم إذا مات قام بالملك بعده ابنه أو حميمه ؛ وكان جميع ملوك الطوائف يقرؤون لِأَرْدَوَانَ ملك الجبل بفضله ، لاختصاص الإسكندر إياه دونهم بفضل الملك ؛ وكان مسكنه بمدينة نَهَاوَنْد^(٣) العتيقة .

٢٠ قالوا : وفي ذلك العصر بُعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

(١) قبيلتان يَمِينِيَان . (٢) مدن بارس فارس ، وبالعراق العجمي .

(٣) بلد من بلاد الجبل ، جنوبي همدان .

[أسعد بن عمرو]

- قالوا : وإن أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صُبْح بن عبد الله بن زيد بن ياسر ينعم الملك الذي ملك بعد سليمان بن داود ، صلى الله عليه وسلم ^(١) ، لما نشأ وبلغ ، أنف من ابتزاز قبائل ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب الملك حمير ؛ وكان الملك لهم ، وفي عصرهم ، فجمع إليه حمير ، وذلك بعد أن ملكت المقاول بأرض اليمن ، فكانوا سبعة ملوك ، توارثوا الملك مائتين وخمسين سنة ؛ فسار إلى ملك همدان ، فخاربه ، فظفر به ، ثم سار إلى ملك عَنَس ويحَاير ، ففعل به مثل ذلك ، وأتى ملك كندة ، وأعطى الظفر حتى اجتمع له ملك جميع أرض اليمن .
- فلما اجتمع لأسعد الملك وجّه ابن عمه القيظون بن سعد إلى تهامة والحجاز ، وجعله ملكا عليها ، فنزل يثرب ، فاعتدى وتجبّر ، حتى أمر أن لا تهدي امرأة إلى زوجها حتى يبدءوه بها ، وسلك في ذلك مسلك عمليق ، ملك طسّم وجديس ، إلى أن زوجت أخت لملك بن المجلان من الرضاعة ، فلما أرادوا أن يذهبوا بها إلى القيظون اندسّ معها مالك بن المجلان متسكرا ، فلما خلا له البيت عدّا عليه بسيفه ، فقتله ، وعدّوا على أصحابه ، فقتلوا أجمعين ؛ وبلغ ذلك أسعد الملك ، فسار إليهم ، فنزل بالمدينة على نهر يسمّى ، بئر الملك ، فكان من قصته ما هو مشهور ، قد كتبناه في غير هذا الموضع .

[بعثة عيسى الرسول]

- قالوا : ولما ابتعث الله عيسى بن مريم ، فأقبلت اليهود لتقتله ، فرفعه الله إليه ، أتوا يحيى بن زكرياء ، فقتلوه ، فسلب الله عليهم ملكا من ملوك الطوائف من ولد بُنْحَتَ نَصْر الأول ^(٢) ، فقتل بني إسرائيل ، وضربت عليهم الدّلة والسكّنة .

(١) كذا في الأصل .

(٢) بنح نصر هو ملك الكلدانيين ، وقد ملك عرش بابل من عام (٧٤٧-٧٣٣) ق. م .

ويبدأ به تقويم بطليموس ، ويذكر البيروني أن العينة الفارسية لاسم بنح نصر هي « بنح نرس » ، ومعناها كثرة البكاء والأين .

[أردشير بن بابك]

قالوا : فلما تم ملوك الطوائف مائتا سنة ، وست وستون سنة ظهر أردشير ابن بابكان ، وهو أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن فافك بن مَهريس ابن ساسان الأكبر بن بهمن الملك بن أسفندياذ بن بُشتاسيف ، فظهر بمدينة إصطخر ، فدبّ في رد ملك فارس في نصابه ، واتسقت له الأمور ، فلم يزل يغلب ملكا ، ويقتل ملكا ، ويحتوى على ما تحت يده ، حتى انتهى إلى فرخان ملك الجبل ، وكان آخر ملك من ولد أردوان ، فكتب إليه أردشير ، بالدخول في طاعته ، فلما أتاه كتابه امتلا غيظاً ، وقال لرسله : لقد ارتقى ابن ساسان الراعى مرتقى وعرا ؛ ولم يحفل به ، وكتب إليه : إن الميعاد بيني وبينك صحراء الهرمز دُجَان في سلخ مهَرَمَاه^(١) ، فسبق أردشير إلى المكان ، فوافاه فرخان في سلخ مهَرَمَاه ، فاقتتلوا ، فقتله أردشير ، وسار من فوره حتى ورد مدينة نهاوند ، فنزل قصر الفرخان ، فأقام شهرا ، ثم سار إلى الري ، ثم إلى خراسان ، لا يأتي حَيّاً إلا أذعن له ملكه بالطاعة ، ثم سار إلى سجستان ، ثم إلى كرمان^(٢) ، ثم سار إلى فارس^(٣) ، فنزل مدينة إصطخر ، فأقام حَوَلاً ، ثم سار نحو العراق ، فتلقاه من كان بها من ملوك الطوائف بالأهواز ، فقاتلهم ، فقتلهم ،

(١) شهر من شهور السنة الشمسية الجلالية ، ووقته من ٢١ سبتمبر إلى ٢١ أكتوبر .

(٢) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معدورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين

فارس وسجستان وخراسان .

(٣) فارس : إيالة من إيالات إيران ، وهي أكثرها عمارة ، يحدها من الجنوب الغربي بحر فارس ومن الغرب خوزستان (الأهواز) ومن الشمال عراق العجم ومن الشرق والجنوب الشرق إيالة كرمان ، وقد كانت فارس مركزا للدولة الإيرانية القديمة ، ثم أصبحت عاصمة لدولة الكيانية منذ عهد كيخسرو ، وبعد فتوح الإسكندر فقدت فارس مركزها كعاصمة ، ولكنها عادت ثانية إلى مركزها الأول بعد تأسيس الدولة الساسانية ، إذ اختار أردشير مؤسس الدولة الساسانية مدينة إصطخر ، وهي عاصمة فارس ، عاصمة له ولدولته . وقد فتح المسلمون فارس أيام عمر بن الخطاب ، واستمرت فتوحاتهم بها إلى عهد عثمان بن عفان ، ولما أصبحت مدينة إصطخر بالخراب ، صارت عاصمة فارس مدينة شيروز إلى أن انتقلت العاصمة إلى مدينة طهران .

ثم سار حتى عسكر بموضع الدائن اليوم ، فاخططها ، وبنائها ، فلما استوثق له الملك دعا بابنة أخ الفرخان ، التي أخذها من قصر الفرخان بنهاوند ، ، وكانت ذات جمال ولُب ، وقد كان أفضى إليها ، وسألها من نسبها ، فأخبرته ، فقال لها : قد أسأت حين أعلمتني ، لأنني أعطيت الله عهداً ، إن أظهرني الله بالفرخان الا أدع من أهل بيته أحداً ، ثم دعا أبرسام وزيره ، فقال : انطلق بهذه الجارية فاقتلها .

فأخذ أبرسام بيد الجارية ، فأخرجها ليُنْفَذَ فيها أمره ، فلما خرجت قالت لأبرسام : إني حاملٌ لأشهر ، فلما قالت له ذلك انطلق بها إلى منزله ، وأمر بالإحسان إليها ، وقال لأردشير : قد قتلها .

وزعموا أنه جَبَ نفسه^(١) ، وأخذ مَدَا كِيرَه ، فجعلها في حُق^(٢) وختم عليه ، وأتى به أردشير ، وسأله أن يأمر بعض ثقاته بإحرازه ، فإنه سيحتاج إليه يوما ، فأمر أردشير بالحُق ، فأخْرِزَ .

ثم إن الجارية ولدت غلاماً كأجمل ما يكون من الغلمان ، وهو سَابُور بن أردشير الذي ملك بعده ، وأن أردشير أقام بالعراق حَوْلاً ، ثم سار إلى الموصل ، فقتل ملكها ، ثم انصرف ، وجعل يسير ، فسار إلى عُمان والبحرين واليمامة ، فخرج إليه « سَنْطَرُوق » ملك البحرين ، فخاربه ، فقتله أردشير ، وأمر بمدينته ، فأخربت .

قالوا : وإن أبرسام دخل على أردشير يوما ، وهو مُسْتَخْلِرٌ وحده ، مفكّرٌ مهموم ، فقال : أيها الملك ، عمّرك الله ، مالي أراك مهموماً حزيناً ، وقد أعطاك الله أُمْنِيَّتَكَ ، وردّ الله إليك مُلْكَ آبَائِكَ ، فأنت اليوم « شاهان شاه » .

قال أردشير : ذاك الذي أحزنني ، إني قد استحوذت على الأرض ، ودان لي جميع الملوك ، وليس لي ولد ، يرث مُلْكِي الذي أنصبت فيه نفسي . فلما سمع

(١) استأصل خصيته . (٢) الحق والحقة بالضم : وعاء من خشب ، والجمع حق وأحقاق .

ذلك أبرسام قال في نفسه : هذا وقت إظهار أمر تلك المرأة الأشفاينة ؛ وقد كان أتى على ابنها خمس سنين ، فقال : أيها الملك ، إني كنت استودعتك يوم أمرتني بقتل المرأة الأشفاينة حقاً مختوماً ، وقد احتججت إليه ، فمَرَّ بإخراجه ، فأمر به أردشير ، فأُخْرِجَ إليه ، ففتحه ، وأراه أردشير ، فإذا فيه مذاكيره ، قد يبست في جوف الحق . ٥

فقال له أردشير : ما هذا ؟ فأخبره الخبر ، وأعلمه حال الغلام ، ففرح أردشير بذلك ، ثم قال لأبرسام : ائتني بالغلام ، واجعله ما بين مائة غلام من أقرانه ، ففعل أبرسام ذلك .

فلما أدخلهم عليه تأملهم غلاماً غلاماً ، حتى إذا بلغ إلى سَابُور رأى تشابه ما بينه وبينه ، فتحرَّك له قلبه ، فأمسك نفسه ، ولم يكلمه ، وأمر بأن يُعطَى النلمان جميعاً صولجاً^(١) ، ويُطرح لهم كرة في الرَّحْبَةِ ليلعبوا بين يديه مقابل الإيوان ، وقال لأبرسام : احتل أن تقع الكرة عندي في الإيوان ؛ ففعل . ١٠

ووقعت الكرة على سِباطه ، فوقف جميع أولئك النلمان على باب الإيوان ، ولم يجترئ واحد منهم أن يدخل ، فيتناول الكرة من بين يديه إلا الغلام ، فإنه اقتحم من بينهم على أبيه ، فتناول الكرة من بين يديه . ١٥

فلما رأى ذلك أردشير مدَّ يده ، فتناول الغلام ، وضمَّه إليه ، وقبله ، وأمر به وبأمه أن ترُدَّ إليه ، وهو سَابُور الذي ملك بعده ، وأكرم أبرسام ، وأقطعهم القطنان الكثيرة ، وأمر بأن تُصوَّر صورة أبرسام على الدراهم والبُسُط حتى انقضى ملكهم .

٢٠ قالوا : وفي ملك أردشير بعث الله عيسى عليه السلام ، ويزعمون أنه بعث بأحد حَوَارِيِّهِ إلى أردشير ، وأنه جاء إلى مدينة طَيْسَفُون ، فنزل على أبرسام

(١) جمع صولجان : وهو العصا معقوفة الرأس مثل المضرب تقذف به الكرة ، وكان ملوك الفرس يتخذونه من الذهب شعاراً لهم .

فكان إذا أمسى استُخرج له سراج ، فيصلى طول ليله ، ويتلو الإنجيل ،
فسأله أبرسام عن قصته ودينه ، فأخبره أنه رسول المسيح عيسى بن مريم ،
فأفصى أبرسام الخبر إلى أردشير ، فدعا به ، فنظر إلى سمته وهدوئه ، وأراه
الشيخ آيات من آيات المسيح ، فلم يبعد عند أردشير ، ولا حاجة بسوء .

• [ملك الموصل وجرجيس]

قالوا : وفي زمان ملوك الطوائف كانت قصة جرجيس ، وإتيانه ملك
الموصل ، وكان جباراً متمرداً ، يعبد الأصنام ، ويحمل الناس على عبادتها ،
وكان جرجيس من أهل الجزيرة ، وكان من أمره وأمر ذلك الملك ما قد
أتت به الأخبار .

- ١٠ وكان أردشير هو الذي أكل آيين^(١) الملوك ورتب المراتب ، وأحكم
السير ، وتفقد صغير الأمر وكبيره ، حتى وضع كل شيء من ذلك على موضعه ،
وعهد هذه المروف إلى الملوك ، فكانوا يمثّلونه ، ويلزمونه ، ويتبركون
بحفظه والعمل به ، ويعملونه درسهم ونصب أعينهم ؛ وبني من المدن ست
مدائن ، منها بأرض فارس مدينة أردشير خرم ، ومدينة رام أردشير ومدينة
هرمزدان أردشير ، وهي قصدة الأهواز ، ومدينة أستاذ أردشير ، وهي
١٥ كرخ ميسان ، ومدينة فوران أردشير ، وهي التي بالبحرين ، ومدينة بالموصل ،
تسمى خرزاد أردشير .

[ملكيكرت ملك اليمن]

- قالوا : وملك بعد أسعد ملك اليمن ، الذي كسا البيت ونحر عنده وطاف به
وعظمه ابن عمه ملكيكرت بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ذي الأذعار ،
٢٠ فلك عشرين سنة لا يبرح بيته ، ولا يفزوكا كانت الملوك قبله تفعله تحرجاً من الدماء .

(١) آيين الملوك : دستورهم ونظامهم .

[ملك التبابعة]

ثم ملك بعده ابنه تبّع بن مَلِكِيكَرب ، وهو تبّع الأخير ، وكانت التبابعة ثلاثة ، أولهم : شمر أبو كرب الذى غزا الصين ، وأخرب مدينة سَمَرْقَنْد ؛ والثانى تبّع أسعد الذى ذبح للبيت الحرام الذبائح ، وعلق عليه باب ذهب ؛ والثالث تبّع بن مَلِكِيكَرب ، ولم يسم غير هؤلاء الثلاثة من ملوك اليمن تبّعا ؛ وكان تبّع هذا الأخير فى عصر سابور بن أردشير ، وفى عصر هرمز بن سابور ، وكان تبّع بن مَلِكِيكَرب كبير الشأن عظيم السلطان ، وهو الذى غزا بلاد الهند ، فقتل ملكها ، وهو من أولاد فؤد الملك الذى قتله الإسكندر ، ثم انصرف إلى اليمن ، ومات فى مُلْك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .

ثم ملك من بعد تبّع ابنه حَسَّان بن تبّع بن مَلِكِيكَرب ، وهو الذى غزا أرض فارس فيما يزعمون ، وهو الذى ضجرت الحميرية لكثرة غزوه بها ، وقلة مقامه بأرض اليمن ، فزبنوا لأخيه عمرو بن تبّع قتله ليملكوه عليهم ، فطابقوه جميعاً على ذلك إلا ذَارُعَيْن فإنه أبى ذلك ، ولم يدخل فيه مع القوم ، فعدا عمرو على أخيه ، فقتله ، وملك من بعده ، وانصرف بقومه إلى اليمن ، فسَلَط الله عليهم السَّهْر .

[سابور]

فلما ملك سابور بن أردشير غزا أرض الروم ، فافتتح مدينة قالوقية ، ومدينة قبدوقية ، وأثخن فى الروم ، ثم انصرف إلى العراق ، وسار إلى أرض الأهواز ليرتاد مكاناً يبنى فيه مدينة ، يُسَكِنُهَا السَّيِّىَ الذى قدم بهم من أرض الروم ، فبنى مدينة جُنْدَيْسَابور ، واسمها بالخوزية نيلاط ، وأهلها يسمونها نيلاب ؛ فكان سابور قد أسر « أَلِيزِيَانوس » خليفة صاحب الروم ، فأمره ببناء قنطرة على نهر تُسْتَر على أن يخلّيه ، فوجه إليه ملك الروم ناساً من أرض الروم والأموال ، فبناها ، فلما فرغ منها أطلقه .

[ماني]

وفي زمان سابور ظهر ماني الزنديق^(١) ، وأغوى الناس ، ومات سابور قبل أن يظفر به ، وملك سابور إحدى وثلاثين سنة .

[هرمز]

- وأفضى الملك بعده إلى ابنه هرمز بن سابور ، فأخذ ماني ، فأمر به ، فسأخ جلده ، وحشاه بالتبين ، وعلقه على باب مدينة جند سابور ، فهو إلى اليوم يُدعى باب ماني ، وتتبع أصحابه ومن استجاب له ، فقتلهم جميعا ، فلك ثلاثين سنة .

[أولاد هرمز]

- وأُسند الملك إلى ابنه بهرام بن هرمز ، فلك سبع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه بهرام بن بهرام ، ثم ملك ابنه نرسی بن بهرام بن بهرام ، فلك سبع سنين ، ومات . فلك ابنه هرمزدان بن نرسی ، فلك سبع سنين ، ومات ، ولم يكن له ولد يرثه الملك ، غير أن امرأته كانت حاملا لأشهر ، فأمر بالتاج ، فوضع على بطنها ، وتقدم إلى عطاء أهل فارس ألا يملكوا عليهم أحدا حتى ينظروا ما يولد له ، فإن كان ذكرا سموه سابور ، وأقرّوه على الملك ، ووكّلوا به من يحضنه ، ويقوم بأمر الملك إلى إدراكه ، وإن كان أنثى اختاروا رجلا لأنفسهم من أهل بيته ، فلكوه عليهم ، فولدت المرأة ذكرا ، وسموه سابور ، وهو المنبوز^(٢) بذى الأكتاف .

(١) ولد حوالى سنة ٢٤٠م ، وادعى أنه النبي الموعود الذى جاء اسمه فى الإنجيل (باراقليت) ، ودعا الناس إلى مذهب جديد بين المسيحية والزرذشت ، وقد قتل بأمر الملك بهرام سنة ٢٧٤م ، ويطلق عليه بعض المؤرخين اسم ماني النقاش ، وقد زعم ماني أن العالم مصنوع من أصلين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وهما أزليان .

(٢) النسب بالتحريك : اللقب .

[سابور ذو الأكتاف]

فشاع لامات هرمزدان في أطراف الأرضين أنه ليس لأرض فارس ملك ،
وأنهم يلوذون بصبي في مهد ، فطمعوا في مملكة فارس ، فورد جمع عظيم
من الأعراب من ناحية البحرين وكاظمة^(١) إلى أبرشهر وسواحل أردشيرخوره ،
فشنوا بها النارة ، وأتى بعض ملوك غسان على الجزيرة في جموع عظيمة
حتى أغار على السواد ، فكشت مملكة فارس حيناً لا يمتنعون من أعدو لوهي
أمر الملك .

فلما ترعرع الغلام كان أول ما ظهر من حزمه أنه استيقظ ليلة وهو
نائم في قصره بمدينة طيسفون بضواض الناس لازدحامهم على جسر دجلة
مقبلين ومدبرين ، فقال : ما هذه الضواض ؟ ، فأخبر ، فقال : ليعقد لهم جسر
آخر ، يكون أحدهما لمن يقبل ، والآخر لمن يدبر ، ففعلوا ، وتباشروا بما ظهر
من فطنته مع طفوليته .

فلما أتت له خمس عشرة سنة تجرد لضبط الملك ، ونفى العدو عنه ،
فتأهب ، وسار إلى أبرشهر ، فطرد من كان صار إليها من الأعراب ،
وقتلهم أخبث قتلة .

وكذلك فعل بالجزيرة ، فصار إلى الضيزن النسائي ، فحاصره في مدينته
التي على شاطئ الفرات مما يلي الرقة^(٢) ، فزعموا أن ابنة الضيزن ، واسمها
« ملكة » ، وزعموا أن أمها عمّة سابور دختنوس ابنة نرسي ، وأن الضيزن
كان سبأها لما أغار على مدينة طيسفون ، فأشرفت ملكة على عسكر سابور ،
وهو محاصر لأبيها ، فرأت سابور ، فمشقته ، فراسلته ، على أن تدله على
عودة أبيها ، على أن يتزوجها ، فوعدها سابور ذلك ، ففعلت .

(١) موضع على البحر بينه وبين البصرة مرحلتان .

(٢) اسم بلد ، ومعناه كل أرض إلى جنب واد ينسط فيها الماء أيام المد ، ثم ينحسر عنها
فتعد للنبات .

فأسكرت بالحصن^(١) حرس أحد الأبواب حتى ناموا ، وأمرت بفتح الباب ،
فدخل سَابُور وجنوده ، فأخذ الضَّيْرَن ، فقتله ، وخلع أكتاف أصحابه ، وخلعهم ،
وكذا كان يفعل بمن أسر من الأعداء ، فبذلك سُمِّي ذا الأكتاف .

ووفى لابنته بما وعدها ، ثم قتلها بعد : ربطها بين فرسين ، وأجراها ، فقطعها ،
وقال لها : أنتِ إذا لم تصلحي لأبيك لا تصلحين لى .

وأمر سَابُور قُبْنَيْتَ له مدينة الأنبار^(٢) ، وسمّاها فَيْرُوز سَابُور ، وكورها
كورة ، وبني بالسُّوس^(٣) مدينة ، وهى التى إلى جانب الحصن ، الذى يسمّى
« سَادَانِيَال » الذى كان فيه جسد دانيال عليه السلام .

[الروم وسابور]

١٠ قالوا : وكان ملك الروم فى ذلك العصر « مَانُوس » وكان يدين فيما ذكروا
قبل أن يملك دين النصرانية ، فلما ملك أظهر ملة الروم الأولى ، وأحياها ، وأمر
بتحريق الإنجيل ، وهدمَ أَلْبَيْسَ ، وقتل الأساقفة ، فلما قتل سابور الضَّيْرَن
الغسانى غضب لذلك ، فجمع مَنْ كان بالشام من غسان ، وأقبل فيهم ، ومعه
جيوش الروم ، حتى ورد العراق .

١٥ ووجه سابور عيوناً ليأتوه بخبرهم ، فانصرف إليه عيونه ، وقد اختلفوا عليه ،
فخرج ليلاً فى ثلاثين فرساً ، ليشرف على عسكر الروم ، وقَدَّمَ أمامه عشرة منهم ،
فأخذتهم الروم ، فأتوا بهم اليُوبيَّانُوس خليفة الملك وابن عمه ، فسألهم عن أمرهم ،
وتوعدهم القتل ، فقام إليه رجل منهم مُسِرّاً عن أصحابه ، فقال له : إنَّ سابور
منك بالقُرب ، فضمَّ إلى خيلاً حتى آتاك به أسيراً .

(١) يقال إنه الزعفران . (٢) مدينة قرب بلخ ، وهى قصة ناحية جوزجان .

(٣) مدينة فى إيران ، وقد فتحها العرب سنة ٦٣٨ م ، وظلت مردهرة على أيامهم ، ثم خربت
فى القرون الوسطى .

وكانت بين اليُونَيَّانُوس وسابور مودة وخلة ، فأرسل إلى سابور ينذره ،
فانصرف راجعا ، وسار الملك الرومي إلى باب مدينة طَيْسَفُون ؛ وخرج إليه سابور
في جنوده ، فهزمه الرومي حتى بلغوا قنطرة جازر ، واحتوى الرومي على مدينة
طَيْسَفُون ؛ ولم يقدرُوا على القصر لحصانته ، ومن فيه من الحماة عنه ،
وثاب الناس إلى سابور ، فزحف إلى جمع الروم ، ففتحهم عن المدينة ،
وعسكر ببابها ، وراسل ملك الروم ؛ فبينما هم في ذلك إذ أتى ملك الروم سهم
عائر ، وهو في مضربه ، وحوله بطارقته ، فأصاب مقتله ، فسقط في أيدي الروم
لمكانهم الذي هم به ، وإشراف عدوهم عليهم ، فطلبوا إلى اليُونَيَّانُوس أن يتملك
عليهم ، فأبى ، وقال : لست أتملك على قوم مخالفين لي في ديني ، لأنني على
دين النصرانية ، وأنتم على دين الروم الأول ، فقال له البطارقة والمعلماء :
فإننا نحن جميعاً على مثل ما أنتم عليه ، غير أننا كنا نكاثم بذلك خوفاً من الملك ،
فتملك عليهم اليُونَيَّانُوس ، ولبس التاج .

وبلغ سابور أمرهم ، فأرسل إليهم : أصبحتم اليوم في قبضتي وقدرتي ،
ولأقتلنكم بمكانكم هذا جوعاً وهزلاً ؛ فأجمع اليُونَيَّانُوس على إتيان سابور ،
لما كان بينهم من المودة ، فأبى عليه البطارقة والرؤساء ، فخالفهم ، وأتاه ؛
فعرف له سابور يده عنده في إنذاره إياه تلك الليلة ، وجعل له اليُونَيَّانُوس نصيبين^(١) ،
وحيزها عوضاً مما أفسدت الروم من مملكته ، وكتب له بذلك .

وبلغ أهل نصيبين ذلك ، فانتقلوا عنها ضيناً بالنصرانية ، وكراهية لتمليك
الفرس عليهم ، فنقل سابور إليها اثني عشر ألف أهل بيت من إصطخر ، فأسكنهم
فيها ، فمقبههم بها إلى اليوم ؛ وانصرفت الروم إلى أرضها ، فلما تم لسابور
اثنان وسبعون سنة حضره الموت ، فجعل الأمر من بعده لابنه سابور بن سابور .
فلما تم لملكه خمس سنين خرج يوماً متصديداً ، فنزل بمكان ، وضربت

(١) انظر الخريطة ، وهي مدينة فيما بين النهرين ، وقد اشتهرت قديماً بمدرستها السريانية

قُبَّتْهُ ، فجلس فيها ، فأقبل قوم من الفتاك ليلًا ، فقطعوا أطناب^(١) القُبَّة ، فسقطت عليه ، فمات .

[بهرام بن سابور]

فلك بعده ابنه بهرام بن سابور ، وكان على كرمان^(٢) ، فلما قُتِلَ أبوه قَدِمَ ، فقام بالملك ، فلما تمَّ للملك ثلاث عشرة سنة خرج يوماً مُتَصِدًّا ، فَرُمِيَ ٥
بُنْشَابَةٍ^(٣) ، فأصابته ؛ فلما أحسَّ بالموت أوصى إلى ابن أخيه يزدجرد بن سابور ابن سابور ، وكان أصغر سنًا منه .

[يزدجرد بن سابور]

فقام بالملك بعده ؛ وهو يزدجرد الذي يلقَّب بالأثيم ، وكان غَلِقًا سِيء الخلق ، لا يكافئ على حسن بلاء ، وكان مَنَانًا ، لا يتجاوز عن زَلَّة وإن صغرت ، ويعاقب ١٠
على الصغيرة كما يعاقب على الكبيرة ، وما كان أحد يقدر على كلامه لفظاظته وغلظته ، إلا أن وزراءه كانوا أختيارا مترقِّين متعاونين .

فَوُلِدَ له بهرام الذي يُقال له بهرام جور ، فدفعه إلى المنذر أبي النهمان ليحضنَه ، فسار المنذر بهرام إلى الحيرة^(٤) - وكانت داره - واختار له المنذر ١٥
المراضع ، وأحسن حضناته ، فلما بلغ التأديب بعث إليه أبوه بمؤدِّين من الفرس ، وأحضره المنذر مؤدِّين من العرب ، فأحكم الأدبَيْن ، وكَمَّلَ فيهما ، ونَشَأَ نَشَأً محمودًا ، وبرع في الأدب والفروسيَّة ، وخرج عاقلاً لبيباً جميلاً بهيًّا ،

(١) أطناب جمع طناب بضمتين ، وهو حبل طويل يشد به السرادق والقباب .

(٢) إقليم بين فارس وسجستان . (٣) النشاب هو النبل .

(٤) الحيرة : مدينة كبيرة بعراق العرب على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، يقال إن الذي بناها هو بخت نصر ، وجدت في عهد الإسكندر ، وقد ظلت الحيرة عاصمة لدولة عربية قبل الفتح الإسلامي ، وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب بنى بجوارها مدينة الكوفة واتخذت مقراً للخلافة الإسلامية ، وبقيت الحيرة خراباً إلى أن عثر فيها على قبر «علي المرتضى» ، فعادت إليها حياتها قرية صغيرة ، وتعرف الحيرة اليوم باسمي نجف، ومشهد ، وتقع على بعد ٧٧ كم جنوب شرقي كربلاء .

ومكّنه السندر من اللّهُ والقيان ، فكان يركب النجائب ، وتركب وراءه الصنّاجات^(١) يُلهيه ويُطربّه ، وتجرد لطرْد الوحش على تلك الحال ، فضرّب به المثل ، فتوّه ورخاء بال .

[مقتل عمرو بن تبع]

٥ قالوا : ولما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع وأشراف قومه تضعضع أمر الحِميرِية ، فوثب رجل منهم لم يكن من أهل بيت الملك يُقال له صُهبان ابن ذى خرب على عمرو بن تبع ، فقتله ، واستولى على الملك .

[صهبان والعدنانيون بتهامة]

قال : وهو الذى سار إلى تهامة لمحاربة ولد معد بن عدنان ، وكان سبب ذلك أن معدّا لما انتشرت تباغت وتظالمت ، فبمشوا إلى صُهبان يسألونه أن يملك عليهم رجلاً يأخذ لضعيفهم من قوَّيهم ، مخافة التمدي فى الحروب ، فوجّه إليهم الحارث بن عمرو الكندى ، واختاره لهم ، لأن معدّا أخواله ، أمّه امرأة من بنى عامر بن صَمَصَمَة ، فسار الحارث إليهم بأهله وولده ، فلما استقرّ فيهم ولّى ابنه حُجْر بن عمرو ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر ، على أسدٍ وكنانة ؛ وولّى ابنه شُرْحَبِيل على قيس وتيم ؛ وولّى ابنه معدّى كَرَب ، وهو جدّ الأشعث بن قيس ، على ربيعة .

فكثروا كذلك إلى أن مات الحارث بن عمرو ، فأقرّ صُهبان كلّ واحد منهم فى مُلكه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا ؛ ثم إن بنى أسد وثبوا على ملكهم حُجْر ابن عمرو ، فقتلوه ، فلما بلغ ذلك صُهبان وجّه إلى مُضَر عمرو بن نَازِل اللّخمى وإلى ربيعة كَيْد بن النعمان الغسّانى ، وبعث برجل من حِمير يسمّى أَوْفَى بن عُنُق الحية ، وأمره أن يقتل بنى أسد أرح القتل ؛ فلما بلغ ذلك أسداً وكنانة

(١) جمع صابحة : وهن المغنيات ضاربات الدفوف .

استمدوا ؛ فلما بلغه ذلك انصرف نحو صُهبان ، واجتمعت قيس وتميم ، فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم ، فلحق بصُهبان ؛ وبقى معدي كُرب جد الأشعث ، ملكاً على ربيعة ؛ فلما بلغ صُهبان ما فعلت مُضَر بعماله آلى لِيَفْزُونَ مُضَرَ بنفسه .

- ٥ وبلغ ذلك مُضَرَ ، فاجتمع أشرافها ، فتشاوروا في أمرهم ، فعلموا أن لا طاقة لهم بالملك إلا بمطابقة ربيعة بإمام ، فأوفدوا وفودهم إلى ربيعة ، منهم عوف بن مُنقذ التيمي ، وسُوَيْد بن عمرو الأسدي جد عبيد بن الأبرص ، والأخوص بن جعفر العامري ، وعُدَس بن زيد الحنظلي ، فساروا حتى قدموا على ربيعة ، وسيدهم يومئذ كُليب بن ربيعة التغلبي ، وهو كليب وائل ، فأجابتهم ربيعة إلى نصرهم ، وولّوا الأمر كُليباً ، فدخل على ملكهم لبيد بن النعمان ، فقتله ؛ ثم اجتمعوا ، ١٠ وساروا فلقبهم الملك بالسُّلَّان ، فاقتتلوا ، ففَلَّتْ جموع اليمين ، وفي ذلك يقول الفرزدق الجري :

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَاِئِلٍ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ

- وانصرف الملك إلى أرضه مفلولاً ، فسكت حَوَلا ، ثم تجهّز لمعاودة الحرب ، وسار ، فاجتمعت مَعَد ، وعليها كليب فتوافوا بخَزَازَى^(١) ، فوجه كليب ١٥ السَّقَّاح بن عمرو أمامه ، وأمره إذا التقى بالقوم ، أن يوقدوا نارا ، علامة جعلها بينه وبينه ، فسار السَّقَّاح ليلاً حتى وَاَقَى معسكر الملك بخَزَازَى ، فأوقد النار ، فأقبل كليب في الجموع نحو النار ، فوافاهم صباحا ، فاقتتلوا ، فقتل الملك صُهبان ، وانقضت جموعه ، وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

- ٢٠ وَنَحْنُ غَدَاةٌ أُوقِدَ فِي خَزَازَى رَفْدُنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا
فلما قُتِلَ صُهبان زاد حِمِيرَ قَتْلِهِ اتِّضَاعًا وَوَهْنًا .

(١) جبل ، كانوا يوقدون عليه غداة الفارات .

[ملك ربيعة بن نصر اللخمي اليميني]

فجمع ربيعة بن نصر اللخمي جَدُّ النعمان بن المنذر قومه ومن أطاعه من ولد
كهلان بن سبأ ، فاعتصب حَمِيرُ الْمَلِكِ ، فاجتمعت له أرض اليميني ، فللكها
زمانا ، وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن عمرو بن لخم بن عَدِيَّ بن مُرَّة بن زيد
ابن كهلان بن سبأ بن يَعْرُب بن قحطان . فلما استجمع لربيعة بن نصر أمرُ اليميني
رأى في منامه رؤيا هالته ، ووجل منها ، فبث إلى شِقِّ وسَطِيح السكاهنين ،
فأخبرها بما رأى ، فأخبراه في تأويلها بما يكون من غلبة السودان على أرض اليميني ،
ونغلبة فارس بعدهم ، ثم بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع ذلك أَوْجَسَ
في نفسه خِيفَةً ، فَأَحَبَّ أَنْ يَخْرُجَ وَلده وخاصة أهله من أرض اليميني .

[مسير عمرو اللخمي إلى الحيرة]

فوجه ابنه عمراً إلى يَزْدَجَرْدَ بن سَابور ، ويقال بل كان ذلك في عصر سابور
ذي الأكتاف ، فأنزله الحيرة ، فيومئذ بُنِيَتْ الحيرة ، فضمَّ عمرو إليه إخوته
وأهل بيته ، فن هناك وقع آل لخم إلى الحيرة ، واتصاوا بالأكرسة ، فجمعوا لهم
على العرب سلطانا .

[جذيمة والحيرة]

فلما مات خلفه من بعده ابنه جَذِيمَةُ بن عمرو ، فزَوَّجَ جَذِيمَةُ أختها من ابن عمه
عَدِيَّ بن ربيعة بن نصر ، فولدت له عمرو بن عَدِيَّ الذي استطار به الجن ،
وله حديث ، فلم يزل جَذِيمَةُ ملكاً بالخوِرنق^(١) زمانا حتى دَعَتْهُ نفسه إلى تزويج
مارية ابنة الزَّبَاء الغَسَّائِيَّة ، وكانت ملكة الجزيرة ، ملكت بعد عمها الصَّيْزَن

(١) الخوِرنق بلد في بلخ ، وأما الخوِرنق قصر النعمان الأكبر فهو معرب اللفظ الفارسي
(خورنكاه) أي موضع الأكل .

الذى قتله سَابُور ، وكان له ولها حديث مشهور^(١) ، فقتلت جَذِيمَةَ ، ثم قتلها قصيرٌ مولاه .

[عمرو بن عدى]

فلما هلك خلفه ابن أخته وابن ابن عمه عمرو بن عَدِيّ وهو جدُّ النعمان بن النذر
ابن عمرو بن عَدِيّ بن ربيعة ، قالوا : وكان ذلك فى عصر يَزْدَجَرْد بن سَابُور •
ابن بهرام جور .

قالوا : وفى ذلك العصر توفى عبد مناف بن قُصَيّ ، وخلفه فى سؤدده ابنه هاشم
ابن عبد مناف . قالوا : وهلك يَزْدَجَرْد الأثيم ، وقد ملك إحدى وعشرين سنة
ونصفاً ، وبهرام جور ابنه غائب بالحيرة عند المنذر بالخوَرَنَق ، فتعاهدت عظماء
فارس ألا يملكوا أحداً من ولد يَزْدَجَرْد لما نالهم من سوء سيرته ؛ منهم بسطام
أصبهيد السواد ، الذى تدعى مرتبته^(٢) هِزرافت ، ويَزْدَجُشْنَس فَاذُوسْفَان
الزَّوَابِي ، وَفَيْرَك الذى تدعى مرتبته مِهْران ، وَجُودَرَز كاتب الجُند ،
وَجُشْنَسَاذَرِيش كاتب الخراج ، وَفَنَّاخُشَرُو صاحب صدقات المملكة ؛ وغير
هؤلاء من أهل الشرف والبيت ، فاجتمعوا ، واختاروا رجلاً من عِتْرَةِ^(٣)
أَرْدَشِير بن بابكان ، يُقال له خُشَرُو ، فمَّسَكوه عليهم ، وبلغ ذلك بهرام جور ،
وهو عند المنذر ، فأمر منذر بهرام بالخروج ، والطلب بتراث أبيه ، ووجهه معه ابنه
النعمان ، فسار بهرام حتى قدم مدينة طَيْسَفُون ، فنزل قريباً منها فى الأبنية

(١) ملخص الحديث أن الزباء كانت قد دعت جذيمة إلى أن يفد إليها ويتزوج بها ، وبضم
ملكها إلى ملكه ، فاستشار قومه فشجعوه على السير إليها إلا قصير بن سعد اللخمى ، فقد نصحه
بأن لا يذهب لأن جذيمة كان قد وتر الزباء بقتل أبيها ، وأدرك قصير أن هذه الدعوة تخفى
وراءها سرا ، ولكن جذيمة عزم على السير مخالفاً رأى قصير ، ولا ذهب إليها قتلته ، فقال قصير ،
لا يطاع لقصير أمر ، وقد صار قوله مثلاً يضربه من لا يطاع أمره .

(٢) فى الأصل مدينه .

(٣) عترة الرجل بكسر العين وسكون التاء : رمله وعشيرته الأذنون .

والفساطيط والقياب ، فلم يزل النعمان يسفر بينه وبين عطاء فارس وأشرافهم إلى أن
أناخوا وتابوا إلى بهرام .

[ملك بهرام جور]

وَبَسَطَ بَهْرَامُ مِنْ آمَالِهِمْ ، وَشَرَطَ لَهُمُ الْمَدْلَةَ وَحُسْنَ السَّيْرِ ، نَحَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَلِكِ ، وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، وَحَبَا^(١) بَهْرَامُ النُّذْرَ وَالنُّعْمَانَ ، وَأَكْرَمَهُمَا ، وَكَافَأَهُ
بِيَدِهِ عِنْدَهُ فِي تَرْبِيَّتِهِ وَمُضَادَّتِهِ ، فَفَوَّضَ إِلَيْهِ جَمِيعَ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَصَرَّفَهُ إِلَى
مُسْتَقَرِّهِ مِنَ الْحَيْرَةِ .

وَلَمَّا اسْتَنْبَجَ لِبَهْرَامِ الْمَلِكِ آثَرَ اللَّهْوِ عَلَى مَا سِوَاهُ ، حَتَّى عَتَبَ عَلَيْهِ رَعِيَّتَهُ ،
وَطَمَعَ فِيهِ مَنْ كَانَ حَوَّلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَخَّصَ صَاحِبَ التُّرْكِ ،
فَإِنَّهُ نَهَضَ فِي جُمُوعِهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ حَتَّى أُوْغِلَ فِي خِرَاسَانَ ، فَشَنَّ فِيهَا الْغَارَاتِ ،
وَاتَّهَى النَّبَأُ إِلَى بَهْرَامَ ، فَتَرَكَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْاسْتِهْتَارِ بِاللَّهْوِ ، وَقَصَدَ عَدُوَّهُ ،
فَأُظْهِرَ أَنَّهُ يَرِيدُ أَذْرَبِيجَانَ لِيَتَصَيَّدَ هُنَاكَ ، وَيَلْهُوَ فِي مَسِيرِهِ إِلَيْهَا ، فَانْتَخَبَ مِنْ
أَبْطَالِ رِجَالِهِ سَبْعَةَ آلَافِ رَجُلٍ ؛ فَحَمَلَهُمْ عَلَى الْإِبِلِ ، وَجَنَّبُوا الْخَيْلَ ، وَاسْتَخْلَفَ
عَلَى مُلْكِهِ أَخَاهُ نَرَسَى ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ أَذْرَبِيجَانَ ، وَأَمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
الَّذِينَ انْتَخَبَهُمْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ بَازٌ وَكَلْبٌ ، فَلَمْ يَشُكَّ النَّاسُ أَنَّ مَسِيرَهُ ذَلِكَ هَزِيمَةٌ
مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِسْلَامٌ لِمُلْكِهِ ، فَاجْتَمَعَ الْعِظَاءُ وَالْأَشْرَافُ ، فَتَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ ،
فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى تَوْجِيهِ وَفْدٍ مِنْهُمْ إِلَى خَاقَانَ^(٢) صَاحِبِ التُّرْكِ بِأَمْوَالٍ ، يَبْعَثُونَ بِهَا
إِلَيْهِ لِيَصُدُّهُ عَنْ اسْتِبَاحَةِ الْبِلَادِ .

وَبَلَغَ خَاقَانَ أَنَّ بَهْرَامَ مَضَى هَارِبًا ، وَأَنَّ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْخُضُوعِ
لَهُ ، فَأَعْتَرَى ، وَأَمِنَ هُوَ وَجُنُودُهُ ، وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ يَنْتَظِرُ الْوُفُودَ وَالْأَمْوَالَ .

(١) أعطاه بلا جزاء ولا من .

(٢) خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك ، وخفقنوه على أنفسهم : رأسوه .

قالوا : وأن بهرام أمر بذبح سبعة آلاف ثور وحمل جلودها ، وساق معه سبعة آلاف مهر حوّلِي ، وجعل يسير الليل ويكن النهار ، وأخذ على طبرستان ، ثم تبطن ضفة البحر حتى خرج إلى جرجان ، ثم صار إلى « نسا » ثم إلى مرو .

- وكان خاقان معسكرًا بها يكشمين^(١) حتى إذا صار بهرام من مرو على منقلة^(٢) ، وخاقان لا يعلم شيئًا من علمه أمر بتلك الجلود ، فنفضت ، وألقى فيها الحصى ، وجففت ، ثم علقها في أعناق تلك المهارة ، حتى دنا من عسكر خاقان ، وكانوا نزولًا على طرف المفازة ، على ستة فراسخ من مدينة مرو ؛ فخلّوا عن تلك المهارة ليلاً ، وطردها من ورائها ؛ فارتفع لتلك الجلود ، والحجارة التي فيها ، وعذو المهارة بها ، وضربها إياها بأيديها أصوات هائلة أشد من هدة الجبال والصواعق .

١٠

وسمعت الترك تلك الأصوات ، فلما سمعوها راعتهم ، ولا يدرون ما هي ، وجعلت ترداد منهم قُربًا ، فأجلوا عن معسكرهم ، وخرجوا هربًا ، وبهرام في الطلب ، فتقطرت^(٣) دابة خاقان بخاقان ، وأدرك بهرام ، فقتله بيده ، وغنم عسكره ، وكل ما كان فيه من الأموال ، وأخذ خاتون امرأة خاقان .

- ومضى بهرام على آثار الترك ليلته ويومه كله ، يقتل ويأسر ، حتى انتهى إلى أموية ، ثم عبر نهر بلخ ، يتبع آثارهم ، حتى إذا صار إلى القرب فأذعن له الترك ، وسأله أن يعلم حدًا بينه وبينهم ، لا يجاوزونه ، فحدّ لهم مكانًا واطلًا في أرضهم ، وأمر بمنارة ، فبنيت هناك ، وجعلها حدًا ، ثم انصرف إلى دار الملك ، ووضع عن الناس خراج تلك السنة ، وقسم في أهل الضعف والمسكنة شطر ما غنم ، وقسم الشطر الآخر بين جنده الذين كانوا معه ، فعمّ السرور أهل مملكته ، فلهوا جذلاً وابتهاجاً ، فبلغ أجر اللعاب^(٤) في اليوم عشرين درهما ، وصار إكليل الريحان بدرهم .

٢٠

(١) قرية بمرو (٢) المنقلة مرحلة السفر زنة ومعنى .

(٣) تقطرت الدابة عثر براكبها فألقته على قطره . (٤) فرس اللعب .

فلما أتى له في الملك ثلاث وعشرون سنة خرج مُتَصَيِّدًا ، فوَقَعَتْ لَهُ عَانَةٌ ^(١) من الوحش ، فدفع فرسه في طلبها ، فذهبت به فرسه في جُرف مُقْبِضٍ إلى غَمَرٍ من الماء ، فارتطم فيه ، ففرق .

وبلغ ذلك أُمُّهُ ، فجاءت إلى ذلك المكان ، وأمرت بطلبه في ذلك المَهِوَر ^(٢) ، فاستخرجوا تِلَالًا من الحَصَى والرَّمْل ، فلم يدركوه ؛ ويقال إن ذلك المكان بموضع من الماء يسمَّى دَايَ مَرَج ، مُسمًى بأُمِّهِ ، لأن الأم بلسان الفُرس تسمَّى داي ، وهو مرج معروف ، وهذا الحديث مشهور في الموضع ، هو كما وصفوا في الحديث هناك ، كَوَالَا تَنْفَتِحْ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَاءٍ لَا يُدْرِكُ لَهُ غَوْرٌ ، وذلك بِقُرْبِ آجَامٍ وماء رَاكِدٍ .

[يزددجرد بن بهرام]

١٠

فلما هلك بهرام ملكوا ابنه يَزَدَجَرْدَ بنَ بَهْرَام ، فسار بسيرة أبيه سبع عشرة سنة ، وحضره الموت وله ابنان : فَيَرُوزُ وَهَرْمُزُد ، وكان فَيَرُوزُ أكبرَ سِنًا .

[النزاع بين الأخوين]

فأستأثر هرمزد بالملك دون أخيه فَيَرُوزَ ، فهرب فَيَرُوزُ منه حتى لحق ببلاد الهَيَاطَلَةِ ^(٣) ، وهى تَخَارِستان والصَفَّانِيَانِ ^(٤) وكَابَلِستان ^(٥) والأرضون التى خلف

(١) العانة : القطيع من حمر الوحش . (٢) المهور هو البحيرة تفيض بها مياه النياض والآجام فتتسع .

(٣) جنس من الترك أو الهند ، وكانت لهم شوكة وبلاء ، والهيتل : الجماعة القليلة ينزى بها . (٤) الصفانيان : لإيالة كبيرة وراء نهر جيحون ، وكانت مسقط رأس علماء كثيرين : منهم رضى الدين أبو الفضائل حسن بن محمد الصفاني من أئمة اللغة ، ووصفها الجغرافيون العرب بأنها معمورة ، وتحوى ستة عشر ألف قرية ، وتكثر بها الحيوانات والأشجار والمراعى والطيور الكثيرة ، وتوجد الآن في تركستان الروسية .

(٥) كابلستان : لإيالة واسعة في شمال شرق أفغانستان ، وكانت عاصمتها مدينة كابل الواقعة في حوض نهر كابل ، وتقع زابلستان في جنوب غربها ، ويرى بعض الجغرافيين أنهما لإيالة واحدة ، ولكن الشاهنامة تذكرهما على اختلاف .

النهر الأعظم بما يلي أرض بلخ ، فدخل على ملك تلك الأرض ، فأخبره بظلم أخيه إياه ، واحتوائه على الملك دونه ، وهو أصغر سنًا منه ، وسأله أن يمدّه بجيش حتى يسترجع الملك . فقال : لن أجيبك إلى ما تسأل حتى تحلف أنك أكبر سنًا منه ، فحلف فيروز ، فأمدّه بثلاثين ألف رجل ، على أن يجعل له حداً ليرمذ^(١) ، فسار فيروز بالجيش ؛ واتبعه جل أهل المملكة ، ورأوا أنه أحق بالملك من هرمزد لفظاظلة هرمزد وشرارته ، فخاربه حتى استرجع الملك ، وأقال أخاه عثرته ، ولم يؤاخذه بما كان منه .

[فيروز بن يزديجرد]

- قالوا : وكان فيروز ملكاً محدوداً ، وكل جُلّ قوله وفعله فيما لا يجدى عليه نفعه ، وإن الناس قحطوا في سلطانه سبع سنين متواليات ، فغارت الأنهار ، وفاضت المياه والعيون ، وقحلت الأرض ، وجفّ الشجر ، وموتت البهائم والطيور ، وهلك الأنعام ، وقل ماء دجلة والفرات وسائر الأنهار .
- فرفع فيروز الخراج عن الرعيّة ، وكتب إلى عمّاله أن يسوسوا الناس سياسة ، وتوعدهم أنه إن هلك أحد في أرض واحد منهم جوعاً يُقيدُ العامل والوالى به ، فساس الناس في تلك الأزمنة سياسة لم يعطب فيها أحد من الناس جوعاً ، ونادى في الناس بالخروج إلى فضاء من الأرض ، فخرج جميع الناس من الرجال والنساء والصبيان ، فاستسقى الله ، فأغاثهم ، فأرسل السماء ، وعادت الأرض إلى حُسن الحال ، وجرت الأنهار ، وجاشت العيون ، ورجع الناس إلى أحسن عادة الله عندهم في الرفاعة والرفاهة والخصب .
- وبنى فيروز مدينة الرّى ، وسماها رام فيروز ، وابتنى بأذر بيجان مدينة

(١) بلد معروف بخراسان على الضفة الشمالية لنهر جيحون شمال إيران ، وقد فتحها موسى ابن عبد الله بن خازم سنة ٦٩٠ م ، وفيها آثار يرجع تاريخها إلى العصر البوذي ، ولها ينسب كثير من العلماء ، منهم أبو عبد الله الترمذى المحدث الفقيه الحنفي .

أُرْدَبِيل ، وسماها باذَ فَيُرُوز ، ثم استمد وتاهب لغزو الترك ، وأخرج معه الموبذ وسائر وزرائه ، وحمل معه ابنته فَيُرُوزْدُخْت ، وحمل معه خزائن وأموالا كثيرة ، وخلف على ملكه رجلا من عظماء وزرائه ، يسمى شُوخَر ، وتدعى مرتبته قَارِن ، وسار حتى جاوز المنارة التي كان بهَرَام بناها حدًا بينه وبين الترك ، وأخربها ، ووغل في أرضهم . ٥

وَمَلِكُ الأَتراكِ يومئذٍ أَخْشُوَانُ خاقان ، فأرسل ملك الترك إلى فَيُرُوز يعلمه أنه قد تعدى ، ويحذره عاقبة الظلم ، فلم يحفل فَيُرُوز بذلك ، فجمل خاقان يظهر كراهةً للحرب ، ويدافع إلى أن هيا خندقا ، عمقه في الأرض عشرون ذراعا ، وعرضه عشرة أذرع ، وبعد ما بين طرفيه ، ثم غماه بأعواد ضِعاف ، وألقى عليه قَصَبًا ، وأخفاه بالتراب ، ثم خرج لمحاربة فَيُرُوز ، فواقفه ساعة ، ثم انهزم عنه . ١٠

وطلبه فَيُرُوز في جنوده ، فسلك خاقان مسالك قد فهمها بين ظهري ذلك الخندق ، وعطف عليه أَخْشُوَانُ وطَرَاخِنْتَه ، فقتلوه بالحجارة ، واحتوى أَخْشُوَانُ على معسكر فَيُرُوز وكل ما كان فيه من الأموال والحرم ، وأخذ الموبذ أسيرا ، وأخذ فَيُرُوزْدُخْت ابنة فَيُرُوز ، ولحق الفلَّ شُوخَر ، فأعلموه بمصاب فَيُرُوز وجنوده ، فاستنهض شُوخَر الناس للطلب بثأر ملكهم ، فخف له جميع الناس من الجنود وأهل البلاد ، فسار في جموع كثيرة حتى وغل في بلاد الترك ؛ وهاب أَخْشُوَانُ ملك الترك الإقدام على شُوخَر لكثرته جموعه وعدته ، فأرسل إليه يسأله المَوَادَعَةَ على أن يردَّ عليه الموبذ وفَيُرُوزْدُخْت وكل أسير في يده ، وجميع ما أخذ من أموال فَيُرُوز وخزائنه وآلاته ، فأجابهُ شُوخَر إلى ذلك ، وقبضه ، وانصرف إلى بلاده وأرضه . ٢٠

[أبناء فيروز]

فلك بمد فيروز ابنه بَلاس بن فيروز ، فلك أربع سنين ، ثم مات ، فجعل شوخر الملك من بعده لأخيه قُبَاذ بن فيروز . قالوا : وفي مُلك قُبَاذ بن فيروز مات ربيعة بن نصر اللخمي ، ورجع الملك إلى حمير .

[ذو نواس واليمن]

فَوَلِيَهُمْ ذُو نُوَاس ، واسمه زُرْعَة بن زيد بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن جشم بن وائل بن عبد شمس بن النوث بن جدار بن قطن ابن عريب بن الرأث بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؛ وإنما سُمِّيَ ذَا نُوَاس لِذُوَابَةِ^(١) كانت تنوس^(٢) على رأسه .

- قالوا : وكان لدى نُوَاس بأرض اليمن نارٌ يعبدها هو وقومه ، وكان يخرج ١٠ من تلك النار عُنُقَ يَمْتَدُّ فَيَبْلُغُ مقدار ثلاثة فراسخ ، ثم ترجع إلى مكانها ، ثم إن من كان باليمن من اليهود قالوا لدى نُوَاس : أيها الملك ، إن عبادتك هذه النار باطلة ، وإن أنت دِنتَ بديننا أطفأناها بإذن الله تعالى ، لَتَعْلَمَنَّ أَنَّكَ على غرر من دينك ، فأجابهم إلى الدخول في دينهم إن هم أطفئوها ، فلما خرجت تلك العُنُقُ أَتَوْا بِالتَّوْرَةِ ، ففتحوها ، وجعلوا يقرءونها ، والنار تتأخر حتى انتهوا إلى البيت ١٥ الذي هي فيه ، فزالوا يتلون التَّوْرَةَ حتى انطبأت ، فَتَهَوَّدَ ذُو نُوَاس ، ودعا أهل اليمن إلى الدخول فيها ، فَمَنْ أَبَى قَتَلَهُ .

- ثم سار إلى مدينة نَجْرَان^(٣) لِيَهُودَ مِنْ فِيهَا مِنَ النَّصَارَى ، وكان بها قوم على دين المسيح الذي لم يُبَدَّلْ ، فدعاهم إلى ترك دينهم والدخول في اليهودية ، فأبوا ، فأمر بملكهم ، وكان اسمه عبد الله بن التامر ، فَضْرِبَتْ هَامَتُهُ بِالسَّيْفِ ، ثم أُدْخِلَ ٢٠

(١) الدَّوَابَّةُ : شعر في أعلى الناصية . (٢) تتذبذب .

(٣) نجران بالفتح ، ثم السكون ، مدينة بينها وبين الكوفة مسيرة يومين فيا بينها وبين واسط.

في سور المدينة ، فُضِمَ عليه ، وَخَذَ للباقيين أخاديد^(١) ، فأحرقهم فيها ، فهم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه في القرآن^(٢) .

[الحبش واليمن]

وَأَفْلَتَ دَوْسُ ذُو ثَمَلْبَانَ ، فسار إلى ملك الروم ، فأعلمه ما صنع ذو نُوَاس
بأهل دينه من قتل الأساقفة ، وإحراق الإنجيل ، وهدمه الْبَيْع ؛ فكتب إلى
النَّجَاشِيِّ ملك الحبشة ، فبعث بأَرْيَاط في جنود عظيمة ، وركب البحر حتى خرج
على ساحل عَدَن ، وسار إليه ذو نُوَاس ، فخاربه ، فَقَتَلَ ذو نُوَاس ، ودخل أَرْيَاط
صَنْعَاءَ ، واسمها « دَمَار » ، وإنما صَنْعَاءُ كلمة حَبَشِيَّة ، أى وثيق حصين ، فبذلك سُمِّيَتْ
صَنْعَاءُ .

١٠ فلما اطمأنَّ أَرْيَاط وقتل اليهود وضبط اليمن ، درت عليه الأموال ، فجعل
يُؤَثِّرُ بها مَنْ يُحِبُّ ، فغضب حاشية الحبشة من ذلك ، فأتوا أَبَا يَكْسُومَ أَبْرَهَةَ ،
وكان أحد قادتهم ، فشكوا إليه الذى يصنع أَرْيَاط ، وبأيَمُوهُ .

وانصرفت الحبشة فرقتين ، إحداهما مع أَرْيَاط ، والأخرى مع أَبْرَهَةَ ، واصطفوا
للحرب ، فدعاه أَبْرَهَةَ للبراز ، فبرز إليه ، فدفع أَرْيَاط عليه حَرْبَتَهُ ، فوقعت
في وجه أَبْرَهَةَ ، فَشَرَمَتْهُ ؛ ولذلك سُمِّيَ الأشرم ، وضرب أبرهة أرياط بالسيف
١٥ على مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فقتله ، وانحازت الحبشة إليه ، فلكهم ، وأقرَّهُ النَّجَاشِيُّ
على سلطان اليمن ، فكث على ذلك أربعين عاما .

وَبَنَى بصَنْعَاءَ بَيْمَةً لم ير الناس مثلها ، وآذَنَ في جميع أرض اليمن أن تحجَّجَها ،
فاسْتَفْظَمَتِ العرب ذلك ، فدخل رجل من أهل تِهَامَةَ لَيْلًا ، فَأَخَذَتْ فيها ، فلما
٢٠ أصبح القوم نظروا إلى السَّوْءَةِ السَّوْءَةِ في الكنيسة ؛ فقال أَبْرَهَةَ : مَنْ تَظُنُّونَهُ
فعل هذا ؟ قالوا : لم يفعله إلا بعض من غضب للبيت الذى بمكة ، لما أَمَرَتْ بِحِجَّجِ

(١) الأخاديد : هى الحفر المستطيلة فى الأرض كالخدة بالضم ، والمفرد أخدود .

(٢) الآيات : ٦٥، ٤٤ ، من سورة البروج

هذه البَيْعَة ، فغضب أبرهة عند ذلك غضباً شديداً ، وتجهّز للسير إلى مكة ليهدم الكعبة ، فأرسل إلى النجاشي ، فبعث إليه بفيل كالجبل الراسي ، يُقال له محمود ، فسار إلى مكة ؛ فكان من أمره ما قد قصّه الله في سورة الفيل .

[الحبشان وهدم الكعبة]

- ٥ قالوا : ولما أهلك الله أبرهة خلفه في ملكه بأرض اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة ، فكان ثراً من أبيه وأخبت سيرة ، فلبث على اليمن تسع عشرة سنة ثم مات . فملك من بعده أخوه مسروق ، وكان ثرا من أخيه ، وأخبت سيرة .

[سيف بن ذي يزن]

- ١٠ فلما طال ذلك على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الجُمَيْرِيّ من ولد ذي نواس حتى أتى قيصر ، وهو بأنطاكية^(١) ، فشكى إليه ما هم فيه من السودان ، وسأله أن ينصرهم وينقيهم عن أرضهم ، ويكون ملك اليمن له ؛ فقال له قيصر : أولئك هم على ديني ، وأتم عبدة أوثان ، فلم أكن لأنصركم عليهم .
- فلما يئس منه توجه إلى كسرى ، فقدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فشكى إليه أمره ، فقال له النعمان : ما كان سبب إخراج جدنا ربيعة بن نصر ١٥ إيانا عن أرض اليمن ، وإسكاننا بهذا المكان إلا لهذا الشأن فأفيم ، فإن لي وفادة في كل عام إلى الملك كسرى بن قبادز ، وقد حان ذلك ، فإذا خرجت أخرجتك معي ، واستأذنت لك ، وتشفعت لك إليه فيما قصدت له ، ففعل واستأذن ، وتشفّع ، فوجه كسرى بجيش ممن كان في السجون ، وأمر

(١) أنطاكية : مدينة غربي مدينة حلب بالإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة ، تبعد عنها بحوالي ٩٥ كم . وقد كانت مدينة عظيمة بنيت سنة ٣٠١ ق.م . وتأثرت على مرور الزمن بالزواول والحروب ، ولا تزال آثارها القديمة باقية .

عليهم رجلا منهم ، يقال له وَهْرَزُ بْنُ الْكَامَجَارِ ، وكان شيخا كبيرا ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان المعجم ، وأبطالها ، ومن أهل البيوتات والشرف ، وكان أخاف السبيل ، فخبسه كسرى .

فسار وهرز بأصحابه إلى الأُبُلَّة^(١) ، فركب منها البحر ، ومعه سيف بن ذى
 ٥ يزن ، حتى خرجوا بساحل عدن ، وبلغ الخبر مسروقا ، فسار إليهم ، فلما التقوا
 وتوافقوا للحرب أسرع له وهرز بنُشَابَةَ ، فرماه ، فلم يخطيء بين عينيه ،
 وخرجت من قفاهُ ، وَخَرَّ مَيِّتًا ، وانْفَضَّ جيشه ، ودخل وهرز صَنْعَاءَ ، وضبط
 اليمن ، وكتب إلى كسرى بالفتح ، فكتب إليه كسرى ، يأمره بقتل كل أسود
 باليمن ، وَبِتَمْلِيكَ سَيْفٍ عَلَيْهَا ، وبالإقبال إليه ، ففعل . وإن بقايا من السودان
 ١٠ قد كان سيف استبقاهم ، وَصَمَّهَمُ إِلَى نَفْسِهِ ، يَجْمِزُونَ^(٢) بين يديه إذا ركب ، شَدُّوا
 على سَيْفٍ يَوْمًا ، وهم بين يديه في موكبه ، فضربوه بحراهم حتى قتلوه .

[الفرس واليمن]

فردَّ كسرى وَهْرَزَ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ ، وأمره أَلَّا يَدَعَ بِهَا أَسْوَدَ وَلَا مِنْ ضَرَبَتْ
 فِيهِ السُّودَانُ إِلَّا قَتَلَهُ ، فأقام بها خمسة أحوال ، فلما أدركه الموت دعا بقَوْسِهِ
 ١٥ وَنُشَابَةَ ، ثُمَّ قَالَ : أَسْنِدُونِي ؛ ثُمَّ تَنَاوَلَ قَوْسَهُ ، فَرَمَى ، وَقَالَ : انْظُرُوا
 حَيْثُ وَقَعَتْ نُشَابَتِي ، فَأَبْنُوا لِي هُنَاكَ نَافِيسًا ، واجعلوني فيه ، فوقعت نُشَابَتُهُ
 مِنْ وَرَاءِ الْكَنِيسَةِ ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَكَانُ إِلَى الْيَوْمِ « مَقْبَرَةُ وَهْرَز » ؛ ثُمَّ وَجَّهَ
 كَسْرَى إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ بَادَانَ ، فلم يزل مَلِكًا عَلَيْهَا إِلَى أَنْ قَامَ الْإِسْلَامُ .

قالوا : وَكَانَ قُبَادَا عِنْدَمَا أَفْضَى إِلَيْهِ الْمَلِكُ حَدَّثَ السَّنَّ مِنْ أَبْنَاءِ خَمْسِ عَشْرَةِ
 ٢٠ سَنَةً ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ ، ذَكَى الْفُؤَادَ ، رَحِيبَ الدَّرَاعِ ، بَعِيدَ الْغَوْرِ ،
 فَوَلَّى شُوخَرَ أَمْرَ الْمَمْلَكَةِ ، فَاسْتَخَفَّ النَّاسُ بِقُبَادَا ، وَتَهَاوَنُوا بِهِ لِاسْتِيلَاءِ شُوخَرَ

(١) الأُبُلَّة : بلدة في رابوة الخليج العربي على شاطئ نهر دجلة . (٢) يعدون

على الأمر دونه ؛ فأغضى قُبَاذ على ذلك خمس سنين من مُلكه ، ثم أنف من ذلك ، فكتب إلى سَابُور الرَّازِيّ من ولد مِهْرَان الأكبر ، وكان عامله على بَابِل وخطَرَنِيَّة^(١) ، أن يقدم عليه فيمن معه من الجنود ، فلما قدم أفتى إليه ما في نفسه ، وأمره بقتل شُوخَر ، ففدا سَابُور على قُبَاذ ، فوجد شُوخَر عنده جالسا ، فشى نحو قُبَاذ مجاوزاً لشُوخَر ، فلم يَأْبَهُ له شُوخَر حتى أَوْهَمَهُ سَابُور ، فوقع الوَهَق^(٢) في عنقه ، ثم اجتَرَهُ حتى أخرجَه من المجلس ، فأنقله حديدا ، واستودعه السجن ، ثم أمر به قُبَاذ ، فقتل .

[الديانة المزدكية]

فلما مضى الملك قُبَاذ عشر سنين أتاه رجل من أهل اضطرخ ، يُقال له مَزْدَك ، فدعاه إلى دين المزدكية ، قال قُبَاذ إليها ، فغضبت الفُرس من ذلك غضباً شديداً ، ١٠ وهموا بقتل قُبَاذ ، فاعتذر إليهم ، فلم يقبلوا عذره ، وخلصوه من الملك ، وحبسوه في محبس ، ووكلوا به ، ومالكوهم جاماسيف بن فيروز أخا قُبَاذ .
وأن أخت قُبَاذ اندست لقُبَاذ حتى أخرجته بحيلة ، فسكت أياماً مُستخفياً إلى أن أمِنَ العَلَمَب ، ثم خرج في خمس نفر من ثِقَاتِهِ ، فيهم زَرْمِهَر بن شُوخَر نحو الهِيَاطِلَّة^(٣) ، يَسْتَنْصِرُ ملكها ، فأخذ طريق الأهواز ، فالتقى إلى أرمشير ، ١٥ ثم صار إلى قرية في حدّ الأهواز وأصهبان ، فنزلها متنكراً ، وكان نزوله عند دِهَقَانِهَا^(٤) ، فنظر قُبَاذ إلى بنت لصاحب منزله ، ذات جمال ، ف وقعت بقلبه ، فقال لَزَرْمِهَر بن شُوخَر : « إني قد هويت هذه الجارية ، و وقعت بقلبي ، فانطلق إلى أبيها ، فاخطبها عليّ ، ففعل » .

(١) خطيرة: بلد كانت بأرض بابل

(٢) الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة أو الإنسان ، والأنشودة كَأَنبُوبَة : عقدة يسهل

انحلالها .

(٣) هياطلة Houyatila اسم للادما وراء النهر .

(٤) الدهقان بالكسر والضم رعم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، وهو لفظ معرب .

فأرسل قُبَادَ إلى الجارية بخاتمه ، وجعل ذلك مهرها ؛ فهَيِّتْ وأَدْخِلَتْ عليه ، فخلا بها قباد ، وسُرَّ بها سروراً شديداً لما أَلْفَاها ذات عقل وجَمال وأدب وهيئة ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم أمرها بحفظ نفسها ؛ وخرج سائراً حتى ورد على صاحب المياطلة ، فشكا إليه صنيع رَعِيَّتِهِ به ، وسأله أن يَمُدَّهُ بجيش ليسترجع مُلْكَهُ ، فأجابته إلى ذلك ، وشرط عليه أن يُسَلِّمَ له حَيَزَ الصَّغَارِيَّانِ ، ووجهه معه ثلاثين ألف رجل .

فأقبل بهم يريد أخاه ، فأخذ على طريقه الذي شَخَّصَ فيه بديثاً حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة ، فنزل على أبيها ، وسأله عنها ، فأخبره أنها ولدت غلاماً ؛ فأمر بإدخالها عليه مع ابنها ، فدخلت ومعهما الغلام ، فابتهج به ، ورآه كأجمل ما يكون من الغلمان ، فسماه كسرى ؛ وهو كسرى أُنُو شَرَوَان الذي تَوَلَّى المُلْكَ من بعده ، فقال لِرَزْمِيْهِرَ : « اخرج ، فسَلْ لِي عن هذا الرجل أبي الجارية هل له قديم شرف ؟ » ، فسأل عنه ، فأخبر أنهم من ولد فَرِيدُون المَلِكِ ، ففرح بذلك قباد ، وأمر بالجارية وابنها ، فَحُمِلَا معه .

ولما انتهى إلى مدينة طَيْسَفُون تَلَاوَمَتِ المعجم فيما بينها ، وقالوا : « إِنَّ قُبَادَ تَنَصَّلَ إلينا من شأن مَرَدِّكَ ، ورجع عما كُنَّا اتهمناه ، فلم نقبل ذلك منه ؛ وظلمناه حقه ، وأسأنا إليه » ، فخرجوا إليه جميعاً ، وفيهم « جاماسيف » أخوه الذي مَلِكُوهُ ، فاعتذروا إليه ، فقبل ذلك منهم ، وَصَفَحَ عن أخيه جاماسيف ، وغنمهم ؛ وأقبل فدخل قصر الملكة ، وَوَصَلَ الجيش الذي أقبل بهم ، وَأَجَازَهُمْ ، وأحسن إليهم ، وردَّهم إلى مَلِكِهِمْ ، وأمر بالجارية ، فَأُنْزِلَتْ في أفضل مساكنه .

ثم إن قُبَادَ تجهَّز وسار في جنوده ، غزياً بلاد الروم ، فافتتح مدينة آمُد وميافارقين ، وسبى أهلها ، وأمر فَبْنِيَتْ لهم مدينة فيما بين فارس والأهواز ، فأسكنهم فيها ، وسمّاها إِرْقُبَادَ ، وهي أستان الأعلى ، وجعل لها أربعة طَسَاسِيْجَ : طَسُوجَ^(١) الأنبار ، وكان منها هَيْتٌ وعانات^(٢) ، فضمَّها يزيد بن معاوية حين ملك

(١) الطسوح : هو الناحية . (٢) بلدان بأرض العراق .

إلى الحزيرة ؛ وطشوج بادوريتا ؛ وطشوج مسكن ، وكور كورة بهقباد الأوسط ، وبهقباد الأسفل ، وضم إليها ثمانية طساسيج ، لكل كورة أربعة طساسيج ، وهى الآستانات^(١) ، وشق كورة^(٢) أصهان كورتين ، شق جى ، وشق التيمرة^(٣) .

- ٥ وكان لقباذ عدة من الأولاد ، لم يكن فيهم آثر عنده من كسرى ، لاجتماع الشرف فيه ، غير أنه كان به ظنة ، أى سىء الظن ، فلم يكن قباذ يحمد عليها ، فقال له ذات يوم : « يا بُنى قد كملت فيك الخصال التى هى جماع أمور الملك ، غير أن بك ظنة ، وإن الظنة فى غير موضعها داعية الأوزار ، ومُخِبطة للأعمال » فاعتذر كسرى إلى أبيه مما وقع فى قلبه من ذلك ، واستصلىح نفسه عنده .

١٠ [كسرى أنوشروان]

فلما أتى للملك قباذ ثلاث وأربعون سنة حَضَرَهُ الموت ، ففَوَّضَ الأمر إلى ابنه ، وهو أنوشروان^(٤) ، فملك بعد أبيه ، وأمر بطلب « مَزْدَك بن مَارْيَار » الذى رَينَ للناس ركوب المحارم ، فخرَّضَ بذلك السُّفْلَ على ارتكاب السيئات ، وسَهَّلَ لِلنَّصَبَةِ الغَضَبَ ، وَلِلظُّلْمَةِ الظُّلْمَ ، فَطُلِبَ حَتَّى وُجِدَ ، فَأُمِرَ بِقَتْلِهِ وَصَلَبِهِ ، وَقَتَلَ مَنْ كَانَ فِي مِلَّتِهِ .

١٥

ثم قسم كسرى أنوشروان المملكة أربعة أرباع ، وولى كل رُبْع رجلاً من ثِقَاتِهِ ، فأُحد الأرباع : خراسان ، وسجستان ، وكُرْمَان ، والثانى : أصهان ، وقم ، والجبل ، وأذربيجان ، وأرمينية ، والثالث : فارس ، والأهواز إلى البحرين ، والرابع : العراق إلى حد مملكة الروم . وبلغ كل رجل من هؤلاء الأربعة غاية الشرف والكرامة .

٢٠

(١) جمع أستان وهو أربع الكور .

(٢) الكورة : هى المدينة الكبيرة أو الصقع .

(٣) جى وتيمرة قريتان بأصهان . (٤) Nouschirwan

ووجه الجيوش إلى بلاد الهياطلة ، وافتتح تخارستان وزابلستان^(١) ، وكابلستان والصغانيان .

وأن ملك الترك سينجبو خافان جمع إليه أهل المملكة ، واستعد ، وسار نحو أرض خراسان حتى غلبا على الشاش^(٢) ، وفرغانة ، وسمرقند ، وكش^(٣) ونسف^(٤) ، وانتهى إلى بخارى .

وبلغ ذلك كسرى ، فمقد لابنه هرمز ، الذي ملك من بعده ، على جيش كثيف ، ووجهه لمحاربة خاقان التركي ، فسار حتى إذا قرب منه خلى ما كان غلب عليه ، ولحق ببلاده ؛ فكتب كسرى إلى ابنه هرمز بالانصراف .

[دولتا الفرس والروم في عهد كسرى]

١٠ قالوا : وإن خالد بن جبلة النساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا منذرين ، ونعمانين ؛ فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنوشروان ، وكانوا عمال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر إلى كسرى أنوشروان يخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة .

١٥ فكتب كسرى إلى قيصر : أن يأمر خالدًا بإقادة المنذر [من]^(٥) قتل من أصحابه ، ورد ما أخذ من أمواله ، فلم يحفل قيصر بكتابه ، فتجهز كسرى لمحاربته ، فسار حتى أوغل في بلاد الجزيرة ، وكانت إذ ذاك في يد الروم ، فاخترى على مدينة

(١) زابلستان : خطة واقعة جنوب أفغانستان وشمال بلوچستان ، وكانت عاصمة بكابلستان وخراسان وسيستان وسند ، ومن مدنها غزنة ، وهي إقليم جميل كثير المياه ، وأهله مشهورون بالشجاعة .

(٢) مدينة بالقرب من فرغانة ؛ وتقع على مجرى نهر سيجون .

(٣) قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان ، تقع على جبل ، وهي مسقط رأس تيمورلنك .

(٤) سم : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، لها أربعة أبواب ، وهي على مدرج بخارى

ولبح ، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش ، وبينها وبين جيحون مفازه لاجبل فيها ، ولها

نهر واحد يجري في وسط المدينة . (٥) في الأصل : ما .

دَارَا^(١) ومدينة الرِّهّا^(٢) ومدينة قَنَسْرِين^(٣) ومدينة مَنبِيج^(٤) ومدينة حَاب حتى انتهى إلى أنطاكِية ، فأخذها ؛ وكانت أعظم مدينة في الشام والجزيرة ، وسبى أهل أنطاكِية ، وحملهم إلى العراق ، وأمر ، فَبُنِيَتْ لهم مدينة إلى جانب طَيْسَفُون ، على بناء مدينة أنطاكِية ، بِأَزَقَّتْهَا ، وشوارعها ، ودورها ، لا يغادر منها شيئاً ، وسمّاها « زَبْرُخُسُرُو » وهي المدينة التي إلى جانب المدائن ، تسمى الرُّومِيَّة ، ثم سُرِّحُوا فيها ، فانتقل كل إنسان منها إلى مثل داره بمدينة أنطاكِية ، وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز ، يقال له يَزْدَفَنَّا .

وأن قيصر كتب إلى كسرى يسأله الصلح ، ورد ما احتوى عليه من هذه المدن ، على أن يؤدي إليه ضريبة موظفة عليه في كل عام وكره كسرى البَغْيَ ، فأجابه إلى ما بذل ، ووكل بقبضه وتوجيهه إليه في كل عام شَرَوِين الدَّسْتَبَاي ، فأقام مع ملك الروم هناك ومعه « خُرَّين » مملوكه المشهور الخبر ؛ وكان نجدا فارسا بطالا . ولما قفل كسرى منصرفاً من أرض الشام أصابه مرض شديد ، فمال إلى مدينة حمص ، فأقام بها في جنوده إلى أن تماثل ، فكان قيصر يحمل إليه كفاية عسكره إلى أن شُخِصَ .

قالوا : وكان لكسرى أنوشروان ابن يسمى أنوش زاذ ، كانت أمه نصرانية ، ذات جمال ، وكان كسرى مُعْجَباً بها ، وأرادها على ترك النصرانية ولدخول

(١) كان موقعها في أرض الجزيرة بين نصيبين وماردين ، ويقال لأنها بنيت بعد علبة دارا على الإسكندر ، وقد فتحها الروم واتخذوها مركزاً هاماً ضد الإيران ، ويذكر ابن بطوطة في رحلته « أنه رآها ، وهي تحوى منازل بيضاء وبها قلعة » ويوجد بجوار خرابها وآثارها اليوم قرية صغيرة .

(٢) مدينة ذات مياه جارية كثيرة ، تقع على بعد ١٩٠ كم شمال شرق حلب ، ١٤٥ كم جنوب غرب ديار بكر .

(٣) مدينة قديمة على بعد ٢٥ كم جنوب غرب الشام ، وقد فتحت على يد أبي عبيدة الجراح سنة ٨١٧ هـ ، وخربت أيام سيف الدولة بن حمدان في القرن الرابع .

(٤) مدينة في الإقليم الشمالي (سوريا) شمال شرق حلب ، حكمها الشاعر أبو فراس الحمداني ، وفيها أسره الروم .

في المجوسية، فأبت، فَوْرِثَ ذلك منها ابنها أنوش زاذ، وخالف أباه في الديانة، فغضب عليه، وأمر بحبسه في مدينة جُنْدَيْسَابُور.

- فلما غزا كسرى بلاد الشام بلغ أنوش زاذ مرضه ومقامه بجمص، استنقوى أهل الجنس، وبثَّ رسله في نصارى جُنْدَيْسَابُور، وسائر كُور الأهواز، وكسر السجن، وخرج، واجتمع إليه أولئك النصارى، فطرد عُمَّالَ أبيه من كور الأهواز، واحتوى على الأموال، وأشاع بموت أبيه، وتهيباً للمسير نحو العراق.
- وكتب خليفته بمدينة طَيْسَفُون يُعلمه خبر ابنه، وما خرج إليه، فكتب إليه كسرى: « وَجَّهْ إليه الجنود، وأَكْشِفْ في حربه، واحتل لأخذه، فإن يأت القضاء عليه، فيقتل، فأهونُ دمٍ، وأضيقُ نفس؛ واللَّيْبُ يعلم أن الدنيا لا يخلص صَفْوُها، ولا يدوم عَفْوُها، ولو كان شيء يسلم من شائبة إذن اسكان الغيِّث الذي يُحيي الأرض الميتة، واسكان النهار الذي يأتي الناس رُقُودًا فيبيهم، وعمياً فيضيء لهم؛ فكم مع ذلك من مُتَأَذِّرٍ بالغَيْثِ ومُتَدَاعٍ عليه من البُنيان، وكم في سُيُولِهِ وِبرُوقِهِ من هَالِكٍ، وكم في هَواجِرِ النهار من ضرر وفساد؛ فاستأصل الثَّوْلُولُ^(١) الذي نجم بِحَدِّكَ، ولا يَهْوِلَنَّكَ كثرة القوم، فليست لهم شَوْكَة تَبْقَى، وكيف تَبْقَى النَّصَارَى وفي دينهم: أن الرَّجُلَ منهم إن لُطِمَ حَدُّهُ الأيسر أَمَكَنَّ من الأيمن؟!؛ فإن استسلم أنوش زاذ وأصحابه فَرْدٌ مَنْ كان منهم في الحابس إلى محابسهم، ولا تَزِدْهم على ما كانوا فيه من ضيقٍ ونَقْصٍ الطَّعْمِ والملبس، وَمَنْ كان منهم من الأسَاوِرَةِ^(٢) فاضرب عنقه، ولا يكن منك عليهم رَأْفَةٌ، وَمَنْ كان منهم من سِيفِ الناس وأَوْغَادِهِمْ، فَخَلَّ سَبِيلَهُمْ، ولا تعرض لهم؛ وقد فهمت ما ذكرت مما كان منك في نكال القوم الذين أظهرُوا شَتَمَ أنوش زاذ، وذكرُوا أُمَّه، فاعلم أن أولئك ذُووُ أَحْقَادٍ كَامِنَةٍ وعداوة باطِنَةٍ، فجعلوا شَتَمَ

(١) الثَّوْلُولُ بالضم: حلة الثدى، وقد استعير للدلالة على ضالة الشأن وصغر الهمة.

(٢) القادة والرماة.

أنوش زاذ ذَرِيعَةً لَشْتَمْنَا ، وَمَرْفَأَةً إِلَى ذِكْرِنَا ، وَقَدْ وُقِّتَ فِي تَأْدِيكِ إِيَّاهُمْ ،
فَلَا تُرَخِّصْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ مَقَالَتِهِمْ ، وَالسَّلَامُ » .

ثم إن كسرى عُوِيَ من مرضه ، فأنصرف في جنوده إلى دار مُلْكِهِ ، وَقَدْ
أَخَذَ ابْنَهُ أَنْوَشَ زَادَ أُسِيرًا ، وَانْتَهَى فِيهِ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ .

[الخراج في عهد كسرى]

٥

قالوا : وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غلات الأَرْضِينَ شيئاً معروفاً من
المقاسمات : النصف ، والثلث ، والرابع ، والخمس إلى العشر ، على قدر قُرْبِ الضِّيَاعِ
من المدن ، وعلى حسب الزكاء والرَّيْعِ ، فَهَمَّ قُبَاذُ بِإِسْقَاطِ ذَلِكَ ، وَوَضَعَ الْخَرَاجَ ،
فَاتَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَمَّ الْمَسَاحَةَ ، فَأَمَرَ كَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ بِاسْتِمَائِهَا .

- ١٠ فلما فرغ منها أمر السُّكَّتَابَ ففَصَّلُوهَا ، وَوَضَعُوا عَلَيْهَا الْوُضَائِعَ ، وَوُظِّفَ
الْجُزْيَةُ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ ، وَأَسْقَطَهَا عَنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ وَالْمَرَازِبَةِ ^(١) وَالْأَسَاوِرَةِ ^(٢)
وَالسُّكَّتَابَ ، وَمَنْ كَانَ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يُلْزَمْ أَحَدًا لَمْ يَأْتْ لَهُ عَشْرُونَ سَنَةً ،
أَوْ جِازَ الْخَمْسِينَ . وَكُتِبَ تِلْكَ الْوُضَائِعُ فِي ثَلَاثِ نَسَخٍ ، نَسْخَةٌ خَلَّدَهَا دِيْوَانُهُ ،
وَنَسْخَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَى دِيْوَانِ الْخَرَاجِ ، وَنَسْخَةٌ دُفِعَتْ إِلَى الْقَضَاءِ فِي الْكُورِ ،
لِيَمْنَعُوا الْعُمَالُ مِنْ اعْتِدَاءِ مَا فِي الدُّسْتُورِ الَّذِي عِنْدَهُمْ ؛ وَأَمَرَ أَنْ يُجَبَّى الْخَرَاجُ
١٥ فِي ثَلَاثَةِ أَنْجُمٍ ^(٣) ، وَسَمِيَ الدَّارُ الَّتِي يُجَبَّى فِيهَا ذَلِكَ « سَرَايَ شَمَرَّة » ، وَتَفْسِيرُهُ
دَارُ الثَّلَاثَةِ الْأَنْجُمِ ، وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ بِالشَّمَرَجِ الْيَوْمَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ
غَيْرَ هَذَا ، أَيْ إِنَّمَا هِيَ دَارُ الْحِسَابِ ، وَالْحِسَابُ شَمَرَّةٌ ، وَهَذَا كَلَامٌ مَعْرُوفٌ
فِي لُغَةِ فَارَسَ إِلَى الْيَوْمِ ، يَسْمَوْنَ الْخَرَاجَ الشَّمَرَّةَ بِالشَّيْنِ عَلَى مَعْنَى الْحِسَابِ ، وَرَفَعَ
خَرَاجَ الرُّعُوسِ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالزَّمْنَى ، وَكَذَلِكَ خَرَاجَ الْغَلَّاتِ ، وَرَفَعَهُ عَمَّا نَالَتهُ
- ٢٠

(١) رؤساء الفرس . (٢) قواد الفرس ومخيدو الرى بالسهم .

(٣) أوقات مضروبة ، والمفرد نجم .

الآفة على قدر ما أصاب منها ، ووكل بكل ذلك قومًا ثقاتنا ، ذوى عدالة ،
ينفذونه ، ويحملون الناس منه على النصفة .

ولم يكن فى ملوك المعجم ملك كان أجمع لفنون الأدب والحكم ، ولا أطلب
للعلم منه ، وكان يقرب أهل الآداب والحكمة ، ويعرف لهم فضلهم ، وكان أكبر
علماء عصره بُزْجُمَهْر بن البختكان ، وكان من حكماء المعجم وعقلائهم ، وكان
كسرى يُفضله على وزرائه وعلماء دهره . ٥

وكان كسرى ولى رجلا من الكتّاب نبيا مرفوعا بالعقل والكفاية ، يُقال له
بابك بن النهروان، ديوان الجند ؛ فقال لكسرى : « أيها الملك ، إنك قد قلّدتنى
أمرا ، من صلاحه أن تحتمل لى بعض الغلظة فى الأمور : عرض الجنود فى كل
أربعة أشهر ، وأخذ كل طبقة بكمال آلاتها ، ومحاسبة المؤدّين على ما يأخذون
على تأديب الرجال بالفروسيّة والرّمى ، والنظر فى مبالغتهم فى ذلك وتقصيرهم ؛
فإنّ ذلك ذريعة إلى إجراء السياسة بحاربيها . ١٠

فقال كسرى : ما المُجَاب بما قال بأخطى من المُجيب ، لا اشتراكهما فى
فضله ، وانفراد المُجيب بعدد الراحة ، فحقّ مقاتلتك ؛ وأمر ، فُبَيِّنَتْ له فى موضع
العرض مضطبة^(١) ، وبُسطَ له عليها الفرش الفاخرة ؛ ثم جلس ، ونادى
مُنَادِيه : لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر العرض ، فاجتمعوا ، ولم ير كسرى
فيهم ، فأمرهم ، فانصرفوا . وفعل ذلك فى اليوم الثانى ، ولم ير كسرى
فانصرفوا ؛ فنادى فى اليوم الثالث : أيها الناس ، لا يتخلّفن من المقاتلة أحد ،
ولا من أكرم بالتاج والسرير ، فإنه عرض لا رخصة فيه ولا محابة . ١٥

وبلغ كسرى ذلك ، فتسلّح سلاحه ، ثم ركب فاعترض على بابك ، وكان ٢٠

(١) مرتفع يقعد عليه .

الذى يؤخذ به الفارسُ تَجْفَافًا^(١) ، وِدِرْعًا وَجَوْشَنًا^(٢) ، وَبَيْضَةً ، وَمِغْفَرًا^(٣) وساعدتين ، وساقين ، ورُحْمًا ، وَتُرْسًا ، وَجُرْزًا^(٤) ، يُلْزِمُهُ مِنْطَقَتُهُ ، وَطَبْرَزِينَا وعمودا ، وَجُمْبَةً فِيهَا قَوْسَانِ بَوْرِيهِمَا ، وَثَلَاثِينَ نَشَابَةً ، وَوَتْرَيْنِ مَلْفُوفَيْنِ ، يَمْلَقُهُمَا الفارسُ فِي مِغْفَرِهِ ظَهْرِيًّا ؛ فَاعْتَرَضَ كَسْرَى عَلَى بَابِكَ بِسِلَاحٍ تَامٍ ، خِلَا الْوَتْرَيْنِ اللّٰذَيْنِ يُسْتَتْظَرُّ بِهِمَا ، فَلَمْ يَجْزِ بَابَكَ عَلَى اسْمِهِ ، فَذَكَرَ كَسْرَى الْوَتْرَيْنِ ، فَعَلَقَهُمَا فِي مِغْفَرِهِ ، وَاعْتَرَضَ عَلَى بَابِكَ فَأَجَازَ عَلَى اسْمِهِ ، وَقَالَ : لَسِيدَ الْكِمَاةِ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَدِرْهَمٌ .^٥ وَكَانَ أَكْثَرُ مِنْ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ ، أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَفَضَّلَ كَسْرَى بِدِرْهَمٍ ، فَلَمَّا قَامَ بَابَكَ مِنْ مَجْلِسِهِ دَخَلَ عَلَى كَسْرَى ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَا تَلْمِزْنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ إِغْلَظِي ، فَمَا أَرَدْتُ بِهِ إِلَّا الدَّرْبَةَ لِلْمَعْدِلَةِ وَالْإِنْصَافِ ، وَحَسَمَ الْحَبَابَةَ .

١٠

قال كسرى : « مَا غَلِظَ عَلَيْنَا أَحَدٌ فِيمَا يَرِيدُ بِهِ إِقَامَةَ أَوْدِنَا أَوْ صَلَاحَ مُلْكِنَا إِلَّا احْتَمَلْنَا لَهُ غَلِظَتَهُ كَاحْتِمَالِ الرَّجُلِ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ مَنَفَعَتِهِ » .

قالوا : وَكَانَتْ كَسْكَرُ كَوْرَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَزَادَ كَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ فِيهَا مِنْ كَوْرَةِ بَهْرَسِيرٍ وَكَوْرَةِ هُرْمِزْدُخْرَهَ ، وَكَوْرَةِ مَيْسَانَ ، فَوَسَّعَهَا بِذَلِكَ ، وَجَعَلَهَا طَسُوجِيْنَ^(٥) ، طَسُوجَ جُنْدَيْسَابُورَ ، وَطَسُوجَ الرَّنْدَوَرْدِ ؛ وَكَوْرَ بِجُوحَى كَوْرَةِ خِسْرُومَاهُ ، وَجَعَلَ لَهَا سِتَّةَ طَسَاسِيَجٍ ، طَسُوجَ طَيْسَفُونِ ، وَهِيَ الْمَدَائِنُ ، وَطَيْسَفُونُ قَرْيَةٌ عَلَى دَجَلَةٍ أَسْفَلَ مِنْ قَبَابِ مُحَمَّدٍ بِثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ ، يُقَالُ لَهَا بِالنَّبَطِيَّةِ طَيْسَفُونَجٍ ، وَطَسُوجَ جَازِرَ ، وَطَسُوجَ كَلَوَازَى ، وَطَسُوجَ نَهْرِ بُوقَ ، وَطَسُوجَ جَلُولَاءَ ، وَطَسُوجَ نَهْرِ الْمَلِكِ .

٢٠

(١) التجفاف بالكسر : آلة للحرب ، يلبسه الفرس والإنسان ليقيه .

(٢) الصدر يدرع به في الحرب .

(٣) المغفر — كمنبر — زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع بها المتسلح .

(٤) عمود من حديد . (٥) الطسوج لفظ فارسي معرب ، معناه ، الناحية .

[تاريخ المعجم والتاريخ النبوى]

وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ مُلْكِ أَنْوَشَرَوَانَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ بُعِثَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ مِنْهَا سَبْعَ سِنِينَ بَقِيَتْ مِنْ مُلْكِ أَنْوَشَرَوَانَ ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَلِكُهَا هُرْمُزُ بْنُ كَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ ، وَبُعِثَ وَقَدْ مَضَى مِنْ مُلْكِ كَسْرَى أَبْرُوزُ سِتْ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ فِي نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى عِثْرَتِهِ^(١) ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ مَضَى مِنْ مُلْكِ أَبْرُوزِ تِسْعَ وَعَشْرُونَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشَرَ سِنِينَ ؛ وَتَوَفَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا بَعْدَ مَوْتِ كَسْرَى أَبْرُوزِ ، فَكَانَ عَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَسِتِينَ سَنَةً .

وَزَعَمُوا أَنْ بَنَاتِ آوَى ظَهَرَتْ بِالْمَعْرَاقِ فِي آخِرِ مُلْكِ أَنْوَشَرَوَانَ ، وَكَانَتْ سَقَطَتْ إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْأَتْرَاكِ ، وَاسْتَفْظَعَ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَتَمَجَّبُوا مِنْهُ ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ كَسْرَى فَقَالَ لِلْمُؤَبِّذِ^(٢) : « قَدْ كَثُرَ تَمَجُّبِي مِنْ هَذِهِ السَّبَاعِ الَّتِي غَزَتْ أَرْضَنَا » فَقَالَ الْمُؤَبِّذُ : « بَلَّغْنِي أَيْهَا الْمَلِكُ فِيمَا يُؤَثِّرُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ ، أَنْ كُلَّ أَرْضٍ يَغْلِبُ جُورُهَا عَدْلُهَا تَفْزُوهَا السَّبَاعُ » . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ارْتَابَ بِسِيرَةِ عُمَّالِهِ ، فَوَجَّهَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَمَنَائِهِ الَّذِينَ لَا يَسْكُتُونَ شَيْئًا إِلَى آفَاقِ مَمْلَكَتِهِ مُتَسَكِّرِينَ ، لَا يُعْرِفُونَ ؛ فَانْصَرَفُوا ، فَأَخْبَرُوهُ عَنْ سُوءِ سِيرَةِ عُمَّالِهِ مَا غَمَّهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى تِسْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، ذُكِرُوا بِسُوءِ السَّيْرِ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ؛ فَضَبِطَ عُمَّالَهُ أَنْفُسَهُمْ ، وَلِزَمُوا عَدْلَ السَّيْرِ .

[ملك هرمزد]

وَكَانَ لَكَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ عِدَّةٌ بَنِينَ ، وَكَانُوا جَمِيعًا أَوْلَادَ سُوقَةَ وَإِمَاءَ إِلَّا ابْنَهُ هُرْمُزْدُ بْنُ كَسْرَى الَّذِي مَلَكَ بَعْدَهُ ، فَإِنْ أُمُّهُ كَانَتْ ابْنَةً خَافَانَ التُّرْكَ ، وَأُمُّ أُمِّهِ

(١) العترة : نسل الرجل ورهطه ، وعشيرته الأذنون ممن مضى وغبر.

(٢) المؤبذ أو المؤبذان هو الحكيم من الفرس .

خاتون الملكة ، فعزم أبوه على تملكه من بعده ، فوضع عليه عيوننا ، يأتونه بأخباره ، فكان يأتيه عنه ما يحبه ، فكتب له عهدا ، واستودعه رئيس نساكهم في دينهم ، فلما تم للملك ثمان وأربعون سنة مات .

- فلما مات أنوشيروان ملك ابنه هُرْمُزْد بن كسرى ، فقال يوم مَلَكَ : « الْحِلْمُ عِمَادُ الْمُلْكِ ، والمقلِّ عِمَادُ الدِّينِ ، والرِّفْقُ مَلَاكُ الْأَمْرِ ، وَالْمِطْنَةُ مَلَاكُ الْفِكْرَةِ ، أيها الناس ، إن الله خَصَّنَا بِالْمُلْكِ ، وَعَمَّكُم بِالْعِبَادِيَّةِ ، وَكَرَّمَكُمْ بِمُلْكِنَا فَأَعْتَقَكُمْ بِهَا ، وَأَعَزَّنَا ، وَأَعَزَّكُمْ بِعِزَّنَا ، وَقَلَّدَنَا الْحُكُومَةَ فَبِكُمْ ، وَأَلْزَمَكُمْ الْإِنْقِيَادَ لِأَمْرِنَا ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِرْقَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا أَهْلُ قُوَّةٍ ، وَالْأُخْرَى أَهْلُ ضِعَّةٍ ، فَلَا يَسْتَأْ كُلُّ مَنْكُمْ قُوَّةً ضَعِيفًا ، وَلَا يَغْنَسُنَّ ضَعِيفٌ قُوَّةً ، وَلَا تَتَوَقَّنَ نَفْسُ أَحَدٍ مِنَ الْغَلْبَةِ إِلَى ضَيْمِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الضُّعَّةِ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ وَهْنًا لِمَلَكِنَا ، وَلَا يَرُومَنَّ أَهْلُ مِنْ أَهْلِ الضُّعَّةِ الْأَخْذَ بِأَخْذِ الْغَلْبَةِ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ انْتِثَارَ مَانِحِبِ نِظَامِهِ وَزَوَالَ مَا نَحْوَالِ قَوَامِهِ ، وَفُوتَ مَا نَحْوَالِ دَرْكِهِ ، وَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْ مِنْ سَوْسِنَا الْعُطْفَ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ مِنَ الْغَلْبَةِ ، وَرَفَعَ مَرَاتِبَهُمْ ، وَالرَّحْمَةَ عَلَى الضَّعَفَاءِ ، وَالذَّبَّ عَنْهُمْ ، وَحَسَمَ الْأَقْوِيَاءِ عَنْ ظُلْمِهِمْ وَالتَّمَدُّدَ عَلَيْهِمْ ؛ وَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ حَاجَتَكُمْ إِلَيْنَا فِي نَفْسِ حَاجَتِنَا إِلَيْكُمْ ، وَحَاجَتِنَا إِلَيْكُمْ هِيَ مَسَدٌ لِحَاجَتِكُمْ إِلَيْنَا ، وَأَنْ الثَّقِيلَ مِمَّا أَنْتُمْ مُنْزَلُوهُ بَنَّا مِنْ أُمُورِكُمْ عِنْدَنَا خَفِيفٌ ، وَالْخَفِيفَ مِمَّا نَحْنُ مُجَبِّشُونَكُمْ ثَقِيلٌ لِمَجْزَكُمْ عَمَّا نَحْنُ مُضْطَلَعُونَ بِهِ ، وَاضْطَلَعْنَا لِمَا أَنْتُمْ عَنْهُ عَاجِزُونَ ، وَإِنَّمَا تَحْمَدُونَ حَسْنَ مَلَكِنَا إِيَّاكُمْ ، وَفَضْلَ سِيرَتِنَا فَبِكُمْ إِذَا حَسَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَمَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْهُ ، وَلِزِمْتُمْ مَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ .

- أيها الناس ، مَيَّأُوا بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَلَا تُسَمِّوْا النَّسْكَ رِيَاءً ، وَلَا الرِّيَاءَ مِرَاقِبَةً ، وَلَا الشَّرَارَةَ شَجَاعَةً ، وَلَا الظُّلْمَ حِزْمًا ، وَلَا رَحْمَةَ اللَّهِ نَقْمَةً ، وَلَا مُخَوِّفَ الْفُوتِ هُوَيْنًا ، وَلَا الْبِرَّ بِالْقَرْبَى مَلَقًا ، وَلَا الْعُقُوقَ مَوْجِدَةً ، وَلَا الشُّكَّ اسْتِبْرَاءً ، وَلَا الْإِنْصَافَ ضَعْفًا ، وَلَا الْكِرَمَ مَعْجَزَةً ، وَلَا التَّبَرُّمَ عَادَةً ، وَلَا الْأَخْذَ

بالفضل ذُّلاً ، ولا الأدب عقلاً ، ولا العَماية غَفْلَةً ، ولا القَدْر ضرورة ، ولا
 النَزَاهة تَضِييماً ، ولا التَّصَنُّع عفاً ، ولا الوَرَعَ رَهْبَةً ، ولا الحذر جُبْناً ، ولا
 الشَّرَّ اجْتِهَاداً ، ولا الجِنَاية غنماً ، ولا القصد تَقْتِيراً ، ولا البُخْل اقتصاداً ،
 ولا السَّرَفَ تَوْشَعاً ، ولا السَّخَاءَ سرفاً ، ولا الصِّلَفَ بُعْدَ همة ، ولا النُّبْلَ صِلَفاً ،
 ٥ ولا البَذْخَ تجلداً ، ولا الحِرْمان استحقاقاً ، ولا رفع الأندال صديعة ، ولا المجون
 ظرفاً ، ولا التَّخَلُّفَ ثبُتاً ، ولا الثَّبُتُ بلاداً ، ولا النَّمِيمَةَ وسيلة ، ولا السَّماية
 دَرَكاً ، ولا اللِّينَ ضعفاً ، ولا الفُحْشَ انتصافاً ، ولا الهَذَرَ ^(١) بلاغة ، ولا البلاغة
 تَفْقِيماً ^(٢) ، ولا الميل في هوى الأشرار شكراً ، ولا المَذَاهنة مُوَاتاة ، ولا الإعانة
 على الظلم حِفَاظاً . ولا الزَّهْوَ مروءة ، ولا اللهو فكاكة ، ولا الحيف استقصاء ،
 ١٠ ولا الاستطالة عزاً ، ولا حسن الظن تفريطاً ، ولا إبطاء العُشوة نصيحة ، ولا
 الغش كَيْساً ، ولا الرياء تعطفاً ، ولا التواني تَوَدَّةً ، ولا الحياء مهابة ، ولا السفه
 صرامة ، ولا الدَّغْلَ ^(٣) استقامة ، ولا البغى استماذة ، ولا الحسد شفاء ، ولا
 العُجب كِلالاً ، ولا الفتك حَمِيَّةً ، ولا الحقد مكرمة ، ولا الضيق احتياطاً ، ولا التمسف
 انكشافاً ، ولا النَّزَقَ تيقظاً ، ولا الأدب حِرْفَةً ، ولا الماتبة مفايدة ، ولا بُعْدُ القَدْر
 ١٥ سُتُوماً ، ولا مجارى التقادير أسباب الذنوب ، ولا ما لا يكون كائناً ، ولا كائناً ما لا يكون .
 اجتنبوا المردولات من هذه الأمور المتشابهات ، وثابروا على ما تحفظون به
 عندنا ، فإن وقوفكم عند أمرنا مَنجاةٌ لكم من سخطنا ، وتنسكبكم معصيتنا
 سلامة لكم من عقابنا ، فأما العدل الذى نحن عليه مقتصرون ، وبه نصلح
 وتصلحون ، فأنتم فيه عندنا مُسْتَوُونَ ، ستمرفون ذلك إذا قَمَعْنَا أهل القوة عن
 ٢٠ أهل الضَّعْفَ ، وتولَّيْنَا بأنفسنا أمر المضطهدين الملهوفين ، وأخضعنا أهل الضَّعَّةِ
 لأهل المُلَا بإزالنا إياهم منازلهم ، ورددنا مَنْ رام من أهل الضَّعَّةِ مرتبة
 لا يستوجبها إلا المستحقون منهم الحَبَاءَ والشرف لنجدة توجد عنده ، أو
 بلاء حسن يظهر منه .

(١) سقط الكلام . (٢) التشديق في الكلام . (٣) الدخول في الأمور بما يفسدها .

- واعلموا أيها الناس ، أننا فارقون بين سَوَطينا وسيفنا ، ومستعملوها بتثبث وحُسن روية ، فمن غَمِطَ نعمتنا وخالف أمرنا ، وحاول ما نهيناه عنه ؛ فإننا لا نكاد نصلح رعايانا ، ونضبط أمورنا إلا بتنكيل من خالف أمرنا ، وتمدّى سيرتنا ، وسمى في فساد سلطاننا ، ولا يطمعن أحد في رُخْصَة منا ، ولا يَرْجُونَ هَوَادَة عندنا ، فإننا غير مُدَاهنين في حق الله الذي قلّدنا ، فوطّئوا
- أنفسكم على إحدى خلتين : إما استقامة بما تصلحون ، وإما مخافة على ما تتلفون ، فإن الصلاح حجّتان معتدّان لكم عندنا من تدبير ملكنا ، وضبطنا سلطاننا ، فلا تستصغروا وعيدنا ، وتهذّبنا ، ولا تحسبوا أن فعلنا يُقْصُر عن قولنا ، وإنما أحببنا أن نعلمكم رأينا في اجتناب الرُخْص والمُحَابَاة ، وحرصنا على الاعتذار قبل الإيقاع ، والأخذ بقصد السيرة والعدل في الرعية ،
- ١٠ واختيار طاعتكم التي بها تكون ألفتكم واستقامتكم ، فثقوا بما بدأنا به من وعد ، وخافوا ما أظهرنا من وعيد ، ونحن نسأل الله أن يعصمكم من استدراج الشيطان وضلاله ، وأن يُسَدِّدَكم لما يقرب من طاعته ، وبلوغ مرضاته ، والسلام عليكم .
- ١٥ فلما سمع الناس ذلك تباشر به الضمفاء وأهل الضمة ، وفَتَّ ذلك في أَعْضَادِ الْعِلِيَّةِ وساءهم ، فتنكبوا ما كانوا فيه من الاستطالة على الضمفاء ، والقهر لأهل الضمة ،
- وكان هرمزد ملكا متحرّيا لحسن السيرة ، مثابرا على استصلاح الرعية ، رَحِيما بِالضُمَفَاءِ ، شديداً على الأقوياء ، وبلغ من عدله وتحرّيه الحق أنه كان يسير في كل عام إلى أرض الماهين^(١) . فيصيف بها ، وكان يأمر عند مسيره إليها
- ٢٠ مُنَادِيه ، فَيُنَادِي في عسكره أن يتحاموا بالإضرار بالدّهاقين^(٢) ، ويوكل بتمهيد ذلك ومعاقبة من تمدّى أمره فيه رجلا من رُفَقائه .

(١) الماهان : الدينور ونهاوند ، إحداهما الكوفة ، والأخرى ماه البصرة .

(٢) الدهاقين جمع دهقان وهو المزارع أو الفلاح .

وكان ابنه كسرى الذى ملك من بعده ، ويسمى أبرويز ، معه فى مسيره ،
فمار^(١) ذات يوم مَرَكب من مراكبه ، فوقع فى زرع على طريقه ، فَرَتَعَ فيه ،
وأفسد ، فأخذ صاحب الزرع ذلك المركب ، فدفعه إلى الموكِّل بذلك الأمر ،
فلم يمكنه معاقبة كسرى ، فَرَقَّ أمره إلى أبيه ، فأمر أن يُجَدَّعَ أُذُنَا الفرس ،
وَيُحْدَفَ ذَنَبُهُ ، ويُغَرَّم ابنه مقدار مائة ضعف مما أفسد الفرس من ذلك الزرع .

فخرج الموكِّل بذلك من عند الملك لِيَنْفِذَ أمر الملك ، فوجَّه كسرى رهطاً
من المرازبة والأشراف إلى الموكِّل بذلك ، ليسألوه التَّغْيِيبَ عن ذلك ويدفع ألف
ضعف مما أفسد مركبه ، لما فى جَدْعِ أُذُنِ الفرس وتَبْثِيرِ ذَنَبِهِ مِنَ الطَّيْرَةِ ،
فلم يُجِبهُم الموكِّل إلى ذلك ، وأمر بالمركب فَجُدِّعَتْ أُذُنَاهُ ، وبتر ذَنَبُهُ ، وَغُرِّمَ
كسرى ما أصاب صاحب الزرع كنجوا ما كان يغرم سائر الناس ؛ فلم يكن للملك
هُرْمُزْد بن كسرى هِمَّة ولا نَهْمَةٌ إِلَّا استصلاح الضَّمَفَاء ، وإنصافهم من الأقوياء ،
فاستوى فى مُلكه القوى والضعيف .

وكان هُرْمُزْد منصوراً مُظَفَّرًا لا يروم تناول شيء إلا ناله ، لم يُهْزَمَ له جيش
قط ، وكان أكثر دهره غائباً عن الدائن . إمَّا بالسواد متشتتاً ، وإمَّا بالماء متصيفاً .

فلما كانت سنة إحدى عشرة من ملكه حرق به الأعداء من كل وجه
فاكتنفوه اكتناف الوترسي^(٢) القوس ، أما من ناحية الشرق فإن شَاهِنْشَاهَ
الترك أَقْبَلَ حتى صار إلى هَرَاة^(٣) ، وطرد عمال هُرْمُزْد ، وأما من قبل المغرب
فإن ملك الروم أَقْبَلَ حتى شارف « كَصِيبِينَ » ليسترد آمِد^(٤) وميافارقين^(٥)

(١) عار الفرس يعبر ذهب كأنه منفلت . (٢) سبتا القوس : طرفاه .

(٣) مدينة فى أفغانستان سكانها سنيون وبينهم طائفة من الشيعة ، وينسب بناؤها إلى الإسكندر ، وهى مشهورة بجامعة القديم وفيها تصنع الطنافس .

(٤) آمِد وهى ديار بكر ، مدينة على الشاطئ الأيسر لنهر دجلة ، فتحها عياض بن غصام النهري .

(٥) ميافارقين : قاعدة بلاد ديار بكر بين الجزيرة وأرمينية ، وقد سميت قديماً مارتيروبوليس

أو مدينة الشهداء لما جمع فيها من عظام الفرس المسيحيين .

وَدَارًا وَنَصِيبِينَ^(١) ، وَأَمَّا مِنْ قَبْلِ أَرْمِينِيَّةٍ فَإِنَّ مَلِكَ الْخَزَرِّ أَقْبَلَ حَتَّى أَوْغَلَ
فِي أَذْرَبَيْجَانَ ، فَبَثَ الْغَارَاتِ فِيهَا .

فَلَمَّا انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى هَرْمَزْدَ بَدَأَ بِقَيْصَرٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَدَنَ الَّتِي كَانَ أَبُوهُ
اِغْتَصَبَهَا مِنْهَا ، وَسَأَلَهُ الصَّلَاحَ وَالْمَوَادَّةَ ، فَأَجَابَهُ قَيْصَرٌ إِلَى ذَلِكَ ، فَانصَرَفَ ؛
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ بِأَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبَيْجَانَ ، فَاجْتَمَعُوا وَصَمَدُوا صَمَدًا صَاحِبَ
الْخَزَرِّ ، حَتَّى نَفَوْهُ عَنْ أَرْضِهِ . ٥

فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ صَرَفَ هَمَّهُ إِلَى صَاحِبِ التُّرْكِ ، وَكَانَ أَشَدَّ الْأَعْدَاءِ
عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَى بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ جُشَنْشَ ، عَامِلَهُ عَلَى كَنْغَرِ أَذْرَبَيْجَانَ
وَأَرْمِينِيَّةٍ ، وَهُوَ الْمَلَقَّبُ بِبَهْرَامِ شُورِينَ ، يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَلَبِثَ أَنْ قَدِمَ ،
فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَرَفَعَ مَجْلِسَهُ ، وَأَظْهَرَ كِرَامَتَهُ ، وَخَلَّاهُ ، وَأَخْبَرَهُ
بِالْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَهُ لَهُ ، مِنْ التَّوَجُّهِ إِلَى شَاهِنشَاهِ التُّرْكِ . ١٠

فَسَارَعَ بَهْرَامٌ إِلَى طَاعَتِهِ وَاتَّبَاعِ أَمْرِهِ ، فَأَمَرَ هَرْمَزْدَ أَنْ يُسَلِّطَ بَهْرَامَ عَلَى
بُيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ ، وَأَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ دِيْوَانَ الْجُنْدِ ، لِيَخْتَارَ مَنْ أَحَبَّ عَلَى
عَيْنِهِ ، فَأَحْضَرَ بَهْرَامُ الدِّيْوَانَ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْمَرَاذِيَةَ وَالْأَشْرَافَ ، فَانْتَخَبَ
اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْفَرَسَانِ ، لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا مِنْ أَنْفِ الْأَرْمِينِ . ١٥

وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : « لِمَ لَمْ تَنْتَخِبْ إِلَّا هَذَا الْقَدَارَ ، وَإِنَّمَا تُرِيدُ
أَنْ تَسِيرَ بِهِمْ إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ ؟ » . فَقَالَ بَهْرَامُ : « أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ
قَابُوسَ حِينَ أُسِرَ فَخُطِبَ فِي حِصْنِ مَاسْفَرَى إِنَّمَا سَارَ إِلَيْهِ رُسْتَمُ فِي اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ،
فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِي مِائَتِي أَلْفٍ ، وَأَنْ أَسْفَنْدِيَادَ إِنَّمَا سَارَ إِلَى أَرْجَاسِفَ لِيَطْلُبَ مِنْهُ
الْوَتْرَ الَّذِي كَانَ لَهُ عِنْدَهُ فِي اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَأَنْ « كِيخسرو » إِنَّمَا أُرْسِلَ
« جَوْدَرُز » لِيَطْلُبَ بِدَمِ أَبِيهِ سِيَاوُشَ فِي اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَظَهَرَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ ؟
فَأَيُّ جَيْشٍ لَا يُفَلِّ بِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا لَا يُفَلِّ بِشَيْءٍ أَبَدًا » . ٢٠

(١) نصيبين مدينة فيما بين النهرين ، اشتهرت قديما بمدرستها السريانية .

فلما فصلَ بهرام بالجنود من الدائن ودَّعاه الملك ، وقال له : « يَاكَ وَالْبَنَى ،
فَإِنَّ الْبَغَى مَصْرَعَهُ بِصَاحِبِهِ ، وَعَلَيْكَ بِالْوَفَاء ، فَإِنَّ فِيهِ نَجَاةً لِحَاوِلِهِ ، وَإِيَّاكَ
أَنْ تَسِيرَ إِلَّا عَلَى تَعْيِيَةِ الْحَرْبِ ، فَإِذَا نَزَلْتَ فَاحْرَسْ عَسْكَرَكَ بِنَفْسِكَ ، وَامْنَعْ
جُنُودَكَ مِنَ الْمَيْثِ وَالْفُسَادِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعَزِّمَ حَتَّى تُرَوِّى ، وَلَا تُرَوِّى حَتَّى
تَسْتَشِيرَ أَهْلَ النَّصِيحِ وَالْأَمَانَةِ » ؛ ثُمَّ انصرفت الملك ، ومضى بهرام ، فأخذ على
طريق الأهواز . ٥

وبلغ ملك الترك قدوم الجيش لمحاربته ، وقد كان الملك هرمزد وجَّه إلى ملك
الترك رجلاً من مرازبته يسمى هرمزد جُرابزين ، وكان من أدهى المعجم ، وأشدَّهم
خِلابةً وكَيْداً ، وأمره أَنْ يُعْلِمَهُ أَنَّهُ رَسُولُ الْمَلِكِ ، أَرْسَلَهُ لِمَصَالِحَتِهِ ، وَإِعْطَانِهِ
الرَّضَى ؛ فَأَتَاهُ هَرْمَزْدُ جُرابزين ، فاستعمل فيها الخديمة ، وكفَّه بها عن الفساد
فِي أَرْضِ خُرَاسَانَ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ هَرْمَزْدُ أَنَّ بَهْرَامَ قَدْ دَنَا مِنْ هَرَاةَ خَرَجَ لَيْلاً ، فَلَحَقَ
بَهْرَامَ . ١٠

ولما بلغ ملك الأتراك ورود الجيش قال لصاحب حرسه : انطلق فأتني بهذا
الفارس الخَدَّاعَ ؛ فطلبوه ، فوجدوه قد هرب في جوف الليل .

وخرج خاقان من مدينة هَرَاةَ لِلِقَاءِ بَهْرَامَ ، وعلى مقدمته أربعمائة ألفاً . ١٥
فلما التقوا أرسل إلى بَهْرَامَ : أَنْ انضمَّ إِلَيَّ حَتَّى أُمَلِّكَكَ عَلَى إِيرَانَ شَهْرَ ،
وَأَجْمَلَكَ أَخَصَّ النَّاسِ بِي .

فأرسل إليه بَهْرَامُ كَيْفَ تَمَلِّكُنِي عَلَى إِيرَانَ شَهْرَ ، وَإِنَّمَا مُلْكُهَا لِأَهْلِ
بَيْتِ فِينَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْدُوهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَلَكِنْ هَلُمَّ إِلَى الْحَرْبِ .
فغضب ملك الترك من ذلك ، وأمر ، فَضْرِبَ بِبُوقِ الْحَرْبِ ، وَتَرَاخَفَ ٢٠
الْفَرِيقَانِ ، وَمَلَكَ التُّرْكُ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَوْقَ رَايِسَةٍ ، يُشْرِفُ عَلَى
الْفَرِيقَيْنِ .

فلما استمرت الحرب قصد بهرام للتَّلَّيَّ فِي مِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَبْطَالِ جُنُودِهِ ، فَانْفَضَّ
عَنْهُ مَنْ حَوْلَ مَلِكِ التُّرْكِ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ دَعَا بِمَرْكَبِهِ ، وَاسْتَبَانَ لِبَهْرَامَ ،

- فرماه بُنْشَابَه نَفْذَتَه ، نَفَرًا صَرِيْمًا ، وَاَنْهَزَمَ الْاَتْرَاكُ ؛ وَقد كَانَ شَاهِنْشَاهُ خَلَفَ
عَلَى مَلِكِهِ ابْنَهُ « يُلْتَسِكِينَ » فَلَمَّا اَتَاهُ مَقْتُلُ ابْنِهِ اسْتَجَاشَ^(١) التُّرُكَ ، وَاقْبَلَ
فِي دَمِهِ دَاهِمٌ مِنْ اُمَمِ الْاَتْرَاكِ ، وَانْضَمَّ اِلَيْهِ الْفُلَّ .
- وَبَلَغَ بَهْرَامُ الْخَبَرَ ، فَأَرْسَلَ فِي اَقْطَارِ خِرَاسَانَ ، فَاجْتَمَعَ اِلَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ
فَسَارَ مُسْتَقْبِلًا لِيُلْتَسِكِينَ ، فَالْتَقَوْا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْاَعْظَمِ مِمَّا يَلِي التُّرْمِذَ ، وَهَابَ ٥
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا السُّفَرَاءُ فِي الصَّلْحِ .
- وَأَرْسَلَ بَهْرَامٌ اِلَيْهِ « اِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الْخَاقَانِيَةِ قَتَلْتُمْ مَلِكَنَا قَيْرُوزَ ، فَاهْدِرْنَا
دَمَهُ ، وَاقْبَلْنَا الصَّلْحَ مِنْكُمْ ، فَكَذَلِكَ ، فَافْعَلُوا بِنَا » .
- فَاجَابَهُ يُلْتَسِكِينَ اِلَى الصَّلْحِ عَلَى حَكْمِ هُرْمُزِ الْمَلِكِ ، وَاقَامَا بِمَكَانِهِمَا .
- فَكَتَبَ بَهْرَامٌ اِلَى هُرْمُزٍ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ اِلَيْهِ هُرْمُزٌ : اَنْ تَوَجَّهَ اِلَى ١٠
يُلْتَسِكِينَ مَكْرَمًا فِي خَاصَةِ طَرَاخِنْتِهِ^(٢) وَعِظَاهُ جُنُودَهُ .
- فَتَوَجَّهَ يُلْتَسِكِينَ اِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الدَّائِنِ خَرَجَ هُرْمُزٌ مُلْتَقِيًا لَهُ ،
وَتَرَجَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَصَاحِبِهِ ، وَأَظْهَرَ هُرْمُزٌ اِكْرَامَ يُلْتَسِكِينَ ، وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ
فِي قَصْرِهِ ، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَهْدًا وَكِيدًا عَلَى صَاحِبِهِ بِالسَّالْمَةِ مَا بَقِيَ ،
ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَانْصَرَفَ اِلَى مَمْلَكَتِهِ . ١٥
- وَلَمَّا وَغَلَ فِي خِرَاسَانَ اسْتَقْبَلَهُ بَهْرَامٌ فِي جُنُودِهِ ، وَسَارَ مَعَهُ اِلَى حَدِّ مَمْلَكَتِهِ ؛
وَانْصَرَفَ بَهْرَامٌ حَتَّى اَتَى مَدِيْنَةَ بَلْخَ ، فَزَلَّهَا ، وَوَجَّهَ اِلَى الْمَلِكِ هُرْمُزَ مَا كَانَ غَنَمُهُ
مِنْ عَسْكَرِ شَاهِنْشَاهٍ ، وَوَجَّهَ اِلَيْهِ بِذَلِكَ السَّرِيْرَ الذَّهَبَ ، فَبَلَغَ مَا وَجَّهَ اِلَيْهِ
وَقَرَّ^(٣) ثَلَاثُمِائَةً بِعِيْرٍ .
- فَلَمَّا وَصَلَتْ الْغَنَائِمُ اِلَى هُرْمُزٍ ، وَعَمَرَضَتْ عَلَيْهِ ، وَحَوْلَهُ وَزَرَائِهُ وَعِظَاهُ ٢٠

(١) مَلَبَّ الْجِيُوشِ مِنْهُمْ . (٢) جَمْعُ طَرَخَانَ وَهُوَ الرَّئِيسُ ، وَيُلْقَبُ بِهِ الْاَعْيَانُ فِي خِرَاسَانَ .

(٣) الْوَقْرُ بِالْكَسْرِ : الْحَمْلُ الثَّقِيلُ .

مرازبتيه ، قال يَزْدَانُ جُشْنَسُ رَئِيسَ وِزْرَائِهِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا كَانَ أَكْثَمَ
الْمَائِدَةِ الَّتِي مِنْهَا هَذِهِ اللَّقْمَةُ » ؛ فَوَقَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي قَلْبِ هَرْمَزْدَ ، وَارْتَابَ
بِأَمَانَةِ بَهْرَامَ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ قَالَ يَزْدَانُ جُشْنَسُ ؛ فَانْظُرْ كَمْ دَاهِيَّةَ دَهْيَاءَ
وَحُرُوبَ وَبَلَاءَ جَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ .

• ودخل هَرْمَزْدُ مِنْهَا الْغَضَبَ وَالْغَيْظَ عَلَى بَهْرَامَ مَا أَنْسَاءَ حُسْنَ بِلَائِهِ ، فَأَرْسَلَ
إِلَى بَهْرَامَ بِجَامِعَةٍ وَمِنْطَقٍ امْرَأَةً وَمَغْزَلٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ « إِنَّهُ قَدْ صَحَّ عِنْدِي
أَنَّكَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ مِنْ تِلْكَ الْغَنَائِمِ إِلَّا فُلَيْلًا مِنْ كَثِيرٍ ، وَالذَّنْبُ لِي فِي تَشْرِيقِ
إِيَّاكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَامِعَةٍ ، فَضَمُّهَا فِي عُنُقِكَ ، وَمِنْطَقٍ امْرَأَةً ، فَتَنْطِقُ
بِهَا ، وَمَغْزَلٍ ، فَلْيَكُنْ فِي يَدِكَ ، فَإِنَّ الْغَدْرَ وَالْكَفْرَانَ مِنْ أَخْلَاقِ
النِّسَاءِ » . ١٠

فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَى بَهْرَامَ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى مِنَ الْوُشَاةِ ،
فَوَضَعَ الْجَامِعَةَ فِي عُنُقِهِ ، وَصَيَّرَ الْمِنْطَقَ فِي وَسْطِهِ ، وَأَخَذَ الْمَغْزَلَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ
أَذِنَ لِعِظْمَاءِ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْرَأَهُمْ كِتَابَ الْمَلِكِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ
ذَلِكَ يَثْسُرُونَ مِنْ خَيْرِ الْمَلِكِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْ لَهُمْ حُسْنَ بِلَائِهِمْ ، فَقَالُوا :
نَقُولُ كَمَا قَالَ أَوَّلُو خَوَارِجِنَا لِأَرْدَشِيرَ : « مَلِكٌ وَلَا يَزْدَانُ » . وَنَحْنُ نَقُولُ : « لَا هَرْمَزْدَ
مَلِكٌ ، وَلَا يَزْدَانُ جُشْنَسُ وَزِيرٌ » . ١٥

وَكَانَتْ قِصَّةُ أَوَّلَى خَوَارِجِهِمْ : أَنَّ أَرْدَشِيرَ بَابَكَانَ كَانَ صَارَ إِلَيْهِ بِمَضَى
الْحَوَارِيِّينَ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ ، وَدَخَلَ فِي دِينِ الْمَسِيحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ فِي عَصْرِهِ ، وَشَابِعَهُ عَلَى ذَلِكَ وَزِيرُهُ يَزْدَانُ ، فَغَضِبَ الْعَجَمُ لَذَلِكَ ،
وَهَمُّوا بِخَلْعِ أَرْدَشِيرَ حَتَّى أَظْهَرَ لَهُمُ الرِّجُوعَ عَمَّا هَمُّوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَقْرَأُوهُ
عَلَى الْمَلِكِ . ٢٠

فَقَالَ أَصْحَابُ بَهْرَامَ لِبَهْرَامَ : « إِنَّ أَنْتَ تَابَعْتَنَا عَلَى خَلْعِ هَرْمَزْدَ وَالْخُرُوجِ
عَلَيْهِ ، وَإِلَّا خَلَعْنَاكَ ، وَرَأْسُنَا غَيْرُكَ ، فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَجَابَهُمْ
عَلَى أَسَفٍ وَهَمٍّ وَكَرَاهِيَةٍ .

وخرج هُرمزد جُرازين ويزدك الكاتب من معسكر بهرام ليلا حتى قدما
المدائن ، وأخبرا هرمزد الخبر .

ثم إن بهرام سار في جنوده نحو العراق لمحاربة هرمزد الملك حتى ورد
مدينة الرّى فأقام ، وأخذ سِكّة للدراهم بتمثال كسرى أبروز ابن الملك ،
وصورته ، واسمه ، وضرب عليه عشرة آلاف درهم ، وأمر بالدراهم ، فُمِلّت
سِرا حتى أُلقيت بالمدائن ، فقُشت في أيدي الناس .

وبلغ ذلك الملك هرمزد ، فلم يشك أن ابنه كسرى يحاول الملك ، وأنه
الذى أمر بضرب تلك الدراهم ، وذلك الذى أراد بهرام بما فعل ، فهم الملك
بقتل ابنه كسرى ، فهرب كسرى من المدائن ليلا نحو أذرْبِيجان حتى أتاها ،
وأقام بها ، ودعا الملك بِبَنْدَوِيّة وبِسْطَلما ، وكانا خالي كسرى ، فسألها عن
كسرى ، فقالا « لا علم لنا به » ، فارتاب بهما ، فأمر بحبسهما .

ثم إن الملك جمع نصحاءه ، فاستشارهم ، فقالوا : « أيها الملك ، إنك
عَجِلْتَ في أمر بهرام ، وقد رأينا أن توجه إلى بهرام يزدان جشنس ، فليس
بهرام بقاتله ، إذا أتاه فاعتذر إليه ، وباء بذنبه عنده ، وتكون قد
طَيَّبْتَ نفس بهرام ، ورددته إلى الطاعة ، وحققت بذلك الدماء ؛ فقبل الملك
ذلك .

وبعث يزدان جشنس الوزير ، فلما تهيأ للمسير أرسل إليه ابن له كان
محبوسا في حبس الملك ببعض الجرائم ، يسأله أن يستوهبه من الملك ، ويخرجه
معه ، فإن عنده غناء ومعمونة في الأمور ، ففعل يزدان جشنس وأخرجه معه .
فلما صار بمدينة همدان ارتاب باين عمه ذلك ، وكتب كتابا إلى الملك يعلمه :
أنه قد ردّه إليه ، ليأمر بقتله ، أو يرده إلى محبسه ، فإنه فاجرٌ فتاك ، وقال له :
« إني قد كتبت إلى الملك كتابا في بعض الأمور ، فأغذ السير به حتى تدفعه
إليه ، ولا تُظْلِمَنَّ على ذلك أحدا » .

فارتاب الرجل بذلك ، فلما تغيب عن يَزْدَانَ جُشْنَسُ ، وفك الكتاب ، وقراه
فإذا فيه حَتْفُه ، فرجع إلى يَزْدَانَ جُشْنَسُ ، وهو مُسْتَخْلٍ ، فضربه حتى
قتله ، وأخذ رأسه ، فانطلق به إلى بَهْرَام ، وهو بالري ، فالتقاء بين يديه ،
وقال : هذا رأس عدوك يَزْدَانَ جُشْنَسُ الذي وَشَى بك إلى الملك ، وأفسد
قلبه عليك ؛ فقال له بَهْرَام : « يافاسق ، أقتلت يَزْدَانَ جُشْنَسُ في شرفه
وفضله ، وقد كان خرج نحوى ليمتدح إلى مما كان منه ، ويصلح بيني وبين الملك ؟
ثم أمر به ، فضربت عنقه

وبلغ من بيباب الملك من العطاء والأشراف والمرازية مقتل يَزْدَانَ جُشْنَسُ ،
وكان عظيما فيهم ، فشئى بعضهم إلى بعض ؛ وعزموا على خلع الملك ، وتمليك
ابنه كسرى ، وكان الذي زَيَّنَ لهم ذلك ، وحملهم عليه « بِنْدُويَة وِسْطَاطَم » خلا
كسرى . وكانا محتبسين ، فأرسلا إلى العطاء ، أن أريحوا أنفسكم من ابن
التركية ، يعينان الملك هرمزد ، وقد قتل خيارنا ، وأباد سراتنا ، وذلك أنه كان
مؤلما بالعلية من أجل استطالتهم على أهل الضعف ، فقتل منهم خلقا كثيرا ،
فاتفقوا على يوم يجتمعون فيه لذلك ، فأقبلوا جميعا حتى أخرجوا بِنْدُويَة وِسْطَاطَم
من الحبس ، وجميع من كان فيه .

[تولية كسرى أبرويز]

ثم أقبلوا إلى الملك هرمزد فنكسوه عن سريره ، وأخذوا تاجه ومنطقته
وسيفه وقبائه ، فأرسلوا بها إلى كسرى ، وهو بأذَرْبِيجَان .

فلما انتهى ذلك إليه سار مُقْبِلًا حتى وَرَدَ المدائن ، ودخل الإيوان ، واجتمع
إليه العطاء ، فقام فيهم خطيبا ، فكان مما قال : المقادير تُرى المرء مالا يخطر
بباله ، والأسباب تأتي على خلاف الهوى ، والبغى مصرعه لأهله ، والخائب
من أورطته رغبته ، والحازم من قنع بما قضى له ولم تتق نفسه إلى أكثر
منه . أيها الناس : تباروا على ما يقربكم إلينا من طاعتنا وناصحتنا ، وإياكم

ومخالفة أمرنا ، والبنى علينا ، فإننا لكم بمنزلة العرَى والأركان .

فلما تفرق الناس عنه قام يمشى حتى دخل على أبيه ، وهو في بيت من بيوت القصر ، فقبل يديه ورجليه ، وقال : « يا أبتِ ، ما أحببت هذا الأمر في حياتك ، ولا أردته ، ولو لم أقبله لَصُرِفَ مِنَّا ، وأُزِيلَ عَنَّا إلى غيرنا » .

فقال له أبوه : « صدقتَ وقد قبلت عذرك ، فدونك الأمر ، فقمْ به ، وقد عرضت لي إليك حاجة » .

قال : « يا أبتِ ، وما عسى أن يعرض لك إلى ؟ » .

قال : « تنظر الذين تَوَلَّوْا نَكْسَى عن السرير ، وأخذوا التاج عن رأسى ، واستخَفَّوْا بى ، وهم فلان وفلان ، وسَمَّاهُمْ ، فَمَجَّلْ قَتْلَهُمْ ، واطلب لأبيك بثأره منهم » .

١٠

قال كسرى : « هذا لا يمكن يومنا هذا حتى يقتل الله عدوَّنا بهرام ، ويستدف^(١) لنا الأمر ، فتتظر عند ذلك كيف أيرهم^(٢) وأنتقم لك منهم » . فرَضَى أبوه بذلك منه ، وخرج كسرى من عنده ، فجلس مجلس الملك .

وبلغ بهرام ما جرى ، وهو بالرَّيِّ ، وما كان من الأمر ، فغضب لهْرْمُزْد غضباً شديداً ، وأدركته له حَمِيَّة وِرْقَة ، وذهب عنه الحقد ، فسار في جنوده جاداً مُجِدِّداً لِيُقْتَلَ كسرى وَمَنْ وَالَاهُ على أمره ، وَيُرَدَّ هُرْمُزْد إلى مُلْكِهِ .

١٥

وبلغ كسرى فُصُولَهُ مِنَ الرَّيِّ ، وما يَهْمُّ به ، فكم ذلك عن أبيه ، وسار ملتقياً لبهرام في جنوده ، وقَدَّمَ رجلاً من رِثاقته ، وأمره أن يأتي عسكر بهرام متنكرًا ، فينظر سيرته ، ويعرف له كُنْهَ أمره .

٢٠

فسار الرجل ، فاستقبل بهرام بهْمَدَان ، فأقام في عسكره حتى عرف جميع أمره ، ثم انصرف إلى كسرى ، فأخبره : أن بهرام إذا سار كان عن يمينه مَرْدَان سِيْنَه الرُّوَيْدَشِيَّتِي ، وعن يساره يَزْدَجُشْنَس بن الحلبان ، وأن أحداً

(١) يستدف = يستقيم . (٢) أيرهم = أهلهم .

من جنوده لا يُطْمَع نفسه في اغتصاب أحد من الرعية مقدار حبة فما فوقها ؛
 وأنه إذا نزل المنزل دعا بكتاب كيلة ودمنة ، فلا يزال مُنْكِبًا عليه طول نهاره .
 فقال كسرى لخاليه بَنْدُويَة وِسْطَاط : « ما خِفْتُ بهرام قط أخوف منه
 الساعة ، حين أُخِرتُ بإدما نه النظر في كتاب كيلة ودمنة ، لأن كتاب
 كيلة ودمنة يفتح للمرء رأيًا أفضل من رأيه ، وحزمًا أكثر من حزمه ، لما فيه
 من الآداب والفطن . »

وأن كسرى وبهرام توقفاً بالنهر وان ، فمسكر كل منهما بأصحابه في ناحية ،
 وخندق على نفسه ؛ ثم إن بهرام عقد جسرا ، وعبر إلى كسرى ؛ فلما تواقف
 الجمعان بدرَ بهرام حتى دنا من صفوف كسرى ، ثم صاح بأعلى صوته « تَبًّا
 لكم يامعشر العجم ، في خلعكم ملككم ، أيها الناس : توبوا إلى ربكم مما
 فعلتم ، وانحازوا إليّ بجماعتكم حتى نرد السلطان على ملككم قبل أن ينزل
 الله نقمته عليكم » .

فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض « قد والله صدق بهرام ،
 وإن الأمر لعل ما قال ، فهلما بنا تلاف أمرنا ، ونصلح ما كان منا بإجابة
 بهرام إلى ما رأى » .

وانحازوا جميعا ، فانضموا إلى بهرام ، ولم يبق مع كسرى إلا خالاه ، بَنْدُويَة
 وِسْطَاط ، وهُرْمُزد جُرَازين ، والنُّخارجان ، وسابور بن أبركان ، ويزدك كاتب
 الجنيد ، وباد بن قَيْرُوز ، وشروين بن كاميجار ، وكُرْدِي بن بهرام جُشْنَس
 أخو بهرام شُورين لأبيه وأمه ، وكان من ثقات كسرى وأحبائه .

فقال^(١) هؤلاء لكسرى : « أيها الملك ، ما تفعل ؟ ألا ترى إلى جميع
 الناس قد قَارَقُواكَ ، وانحازوا إلى عدوك » . فغضب نحو المدائن حتى إذا انتهى إلى
 قنطرة « جُودَرَز » التفت وراءه ، فإذا هو بهرام وحده ، قد ترك الناس خلفه حتى

(١) في الأصل : فقالوا .

دَنَا مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ كَسْرَى عَلَى طَرَفِ الْقَنْطَرَةِ ، وَوَتَرَ قَوْسَهُ ، وَكَانَ مِنْ رُؤَاةِ النَّاسِ ، فَوَضَعَ فِيهَا نُسْأَبَةً ، وَخَافَ أَنْ يَعْمِدَ بِرُمِيْتِهِ بِهَرَامٍ ، فَلَا يَعْمَلُ السَّهْمَ فِيهِ لَجُودَةِ دَرْعِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْمِدَ وَجْهَهُ ، فَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَتَقَرَّسَ بِدَرَقَتِهِ^(١) أَوْ يَمِيلَ وَجْهَهُ عَنْ سَهْمِهِ ، فَرَمَى جَبْهَةَ فَرَسِهِ ، فَلَمْ يَخْطِئْ وَسْطَ جَبْهَتِهِ ، وَاسْتَبْدَارَ الْفَرَسَ مِنْ شِدَّةِ الرَّمِيَةِ ، ثُمَّ سَقَطَ .

٥

وَبَقِيَ بِهَرَامٍ رَاجِلًا ، فَأَمِنَ كَسْرَى رَكْضًا حَتَّى دَخَلَ الْمَدَائِنَ ، وَأَتَى أَبَاهُ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ بِهَرَامٍ إِنَّمَا يَحَاوِلُ رَدَّ الْمَلِكِ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : « إِنْ أَصْحَابِي جَمِيعًا مَالُوا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « مَا الَّذِي تَرَى ؟ » قَالَ « أَرَى لَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِقَيْصَرَ ، فَإِنَّهُ سَيَنْجِدُكَ ، وَيَنْصُرُكَ حَتَّى يَسْتَرْجِعَ لَكَ مَلِكُكَ » .

١٠ فَقَبَّلَ كَسْرَى يَدَيِ أَبِيهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَوَدَّعَهُ ، وَسَارَ نَحْوَ الْبَحْرِ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانُوا تِسْعَةً ، هُوَ عَاشِرُهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : « إِنْ بِهَرَامٍ يُوَافِي الْمَدَائِنَ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا ، فَيَمْلِكُ هَرْمَزِدَ ، فَيَكُونُ مَلِكًا كَمَا لَمْ يَزَلْ ، ثُمَّ يَكْتُبُ هَرْمَزِدَ إِلَى قَيْصَرَ ، فَيُرَدُّنَا إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلُنَا جَمِيعًا ، وَلَيْسَ كَسْرَى بِمَلِكٍ مَا دَامَ أَبُوهُ حَيًّا » . فَقَالَ بِدُونِيَّةٍ وَبَسْطَامَ خَالَا كَسْرَى « نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ذَلِكَ » .

١٥ فَانْصَرَفَا عَلَى الْمَقْبَضِ ، ثُمَّ أَقْبَلَا حَتَّى دَخَلَا قَصْرَ الْمَلِكَةِ ، وَوَلَجَا عَلَى هَرْمَزِدَ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ؛ وَقَدْ شُغِلَ الْحِشْمُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، لِهَرَبِ كَسْرَى مِنْ عَدُوِّهِ ، فَأَلْقَيَا عِمَامَةً فِي عُنُقِهِ ، فَخَنَقَاهُ حَتَّى مَاتَ .

٢٠ ثُمَّ لَحَقَا بِكَسْرَى ، وَلَمْ يَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ ، وَسَارُوا بِالرَّكْضِ الشَّدِيدِ يَوْمَهُمْ ، مَخَافَةَ الطَّلَبِ ، وَمِنْ الْغَدِ حَتَّى شَارَفُوا مَدِينَةَ هَيْتَ^(٢) ، وَانْتَهَوْا إِلَى دِيرِ رَهْبَانٍ ، فَزَلَوْهُ ، فَأَتَوْهُمْ بِخَبْزِ شَعِيرٍ ، فَبَلَوْهُ بِالنَّسَاءِ ، وَأَكَلُوهُ ، وَأَتَوْهُمْ بِخَلٍّ ، فَمَزَجُوهُ بِمَاءٍ ، وَشَرَبُوا مِنْهُ ، وَأَتَكَا كَسْرَى عَلَى خَالِهِ بَسْطَامَ ، فَنَامَ لَشِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ التَّعَبِ ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَاهُمُ الرَّاهِبُ مِنْ صُومَعَتِهِ : أَيُّهَا النَّفَرُ ، قَدْ أَتَيْتُكُمْ الْخَلِيلَ ، وَهُمْ بِالْبُعْدِ .

(١) الدَّرَقَةُ مَرْبُوبَةٌ دَرِيحَةً ، وَالْأُذُنُ بِالْفَتْحِ الصَّلْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْأُذُنُ كَالْأُذُنِ يَتَخَذُهَا الْمُحَارِبُ لِيَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ النَّشَابِ وَالسَّهْمِ .

(٢) بِأَرْضِ الْفَرَاتِ ، فَوْقَ الْأَنْبَارِ عَلَى جَبْهَةِ الْبَرِيَّةِ ، وَقَدْ سَمِيَ بِاسْمِ بَابِهَا .

وقد كان بهرام ، حين وَاى الدائن ، فصادف هُرْمُرد الملك فتبلا ، ارداد عيظلا على كسرى وحنظلا ، فوجه بهرام بن سياوشان فى ألف فارس على الخيل العتاق . فلما نظر كبرى وأصحابه إلى الخيل سقط فى أيديهم ، وأيسوا من أنفسهم ، فقال بنديوية لكبرى : أنا أخلصك بحيلتى ، غير أنى أغرر بنفسى .

قال له كبرى : ياخال ، إنك إن وقيتنى بنفسك سلمت أو قتلت ، فكفناك بذلك ذكرا باقيا وشرفا عاليا ، فقد خاطر أرسناس بنفسه فى أمر منوشهر ، وأتى قراسياب ملك الأتراك ، وهو فى وسط جنوده ، فرماه بسهم فقتله ، وأراح زاب الملك منه ، فأصاب بثأر منوشهر ، فقتل ، فبعد صيته فى الناس ، وعظم ذكره ، وقد خاطر جودرز بنفسه بسبب سابور ذى الأكتاف حين قام بتدبير ملكه ، وضبط سلطانه ، فحسده الناس لذلك ، فلما أدرك سابور ملكه على جميع أموره ، وفوض إليه سلطانه .

قال له بنديوية « قم ، فأتى عنك قبائك ، ومنطقتك ، وحل عنك سيفك ، وضع تاجك ، واركب فى سائر أصحابك ، فتبطنوا هذا الوادى ، فأغذوا فيه السير ، ودعوني والقوم » .

ففعل كسرى ما أمره ، وتبطن الوادى ، وسار فى بقية أصحابه ، وعمد بنديوية إلى قباء كسرى فلبسه ، وتنطق بمنطقته ، ووضع التاج على رأسه . ثم قال للرهبان « عليكم بالجليل ، فالحقوا به إلى أن ينصرف هذا الخيل ، وإلا لم آمن أن يقتلوكم . عن آخركم » . فتركوا الصومعة جميعا ، وخرجوا عن الدير .

وصعد بنديوية ، فصار على سطح الدير ، وقد أغلق عليه الباب ، وهو لا بس بزة كسرى ، فقام على رجله قائما ، حتى علم أن القوم قد رأوه جميعا ، ثم نزل إلى الدير ، فخلع بزة كسرى ، ولبس بزة نفسه ، ثم عاد إلى سطح الدير ، وقد حسدت به الخيل ، فقال « يا قوم ، من أميركم ؟ » فأتى بهرام بن سياوشيان وقال « أنا أميرهم ، ماتشاء يا بنديوية ؟ »

قال: إن الملك يُقِرُّكَ السلام، ويقول، أنا إنما نزلنا آرنفا^(١)، وقد كللنا، وتعبنا، وليس عليك منا فوتٌ، فدعنا على حالنا في هذا الدير إلى العشاء، لنخرج إليك، وننطلق معك إلى بهرام، فيحكم فينا بما يرى.

قال بهرام بن سیاوشان « ذلك له، وعزاة ».

ثم نزل بندوية، والقوم مُحَدِّقُونَ بالدير، فلما أمسوا عاد بندوية إلى سطح الدير، وقال لبهرام بن سیاوشان: « إن الملك يقول لك: هذا المساء، وليست لنا أجنحة نطير بها، وقد حدقتم بالدير، فدعنا ليلتنا هذه لنستريح، وامتن علينا بذلك، فإذا أصبحنا خرجنا إليك، ومضينا معك.

قال بهرام « وذلك له، وحُبًّا وكرامة ». ثم أمر أصحابه أن يكونوا فرقتين،

فرقة تنام، وأخرى تحرس نوابب.

فلما أصبح بندوية فتحت الباب وخرج إلى القوم وقال: « إن كسرى قد فارقني منذ أمس، هذا الوقت، ولو كنتم على نجائب كالريح ما لحقتموه، وإنما كان ماسمتم مني مكيدة وحيلة. فلم يصدقوه، ودخلوا الدير، ففتشوه بيتا بيتا، فسقط في يد بهرام بن سیاوشان، ولم يدر ما يعتذر به إلى بهرام شويين. فعمل بندوية، وانصرف حتى دخل على بهرام شويين، وأخبره بالحيلة التي احتالها بندوية؛ فدعابه بهرام، وقال: « لم ترض بما كان منك من قتل الملك هرمزد، حتى خلصت الفاسق كسرى، فنجاني؟ قال بندوية « أما قتلي هرمزد فلست أعتذر منه، إذ طنى وبني، وقتل صناديد المعجم، وألقى بأسهم بينهم، وفرق كلمهم، وأما حيلتي في تخليص ابن أختي كسرى فلا لوم عليّ في ذلك، إذ كان ولدي.

قال بهرام: « أما إنه ليس يمتنع من تعجيل قتلك إلا ما أرجو من ظفري بالفاسق كسرى، فأقتله، وأقتلك على أثره؛ ثم قال لبهرام بن سیاوشان « احبسه عندك مقيدا إلى أن أدعوك به ».

(١) أي منذ ساعة.

ثم إن بهرام جمع إليه وجوه الملكة ، فقال : « قد علمتم ما ارتكب كسرى من الوزر العظيم بقتل أبيه ، وقد مضى هارباً ، فهل ترضون أن أقوم بتدبير هذا الملك حتى يُدرك شهریار بن هرمزد مدرك الرجال ، فأسلمه إليه » . فرضى بذلك فريق ، وأباه فريق . فمن أبى مُوسيل الأرمني ، وكان من عظماء المرازبة ، وقال لبهرام : « أيها [الإسبيهد^(١)] ، ليس لك أن تقوم بشيء من ذلك ، وكسرى صاحب الملك ووراثته في الأحياء » ، فقال بهرام : من لم يَرْضَ فَلْيَرْتَحِلْ عن المدائن ، فإنني إن صادفت بعد ثلاثة أحدا ممن لم يرض ثأرياً بالمدائن ضربت عنقه .

فارتحل موسيل الأرمني فيمن كان على رأيه ، وكانوا زهاء عشرين ألف رجل ، فساروا إلى أذربيجان ، فنزلوها ينتظرون قدوم كسرى من الروم ؛ ولم يزل بُندوية محتبسا عند بهرام بن سياوشان ، فكان بهرام بن سياوشان يُحسن إليه في الطعام والشرب ليتخذ بذلك زلفةً عنده ، لما ظن أن كسرى سينصرف ، ويرجع إليه الملك ، وكان إذا جنَّ عليه الليل أخرجه من محبسه ، فأجلسه معه على شرابه ، فقال بُندوية ذات ليلة لبهرام : يا بهرام ، إن ما أنتم فيه سيضمحل ، ويذهب لظلم بهرام شوبين واعتدائه . فقال بهرام : والله لأعرف ما تقول ، وإني لأهّم بأمر . قال بُندوية : وما هو ؟ قال : « أقتل غدا بهرام شوبين ، وأرجم الناس منه ، ليرجع الملك إلى نظامه وعنصره » قال بُندوية : « أما إذ كان رأيك ، فأطلقني من قيدي ، وردّ عليّ دابتي وسلاحي » ، ففعل . ولما أصبح بهرام بن سياوشان تدرّج تحت ثيابه درعاً ، واشتمل على السيف ؛ فأبصرت ذلك امرأته ، وكانت بنت أخت بهرام شوبين ، فاسترأبت به ، وبعثت إلى بهرام تُعلمه ذلك .

وابتكر بهرام إلى الميدان ، فكان لا يمر به أحد من أصحابه إلا ضرب جنبه بالصوّكجان ، فلم يسمع حس^(٢) الدرع من أحد منهم ، حتى مر به بهرام

(١) كلمة فارسية Ispehbed معناها قائد ، وفي الأصل إسبيهد ، وهو تعريف ، فأصبيهد مدينة في بلاد الدي . (٢) الحس بالكسر : الحركة والصوت .

ابن سیاوشان فضرب جنبه بالصَّوْ لَجَان ، فلما سمع حسَّ الدرع استلَّ سيفه وضربه حتى قتله .

وتنادى الناس : قتل بهرام في الميدان ؛ فَظَنَّ بِندوية أن بهرام سُورِين المقتول ؛ فركب دابَّته ، ومضى نحو الميدان ؛ فلما علم أن المقتول صاحبه خرج متنسِّكاً ، يسير الليل ، ويكمن النهار ، حتى أتى أذرَّ بيجان ، فأقام مع مُوسيل وأصحابه هناك .

ولما سار كسرى من الدير سار يوماً وليلة ، وتلقَّاهم أغرابي ، فوقفوا عليه ، فسأله كسرى ، وكان يُحسن بالعربية شيئاً ، مَنْ هو ؟ فأخبر أنه من طيِّء ، وأن اسمه إياس بن قبيصة ، فقال له : « أين الحَيَّ ؟ » ، فقال : « قَرِيبٌ » ، قال : « فهل من قرى ، فقد بَلَغَ مِنَّا الجوع ؟ » ، قال : « نعم » ، فمَدُّوا ١٠ معه إلى الحَيَّ ، فزلوا به ، وسرَّحوا خيلهم تَرْتَع ، وأقاموا عنده يومهم ، فأحسن قَرَاهم ، وزوَّدَهم ، وخرج بهم حين أمسوا يَدُلُّهم الطريق ، حتى أخرجهم لثلاث بيالس^(١) من شاطئ الفُرات . ثم انصرف .

وسار كسرى حتى انتهى إلى اليرموك ، ففرج إليه خالد بن جبلة الغساني ، فَمَرَّاهُ ، ووجهَ معه خيلاً حتى بلغ قَيْصَرَ ، فدخل عليه ، وأبَّته شأنه ، وما توجه له ، فوجده بحيث أُمِّلَ من نصره ، ومعوته .

فقال له بطارقته : « أيها الملك قد علمت ما لقيَ مَنْ كان قبلك من آبائك من هؤلاء ، منذ زمان الإسكندر ، وكان آخر ما لقينا منهم اغتصاب جدِّ هذا إيَّانا مدن الشام التي لم تزل في أيدينا إرثاً من آبائنا منذ ألف عام ، فَرَدَّها عليك أبو هذا حين أجلبت بجنيك ورجلك ، فدَعَرَ القوم يشْتَغِلُ بعضهم ببعض ، فإنَّ حرب ٢٠ العدو بعضهم بعضاً فَتَحَّ عظيم » .

فقال قَيْصَر لعظيم الأساقفة : « ما تقول أنت يا كبيرنا ؟ » .
فقال : « لا يحِلُّ لك خذلانه ، إذ كان مَبْغِيًّا عليه ، والرأى أن تنصُرَهُ ، ليكون لك سِلْماً ما بقيت وبقي » .

(١) مراحل السفر .

- قال قيصر : « وهل يجوز للملوك أن يُسْتَجَارَ بهم فلا يُجِيرُوا ؟ » .
- فأخذ على كسرى اليهود والموائيق بالمسالة ، وزَوَّجَهُ ابنته مريم ، ثم عقد لابنه ثيَادُوسَ في أبطال جنوده ، وفيهم عشرة رجال من الهَزَارَمَرْدِينَ^(١) ، وقَوَّاهم بالأموال والعتاد ، وأمرهم بالسير معه ، وشيَّعَهُم ثلاثة أيام .
- ٥ فسار كسرى بالجيش ، فأخذ على أَرْمِينِيَّةٍ حتى إذا صار بِأَذَرِ بِيجَانِ انضمَّ إليه خاله بِنْدُويَّةٌ ومُوسِيلُ الأَرْمَنِ ومن معه من مرابته ومرابذة فارس .
- وبلغ خبره بهَرَامُ شُورِينَ ، فسار جادًا بالجنود حتى وَاَفَاهُ بِأَذَرِ بِيجَانِ ، فَمَسَّكَ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَعْسَكِ كَسْرَى . ثم تراحفوا ، ونُصِبَ لَكَسْرَى وَثِيَادُوسَ سرير من ذهب فوق رَابِيَّةٍ تُشْرِفُ بهما على مُجْتَمَعَةِ القوم ، ولما توافقت الخيلان أقبل رجل من الهَزَارَمَرْدِينَ حتى دَنَا من كسرى ، فقال : « أَرِنِي هذا الذي غَلَبَكَ عَلَى مُلْكِكَ » . فدخلت كسرى أَنْفَةً من تَعْمِيرِهِ إِيَّاهُ بذلك ، فكظمها ، غير أنه أراه بهَرَامُ شُورِينَ ، فقال : « هو صاحب الفرس الأَبْلَقُ الْمُعْتَجِرُ^(٢) بالعمامة الحمراء ، الواقف أمام أصحابه » .
- فمضى الرُّومِيُّ نحو بهَرَامَ شُورِينَ ، فناداه : أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْمُبَارَزة ؛ فخرج إليه بهرام ، فاختلفا ضربتين ، فلم يصنع سيف الرومي شيئاً في بهرام ، لجودة دِرْعِهِ ؛ وضربه بهَرَامُ على مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، وعليه الْبَيْضَةُ ، فَقَدَّ الْبَيْضَةُ ، وأفضى السيف إلى صدر الرُّومِيِّ ، فَقَدَّه حتى وقع نصفين ، عن يمين وشمال .
- وأبصر ذلك كسرى ، فَاسْتَعْرَبَ ضَحْكَاً ، فغضب ثيَادُوسُ ، وقال : « تَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي يُمَدُّ بِالْفِ رَجُلٌ قَدْ قُتِلَ فَتَضْحَكُ ، كَأَنَّكَ مَسْرُورٌ بِقَتْلِ الرُّومِ » ؛ فقال كسرى : « إِنْ ضَحَكِي لَمْ يَكُنْ سُرُورًا مِنِّي بِقَتْلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ عَيَّرَنِي بِمَا فَدِ سَمِعْتَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي غَلَبَنِي عَلَى مُلْكِي ، وَهَرَبَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ، هَذِهِ ضَرْبَتُهُ » .

(١) جماعة من الحاربيين المختارين، وكانت عدتهم ألفاً. (٢) الاعتجار : لف العمامة دون التلحي.

وأن القوم اقتتلوا يومين ، فلما كان في اليوم الثالث دعا بهرام كسرى إلى المبارزة ، فهم كسرى أن يفعل ، فنهه ثيادوس ، وأبى كسرى ، فخرج إلى بهرام ، فتطاردا ساعة .

ثم إن كسرى ولى مُنْهَزِمًا ، وعارضه بهرام فاقتطعه عن أصحابه ؛ ومضى كسرى نحو جبل ، وبهرام في أثره يهتف به ، ويده السيف ، وهو يقول :
 « إلى أين يا فاسق ؟ » . فجمع كسرى نفسه ، فساعدته القوة على تَسَنُّمِ الجبل ؛ فلما نظر بهرام إلى كسرى قد علا ذروة الجبل علم أنه قد نُصِرَ عليه ، فانصرف خَاسِئًا ، وهبط كسرى من جانب آخر حتى أتى أصحابه ، ثم ابْتَكَرَ^(١) الفريقان على مَصَافِهِم في اليوم الرابع ، فاقتتلوا ، فكان الظفرُ لكسرى .

وانصرف بهرام في جنوده مُنْهَزِمًا إلى معسكره ، فقال بِنْدُويَة لكسرى :
 « أيها الملك ، إن الجنود الذين مع بهرام لو قد أَمْنُوكَ على أنفسهم انحازوا إليك . فائذن لي أن أعطيهم الأمان عنك » ، فأذن له .

فلما أَمْسَى بِنْدُويَة أقبل حتى وَقَفَ على رَآبِيَة مُشْرِفَة على معسكر بهرام ، ثم نادى بأعلى صوته : « أيها الناس ، أنا بِنْدُويَة بن سَابُور ، وقد أَمَرَنِي الملك كسرى أن أعطيكم الأمان ، فَمَنْ انحاز إلينا منكم في هذه الليلة فهو آمِنٌ على نفسه وأهله وماله » . ثم انصرف .

فلما أَظْلَمَ الليل على أصحاب بهرام تَحَمَّلُوا حتى لحقوا بمعسكر كسرى إلا مِقْدَارَ أَرْبَعَةِ آلاف رجل ، فإِثْمَ أقاموا مع بهرام . ولما أصبح بهرام نَظَرَ إلى معسكره خَالِيًا قال : « الْآنَ حَسُنَ الْفِرَارُ » . فارتَحَلَ في أصحابه الذين أقاموا معه ، وفيهم مَرْدَان سِينَه ويزْدَجُشْنَس ، وكانا من فرسان العجم .

فَوَجَّهَ كسرى في طلبه سَابُور بن أَهْرَكان في عشرة آلاف فارس ، فَلَحِقَهُ ،

(١) ابْتَكَرَ وبكر وبكره بمعنى أى أناه بكرة .

وعطف عليه بهرام في أصحابه ، فاقتتلوا ، فانهزم سَابُور ، ومضى بهرام على وجهه ،
 فرّ في طريقه بِقَرِيَّةٍ^(١) ، فنزلها ، ونزل هو ومَرْدَان سِينَه وَيَزْدَجُشْنَس بيتَ عجوز ،
 فأخرجوا طعاماً لهم ، فَتَمَشَّوْا وأطعموا فَضَلَّتَه العجوز ، ثم أخرجوا شراباً ،
 فقال بهرام للعجوز : « أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ نشرب فيه ؟ » ، قالت : « عندى
 قَرَعَة صغيرة » ، فأتهم بها ، فَجَبَّوْا رأسها ، وجعلوا يشربون فيها ، ثم أخرجوا
 نَقْلًا^(٢) ، وقالوا للعجوز : « أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ يُجَمَّلُ عليه النقل ؟ » فأتهم
 بِمَنَسَفٍ^(٣) ، فألقوا فيه ذلك النقل ؛ فَأَمَرَ بهرام ، فَسُقِيَتِ العجوز ، ثم قال لها :
 « ما عندك من الخبر أَيْتَهُما العجوز ؟ » ، قالت : « الخبر عندنا أن كسرى أقبل
 بجيش من الرُّوم ، فخارب بهرام ، ففَلَبَّه ، واستَرَدَّ منه مُلْكُه » ، قال بهرام :
 « فَمَا قَوْلُكَ في بهرام ؟ » ، قالت : « جاهِلٌ ، أحمق ، يدَّعى المَلِك ، وليس
 من أهل بيت المملِكة » .

قال بهرام : « فن أجل ذلك يشرب في القرع ، ويتنقل من المنسف » .
 فجرى مثلاً في العجم يتمثلون به .

وسار بهرام حتى انتهى إلى أرض قُومِس^(٣) ، وبها قَارِن الجَبَلِي الهَاوَنَدِي
 وكان والي خراسان على حربها وخرابها ، وعلى قُومِس وجُرجَان ، وكان
 شيخاً كبيراً قد أنافَ على المائة ، وكان على تلك الناحية من قبل كسرى أنو
 شروان . ثم أقره هُرمُزد بن كسرى ، فلما أفضى الأمر إلى بهرام عرف له
 قدره في العجم ، وفضله ، فأقره مكانه .

فلما انتهى بهرام إليه وجّه قارن ابنه في عشرة آلاف فارس ، فخالوا بين
 بهرام وبين النفوذ ، فأرسل إليه بهرام « ما هذا جزائي منك ، إذ أفررتك
 على عملي ؟ » فأرسل إليه قارن : « إن ما على من حق الملك كسرى وحق

(١) النقل بفتح النون وقد تضم وسكون الفاف ما ينقل به على الشراب .

(٢) المنسف كمنبر ما ينفخ به الحب ، وهو شئ طويل منصوب الصدر ، أعلاه مرتفع .

(٣) قومس ، تعريب كومس وهي كورة كبيرة واسعة قرب جبل طبرستان .

آبائه أعظم مما على من حقت ، وكذلك عليك ، لو عرفت ، إذ شرفك ، فكافأته ، أن خلعت طاعته ، وسعرت مملكة العجم ناراً وحرباً ، فكان قصارك أن رجعت خائباً حسيراً ، وصرت أخذوة لجميع الأمم .

- فأرسل إليه بهرام : أن المنز يساوي درهمين مرتين : إذا كان عناقاً صغيراً ، وإذا هرم وسقطت أسنانه لم يساو أيضاً إلا درهمين ، وكذلك أنت في هرمك ونقصان عقلك .

- فلما أتت قارن هذه الرسالة ، غضب وخرج في ثلاثين ألف فارس ورجل من جنوده ، وتهيأ الفريقان للحرب . فلما التقوا قتل ابن قارن ، فانهزم أصحابه ، حتى لحقوا بمدينة قوميس . ومضى بهرام على خوارزم ، فمبار النهر ، ووغل في بلاد الترك من ذلك الوجه يوم خافان ليستجير به فيجيره ، ويمنع عنه .

- وبلغ خافان قدوم بهرام عليه ، فأمر طراخنته ، فاستقبلوه ، وأقبل حتى دخل على خافان ، فحياه بتحية الملك ، وقال : « إني أتيتك أيها الملك مستجيراً بك من كسرى وأهل مملكته لتمننى وأصحابي » ، فقال له خافان : « لك ولأصحابك عندى الحماية والجوار والمواساة » .

- ثم ابتنى له مدينة ، وبني في وسطها قصرًا ، فأزله وأصحابه فيها ، ودون لهم ، وفرض الأعطيات ، فكان بهرام يدخل على خافان كل يوم ، فيجلس منه مجلس إخوته ، وخاص أئاربه .

- وكان لخافان أخ يسمى « بنأوير » وكانت له نجدة وفروسيّة ، فرآه بهرام يتدرع في منطقته غير هائب من الملك ، ولا مؤفراً لمجلسه ، فقال ذات يوم لخافان : « أيها الملك ، إني أرى أخاك بنأوير يتدرع في الكلام ، ولا يرعى لمجاسك ما يجب أن يرعى لمجلس الملوك ، وعهدنا بالملوك لا يتكلم إخوتهم وأولادهم عندهم إلا بما يسألون عنه » . فقال خافان : « إن بنأوير قد أعطى نجدة في الحروب وفروسيّة ، فهو يدلّ بذلك ، على أنه يتربص بي الدوائر ، ويضمير لي الحسد والمداوة » . قال له بهرام : « أفتحبب أيها الملك أن أريحك منه » .

قال : « بماذا ؟ » . قال : « بقتله » . قال : « نعم ، إن أمكنك ذلك من وجه لا يكون على فيه مسبة » . قال بهرام : « سأتي من ذلك ما لا يلزمك فيه عار ولا عيب » .

٥ فلما أصبحوا من غدٍ أقبل بهرام ، فجلس عند خاقان مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فأقبل بناوير ، فجلس وجعل يتندرّع في كلامه . فقال له بهرام : يا أخى ، لم لا توفى الملك حقه ، وتظهر للناس هيئته وإجلاله .

فقال له بناوير : وما أنت وذلك أيها الفارس الطريد الشريد ؟ قال له بهرام : كأنك تصول بفروسية لست فيها بأكثر منى . قال له بناوير : فهل لك إلى مبارزتي ، فأعرفك نفسك . قال له بهرام : أما أنا فلا أحب ذلك ، فإنى متى غلبتك لم أقتلك لمسكانك من الملك .

قال بناوير : لكنى إن غلبتك قتلتك ، فأخرج بنا إلى الصحراء . قال بهرام : على النصفة إذا قال الملك ذلك ، وعلى أن لا قود على إن قتلتك ، ولا لائمة من الملك وطراختته . ١٥ قال : نعم .

فقال خاقان : مالك ولهذا الرجل المستجير بنا ، المائد بجوارنا ؟ قال بناوير : أدعوه إلى النصفة . قال : وأى نصفة ؟

٢٠ قال : يقف لى وأقف له على مائتى ذراع ، فأرميه ، ويرمىنى ، فأبنا قتل صاحبه لم يكن عليه لوم ولا عقل^(١) .

قال له خاقان : إربع^(٢) على نفسك ، لا أم لك .

قال : والله ليفعلنَّ أوْ لَا فُتَسَكَّنَ به بين يديك .
قال : فذُونَكَ إِذْنُ .

فخرج بَغاوِيرَ وَبَهْرَامَ فِي نَفَرٍ مِنَ الطَّرَاحِنَةِ يَنْظُرُونَ ، وَوَقَفَ بَغاوِيرَ مِنْ بَهْرَامَ
عَلَى مَائَتِي ذِرَاعٍ ، فَقَالَ بَهْرَامُ لِلطَّرَاحِنَةِ : لَا تَلُومُونِي إِنْ أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَدْ بَنَيْتُ عَلَى
كَمَا تَرُونَ .

فقالوا : ليس عليك لوم .

فصاح بَغاوِيرَ بِبَهْرَامَ ، أَتَبْدَأُ أَنْتَ ، أَمْ أَبْدَأُ أَنَا ؟

فناداه بَهْرَامُ : بَلْ أَبْدَأُ أَنْتَ ، فَأَرْمِ ، فَأَنْتَ الْبَاغِي الظَّالِمُ .

فَوَتَّرَ بَغاوِيرَ قَوْسَهُ ، وَوَضَعَ فِيهَا نُسَابَةً ، ثُمَّ نَزَعَ حَتَّى أَغْرَقَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا ،
فَصَكَّتْ بِبَهْرَامَ أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ فِي وَسْطِ مَنْطِقَتِهِ ، فَتَفَذَّتِ الْمَنْطِقَةُ وَالذَّرْعُ
وَسَائِرُ اللَّبَاسِ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى صِفَاقٍ^(١) بَطْنُهُ الظَّاهِرُ ، وَاتَّرَتْ فِيهِ .

وَبَادَرَ بَهْرَامُ فَرْعَهَا ، وَوَقَفَ هُنَيْهَةً لَا يَضْرِبُ بِيَدِهِ إِلَى قَوْسِهِ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ
مِنَ أَلَمِ الرَّمِيَةِ ؛ وَظَنَّ بَغاوِيرَ بِأَنْ قَدْ قَتَلَهُ ، فَرَكِضَ نَحْوَهُ ، فَصَاحَ بِبَهْرَامَ : أَنْ اذْجِعْ
إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَفَّ لِي كَمَا وَقَفْتَ لَكَ ؛ فَانْصَرَفَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَوَقَفَ ، وَأَخْرَجَ
بَهْرَامُ قَوْسَهُ ، فَوَتَّرَهَا^(٢) ، وَكَانَ لَا يُوتِّرُهَا سِوَاهُ ، ثُمَّ وَضَعَ فِيهَا نُسَابَةً ،
وَنَزَعَ حَتَّى أَغْرَقَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا ، فَوَقَعَتْ مِنْ بَغاوِيرَ فِي مِثْلِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَقَعَتْ
نُسَابَتُهُ مِنْ بَهْرَامَ ، فِي وَسْطِ الْمَنْطِقَةِ وَالذَّرْعِ وَسَائِرِ اللَّبَاسِ ، وَمَرَقَتْ مِنَ الْجَانِبِ
الْآخِرِ ، لَمْ يَذْهَبْ شَيْءٌ مِنْ رِيشِهَا وَلَا عَقِبِهَا ، وَسَقَطَ بَغاوِيرَ مَيِّتًا .

وَبَلَغَ ذَلِكَ خَاقَانَ ، فَقَالَ : لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَهُ ، قَدْ نَهَيْتُهُ عَنِ الْبَنَى ، فَأَبَى ؛
ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى طَرَاخِنَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ : لَا أَعْلَمَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ نَوَى لِبَهْرَامَ
سُوءًا وَلَا مَكْرُوهًا .

(١) جلد . (٢) أى جعل لها وترًا ، والوتر محرّكة شرعة القوس ومعلقها .

فلما خلا بهرام بخاقان شكراً له ما كان منه ، وقال : « لقد أرحتنى
من كان يتمنى موتى ، لَيْسْتَبْدَ بالملك دون ولدى » ؛ ثم زاده إكراماً ومنزلة
وبراً ، وعظم قدر بهرام بأرض الترك ، واتخذ ميداناً على باب قصره ،
واتخذ الجوارى والقيان^(١) والجوارح^(٢) ، وكان من أكرم الناس على
خاقان .

وإن كسرى عند انهزام بهرام وهربه أكرم ثيادوس ، ومن معه ،
فأحسن جوائزهم وصلاتهم ، وسرّحهم إلى بلادهم ، وولى خاله بندوية دواوينه
وبيوت أمواله ، ونفذ أمره في جميع المملكة ؛ وولى خاله بسطام أرض
خراسان وقومس وجرجان وطبرستان ، ووجه أعماله في آفاق ، ووضع عن
الناس نصف الخراج .

ولما بلغ كسرى عظيم قدر بهرام عند خاقان وجسيم منزلته ببلاد الترك
خافه أن يستجيش ويعود إلى محاربته ، فوجه هرمزد جُرازين إلى خاقان وإفداً
في تجديد العهد ، ووجه معه بالطان وطُرف ، وأمره أن يتلطف بخاقان حتى
يُفسد قلبه على بهرام .

فسار هرمزد جُرازين حتى دخل على خاقان ، ومعه كتاب كسرى ،
وأوصل إليه هدايا كسرى والطفاه ، فقبلها خاقان ، وأمره بالمقام ليقضى
حوادثه ، فكان هرمزد يدخل على خاقان مع وفود الملوك ، فيُحييه بتحية
الملك .

ثم إنه دخل ذات يوم ، فرآه جالساً ، فقال : أيها الملك ، إنى أراك
قد استصفت بهرام وأسنت منزلته ، ولم تفعل به من ذلك شيئاً إلا وما
كان فعل به ملكنا أكثر منه ، فكان جزاؤه منه أن خلمه ، وأراد سفك دمه

(١) القبة : هى الجارية بيضاء اللون مغنية كانت أو غير مغنية ، وقيل تختص بالمغنية .

(٢) جمع جارحة وهى الطير والسباع الكواسب التى تتخذ فى الصيد ، وتطلق الجارحة على

الدبكر والأنثى .

وخرج على ابنه كسرى حتى نفاه من مملكته ، وما أحسب قُصارى أمرك منه إلا الغدر ونكث العهد ، فاحذره أيها الملك ، لا يُفسد عليك مُلكك . فلما سمع خاقان منه ذلك غضب غضباً شديداً ، وقال : « لولا أنك وافدٌ ورسول لمنعتك من الدخول إلىّ لما استبان لي من خرقك وعيبك بحضرتي أخي وصفيّ ، فلا تُمودنّ لثل هذا » .

٥

فقال هُرمُزد جُرازين : أما إذ كان أيها الملك هذا رأيك فيه ، فأسألك أن تكتم عليّ ، لا يبلغه ذلك ، فيقتلني ، فقال : « هذا لك » .

فخرج هُرمُزد آيساً منه ، فاندسّ إلى امرأته خاتون — ومن النساء السخافة وكفرانُ النعم — فدخل عليها ذات يوم ، فلم يصادف عندها أحداً يخافه ، فقال لها : « أيتها الملكة ، إنكم قد اصطفيتم بهرام ، ورفعتموه فوق قدره ، وليس بمأمون أن يفسد عليكم مُلككم كما أفسده على هُرمُزد ملكنا ، ثم قصّ عليها ما كان منه ، وقال : أيتها الملكة ، أقصد نسيت قتله عمك شاهان شاه واحتواءه على سريره وخزائنه ؟ فلم يزل يذكرها هذا ، وأشبابه حتى أوقع في قلبها بغضَ بهرام والخوف منه على زوجها وولدها .

١٥

قالت : « وَيَحْك ، وما الذي يمكنني في أمره ، ومنزلته من الملك منزلته ؟ » . قال : « الرَّأْي أن تدسّي إليه مَنْ يقتله ، فتأمني على زوجك وولدك » . فأمرت غلاماً لها قد عرفته بالفتك والإقدام ، فقالت له : « انطلق الساعة حتى تدخل على بهرام وتتلطف لتقتله ، ولا تأتني إلا بعد الفراغ منه » .

٢٠

فانطلق الغلام حتى استأذن على بهرام ، وفي حُجْرته خنجر ، قد ستّره ، وكان ذلك اليوم يوم ورهام رُوز .

قالوا : وقد كان المنجّمون قالوا في مولده ، إن منيته في ورهام رُوز^(١) ،

(١) رُوز بالفارسية بمعنى يوم . وبوم ورهام واحد من الأيام المعروفة عند الفرس .

فكان لا يخرج ذلك اليوم من منزله ، ولا يأذن لأحد إلا لثقافته وخاصته ، فدخل
الآذن ، فأعلمه أن رسول الملكة يطلب الإذن ، فأذن له ، فدخل ، فغنيا بهرام
وقال : « إن الملكة قد وجهتني إليك برسالة ، فأخلى » .

فقام من عند بهرام ، فخرجوا . ودنا التركي منه ، كأنه يريد أن يساره ،
ثم استل الخنجر فبعجه^(١) به ، وخرج ، فركب دابته ، ومضى .

ودخل أصحاب بهرام عليه ، فصادفوه يستدعي ، ويده ثوب ينشف به الدم ،
فلما رأوه بتلك الحال بهتوا ، وقالوا : « كيف لم تهتف بنا ، فناخذه ؟ » ،
فقال : « إنما كان كلباً أمراً بشيء فنفذ له » ، وقال لهم : « إذا جاء القدر
لم يغن الحذر ، وقد خلفت عليكم أخى مردان سيئه ، فأطيعوا أمره » .

وأرسل إلى خاقان يعلمه أمره ، فأقبل خاقان نحوه وإلهام^(٢) ، فصادقه
قدمات . فواراه في ناووس^(٣) ، وهم يقتل خاتون ، فحجز عن ذلك لسان
ولده منها .

وإن أصحاب بهرام تناظرُوا فيما بينهم ، فقالوا : « مآلنا عند هؤلاء خير ،
وما الرأى إلا الخروج عن أرضهم ، فإنهم غدره بالمهد ، كفره للإحسان ،
والانتقال إلى بلاد الديلم ، فإنها أقرب إلى بلادنا ، وأمكن للطلب بثأرنا من
ملوكنا الذين شردونا ؟ فسألوا خاقان الإذن لهم في الانصراف ، فأذن لهم ،
وأحسن إليهم ، وقواهم ، وبذرهم^(٤) إلى حدود أرضه .

وكان مع بهرام أخته « كُرْدِيَّة » ، وكانت من أجل نساء العجم ، وأبرعن
براعة ، وأكلهن خلقاً ، وأفرسهن فرُوسية ؛ فخرج أصحاب بهرام وكُرْدِيَّة
أمامهم على دابة بهرام مسلحة بسلاحه ، حتى انتهوا إلى نهر جيحون مما يلي
خوارزم ، فعبروا هناك ، وانصرف عنهم الطراخنة ، وأخذ أصحاب بهرام

(١) بعجه : شق بطنه . (٢) غضبان قد ذهب عقله من شدة الحزن .

(٣) الناووس : مقابر النصارى . (٤) خفرهم والمبذرق الخفير .

على شاطئ النهر ، ثم انْحَطُّوا إلى جُرْجَان ، وسلكوا طَبَرَسْتَانَ ، ثم لزموا ساحل البحر حتى انتهوا إلى بلاد الدَّيْلَم ، فسألوهم السُّكْنَى معهم في بلادهم ، فأجابوهم إليه ، وكتبوا بينهم كتاباً : « أَلَا يَتَأَذَّى أَحَدٌ بِأَحَدٍ » ، فأقاموا آمنين ، واتَّخَذُوا المَعَايِشَ والْقُرَى والمزارع ، وأيديهم مع أيدي الدَّيْلَم في كل أمر .

٥ فلما قُتِلَ بهرام رأى كسرى أن قد صَفَا له الملك ، فلم يكن له هِمَّةٌ إِلَّا الطَّلَبُ بِثَأْرِ أَبِيهِ هُرْمُزْد ، وأَحَبَّ أن يبدأ بِخَالَتِهِ بِنْدُويَةَ وَبِسَطَام ، ونَسَى أَيْدَى بِنْدُويَةَ عنده ، فحَكَتْ كسرى يُكَاثِرُهُمَا^(١) عَشْرَ سَنِينَ ، وأنه خرج في أيام الرِّيع كعادته ، يريد الجبل لِيَصِيفَ فيه ، فنزل حُلُوان^(٢) وبِنْدُويَةَ معه ، فأمر أن يضرب له قُبَّةٌ على الميدان ، لينظر إلى المرازبة إذا لعبوا الكرة .

١٠ فجلس على تلك القُبَّة ، فرأى شيرزاد بن البَهْمُودَان يضرب بالكرة ويُجِيد ، فكان كلما ضَرَبَ ، فأجَاد ، قال له كسرى « زِهْ سَوار »^(٣) ، فأخَصَّى الموكل ذلك مائة مرة قالها .

فكتب له إلى بِنْدُويَةَ بأربعمائة ألف درهم ، لكل مَرَّةٍ أربعة آلاف درهم ، فلما وَصَلَ الصَّكَّ إلى بِنْدُويَةَ قَدَفَهُ من يده ، وقال : « إِنَّ بُيُوتَ الْأَمْوَالِ لَا تَقُومُ لِهَذَا التَّبَذِيرِ » .

١٥ وبلغ كسرى قوله ، فجعل ذلك ذَرِيعَةً إلى الوَثُوبِ به ، فأمر صاحب حرسه أن يأتيه ، فيقطع يديه ورجليه ، فأقبل صاحب الحرس لِيَنْفِذَ فيه أمر كسرى ، فاستقبله بِنْدُويَةَ يريد الميدان ، فأمر به ، فَنُكِّسَ عن دَابَّتِهِ ، وقطع يديه ورجليه ، وتركه مُتَشَحِّطًا في دمه بمكانه .

٢٠

(١) يظهر لهما الرضى ، والكشر يسكون الشين : التيسم ، وكشر عن أسنانه أبدأها ، ويكون في الضحك وغيره . (٢) قرية بالعراق .

(٣) زه كلمة للاستحسان بمعنى مرحباً أو بارك الله ، وسوار معناها فارس ، وهو تعبير فارسي

فَجَعَلَ بِنْدَوِيَّةَ يَشْتُمُ كَسْرِي ، وَيَشْتُمُ أَبَاهُ ، وَيَذْكُرُ غَدْرَ آلِ سَاسَانَ ، وَنَسْكَهُمْ ،
وَيُقَالُ كُلُّ ذَلِكَ لِكَسْرِي ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ وَزَرَائِهِ : يَزْعُمُ بِنْدَوِيَّةَ أَنَّ
آلَ سَاسَانَ غَدَرُوا نَكْنَكَةَ ، وَيَنْسَى نَفْسَهُ فِي غَدْرِهِ بِالْمَلِكِ ، أَيْبِنَا ، حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ
مَعَ أَخِيهِ بَسْطَامَ ، فَأَلْقَا الْعِمَامَةَ فِي عُنُقِهِ ، ثُمَّ خَنَقَاهُ بِهَا ظُلْمًا وَعَدْوًا ، لِيَتَقَرَّبَا بِذَلِكَ
إِلَى ، كَأَنَّهُ لَيْسَ لِي بَوَالِد .

٥
ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْمِيدَانِ ، فَرَّ بِنْدَوِيَّةَ ، وَهُوَ مُلْقَى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَأَمَرَ
النَّاسَ أَنْ يَرْجُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَرَجَوْهُ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ : هَذِهِ ، حَتَّى تَأْتِيَ أَخْتَهَا .
يَعْنِي مَا أَرَادَ مِنْ إِيْلَاقِ بَسْطَامَ بِأَخِيهِ بِنْدَوِيَّةَ ؛ ثُمَّ أَمَرَ كَاتِبَ السَّرِّ أَنْ يَكْتُبَ
إِلَى بَسْطَامَ لِيُخَلِّفَ عَلَى عَمَلِهِ نَقَّةً ، وَيَقْدُمُ مُسْتَخْفِيًّا لِيُنَظِرَهُ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ،
فَفَعَلَ بَسْطَامَ ذَلِكَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى حَدِّ قَوْمِيسَ اسْتَقْبَلَهُ
مَرْدَانُ بِهِ قَهْرْمَانُ أَخِيهِ بِنْدَوِيَّةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ
وَالْعَوِيلِ ، فَقَالَ لَهُ بَسْطَامُ : « مَا وَرَاءُكَ ؟ » فَأَخْبَرَهُ بِمَقْتَلِ أَخِيهِ ، فَلَمْ يَجِدْ
مَذْهَبًا فِي الْأَرْضِ ، فَعَدَلَ إِلَى مَنْ بِالْبَيْلَمِ مِنْ أَصْحَابِ بَهْرَامِ .

١٥
وَبَلَغَ مَرْدَانُ سَيْنَهُ رَئِيسَ أَصْحَابِ بَهْرَامِ قُدُومَ بَسْطَامَ عَلَيْهِ ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ ،
وَخَرَجَ مُتَلَقِّيًا لَهُ فِي جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، لِشَرَفِ بَسْطَامِ فِي الْعِجْمِ ، وَفَضْلِهِ ؛
ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَزَلُّوهُ مِنْزَلًا بَهِيًّا ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ
أَمِينًا ، ثُمَّ إِنَّ مَرْدَانَ سَيْنَهُ وَبَزْدَجُشْنَسَ وَالْعُظَاءَ قَالُوا لِبَسْطَامَ : مَا بَالُ كَسْرِي
أَحَقَّ بِالْمُلْكِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ ابْنُ سَابُورَ بْنِ خُرْبُندَادَ مِنْ صَمِيمٍ وَلَدَ بَهْمَنْ بْنِ
أُسْفَنْدِيَاذَ ، وَإِنَّا لَأَخَوَةٌ بَنَى سَاسَانَ وَشُرَكَائِهِمْ ، فَهَلْ نُبَايَعُكَ وَنُزَوِّجُكَ
كُرْدِيَّةَ أُخْتِ بَهْرَامِ ، وَمَعْنَا سَرِيرَ ذَهَبٍ قَدْ كَانَ حَمْلَهُ بِبَهْرَامِ مِنَ الْمَدَائِنِ ، فَاجْلِسْ
٢٠
عَلَيْهِ ، وَادْعُ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِكَ مِنْ وَلَدِ دَارَا بْنِ بَهْمَنْ سَيَنْحَلِبُونَ إِلَيْكَ ،
وَإِذَا قَوِيَتْ شَوْكَتُكَ ، وَكَثُرَ جُنْدُكَ ، سِرْتَ إِلَى الْغَادِرِ كَسْرِي ، فَخَارَبْتَهُ ،
وَحَاوَلْتَ مَلَكَهَ ، فَإِنَّ نَلْتَ مَا تَرِيدُ فَذَلِكَ الَّذِي نَحِبُّ وَتَحِبُّ ، وَإِنْ قُتِلْتَ قُتِلْتَ
وَأَنْتَ تَحَاوِلُ مَلَكَهَ ، وَإِنْ ذَلِكَ أَبْعَدُ لَصَوْتِكَ ، وَأَنْبَهْ لِدِرْكِكَ .

فلما سمع بِسْطَام ذلك الكلام أَصْغَى إِلَيْهِ ، وَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا عَرْضُوا عَلَيْهِ ،
فَزَوَّجُوهُ كُرْدِيَّةً ، وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سُرِيرِ الذَّهَبِ ، وَعَقَّدُوا عَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ ،
وَبَايَعُوهُ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَدَعَوْهُ مَلِكًا ، وَتَابَعَهُ أَشْرَافُ الْبِلَادِ ، وَانْحَلَبَ إِلَيْهِ
جِيلَانُ وَالْبَرِّ وَالطَّيْلَسَانُ^(١) ، وَقَوْمٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ تَمَنَّى أَنْ كَانَ
يَهْوَاهُ وَيَهْوَى أَخَاهُ ، نَحَى صَارَ فِي مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ .

٥

فَخَرَجَ إِلَى الدَّسْتَجِي^(٢) وَأَقَامَ بِهَا ، وَبَثَّ السَّرَايَا فِي أَرْضِ الْجَبَلِ ، حَتَّى بَلَغُوا
حُلُوانَ وَالصَّيْمِرَةَ^(٣) وَمَاسَبَذَانَ ، وَهَرَبَ عُثْمَالُ كَسْرَى ، وَتَحَصَّنَ الدَّهَاقِينَ
فِي الْحَصُونِ وَرَاءَ الْجِبَالِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ كَسْرَى ، فَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ وَجْهَ الْأَمْرِ فِي قَتْلِهِ
بِنْدَوِيَّةَ ، فَأَخَذَ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ الْخَدِيمَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى سِطَامَ : « إِنَّهُ قَدْ يَلْغِي
مَصِيرُكَ إِلَى الْعَدْرَةِ الْفَسَقَةِ ، أَصْحَابُ الْفَاسِقِ بِهَرَامَ ، وَتَزِينُهُمْ لَكَ مَا لَا يَلِيْقُ بِكَ ،
ثُمَّ حَمْلُوكَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمَمْلَكَةِ وَالْعَيْثِ فِيهَا وَالْفَسَادِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْلَمَ مَا أَنْوَى
لَكَ ، وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ فِي بَابِكَ ، فَدَعِ التَّمَادِي فِي النَّيِّ وَأَقْبِلْ إِلَى آمِنَا ،
وَلَا يُوحِشَنَّ قَتْلَ أَخِيكَ بِنْدَوِيَّةَ » .

فَأَجَابَهُ سِطَامَ : « أَنْ قَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ بِمَا خَبَّرْتَ بِهِ مِنْ خَدِيْعَتِكَ ،
وَسَطَّرْتَنِي مِنْ مَكِيدَتِكَ ، فَمَتُّ بِغَيْظِكَ ، وَذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَسْتَ
بَأَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي ، بَلْ أَنَا أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ، لِأَنِّي ابْنُ دَارٍ مُقَارِعِ الْإِسْكَدَرِ ،
غَيْرِ أَنْكُمْ يَا بَنِي سَاسَانَ غَلَبْتُمُونَا عَلَى حَقِّنَا وَظَلَمْتُمُونَا ، وَإِنَّمَا كَانَ أَبُوكُمْ سَاسَانُ رَاجِعِي
غَنَمٍ ، وَلَوْ عَلِمَ أَبُوهُ يَهْمَنُ فِيهِ خَيْرًا مَا زَوَّى^(٤) عَنْهُ الْمَلِكُ إِلَى أُخْتِهِ « خُمَاثَى » .

فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى كَسْرَى عَلِمَ أَلَّا طَمَعَ فِيهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ قُوَادٍ فِي ثَلَاثَةِ
عَسَاكِرَ ، كُلُّ عَسْكَرٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ ، فَنَفَذَ الْعَسْكَرَ الْأَوَّلَ ، وَعَلَيْهِ سَابُورُ

(١) أقوام من سكان نواحي الديلم والخرز.

(٢) كورة كبيرة في دنهاوند مقسومة بين الري وهمدان .

(٣) بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان . (٤) نجاه وأزاله .

ابن أبركان ، ثم أردفه بالعسكر الثاني ، وعليه التَّخَارِجَان ، ثم أردفهما بالثالث ، وعليه هُرْمُزْد جُرَازِين ؛ فلما اتَّصَلَ بِبِسْطَام فصول العساكر نحوه سار حتى أتى هَمْدَانَ ، فأقام بها ، وَوَجَّهَ الرَّجَالَةَ إِلَى رَهْوسِ الْعِقَابِ^(١) ، لِيَنْزِمُوا النَّاسَ مِنَ الصَّعُودِ وَالنَّفُوذِ .

قال : فأقامت العساكر دون الجبل بِمَكَانٍ يُدْعَى قَلُوص ، وكتبوا إلى كَسْرَى يُبَلِّغُونَهُ ذَلِكَ ، فخرج كسرى بنفسه في خمسين ألف فارس ، حتى وَافَى جنوده وهم معسكرون بِقَلُوص ، فأقام عندهم ريثما أراح ، ثم سار على رُسْتاق^(٢) يَسْمَى شَرَاهُ^(٣) ، فَتَفَدَّ مِنْهُ إِلَى هَمْدَانَ فِي طَرِيقٍ لَا جَبَلَ فِيهِ وَلَا عَقَبَةَ ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى بَطْنِ هَمْدَانَ ، فَمَسَكَرَ هُنَاكَ ، وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ .

- ١٠ وسار إليه بِبِسْطَام فِي جُنُودِهِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَا يَنْهَزِمُ أَحَدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا رَأَى كَسْرَى ذَلِكَ ، قَالَ لِكُرْدِي بْنِ بَهْرَامِ جُسْنَسِ أَخِي بَهْرَامِ شُورِيَّيْنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَكَانَ مِنْ أَنْصَحِ الْمَرَاذِبَةِ لِكَسْرَى ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ وُدًّا ، وَأَسْرَعُهُمْ فِي طَاعَتِهِ نَهْوضًا ، فَقَالَ : « قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ هَذِهِ الْحُرُوبِ ، وَإِنِّي قَدْ رَجَوْتُ الرَّاحَةَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِبَابٍ لَطِيفٍ » . قَالَ : « وَمَا هُوَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ »
- ١٥ قَالَ : « إِنْ أَخَذْتُكَ كُرْدِيَّةَ امْرَأَةٍ بِبِسْطَامٍ مُتَشَوِّقَةٍ^(٤) لَا مَحَالَةَ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهَا وَوُطْنِهَا ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهَا إِنْ آثَرَتْ قَتَلَ بِبِسْطَامٍ قَدَرَتْ لَطْمَانِيَّتُهُ إِلَيْهَا ، وَلَمَّا بَلَغَنِي مِنْ صَرَامَتِهَا وَإِقْدَامِهَا ، وَإِنْ هِيَ قَتَلَتْهُ فَلَهَا عَلَى ذِمَّةِ اللَّهِ : أَنْ أَتَزَوَّجَهَا وَأَجْعَلَهَا سَيِّدَةً نِسَائِي ، وَأَجْعَلَ الْمَلِكَ مِنْ بَعْدِي لَوْلِي ، إِنْ كَانَ لِي مِنْهَا ، وَأَنَا كَاتِبٌ عَلَى ذَلِكَ بِخَطِّي ، فَارْسِلْ إِلَيْهَا حَتَّى تَعْرِضَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، وَتَنْظُرُ مَا عِنْدَهَا فِيهِ » .
- ٢٠ قَالَ لَهُ كُرْدِي : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَاقْتَبْ لَهَا بِخَطِّكَ مَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، وَتَعْرِفَ صِدْقَ

(١) جمع عقب وهو المرق الصعب من الجبال .

(٢) مغرب رستا بضم الراء وسكون السين ، وهو السواد والقرى .

(٣) في الأصل : شرًا ، (٤) في نسخة أخرى متشوفة ، والتشوف : التطلع والشوق .

قولك فيه ، لِأَوْجِهَ إِلَيْهَا بِالْكِتَابِ مَعَ امْرَأَتِي ، فَإِنِّي لَا أَتَقُ بِسِوَاهَا فِي كِتْمَانِ السَّرِّ .

فَكُتِبَ لَهَا كَسْرَى بِذَلِكَ ، وَأُكِّدَ ، فَأَخَذَ كُرْدِي الْكِتَابَ ، وَوَجَّهَهُ مَعَ امْرَأَتِهِ إِلَى كُرْدِيَّةَ . وَقَدْ كَانَ بِسَطَامٍ خَرَجَ بِهَا مَعَهُ لَشِدَّةِ وَجْدِهِ بِهَا .

- ٥ فلما قرأت كُرْدِيَّةَ كِتَابَ كَسْرَى عَرَفَتْ وَثَاقَتَهُ ، فَأَفْضَتْ بِسَرِّهَا إِلَى ظُثُورَتِهَا وَثِقَاتِهَا ، فَزَيَّنَ لَهَا ذَلِكَ لَتَشْوِقَهُنَّ إِلَى أَوْطَانِهِنَّ . وَلَمْ يَنْكَرِ بِسَطَامٍ مَجِيءَ الْمَرَأَةِ إِلَى كُرْدِيَّةَ لَمَّا عَرَفَ مِنْ أَلْفِ النِّسَاءِ وَتَزَاوُرِهِنَّ .

- وإن بِسَطَامٍ انصرفت ذات عشاء إلى مضربه الذي فيه كُرْدِيَّةَ تَعَبًا قَدْ مَسَّهُ الْكَلَالُ لَشِدَّةِ الْحَرْبِ ، فَدَعَا بِطَعَامٍ ، فَنَالَ مِنْهُ ، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابِهِ ، فَجَعَلَتْ كُرْدِيَّةَ تَسْقِيهِ مِزْجًا حَتَّى غَلِبَهُ السُّكْرُ ، فَنَامَ ، فَقَامَتْ إِلَى سَيْفِهِ ، فَوَضَعَتْ ١٠ ظُبَّتَهُ (٢) فِي ثُنْدُوتِهِ (٣) ، وَتَحَامَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنْ سَاعَتِهَا ، فَتَحَمَلَتْ فِي حَشَمِهَا وَظُثُورَتِهَا ، وَقَدْ كَانَ أَخُوهَا كُرْدِي وَقَفَ لَهَا عَلَى الطَّرِيقِ فِي خَيْلٍ ، فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَيْهِ انْطَلَقَ بِهَا ، فَأَنْزَلَهَا فِي رَحْلِهِ .

- ولما أصبح أصحاب بِسَطَامٍ وَوَجَدُوهُ قَتِيلًا ارْتَحَلُوا هَارِبِينَ نَحْوَ بِلَادِ الدَّيْلَمِ ، ١٥ فَوَجَّهَ كَسْرَى سَابُورَ بْنَ أَبْرَكَانَ فِي عَشْرَةِ آلَافِ فَارَسٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ بِقَزْوِينَ ، فَتَكُونُ مَسْلَحَةً هُنَاكَ ، وَتَمْنَعُ مِنْ أَرَادِ النُّفُوزِ مِنْ أَرْضِ الدَّيْلَمِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ؛ ثُمَّ تَزُوجُ كُرْدِيَّةَ ، وَتَضَعُهَا إِلَيْهِ ، وَانصرفت إلى المدائن ، وَنَزَلَتْ كُرْدِيَّةَ مِنْ قَلْبِهِ بِمَوْضِعٍ مَحَبَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَشَكَرَ لَهَا مَا كَانَ مِنْهَا ، وَزَاحَ عَنْ كَسْرَى مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْفَضَاظَةِ بِانْتِقَامِهِ مِنْ قَتْلِ أَبِيهِ ، وَاطْمَأْنَنَ لَهُ مَلِكُهُ وَهَدَأَ وَاسْتَقَرَّ .

(١) المراد صربيتها الحامية عليها والظئرة والظئر : الرضعة غير ولدها .

(٢) الغلبة : حد السيف والسنان والخنجر وما أشبه ذلك . (٣) لحم الثدي أو أصله .

[حرب أبرويز مع الروم]

قالوا : ثم إن ابن قيصر ملك الروم قدم على كسرى أبرويز ، فأخبره بأن بطارقة
الروم وعظماؤها وثبُّوا على أبيه قيصر وأخيه ثيادُوس بن قيصر ، فقتلوا جَمِيعًا ،
وملَّكوا عليهم رجلا من قومهم ، يسمى كَوَّكْسَان ، وذكرَهُ بلاء أبيه وأخيه
عنده ، فنفضب أبرويز له ، ووجه معه ثلاثة قواد : أحدهم شاهين و أربعة وعشرين
ألف رجل ، فَوَغَلَ في أرض الروم ، وبَثَّ فيها الغارات حتى انتهى إلى خليج
القُسْطَنْطِينِيَّة ، فعسكر هناك ؛ والقائد الآخر « بوبُوذ »^(١) فسار نحو أرض مصر ،
فأغار ، وعاثَ ، وأفسد حتى انتهى إلى الإسكندرية ، فافتتحها عَنَوَةً ، وسار إلى البيعة
العظمى التي بالإسكندرية ، فأخذ أسقفها ، فمذَّبَه ، حتى دلَّه على الخشبة التي تزعم
النصارى أن المسيح صُلبَ عليها ؛ وكانت مدفونة في موضع قد زرع فوقها الرِّياحِين ؛
والقائد الثالث « شَهْرِيَّار » فسار حتى أتى الشام ، فقتل أهلها قتلا ذريعا ، حتى
أخذها كلها عَنَوَةً .

فلما رأى عظماء الروم ما حل بهم من كسرى اجتمعوا ، فقتلوا الرجل الذي كانوا
ملَّكوه ، وقالوا « إن مثل هذا لا يصلح للملَّك » وملَّكوا عليهم ابن عم لقيصر
المقتول يسمى هِرَقْل ، وهو الذي بنى مدينة هِرَقْلَة^(٢) ، فكانت هذه العَلْبَة التي
ذكرها الله تعالى في كتابه^(٣) :

وَأَنَّ هِرَقْلَ الَّذِي مَلَكَتْهُ الرُّومُ اسْتَجَاشَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ ، وَسَارَ إِلَى الْقَائِدِ الَّذِي
كَانَ مَعْسُكِرًا عَلَى الْخَلِيجِ ، فَحَارِبَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، ثُمَّ صَمَدَ لِلَّذِي كَانَ
بِأَرْضِ مِصْرَ ، فَطَرَدَهُ عَنْهَا ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى شَهْرِيَّارَ ، فَأَخْرَجَهُ عَنِ الشَّامِ ، فَوَافَتْ

(١) في إحدى النسخ الأوربية رمبوزان ، ولقد كان استيلاء الفرس على مصر في عهد
ملكهم قبيز بن كورش سنة ٥٢٥ م. وقد دخلت جيوش الفرس إلى مصر بقيادته .

(٢) مدينة ملاد الروم سميت باسم هِرَقْلَة بنت ملك الروم ، وهي بالقرب من صفين من الجانب
الغربي .

(٣) سورة الروم الآيات من ١ إلى ٦

المساكر كلها الجزيرة ، وسار هرقل نحوهم ، فواقعههم ، فهزمهم حتى بلغ بهم الموصل .

وذلك بلغ كسرى ، فخرج في جنوده نحو الموصل ، وانضم إليه قواده الثلاثة ، وسار نحو هرقل ، فاقتتلوا ، فانهزم الفرس ؛ فلما رأى ذلك كسرى غضب على عظماء جنوده ومرازيته^(١) ، فأمر بهم ، فحبسوا ليقتلهم .

[تولية شيرويه بن أبرويز]

ولما رأى أهل المملكة ذلك ترأسوا ، وعزموا على خلع كسرى ، وتمليك ابنه شيرويه بن كسرى ، فخلعوه وملكوا شيرويه ، وحبسوا كسرى في بيت من بيوت القصر ، ووكلوا به « حيلوس » رئيس المستميتة ، وكان ذلك سنة تسع^(٢) من هجرة النبي ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وأن شيرويه أمر أن يُنقل بآبيه من دار المملكة ، فيحبس في دار رجل من المرازبة ، يسمى « هرسةفته »^(٣) ، ففنع رأسه ، وحمل على برذون^(٤) ، فانطلق به إلى تلك الدار ، فحبس فيها ، ووكل أمره حيلوس في خمسمائة من الجند المستميتة .

ثم إن عظماء أهل المملكة دخلوا على شيرويه ، وقالوا : إنه لا يصلح أن يكون علينا ملكان اثنان ، فإما أن تأمر بقتل أبيك وتنفر بالأمر ، أو نخلعك ونرد الأمر إليه كما كان .

فهدت شيرويه هذه المقالة ، فقال : « أجلوني يومى هذا » .

[بين الأب والابن]

ثم أمر يزدان جشنس رئيس كتاب الرسائل ، فقال له : انطلق عن رسالتنا

(١) المرازبة كمرحلة = رئاسة الفرس ، والواحد مرزبان بضم الزاى .

(٢) الموافقة سنة ٦٣٠ م . (٣) في بعض النسخ الأوربية : مارسفند .

(٤) مفرد براذين وهى من الخيل ما كان من غير نتاج العرب .

لأيننا ، وقل له : « إن الذي حلَّ بك عُقُوبَةٌ من الله للذي سلف من سوء أعمالك ، وأول ذلك ما كان منك إلى أبيك هُرْمُزْد ؛ ومنها حظرك علينا معاشرَ أولادك ، ومنمك إيانا البرّاح ، وحبسك إيانا في دار كهيئة المجلس بلا رِقَّة ولا رحمة ؛ ومنها كُفْرَانُكَ إِنْعامَ قيصر عليك وأياديه عندك ، فلم تحفظ فيسه ابنه وأقاربه حين أتوك يسألونك أن ترد عليهم خشبة الصليب التي بعث بها إليك شاهين من الإسكندرية ، فرددتهم عنها بلا حاجة منك إليها ولا دَرَك لك في حبسها ؛ ومنها ما أمرت به من قتل الثلاثين الألف رجل من مرزبتك وعظماء أساورتك بزعمك أنهم أول من انهزم عن الروم ؛ ومنها كثرة ما جمعت من الأموال ، وكثرتها في خزائنك من جبايتكها عن الخراج بأعنف العُنف ، وإنما ينبغي للملوك أن يعلّوا خزائنهم مما يغمون من بلاد أعدائهم بنحور الخيل وصدور الرّماح ، لا مما يسألونه من رعيّتهم ؛ ومنها قتلك النعمان بن المنذر ، وصرفك ملك أرضه عن ولده وأهل بيته إلى غيرهم ، يعني إياس بن قبيصة الطائي ، فلم تحفظ فيهم ما كان يحفظه آبؤك ، من حضائنه بهرام جور جدك ، ومعوته بعد أن خرج الملك عنه ، حتى ردّه عليه ، فكل هذه ذُنُوب ارتكبتها ، وآثام اقترفتها ، لم يكن الله ليرضى منك فأخذك بها . »

فانطلق يزّدان جُشنَس فأبلغ كسرى رسالة شيرويه لم يخرم منها حرفا ، فقال له كسرى : قد أبلغت ، فأدّ الجواب كما أدّيت الرسالة : « قل لشرويه القصير العمر ، القليل العمر ، الناقص العقل ، نحن مجيبوك عن جميع ما أرسلت به إلينا من غير اعتذار لتزداد علماً بجهلك ؛ أما رضانا بما ارتكب من أيننا فإن ما اطلعت على ما دبرّ القوم من الوُتوب به ، وقد علمت لما استوطد لي السلطان أني لم أدع أحدا مالا على خلعه وأجلب عليه بارتكاب حقّه إلا قتاته ، وختمت ذلك بخالتي بندويّة وبِسْطام مع ما كان من قيامهما بأمرى ؛ وأما حظري عليكم معاشرَ أبنائنا فإن فرغتمكم لتعلم الأدب ، ومنعتكم من الانتشار فيما لا يعينكم ، ولم أقصر في مطاعكم مع ذلك ومصارفكم وملابسكم وطيبكم ومراكبكم ، وأما أنت خاصة فإن المنجمين قضوا في مولدك بتثريب مُلْكنا ، وفسخ سلطاننا على يدك ، فلم نأمر

- بقتلك ، ومع ذلك كتاب قرميسيا ملك الهند إلينا يعلمنا أن في انقضاء سنة ثمان وثلاثين من ملكنا يفضى إليك هذا الأمر ، فكتمنا ذلك الكتاب عنك ، مع علمنا أنه لا يفضى إليك إلا بهلاكنا ، وذلك الكتاب مع قضية مولدك عند شيرين صاحبتنا ، فإن أردت فدؤنك ، فاقرأها لتزداد حسرة وثبوراً ؛ وأما ما ذكرت من كُفراني ٥
- نعمة قيصر بمنى ولده وأهل بيته خشبة الصليب ، فأياها المائق ، إن أكثر من ذلك الخشب ثلاثون ألف ألف درهم فرقها في رجال الروم الذين قدموا مى ، وألف ألف درهم هدايا وجهتها إلى قيصر ، ومثل ذلك وصلت ابنه ثيادوس عند رجوعه إلى مملكته ، أفكنت أجود لهم بخمسين ألف ألف درهم وأبخل بخشبة لا تساوي شيئاً ؟ إنما احتبستهم لأرتهن بها طاعتهم ، ولينقادوا لي في جميع ما أريده منهم لعظيم قدر الخشبة عندهم ؛ وأما غضبي لقيصر وطلبي بثأره ، فقد قتلت به من الروم ١٠ ما لم يحص عدده ؛ وأما قولك في أولئك المرازبة ورؤساء الأساورة الذين هممت بقتلهم فإن أولئك اصطنعهم ثلاثين سنة ، وأسنت أعطياتهم وأعظمت حُبوتهم^(١) فلم أحتج إليهم في طول دهرى إلا ذلك اليوم الذى فشلوا فيه وخاموا^(٢) ، فسَلَّ أياها الأخرق قُمَّهَاء هذه الملة تمّن قصر فى نُصرة ملكه ، وخام عن محاربة عدوّه ، فسَيَخِرُّونَكَ أنهم لا يَسْتَوْجِبُونَ العفو ولا الرحمة ؛ فأما ما عنفتني به من جمع ١٥
- الأموال فإن هذا الخراج لم يكن منى بدعة ، ولم يزل الملوك يَجْبُونَهُ قَبْلَ لِيَكُونَ قُوَّةً للملك وظهراً للسلطان ؛ فإن ملكاً من ملوك الهند كتب إلى جدّي أنوشروان : أن مملكتك شبيهة بباغ عامر عليه حائط وثيق ، وباب منيع ، فإذا انهدم ذلك الحائط أو تكسرت الأبواب لم يؤمن أن ترعى فيه الحير والبقر . وإنما عَنَى بالحائط الجنود ، وبأبوابه الأموال . فاحتفظ أياها السخيف العقل بتلك الأموال ، فإنها حصن ٢٠
- للملك ، وقوام للسلطان ، وظهير على الأعداء ، ومَفْخَرَةٌ عند الملوك ؛ وأما ما زَعَمْتَ من قتل التُّمَّان بن المنذر ، وإزالتي الملك عن آل عمرو بن عدي إلى إياس

(١) العطاء . (٢) خام عنه يخيم : نكس وجن .

ابن قبيصة ، فإن النعمان وأهل بيته واطئوا العرب ، وأعلموهم توكفهم^(١) خروج الملك عنا إليهم ، وقد كانت وقعت إليهم في ذلك كتب ، فقتلته ، ووليت الأمر أعراييا لا يعقل من ذلك شيئا . انطلق إلى شيرويه ، فأخبره بذلك كله ؛ فأبلغه يزدان جسنس ، لم يحرم منه شيئا ، فعلى شيرويه كآبة .

٥ ولما كان من الغد اجتمع عظماء أهل المملكة ، فدخلوا على شيرويه كما فعلوا بالأمس ، يخاف على نفسه ، فجعل يرسل الرجل بعد الرجل من مرزبانته لقتل أبيه ، فلا يقدم عليه أحد ، حتى بعث بشاب منهم يسمى يزداك بن مرزبان شاه مرزبان بابل وخطرنية ؛ فلما دخل عليه ، قال : من أنت ؟ قال : أنا ابن مرزبان شاه مرزبان بابل وخطرنية ؛ قال له كسرى : أنت لعمري صاحبي ، وذلك أني قتلت أباك ظلما ، فضربه الغلام حتى قتله ، وانصرف إلى شيرويه فأخبره ، فلطم شيرويه وجهه ، وנתف شعره ، وجبسه ، وانطلق في عظماء أهل المملكة حتى استودعه النأوس ، ثم انصرف ؛ وأمر ، فقتل الغلام الذي قتل أباه . وفي ذلك العام الذي ملك فيه شيرويه توفى^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر رضى الله عنه .

١٥ ثم إن شيرويه لما ملك عمد إلى إخوته ، وكانوا خمسة عشر رجلا ، فضرب أعناقهم ، مخافة أن يفسدوا عليه ملكه ، فسأطت عليه الأمراض والأسقام حتى مات ، وكان ملكه ثمانية أشهر .

[بعد موت شيرويه]

فلكت فارس عليها بعده ابنه شيرزاد بن شيرويه ، وكان طفلا ، ووكلوا به رجلا يحضنه ، ويقوم بتدبير الملك إلى أن أدرك . ٢٠

(١) يتوكف الخبر : ينتظره ويتوقعه .

(٢) كانت وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ .

الموافق ٢٠ يونيو سنة ٦٣٢ م .

ولما بلغ شهریار وهو مُقيم في وجه الروم مَقَتَلَ كسرى أقبل في جنوده حتى وَرَدَ المدائن ، وقد مات شيرويه وملك ابنه شیرزاد ؛ فاغتصب الأمر ، ودخل المدائن ، فقتل كل مَن مَّالاً على قتل كسرى وخَلَعِهِ ، وقتل شیرزاد وحاضنه ، وتَوَلَّى أمر الملك ، ودَعَا نفسه ملكاً ، وذلك في العام الثاني عشر من التاريخ [الهجري] ؛
 ٥ فلما تم لِمَلِكِ شهریار حَوْلُ أَنْفِ عِظَاءِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ أَنْ يَلِيَ مُلْكَهُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ جُؤَانَ شِيرِ بْنِ كَسْرَى ، وَكَانَ طِفْلاً ، وَأُمُّهُ كُرْدِيَّةٌ أُخْتُ بَهْرَامِ سُورِيَّيْنِ ، فَلَمَّا حَوَّلَا ، تَمَّ مَاتَ .

فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بُورَانَ بِنْتَ كَسْرَى ، وَذَلِكَ أَنَّ شِيرِيَّوِيَّهَ لَمْ يَدَّعِ مِنْ إِخْوَتِهِ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، خَلَا جُؤَانَ شِيرِ فَإِنَّهُ كَانَ طِفْلاً ، فَمَعَدَ ذَلِكَ وَهِيَ سُلْطَانُ فَارِسَ وَضَعَفَ أَمْرَهُمْ ، وَفُلَّتْ شُوكَتُهُمْ .

[حروب العرب مع العجم]

قالوا : فلما أَقْضَى الْمَلِكُ إِلَى بُورَانَ بِنْتَ كَسْرَى بْنِ هُرْمُزْ شَاعَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضَيْنِ أَنَّهُ لَا مَلِكَ لَأَرْضِ فَارِسَ ، وَإِنَّمَا يَلُودُونَ بِبَابِ امْرَأَةٍ ؛ فَخَرَجَ رَجُلَانِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، يَقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيُّ ، وَالْآخَرُ سُؤَيْدُ بْنُ قُطَيْبَةَ الْمُجَلِّيِّ ، فَاقْبَلَا حَتَّى نَزَلَا فِيمَنْ جَمَعَا بِتَخُومِ أَرْضِ الْعِجَمِ ، فَكَانَا يُغِيرَانِ عَلَى الدَّهَّاقَيْنِ ، فَيَأْخُذَانِ مَا قَدَرَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا طُلِبَا أُمَمًا فِي الْبَرِّ فَلَا يَتْبَعُهُمَا أَحَدٌ ، وَكَانَ الْمُثَنَّى يُغِيرُ مِنْ نَاحِيَةِ الْحِيرَةِ ، وَسُؤَيْدٌ مِنْ نَاحِيَةِ « الْأُبَلَّةِ » ^(١) وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَكَتَبَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعْلِمُهُ ضَرَاوَتَهُ بِفَارِسَ ، وَيَعْرِفُهُ وَهَنَهُمْ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَمُدَّهُ بِجَيْشٍ .

٢٠ فلما انْتَهَى كِتَابُهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،

(١) الْأُبَلَّةُ : بَلَدٌ مَعْرُوفٌ قَرِبَ الْبَصْرَةِ مِنْ جَانِبِهَا الْبَحْرَى فِي زَاوِيَةِ الْخَلِيجِ ، وَهِيَ أَقْدَمُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ فِيهَا لِلْفَرَسِ مَسَالِحٌ وَفَادَةٌ .

وقد كان فرغ من أهل الرُّدَّة ، أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس ، ويضم إليه المُثَنَّى ومن معه ؛ وكَرِهَ المُثَنَّى وُرُودَ خالده عليه ؛ وكان ظَنُّ أن أبا بكر سيؤاخي الأمر ، فسار خالد والمُثَنَّى بأصحابهما ، حتى أناخا على الحيرة ، وتحصَّن أهلها في القصور الثلاثة .

٥ ثم نزل عَمْرُو بْنُ بَقِيلَةَ ، وحديثه مع خالد، وأنه وجد معه شيئا من البيش^(١) فاستقَّه^(٢) على اسم الله ولم يضره ذلك معروفٌ ، ثم صالحوه من القصور الثلاثة على مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام إلى المسلمين ؛ ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد مع عبد الرحمن جميل الجمحي ، يأمره بالشُّخوص إلى الشام لِيُمدَّ أبا عبيدة بن الجراح بمن معه من المسلمين ، ففضى ، وخَلَفَ بالحيرة عمرو بن حَزْمٍ الأنصاري مع المُثَنَّى ؛ وسار على الأنبار ، وانحطَّ على عين التمر^(٣) ، وكان بها مَسَلِحَةٌ لأهل فارس ، فرمى رجل منهم عمرو بن زياد بن حُدَيْفَةَ بن هشام بن المغيرة بنشابة ، فقتله ، ودُفِنَ هناك .

١٥ وحاصر خالد أهل عين التمر حتى استنزَلَهُمْ بغير أمان ، فضرب أعناقهم ، وسَبَى ذَرَارِيَهُمْ ؛ ومن ذلك السَّيْبِيُّ أبو محمد بن سيرين ومُحَرَّران بن أبان مَوَالِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان ، وقتلَ فيها خالدُ خفيرا كان بها من العرب يسمَّى هلال بن عُقْبَةَ ، وصلَّبه ، وكان من النمر بن قاسط ؛ ومَرَّ بِحَيٍّ من بني تغلب والنمر ، فأغار عليهم ، فقتلَ وغنم حتى انتهى إلى الشام . ولم يزل عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ والمُثَنَّى بن حارثة يَتَطَرَّقَانِ أرض السواد ويُغِيرَانِ فيها حتى توفى أبو بكر^(٤) رضي الله عنه .

(١) البيش بالكسر ، نبات كالزنجبيل فيه سمٌ قتال لسلك حيوان .

(٢) تناوله غير مسجوق (٣) بلدة في طرف البادية غربي الفراء

(٤) كانت وفاة أبي بكر في ٢١ محادى ١٠ سنة ١٣ الموافق أغسطس سنة ٦٣٤ م .

[الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب]

- وولّى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكانت ولاية عمر سنة ثلاث عشرة ؛ ثم إن عمر رضى الله عنه عزم على توجيه خيل إلى العراق ، فدعا أبا عُبَيْد بن مسعود ، وهو أبو المختار بن أبي عُبَيْد الثقفى فَمَقَّدَ له على خمسة آلاف رجل ، وأمره بالمسير إلى العراق ، وكتب إلى المُثَنَّى بن حارثة ، أن ينضم بمن معه إليه ؛ ووجه مع أبي عُبَيْد سَلَيْط بن قيس ، من بنى النّجّار الأنصارى ، وقال لأبي عُبَيْد : « قد بعثت معك رجلا هو أفضل منك إسلاما ، فاقبلْ مَسْوَرَتَه » وقال سَلَيْط : « لولا أنك رجل يحل في الحرب لَوَلَّيْتُكَ هذا الجيش ، والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث » فسار أبو عُبَيْد نحو الحيرة ، لا يمر بحىٍّ من أحياء العرب إلا استنفرهم ، فتبعه منهم طوائف ، حتى انتهى إلى قُسِّ الناطف^(١) فاستقبله المُثَنَّى فيمن معه .
- ١٠ وبلغ المعجم إقبال أبي عُبَيْد ، فوجهوا مَرْدَان شاه الحاجب في أربعة آلاف فارس ، فأمر أبو عُبَيْد بالجر ، فَمَقَّدَ ليعبر إليهم . فقال له المُثَنَّى : « أيها الأمير لا تقطع هذه اللّجّة ، فتجمل نفسك ومن معك غرضا لأهل فارس » . فقال له أبو عُبَيْد « جَبَنْتَ يا أخا بكر » . وعبر إليهم بمن معه من الناس ، وولّى أبا محجّج الثقفى الخليل ، وكان ابن عمه ، ووقف هو في القلب ، وزحف إليهم الفرس ،
- ١٥ فاقتتلوا ، فكان أبو عُبَيْد أول قتيل ، فأخذ الراية أخوه الحكم ، فقتل ، ثم أخذها قيس بن حبيب أخو أبي محجّج ، فقتل ، وقتل سَلَيْط بن قيس الأنصارى في نفر من الأنصار كانوا معه ، فأخذ المُثَنَّى الراية ، وانهمزم المسلمون .
- فقال المُثَنَّى لِعُرْوَة بن زيد الخليل الطائى « انطلق إلى الجسر ، فقف عليه ، وحل بين المعجم وبينه » . وجعل المُثَنَّى يُقَاتِل من وراء الناس ، ويحميهم حتى عَبَرُوا ؛
- ٢٠ ويوم جسر أبي عُبَيْد معروف ؛ وسار المُثَنَّى بالمسلمين حتى بلغ الثعلبية^(٢) ، فنزل ،

(١) موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى .

(٢) الثعلبية موضع بطريق مكة ، وفي الأصل « الثغلية » .

وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع عروة بن زيد الخيل ، فبكى عمر ، وقال لعروة : « ارجع إلى أصحابك ، فمرهم أن يقيموا بمكانهم الذى هم فيه ، فإن المدد وارد عليهم سريعا » ، وكانت هذه الوقفة في شهر رمضان يوم السبت سنة ثلاث عشرة من التاريخ .

- ثم إن عمر بن الخطاب استنفر الناس إلى العراق ، نغفوا في الخروج ، ووجه في القبائل يستعجش ، فقدم عليه غنم بن سليم الأزدي في سبعمائة رجل من قومه ، وقدم عليه الحصين بن معبد بن زرة في جمع من بني تميم زهاء ألف رجل ، وقدم عليه عدي بن حاتم في جمع من طي ، وقدم عليه أنس بن هلال في جمع من النمر بن قاسط ، فلما كثر عند عمر الناس عقد لجري بن عبد الله البجلي عليهم ، فسار جرير بالناس حتى وافى الثعلبية ، فضم إليه المثنى فيمن كان معه ، وسار نحو الحيرة ، فمسك بدير هند^(١) ، ثم بث الخيل في أرض السواد ، تغير .
- وتحصن منه الدهاقين ، واجتمع عظماء فارس إلى بوران ، فأمرت أن يتخير اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة^(٢) ، وولت عليهم « مهران بن مهورية الهمداني » فسار بالجيش حتى وافى الحيرة ، وزحف الفريقان ، بعضهم لبعض ، ولهم زجل^(٣) كزجل الرعد ، وحمل المثنى في أول الناس ، وكان في ميمنة جرير ، وحملوا معه . وثار العجاج ، وحمل جرير بسائر الناس من الميسرة والقلب ، وصدفتهم المعجم القتال ، فجال المسلمون جولة ، فقبض المثنى على لحيته ، وجعل ينتف ما تبمه منها من الأسف ، ونادى : « أيها الناس ، إلى ، إلى ، أنا المثنى » فتاب المسلمون ، فحمل بالناس ثانية ، وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه ، وكان من فرسان العرب ، فقتل مسعود ، فنادى المثنى : « يا معشر المسلمين ، هكذا مضرع خياركم ، ارفعوا راياتكم » . وحض عدي بن حاتم أهل الميسرة ،

(١) مكان بالحيرة ، بنته أم عمرو بن هند ، وهو على طريق النجف ، ويسمى دير هند الكبرى ، وبالحيرة أيضا دير هند الصغرى الذى بنته هند بنت النعمان بن المنذر ، وهو الآن بالكوفة قرب خلة بنى دارم . (٢) الأساورة هم الفرسان المقاتلة ، مفردة أسوار . (٣) الجلبة .

وَحَرَضَ جَرِيرُ أَهْلِ الْقَلْبِ ، وَذَمَّهُمْ^(١) ، وَقَالَ لَهُمْ : « يَا مَعْشَرَ بَجِيلَةٍ ، لَا يَكُونَنَّ أَحَدٌ أَسْرَعَ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ مِنْكُمْ ، فَإِنْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ - إِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ - حُظُوءَةٌ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقَاتِلُوهُمْ الْيَوْمَ الْيَوْمَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ » .

- فَتَدَاعَى الْمُسْلِمُونَ ، وَتَحَاضُّوا ، وَثَابَ مَنْ كَانَ أَنْهَزَمَ ، وَوَقَفَ النَّاسُ تَحْتَ رَايَاتِهِمْ ، ثُمَّ زَحَفُوا ، فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْعِجَمِ حَمْلَةً صَدَقُوا اللَّهَ فِيهَا ؛ وَبَاشَرَ مِهْرَانَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَانَ مِنْ أَهْطَالِ الْعِجَمِ ، فَقُتِلَ مِهْرَانٌ ؛ وَذَكَرُوا أَنَّ الْمُثَنَّى قَتَلَهُ ، فَانْهَزَمَتِ الْعِجَمُ لَمَّا رَأَوْا مِهْرَانَ صَرِيحًا ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمٍ الْأَزْدِيُّ يَقْدُمُهُمْ ، وَاتَّبَعَهُ عُروَةُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ ، فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْجِسْرِ ، وَقَدْ جَاَزَهُ بَعْضُ الْعِجَمِ ، وَبَقِيَ بَعْضٌ ، فَصَارَ مِنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَمَضَتْ الْعِجَمُ ، حَتَّى لَحِقُوا بِالْبُدَائِنِ ،
١٠ وَانصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَعْسِكَرِهِمْ ، فَقَالَ عُروَةُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ فِي ذَلِكَ :

- هَاجَتْ لِعُرْوَةَ دَارُ الْحَيِّ أَخْزَانَا وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ هَمْدَانَا
وَقَدْ أَرَانَا بِهَا ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ بِالشُّخَيْلَةِ قَتَلَى جُنْدَ مِهْرَانَا
أَيَّامَ سَارِ الْمُثَنَّى بِالْجُنُودِ لَهُمْ فَقَتَلَ الْقَوْمَ مِنْ رَجُلٍ وَرُكْبَانَا
سَمَا لِأَجْنَادِ مِهْرَانَ وَشِيعَتِهِ حَتَّى أَبَادَهُمْ مِثْنَى وَوُخْدَانَا
مَا إِنْ رَأَيْنَا أَمِيرًا بِالْعِرَاقِ مَضَى مِثْلَ الْمُثَنَّى الَّذِي مِنْ آلِ شَيْبَانَا
إِنَّ الْمُثَنَّى الْأَمِيرُ الْقَرْمُ لَا كَذِبُ فِي الْحَرْبِ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ يَخْفَانَا^(٢)

- قَالُوا : وَلَمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ مِهْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِظَاءِ الْعِجَمِ اسْتَمْسَكْنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ النَّارَةِ فِي السَّوَادِ ، وَانْتَقَضَتْ مَسَالِحُ^(٣) الْفُرْسِ ، وَتَشَتَّتَ أَهْرَمُ ،
٢٠ وَاجْتَرَأَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ ، وَشَنُّوا النَّارَاتِ مَا بَيْنَ سُورَا^(٤) وَكَسْكَرَ^(٥) وَالصَّرَاةِ^(٦)

(١) ذمهم حضهم على القتال .

(٢) القرم من الرجال : السيد العظيم ، والحنان : رثال النعام ، وأحدثه خفاته ، وهو فرخها .

(٣) جمع مسلحة يفتح الميم وهي الثغر فيه الجنود . (٤) كورة قرية من الفرات .

(٥) كورة واسعة ، كانت قصبتها بين الكوفة والبصرة . (٦) الصراة بالفتح : نهران

قرب بغداد ، أحدهما كبير والآخر صغير ، وقد سما باسم الحلة عند منبعهما .

إلى الفلاليج^(١) والأستانات ، فقال أهل الحيرة للمثنى : « إن بالقرب مِنَّا قرية فيها سوق عظيم ، تقوم في كل شهر مرة ، فتأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد ؛ فإن قدرت على النارة على تلك السوق أصبَّت أموالاً رَغِيْبَةً » يعنون سوق بغداد ، وكانت قرية تقوم بها سوق في كل شهر .

٥ فأخذ المثنى على البرّ حتى أتى الأنبار^(٢) ، فتحصَّن منه أهلها ، فأرسل إلى بسفروخ مرزبانها ليسير إليه ، فيكلمه بما يريد ، وجعل له الأمان ؛ فأقبل المرزبان حتى عبر إليه ، فخلّا به المثنى ، وقال : « إني أريد أن أُغَيِّرَ على سوق بغداد ، فأريد أن تبت مئ أدلاء ، فيدلوني على الطريق ، وتُسَوِّى لى الجسر ، لأعْبُرُ الفُرَات » ، ففعل المرزبان ذلك ، وقد كان قطع الجسر لثلاثين عرب إليه ، فعبر المثنى مع أصحابه ، وبعث المرزبان معه الأدلاء ، فسار حتى وَاَقَى السُّوقَ ضَحْوَةً ، فهرب الناس ، وتركوا أموالهم ، فثأروا أيديهم من الذهب والفضة ، وسائر الأمتعة ، ثم رجع إلى الأنبار ، ووَاقَى معسكره .

١٥ ولما بلغ سُوَيْدُ بْنُ قُطَيْبَةَ المَجْلَى أَمَرَ المثنى بن حارثة ، وما نال من الظفر يوم مِهْرَانَ كَتَبَ إلى عمر بن الخطاب ، يعلمه وَهَنَ الناحية التي هُوَ بِهَا ، ويسأله أن يَمُدَّهُ بِجَيْش . فندب عمر بن الخطاب لذلك الوجه عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ المَازِنِي ، وكان حَلِيفًا لِبْنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وكانت له صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وضم إليه أُنْقِيَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وكتب إلى سُوَيْدِ بْنِ قُطَيْبَةَ بِأَمْرِهِ بِالْإِنْضَامِ إِلَيْهِ .

٢٠ فلما سار عُتْبَةُ شَيْعَةً عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال : « يَا عُتْبَةُ ، إن إخوانك من المسلمين قد غلبُوا على الحيرة ، ونابليها ، وعبرت خيلهم الفُرَاتَ حتى وطئت بَابِلَ ، مدينة هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَنَازِلَ الْجَبَّارِينَ ، وإن خيلهم اليوم لَتُنْزِرُ حَتَّى تُشَارِفَ الدَّائِنَ ، وقد بَمَثَلَتْكَ فِي هَذَا الْجَيْشِ ، فاقصد قصد أهل الأهواز ، فاشْتَلْ أَهْلَ تِلْكَ النَاحِيَةِ ، أَنْ يَمْدُوا أَصْحَابَهُمْ بِنَاحِيَةِ السَّوَادِ عَلَى إِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ هُنَاكَ ، وَقَاتِلَهُمْ مِمَّا بِلَى الْأُبُلَّةَ » .

(١) الفلاليج : قرى السواد من أرض فارس واحده فلوجة ، وبالقرب من بغداد فلوجتان .

(٢) مدينة على الفرات غربي بغداد ، كانت الفرس تسميها فيروز سابور .

فسار عُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ حتى أتى مكان البصرة اليوم ، ولم تكن هناك يومئذ
إلا الخُرَيْبَةُ ، وكانت منازل خَرِبَةَ ، وبها مَسَالِحُ لِكُسرى تمنع العرب من العبث
في تلك الناحية ؛ فنزلها عُتْبَةُ بنَ غَزْوَانَ بأصحابه في الأُخْيِيَةِ والقِيَاب ؛ ثم سار
حتى نزل موضع البصرة ، وهي إذ ذاك حجارة سُود وَحَصَى ، وبذلك سُمِّيَت
البصرة ، ثم سار حتى أتى الأُبُلَّةَ ، فافتتحها عَنَوَةَ ، وكتب إلى عمر رضي الله
عنه : « أما بعد ، فإن الله ، وله الحمد ، فتح علينا الأُبُلَّةَ ، وهي مَرَقَى سفن البحر من
عُمان ، والبحرين ، وفارس ، والهند ، والصين ، وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراتهم ،
وأنا كاتبٌ إليك ببيان ذلك إن شاء الله » .

وبعث بالكتاب مع نافع بن الحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِيِّ ، فلما قدم على عمر رضي
الله عنه تبأشّر المسلمون بذلك ، فلما أراد نافع الانصراف ، قال لعمر : « يا أمير
المؤمنين . إني قد اُفتُلَيْتُ^(١) فَلَاءَ بالبصرة ، واتخذت بها تجارة . فاكُتِبَ إلى عُتْبَةَ
ابن غَزْوَانَ أن يُحَسِّنَ رِجْوَارِي » .

فكتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى عُتْبَةَ : « أما بعد ، فإن نافع بن الحارث
ذكر أنه قد اُفتُلَى فَلَاءَ ، وأحب أن يتخذ بالبصرة داراً ، فأحسِن رِجْوَارِهِ ،
واعرف له حقّه ، والسلام » .

نُفِطَ له عُتْبَةُ بالبصرة خُطَّةً ، فكان نافع أول من خط خُطَّةً بالبصرة ، وأول
من اُفتُلَى بها الأَفْلَاءَ ، وارتبط بها رِباطاً ؛ ثم إن عُتْبَةَ سار إلى المذار^(٢) ، وأظهره الله
عليهم ، ووقع مرزبانها في يده ، فضرب عنقه ، وأخذ رِزَّتَهُ ، وفي مِنطَقَتِهِ
الرُّمُودَ واليَاقوتَ ، وأرسل بذلك إلى عمر رضي الله عنه ؛ وكتب إليه بالفتح ،
فتبأشّر الناس بذلك ، وأكَبُّوا على الرسول ، يسألونه عن أمر البصرة ؛ فقال إن
المسلمين يَهْيَلُونَ بها الذهب والفضة هَيْلًا ، فرغب الناس في الخروج ، حتى كثروا
بها ، وقوى أمرهم ، فخرج عُتْبَةُ بهم إلى فُرَاتِ البصرة^(٣) ، فافتتحها ، ثم سار إلى

(١) اُتْنَيْتُ قَنِيَةً ، وافتلى أى اتخذ . (٢) المذار بفتح الميم بلدة بين واسط والبصرة .

(٣) البلاد قرب البصرة التي تسقى من نهر الفرات .

«دَسْتِ مِيسَان»^(١) فافتتحها بعد أن خرج إليه مرزبانها بجنوده ، فانفقوا ، فقتل المرزبان ، وانهزمت المعجم ، فدخل مدينتها لا يمنعه شيء ، فخلّف بها رجلا ، وسار إلى « ابرقباد » فافتتحها ، ثم انصرف إلى مكانه من البصرة ، وكتب إلى عمر رضى الله عنه بما فتح الله عليه من هذه المدن والبلدان ، وبعث بالكتاب مع أنس بن الشيخ بن النعمان ، فاختلف القبائل إليها حتى كثروا بها .

ثم إن عُقبة استأذن عمر في القدوم عليه ، فأذن له ، فاستخلف المغيرة بن شعبة ، ثم خطب الناس حين أراد الخروج خطبة طويلة ، قال فيها : « أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيما ، وفي أعين الناس صغيرا ، وأنا سائر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وستجربون الأمراء بمدى ، فتمرفون » . وكان الحسن البصرى يقول ، إذا تحدّث بهذا الحديث : قد جربنا الأمراء بعده ، فوجدنا له الفضل عليهم .

وأن عمر رضى الله عنه أقرّ المغيرة على ثغر البصرة ، فسار بالناس نحو «مِيسَان» ، فخرج إليه مرزبانها ، فخاربه ، فأظهر الله المسلمين ، وافتتح البلاد عنوة ، وكتب إلى عمر بالفتح ، ثم كان من أمر المغيرة والنفر الذين رمّوه ما كان .

وبلغ ذلك عمر رضى الله عنه ، فأمر أبا موسى الأشعريّ بالخروج إليها ، وأن يصرف الخطّ لمن هناك من العرب ، ويحمل كل قبيلة في محلة ، وأن يأمر الناس بالبناء ، وأن يبني لهم مسجداً جامعاً ، وأن يُشخّصَ إليه المغيرة بن شعبة ؛ فقال أبو موسى : « يا أمير المؤمنين ، فوجّه مئى نفرّاً من الأنصار ، فإنّ مثل الأنصار في الناس كمثّل الملح في الطّعام » ؛ فوجّه معه عشرة من الأنصار ، فيهم أنس بن مالك ، والبراء بن مالك ، فقدم أبو موسى البصرة ، وبعثَ إليه بالمغيرة بن شعبة ، والنفر الذين شهدوا عليه ، فسألهم عمر رضى الله عنه ، فلم يُصِرّحُوا ، فجلدَهُم ، وأمر المغيرة أن يلحق بالبصرة ، فيمّاوَنَ أبا موسى على أمره ؛ ونظر أبو موسى إلى زياد بن عُبَيْد ، وكان عبداً مملوكاً لثقيف ، فأعجبه عقله وأدبه ، فأتخذه كاتباً ، وأقام معه ، وقد كان قبل ذلك مع المغيرة بن شعبة .

(١) كورة كبيرة بين واسط البصرة والأهواز .

قالوا : فلما نظرت الفُرس إلى العرب قد حَدَقُوا بهم ، وبَثُوا الغارات في أرضهم قالوا فيما بينهما : إنما أُتينا من تَمَلَّك النساء علينا ؛ فاجتمعوا على يَزْدَجَرْدَ بن شَهْرِياد بن كسرى أبرويز ، فمَلَكوه عليهم ، وهو يومئذ غلام ابن ست عشرة سنة ، وثبتت طائفة على آزَمِيدُخت ، فَتَحَارَبَ الفريقان ، فكان الظفر لِيَزْدَجَرْدَ ، فَخُلِعَتْ آزَمِيدُخت ، وتملك يَزْدَجَرْدَ ، فجمع إليه ٥ أطرافه ، واستجاش أقطار أرضه ، وولى عليهم رُسْتَمَ بن هُرْمُز ، وكان محسكا ، قد جرت به الدهور ، فسار رستم نحو القادسية .

[موقعة القادسية]

وبلغ ذلك جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة ، فكتبوا إلى عمر رضى الله عنه ، يُخبرانه ، فندب عمر الناس ، فاجتمع له نحو من عشرين ألف رجل ، فَوَلَّى أمرهم ١٠ سعد بن أبي وقاص ، فسار سعد بالجيش حتى وَافَى القادسية ، فضم إليه مَنْ كان هناك ، وتوفي المثنى بن حارثة رحمه الله ؛ فلما انقضت عِدَّةُ امرأة المثنى تزوجها سعد بن أبي وقاص ، وأقبل رستم بجنوده حتى نزل دير الأعور^(١) .
وأنَّ سَمَدًا بَعَثَ طَلِيحَةَ بن خُوَيْلِد الأسدي ، وكان من فرسان العرب في ١٥ جَمْعٍ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، فلما عاينوا سوادهم ، ورأوا كثرتهم قالوا لَطَلِيحَةَ : « انصرف بنا » ، فقال : « لا ، ولكنى ماضٍ حتى أدخل عسكرهم ، وأعلم علمهم » . فَاتَّهَمُوهُ ، وقالوا له : « ما نحسبك تريد إلَّا اللِّحَاقَ بهم ، وما كان الله ليهديك بعد فتلك عُكَّاشَةُ بنِ مُحْصَنٍ وثابت بن أقرم » ؛ فقال لهم طَلِيحَةَ : « مَلَأَ الرُّعْبَ قلوبكم » ؛ وأقبل طَلِيحَةَ حتى دخل عسكر الفُرس ليلاً ، فلم يزل ٢٠ يجوسه ليلته كلها ، حتى إذا كان وجه السَّحَرِ مَرَّ بفارس منهم يُعَدُّ بألف فارس ، وهو نائم ، وفرسه مُقَيَّدٌ ، فنزل ، فَفَكَ قَيْدَهُ ، ثم شَدَّ مِقْوَدَهُ بِثَغْرِ^(٢) فرسه ،

(١) مكان بظاهر الكوفة ، بناه رجل من إباد ، يقال له الأعور .

(٢) ثغر الدابة بالتحريك السير الذى فى مؤخر السرج .

وخرج من المعسكر ، واستيقظ صاحب الفرس ، فنادى في أصحابه ، وركب في أثره ، فلحقوه ، وقد أضاء الصُّبْحُ ، فبَدَرَ صاحب الفرس إليه ، ووقف له طُلَيْحَةَ ، فاطعَمًا ، فقتله طُلَيْحَةَ ، ولحقه فارس آخر ، فقتله طُلَيْحَةَ ، ولحقه ثالث ، فأمره طُلَيْحَةَ ، وحمله على دابته ، وأقبل به نحو عسكر المسلمين ، فكَبَّرَ الناس ، ودخل على سعد ، وأخبره الخبر .

٥

وأقام رستم بدير الأعور معسكرا أربعة أشهر ، وأرادوا^(١) مُطَاوِلَةَ العرب ليضجروا ، وكان المسلمون إذا فَنَيْتْ أزوادهم وأَعْلَانَهُمْ جَرَدُوا الخيل ، فأخذت على البر حتى تهبط على المكان الذي يريدون ، وَيُنِيرُونَ ، فينصرفون بالطعام والعلف والمواشى .

ثم إن عمر رضى الله عنه كتب إلى أبي موسى يأمره أن يمدَّ سعدا بالخيال ، فوجه إليه أبو موسى المغيرة بن شُعْبَةَ في ألف فارس ، وكتب إلى أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح ، وهو بالشام يحارب الروم أن يمدَّ سعدا بخيل ، فأمدّه بَقِيْسُ بن هُبَيْرَةَ الرادى في ألف فارس ، وكان في القوم هاشم بن عُتْبَةَ بن أبي وقَّاص ، وكانت عينه قُتِّمَتْ يوم الَيَزْمُوكَ ، وفيهم الأشعث بن قَيْسٍ ، والأشتر النَّخَعِيُّ ، فساروا حتى قدموا على سعد بالقَادِسِيَّةِ .

١٠

١٥

وأن يزدجرد الملك كتب إلى رستم يأمره بمناجزة العرب ، فزحف رستم بجنوده وعساكره حتى وَاَتَى القَادِسِيَّةَ ، فمعسكر على ميل من معسكر المسلمين ، وجرت الرُّسُلُ فيما بينه وبين سعد شهرا ، ثم أرسل إلى سعد : أن ابعث إلى من أصحابك رجلا ، له فهم وعقل وعلم ، لأكله ، فبعث إليه بالمغيرة بن شُعْبَةَ ، فلما دخل عليه قال له رستم : « إن الله قد أعظم لنا السلطان ، وأظهرنا على الأمم ، وأخضع لنا الأقاليم ، وذلك لنا أهل الأرضين ، ولم يكن في الأرض أمة أصغر قدرا عندنا منكم ، لأنكم أهل قِلَّةٍ وذِلَّةٍ وأرض جَدْبَةٍ ، ومعيشة ضَنْكٍ ، فاحملكم على تَحْطِيطِكُمْ إلى

٢٠

(١) في الأصل : وأراد .

بلادنا ؟ فإن كان ذلك من قَحْطٍ نزل بكم ، فإننا نُوسِعُكم ونُفَضِّلُ عليكم ، فارجعوا إلى بلادكم .

فقال له المغيرة : « أما ما ذكرت من عظيم سلطانكم ، ورفاهة عيشكم ، وظهوركم على الأمم ، وما أوتيتم من رفيع الشأن ، فنحن كل ذلك عارفون ، وسأخبرك عن حالنا : إن الله وله الحمد ، أنزلنا بقفار من الأرض ، مع الماء النَّزْر ، والعيش التَّشِيف .
ياكل قَوِيُّنَا ضَعِيفِنَا ، ونقطع أرحامنا ، ونقتل أولادنا خشية الإملاق ، ونعبد الأوثان ، فبيننا نحن كذلك بعث الله فينا نبيا ، من صميمنا وأكرم أرومة^(١) فينا ، وأمره أن يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن نعمل بكتاب أنزله إلينا ، فأمننا به ، وصَدَّقْنَاهُ ، فأمرنا أن ندعو الناس إلى ما أمره الله به ، فن أجابنا كان له مالنا ، وعليه ماعلينا ، ومن أبي ذلك سألناه الجزية^(٢) عن يدٍ ، فن أبي جاهدناه ، وأنا أدعوك إلى مثل ذلك ، فإن أبيت فالسيف . وضرب يده مشيرا بها إلى قائم سيفه .

فلما سمع ذلك رستم تعاظمه ما استقبله به ، واغتاظ منه ، فقال : « والشمس ، لا يرتفع الضحى غداً حتى أقتلكم أجمعين » فانصرف المغيرة إلى سعد ، فأخبره بما جرى بينهما ، وقال لسعد « استعد للحرب » ؛ فأمر الناس بالتهيؤ والاستعداد ، فبات الفريقان يُكْتَبُونَ السكتائب ، ويعبّون الجنود ، وأصبحوا وقد صَفَّوْا الصفوف ، ووقفوا تحت الرايات ؛ وكانت بسعد علة من خراج^(٣) في نفذه قد منعه الركوب ، فوَلَّى أمر الناس خالد بن عُرْفُطَة ، وولى القلب قَيْس بن هُبَيْرَة ، وولى اليمنة شُرْحَبِيل ابن السَّمط ، وولى الميسرة هاشم بن عُتْبَة بن أبي وقاص ، وولى الرجال قيس بن خُرَيْم ، وأقام هو في قصر القادسية ، مع الحرّم والذرّية ، ومعه في القصر أبو محجن الثقفي محبوبا في شراب شربه .

(١) الأرومة: الأصل والجمع أروم . (٢) الجزية هي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة . (٣) في الأصل: من جراح .

ثم إن سمدا تقدم إلى عمرو بن معدى كَرَبَ ، وقَيْس بن هبيرة ، وشَرْخَبِيل بن السَّمط ، وقال : إنكم شعراء وخطباء وفرسان العرب ، فدوروا في القبائل والرايات ، وحرَّضُوا الناس على القتال .

قال : ثم زحف الفريقان بعضهم إلى بعض ، وقد صُفَّ المعجم ثلاثة عشر صفًا ، بعضها خلف بعض ، وصَفَّتِ العرب ثلاثة صفوف ، فَرَشَقَتْهُمُ المعجم بالنُّشَابِ حتى فَشَّتْ فِيهِمْ ^(١) الجِرَاحَاتُ ؛ فلما رأى قَيْس بن هبيرة ذلك ، قال لخالد ابن عُرْقُطَةَ ، وكان أمير الأمراء : أيها الأمير ، إنا قد صِرْنَا لهؤلاء القوم غرضًا ، فأخِمْ عليهم بالناس حملة واحدة ، فَتُطَاعِنُ الناس بالرِّمَاحِ مَلِيًّا ، ثم أفيضوا إلى السيف .

وكان زيد بن عبد الله النَّخَعِيُّ صاحب الحملة الأولى ، فكان أول قتيل ، فأخذ الراية أخوه أَرْطَاة ، فَقُتِلَ ، ثم حَمَلَتْ بِحْيَلُهُ ، وعليها جرير بن عبد الله ، وحَمَلَتِ الْأَزْدُ ، ونَارَ الْقَتَامِ ، واشتد القتال ، فانهزمت المعجم حتى لحقوا برستم ، وترَجَّلَ رستم ، وترَجَّلَ معه الْأَسَاوِرَةُ والمرازية وعظاء الفرس ، وحماوا ؛ فجال المسلمون جولة . وكَلَّمَ أَبُو مِحْجَنٍ أُمَّ وَلَدِ سَعْدٍ ، فقال : أطلقيني من فيدي ، ولك على عهد الله إن لم أقتل أن أرجع إلى محبسى هذا ، وقيدى . ففعلت ؛ وحملته على فرس لسعد أَبَانَ ^(٢) ، فانتهى إلى القوم مما يلي الْأَزْدَ ، وبجيلة ، مما يلي اليمنة ، فجعل يحمل ، ويكشف المعجم ، وقد كانوا كثروا على بجيلة ، فجعل سعد يعجب ، ولا يدري من هو ، ويعرف الفرس .

وبعث سعد إلى جرير بن عبد الله ، وكان معه لواء بجيلة ، وإلى الْأَشْعَثِ بن قَيْس ، ومعه لواء كِنْدَةَ ، وإلى رؤساء القبائل : أن يحملوا على القوم من ناحية اليمنة على القلب ، فجعل الناس عليهم من كل وجه ، وانتقضت تعبئة الفرس ، وقَتَلَ رستم ، وَوَاتَتِ المعجم هاربة ، وانصرف إلى محبسه أَبُو مِحْجَنٍ ، وَطُلِبَ رستم في المعركة ،

(١) في الأصل : بهم . (٢) في لونه سواد وياض .

فأصيب بين القتلى ، وبه مائة جراحة ، ما بين طعنة وضربة ، ولم يُدَرَّ من قتله ، ويقال : بل ارتطم في نهر القادسيّة ، ففرق ؛ وانتهت هزيمة العجم إلى دير كعب ، فنزلوا هناك ، فاستقبلهم النُّخارجان ، وقد وجهه يَزْدَجَرْد مدداً ، فوقف بدير كعب ، فكان لا يبر به أحد من الفلّ إلا حبسه رقبته .

- ثم عبي القوم ، وكتبوا كتابهم وأوقفهم مواقفهم حتى واقفهم العرب ،
وتواقف الفريقان ، وبرز النُّخارجان ، فنادى ، مَرْدُومَرْد ، أى رجلٌ ورجل ،
نخرج إليه زهير بن سليم أخو خننف بن سليم الأزدي ؛ وكان النُّخارجان سمينا
بدينا جسياً ، وزهير رجلاً مربوعاً^(١) شديد العضدين والساعدين ، فرمى النُّخارجان
نفسه عن دابته عليه ، فاعتزكا ، فصرعه النُّخارجان ، وجلس على صدره ، واستل
خنجره ليذبحه ، فوقعت إبهام النُّخارجان في فم زهير ، فضمها ، واسترخى
النُّخارجان ، وانقلب عليه زهير ، وأخذ خنجره وأدخل يده تحت ثيابه ، فبمّجه^(٢) ،
وقتله .

- وكان بَرْدُون النُّخارجان مدرّباً ، فلم يبرح ، فركبه زهير وقد سلبه سواربه
ودرعه وقبائه ومنطقته ، فأتى به سعداً ، فأغتمه إياه ، وأمره سعد أن يترقى بزّيه ،
ودخل على سعد ، فكان زهير بن سليم أول من لبس من العرب السوارين ، وحمل
قيس بن هبيرة على جَيّأوس رأس المستميّة ، فقتله ، وحمل المسلمون من كل جانب ،
فانهزمت العجم ، وبادر جرير بن عبد الله إلى القنطرة ، فمطفؤا عليه ، فاحتملوه
برماحهم ، فسقط إلى الأرض ، ولحقه أصحابه ، وهربت عنه العجم ، ولم يُصبه
شئ ، وعار فرسه^(٣) ، فلم يُلحق ، فأتى بَرْدُون من رآكب الفرس في عنقه قلادة
زُمَرْد ، فركبه ، وذهبت العجم على وجوهها حتى لحقت بالمدائن .

وكتب سعد إلى عمر رضى الله عنه بالفتح . وكان عمر يخرج في كل يوم ماشياً
وحده ، لا يدع أحداً يخرج معه ، فيمشى على طريق العراق ميلين أو ثلاثة ،

(١) لا هو بالتصير ولا بالطويل .

(٢) شق بطنه . (٣) عار الفرس = خرج من يد صاحبه ، وذهب .

فلا يُطلع عليه راكب من جهة العراق إلا سأله عن الخبر ؛ فبينما هو كذلك يوما طلع عليه البشير بالفتح ، فلما رآه عمر رضى الله عنه ناداه من بعيد : ما الخبر ؟ ، قال : فتح الله على المسلمين ، وانهزمت المعجم . وجعل الرسول يُخَبِّرُ ناقتَه ، وعمر يُعَدُّو معه ، ويسأله ، ويستخبره ، والرسول لا يعرفه ، حتى دخل المدينة كذلك ، فاستقبل الناس عمر رضى الله عنه ، يسلمون عليه بالخلافة وإمرة المؤمنين ؛ فقال الرسول ، وقد تحيّر : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! أَلَا أَعْلَمْتَنِي ؟ فقال عمر : لا عليك . ثم أخذ الكتاب ، فقرأه على الناس .

وأقام سعد في عسكره بالقادسية إلى أن أتاه كتاب عمر ، يأمره أن يضع لمن معه من العرب دار هجرة ، وأن يجعل ذلك بمكان لا يكون بين عمر وبينهم بحرٌ ؛ فسار إلى الأنبار^(١) ليجعلها دار هجرة ، فكرها لكثرة الذباب بها ، ثم ارتحل إلى كُوفَة ابن عمر^(٢) ، فلم يعجبه موضعها ، فأقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم ، فخطها خططا بين من كان معه ، وبني لنفسه القصر والمسجد .

وبلغ عمر أن سعداً علّق باباً على مدخل القصر ، فأمر به بن مَسْلَمَة أن يسير إلى الكوفة ، فيدعو بنار ، فيحرق ذلك الباب ، وينصرف من ساعته ؛ وأقبل بهد ، فسار حتى دخل الكوفة ، وفعل ما أمر به ، وانصرف من ساعته ، وأخبر سعد ، فلم يجر جواباً ، وعلم أن ذلك من أمر عمر ، فقال بشر بن أبي ربيعة :

أَلَمْ خَيَّلَ مِنْ أُمَيْمَةَ مَوْهِنًا وَقَدْ جَمَعْتَ إِحْدَى النُّجُومِ تَغُورُ
وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الْمُذَيَّبِ وَدُونَهَا حِجَازِيَّةٌ إِنَّ الْحَلَّ شَطِيرُ
فَزَارَتْ غَرِيبًا نَازِحًا، جُلُّ مَالِهِ جَوَادُ، وَمَفْتُوقُ الْغَرَائِ طَرِيرُ
وَحَلَّتْ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقَتِي وَسَعْدُ بْنُ وَقَّاصٍ عَلَى أَمِيرُ
تَذَكَّرُ، هَذَاكَ اللَّهُ، وَقَعَ سَيُوفِنَا بِبَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ غَرِيرُ

(١) مدينة قديمة في العراق على نهر الفرات فتحها خالد بن الوليد سنة ٦٣٤ م ، وكانت مقرا للخلافة إلى أن تأسست مدينة بغداد .

(٢) تصغير الكوفة ، ومكانها قرب الكوفة المعروفة ، وكل رملة يخاطها حصى تسمى كوفة .

عَشِيَّةً وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ
إِذَا رَزَتْ مِنْهُمْ إِلَيْنَا كَتِيبَةً
فَضَارِبَتُهُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ
وَعَمَرُو أَبُو ثَوْرٍ شَهِيدٌ، وَهَاشِمٌ
يُمَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
أَتُونَا بِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَمُورُ
وَطَاعَنْتُ، إِنِّي بِالطَّعَانِ بَصِيرُ
وَقَيْسٌ، وَنُعْمَانُ الْفَتَى، وَجَرِيرُ

وقال عروة بن الورد :

لَقَدْ عَلِمْتَ عَمَرُو وَنَبْهَانُ أَنْبَى
وَأَنْبَى إِذَا كَرُّوا شَدَدَتْ أَمَامَهُمْ
صَبَرْتُ لِأَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْلِمًا
فَطَاعَنَتُهُمْ بِالرُّمَحِ حَتَّى تَبَدَّدُوا
يَذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي، وَأَبُو أَبِي
سَمَدْتُ إِلَهِي إِذْ هَدَانِي لِدِينِهِ
أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي إِذَا الْقَوْمُ أَذْبَرُوا
كَأَنِّي أَخُو قَضْبَاءَ جَهْمٍ غَضَنَفَرُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يَصِيرِ الْقِرْنُ يَصِيرُ
وَضَارِبَتُهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَسْكُرُ كَرُّوا
يَذَلِكَ أَوْصَاءُ، فَلَسْتُ أَفْصَرُ
فَلِلَّهِ أَسْمَى مَا حَيَّيْتُ وَأَشْكُرُ

وقال قيس بن هبيرة :

جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ صَنْعَاءَ تَرْدِي
إِلَى وَادِي الْقُرَى فِدْيَارِ كَلْبِي
فَلَمَّا أَنْ زَوَيْنَا الرُّومَ عَنْهَا
قَابْنَا الْقَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرٍ
فَنَاهَضْنَا هُنَاكَ جُمُوعَ كِسْرَى
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ جَالَتْ
فَأَضْرِبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيماً
وَقَدْ أَبْلَى إِلَهُهُ هُنَاكَ خَيْرًا
نُفْلَقُ هَامَهُمْ بِمَهْنَدَاتٍ
بِكُلِّ مُدَجِّجٍ كَاللَّيْثِ حَامِي
إِلَى الْيَرْمُوكِ وَالْبَلَدِ الشَّامِي
عَظَفْنَاهَا ضَوَايِرَ كَالْجِلَامِ
مُسَوِّمَةً دَوَابِرُهَا دَوَامِي^(١)
وَأَبْنَاءَ الْمَرَاذِيَةِ الْعِظَامِ
قَصَدْتُ لِمَوْقِفِ الْمَلِكِ الْهُمَامِ
بِسَيْفٍ لَا أَقْلَ وَلَا سَهَامِ
وَفِعَلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ نَامِي
كَأَنَّ فَرَاشَهَا قَيْضُ النِّعَامِ^(٢)

(١) في الأصل : دوايرها . (٢) القيس : قيس اليمس .

قالوا : ولما انهزمت المعجم من القادسيّة وقُتِلَ صناديدهم مرُّوا على وجوههم حتى لحقوا بالمدائن ، وأقبل المسلمون حتى نزلوا على شط دجلة بإزاء المدائن ، فمسكروا هناك ، وأقاموا فيه ثمانية وعشرين شهرا ، حتى أكلوا الرطب مرتين ، وضَحَّوْا أَصْحَابَيْتَيْنِ ، فلما طال ذلك على أهل السوادِ صالحه عامة الدهاقين بتلك الناحية .

ولما رأى يَزْدَجَرْدُ ذلك جمع إليه عطاء مَرَاذِبِهِ ، فقَسَمَ عليهم بيوت أمواله وحزائنه ، وكتب عليهم بها القَبَالَاتُ ^(١) ، وقال : إن ذهب ملكنا ، فأنتم أحق به ، وإن رجع رددتموه علينا ، ثم تحمّل في حُرْمِهِ وحَشَمِهِ ، وخاصة أهل بيته ، حتى أتى حُلوان ^(٢) ، فنزلها ، وولى خُرْزَادُ بْنُ هُرْمُزْ أَخَا رَسَمِ المقتول بالقادسيّة الحرب ، وخلفه بالمدائن .

وبلغ ذلك سمدا ، فتأهَّبَ ، وأمر أصحابه أن يَتَقَتِحُوا دجلة ، وأبتدأ ، فقال باسم الله ، ودفع فرسه فيها ، ودفع الناس ، فَسَلِمُوا عَنْ آخِرِهِمْ إِلَّا رَجُلًا غَرِقَ ، وكان على فرس شقراء ^(٣) ، نخرجت الفرس تنقض عُرقها ، وغرق راكبها ، وكان من طيء ، يسمى سُلَيْكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فقال سلمان ، وكان حاضرا يومئذ : يا معشر المسلمين ، إن الله ذلّل لكم البحر ، كما ذلّل لكم البرّ ، أما والذي نفس سلمان بيده ، لِيُغَيِّرُنَّ فِيهِ ، وَلِيُبَيِّدُنَّ .

قالوا : ولما نظرت الفرس إلى العرب قد أقتحموا إدوابهم الماء وهم يعبرون ، تنادوا « ديوان آمدند ، ديوان آمدند » ^(٤) ، نخرج خُرْزَادُ فِي الْخَلِيلِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الشَّرِيمَةِ ، ونادى : يا معشر العرب ، البحر بحرنا ، فليس لكم أن تقتحموه علينا . وأقبلوا يرمون العرب بالنشاب ، واقتحم منهم ناس كثير الماء ، فقاتلوا ساعة ،

(١) القبالات جمع قبالة بفتح القاف وهو أن يتقبل العامل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى ، وفي حديث ابن عباس : لما كَمَّ القبالات فإنها صغار وفضلها ربا .

(٢) حلوان مدينة قديمة في العراق العجمي فتحها العرب سنة ٦٤٠ وأحرقها السلجوقيون سنة ١٠٤٦ . (٣) في الأصل أشقر . (٤) جملة فارسية معناها : جاء الشياطين .

وكاثرتهم العرب ، فخرجت الفرس من الشريعة ، وخرج المسلمون ، وقاتلهم مليا ؛
وانهزمت العجم حتى دخلت المدائن ، فتحصنوا فيها ، وأناخ المسلمون عليهم مما يلي
دجلة ؛ فلما نظر خرزاد إلى ذلك خرج من الباب الشرق ليلا في جنوده نحو جلولاء ،
وأخلى المدائن ، فدخلها المسلمون ، فأصابوا فيها غنائم كثيرة ، ووقعوا على كافور^(٥)
كثير ، فظنوه ملجأ ، فجعلوه في خبزهم ، فأمر عليهم .

٥

وقال مخنف بن سليم : لقد سمعت في ذلك اليوم رجلا ينادي : من يأخذ صحيفة
حرام بصحفة بيضاء . لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي .

وكتب سعد إلى عمر رضى الله عنه بالفتح ، وأقبل عليج^(٦) من أهل المدائن إلى
سعد ، فقال : أنا أدلكم على طريق ، تدركون فيه القوم قبل أن ينعنوا في السير .
فقدمه سعد أمامه ، واتبعته الخيل ، فقطع بهم مخاض وصحارى .

١٠

[موقعة جلولاء]

ثم إن خرزاد لما انتهى إلى جلولاء أقام بها ، وكتب إلى يزيد جرد ، وهو بخلوان ،
يسأله المدد ، فأمدّه ، فخذق على نفسه ، ووجهوا بالذراوى والأنقال إلى خاتقين^(٧) ،
ووجه سعد إليهم بخيل ، وولى عليها عمرو بن مالك بن نجبة بن نوفل بن وهب بن
عبد مناف بن زهرة ؛ فسار حتى وافى جلولاء ، والعجم مجتمعون قد خندقوا على
أنفسهم . فنزل المسلمون قريبا من معسكرهم ، وجعلت الأمداد تقدم على العجم من
الجبيل ، وأصبهان .

١٥

فلما رأى المسلمون ذلك قالوا للأميرهم عمرو بن مالك : « ما تنتظر بمناهضة القوم ،

(٥) الكافور : نبات له نور أبيض . (٦) العليج : الرجل من كفار العجم .

(٢) جلولاء : مدينة في العراق على طريق خراسان ، وعندها انتصر العرب على جيش ملك
ساسان . (٣) خاتقين : بلدة في العراق على الطريق بين بغداد وخراسان على نهر خلوان تشاى
وفيهما اعتقل ومات النعمان الخامس ملك الحيرة على عهد كسرى الثانى ، وعندها حدثت وقعة بين
الفرس والعرب .

وهم كل يوم في زيادة؟ » . فكتب إلى سعد بن وفاص يعلمه ذلك ، ويستأذنه في مناجزة القوم ، فأذن له سعد ، ووجه إليه قيس بن هُبيرة مَدداً في ألف رجل ، أربعمائة فارس، وستمائة راجل .

وبلغ المعجم أن العرب قد أتاهم المدد ، فتأهبوا للحرب ، وخرجوا ؛ ونهض إليهم عمرو بن مالك في المسلمين ، وعلى مَيْمَنته حُجْر بن عَدِيّ ، وعلى مَيْسَرته زُهَيْر ابن جُويَّة ، وعلى الخيل عمرو بن مَعْدِي كَرِب ، وعلى الرِّجَال طَلِيحَة ابن خُوَيْلِد ؛ فتزاحف الفريقان ، وصبر بعضهم ليمض ، فتراموا بالسهم حتى أنفدوها ، وتطاعنوا بالرَّاح حتى كسروها ، ثم أفضوا إلى السيوف وعمد الحديد ؛ فاقتتلوا يومهم ذلك كله إلى الليل ؛ ولم يكن للمسلمين فيه صلاة إلا إيماء والتكبير ، حتى إذا اصْفَرَّتِ الشمس أنزل الله على المسلمين نصره ، وهَزَمَ عَدُوَّهُمْ ، فقتلوه إلى الليل ، وأَغْنَمَهُم الله عسكرهم بما فيه .

فقال مَحْقَن بن ثَعْلَبَة ، فدخلت في معسكرهم إلى فُسْطَاط ، فإذا أنا بجارية على سرير في جوف الفُسْطَاط ، كأن وجهها دَارَة القمر ، فلما نظرت إليّ فرزعت وبكت ، فأخذتها ، وأتيت الأمير عمرو بن مالك ، فاستَوْهَبْتُهُ إياها ، فوهبها لي ، فاتخذتها أم ولد .

وأصاب خارجة بن الصَّلْت في فُسْطَاط من فساطيطهم ناقة من ذهب مُوشَّحَة باللؤلؤ والدَّرَّ الفارد ^(١) ، والياقوت ، عليها تمثال رجل من ذهب ، وكانت على كبر الطَّبِيَّة ، فدفعها إلى المتولَّى لقبض الفنائم .

قال : ومرَّت الفُرْس على وجوهها ، لا تلوى على شيء حتى انتهت إلى يَزْدَجَرْد ، وهو بخلوان ، فَسُقِطَ في يديه ، فتحمل بحرمه وحشمه وما كان معه من أمواله وخزائنه حتى نزل « قُم » ^(٢) و « قَاشَان » .

(١) منقطع النظر ، لا مثل له في جودته .

(٢) مدينة بين أصفهان وساعة ، وتذكر دائماً مع قاشان ، وبينهما اثنا عشر فرسخاً ، وكل أهلها حالياً شيعة لإمامية ، ويقال إن آبار قم ليس في الأرض مثلها عذوبة وبردا .

وأصاب المسلمون يوم جَلُولَاء غنيمة لم يغنموا مثلاً قط ، وسبوا سبياً كثيراً من بنات أحرار فارس ؛ فذكروا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبأيا الجلوليات . فأدرك أبناؤهن قتال صِقيين ، فخلف عمرو بن مالك بجَلُولَاء جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف فارس مسأحة بها ، ليردوا المعجم عن نفوذها إلى ما يلي العراق ، وسار ببقية المسلمين حتى وافي سعد بن أبي وقاص ، وهو مُقيم بالمدائن ، فارتحل سعد بالناس حتى ورد الكوفة ، وكتب إلى عمر رضى الله عنه بالفتح ، وأقام سعداً أميراً على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفاً ، ثم عزله عمر ، وولّى مكانه عمار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله بن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حُنيف على الخراج .

- ١٠ قالوا : ولما انتهت هزيمة المعجم إلى حُلوان ، وخرج يَزْدَجَرْد هارباً حتى نزل « قُم » و « قَاشَان » ومعه عظماء أهل بيته وأشرافهم ، قال له رجل من خاصته وأهل بيته ، يسمى هُرْمُزَان ، وكان خال شيرُوية بن كسرى أبرويز : أيها الملك إن العرب قد اقتحمت عليك من هذه الناحية ، يعني حُلوان ، ولهم جمع بناحية الأهواز ، ليس في وجوههم أحد يردهم ، ولا يمنعهم من العبث والفساد ، يعني خيل أبي موسى الأشمري ومن كان معه . قال يَزْدَجَرْد : فما الرأي ؟ قال الهرمزان : الرأي أن توجهني إلى تلك الناحية ، فأجمع إلى المعجم ، وأكون رِدْءاً في ذلك الوجه ، وأجمع لك الأموال من فارس والأهواز ، وأحملها إليك ، لتتقوى بها على حرب أعدائك ؛ فأعجبه ذلك من قوله ، وعقد له على الأهواز وفارس ، ووجّه معه جيشاً كثيراً .

[يوم مدينة تُسْتَر]

فَأَقْبَلَ الْهُرْمَزَانِ حَتَّى وَافَى مَدِينَةَ تُسْتَر^(١) ، فَنَزَلَهَا ، وَرَمَّ حَصْنَهَا ، وَجَمَعَ الْمِيرَةَ فِيهَا
لِحَصَارِ ، إِنْ رَهَقَهُ^(٢) ، وَأَرْسَلَ فِيهَا إِلَيْهِ يَسْتَنْجِدُهُمْ ، فَوَافَاهُ بَشْرٌ عَظِيمٌ ، فَكَتَبَ أَبُو
مُوسَى إِلَى عُمَرَ ، يُخْبِرُهُ الْخَبْرَ ، فَكَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ ، يَأْمُرُهُ أَنْ
يُوجِبَ النِّعْمَانَ بْنَ مُقَرَّرٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَكَتَبَ عِمَارٌ إِلَى
جَرِيرٍ ، وَكَانَ مَقِيمًا بِجُلُولَاءَ ، يَأْمُرُهُ بِاللِّحَاقِ بِأَبِي مُوسَى ، فَخَلَفَ جَرِيرٌ بِجُلُولَاءَ عُرْوَةَ
ابْنَ قَيْسِ الْبَجَلِيِّ فِي أَلْفِي رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ ، وَسَارَ بِبَقِيَّةِ النَّاسِ حَتَّى لَحِقَ بِأَبِي مُوسَى ،
فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ يَسْتَزِيدُهُ مِنَ الْمَدَدِ ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عِمَارٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى الْكُوفَةِ فِي نِصْفِ النَّاسِ ، وَيَسِيرَ بِالنِّصْفِ الْآخَرَ حَتَّى يَلْحِقَ
بِأَبِي مُوسَى ، فَسَارَ عِمَارٌ حَتَّى وَرَدَ عَلَى أَبِي مُوسَى ، وَقَدْ وَافَاهُ جَرِيرٌ مِنْ نَاحِيَةِ
جُلُولَاءَ .

فَلَمَّا تَوَافَتِ الْعَسَاكِرُ عِنْدَ أَبِي مُوسَى ارْتَحَلَ بِالنَّاسِ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَاخَ عَلَى تُسْتَرِ ،
وَتَحَصَّنَ الْهُرْمَزَانُ مِنْهُ فِي الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ تَاهَبَ لِلْحَرْبِ ، وَخَرَجَ إِلَى أَبِي مُوسَى ؛ وَعَبَّى
أَبُو مُوسَى الْمُسْلِمِينَ ، فَجَمَلَ عَلَى مِيعَتِهِ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ أَخَا أُنْسٍ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَلَى مِيسِرَتِهِ
بَجْرَازَةُ بْنُ ثَوْرٍ الْبَكْرِيُّ ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ أُنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعَلَى الرِّجَالِ سَلَمَةُ بْنُ
رَجَاءَ .

وَتَرَاخَفَ الْفَرِيقَانِ فَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى كَثُرَتِ الْقَتْلُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ
أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ ، فَانْهَزَمَتِ الْأَعَاجِمُ حَتَّى دَخَلُوا مَدِينَةَ تُسْتَرِ ، فَتَحَصَّنُوا بِهَا ؛ وَقَتَلَ
الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ وَبَجْرَازَةُ بْنُ ثَوْرٍ ، وَقَتَلَ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي الْمَعْرَكَةِ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَأَسَرَ
مِنْهُمْ سِتْمِائَةَ أَسِيرٍ ، فَقَدَّمَهُمْ أَبُو مُوسَى ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ .

(١) أعظم مدينة بخوزستان ، مغرب شوشتر ، ومعناه التفضيل في الطيب والنزهة ، وهي مركز
بجاري هام ، وسكانها شيعة من العرب والإيرانيين ، وقد سميت بلدهم « دار المؤمنين » لشدة
ورعهم . ولإليها ينسب سهل التستري من علماء الصوفية . (٢) غشيه وأرهقه .

وأقام المسلمون على باب مدينة تُسْتَرَأَيَا كثيرة ، وحاصروا المعجم بها ، فخرج ذات ليلة رجل من أشرف أهل المدينة ، فأتى أبا موسى مُسْتَسِرًّا ، فقال « تُوْمَنِي على نفسي وأهلي وولدي ومالي وضياعي حتى أعمل في أخذك المدينة عَنَوَةً ؟ قال أبو موسى : إن فعلت فلك ذلك . قال الرجل ، وكان اسمه سَيْنَةَ : ابعت مي رجلا من أصحابك . فقال أبو موسى : من رجل يَشْتَرِي نفسه ، ويدخل مع هذا المعجم ٥ مدخلا لا آمن عليه فيه الهلاك ، ولعل الله أن يسلمه ، فإن يهلك فإلى الجنة . وإن يسلم عمت منفعته جميع الناس ؟ .

فقام رجل من بني شيبان ، يقال له « الأشرس بن عوف » ، فقال : أنا . فقال أبو موسى « امض ، كلاً لك الله » . فضى حتى خاض به دُجَيْل^(١) ، ثم أخرجه من سَرَب^(٢) حتى انتهى به إلى داره ، ثم أخرجه من داره ، وألقى عليه طَيْلسانا^(٣) ، وقال : ١٠ امش ورأى كأنك من خدي . ففعل ، فجعل سينة يمر به في أقطار المدينة طولا وعرضا ، حتى انتهى به إلى الأحراس الذين يحرسون أبواب المدينة ، ثم انطلق حتى مرّ به على الهرمزان ، وهو على باب قصره ، ومعه ناس من مرازبته ، وشمع أمامه ، حتى نظر الرجل إلى جميع ذلك ، ثم انصرف إلى داره ، وأخرجه من ذلك السرب ، حتى أتى به أبا موسى ، فأخبره الأشرس بجميع ما رأى ، وقال : وجه مي مائتي رجل ١٥ حتى أقصد بهم الحرس ، فأقتلهم ، وأفتح لك الباب ، ووافنا أنت بجميع الناس .

فقال أبو موسى : من يشتري نفسه لله ، فيمضى مع الأشرس ؟ فانتدب مائتا رجل ، فمضوا مع الأشرس وسينة حتى دخلوا من ذلك النقب ، وخرجوا في دار سينة ، وتأهبوا للحرب ، ثم خرجوا والأشرس أمامهم ، حتى انتهوا إلى باب ٢٠ المدينة . وأقبل أبو موسى في جميع الناس حتى وافوا الباب من خارج ؟ وأقبل

(١) نهر صغير متشعب من دجلة .

(٢) السرب حفير تحته الأرض أو القناة الجوفاء التي يدخل منها الماء .

(٣) معرب من الفارسية ، وهو نوع من الأكسية أسود اللون .

الأشرس وأصحابه حتى أتوا الأحراس، فوضعوا فيهم السيوف، وتداعى الناس، وأسندوا ظهورهم إلى حائط السور، وأبو موسى وأصحابه يُكَبِّرُونَ لِتَشْتَدَّ بِذَلِكَ ظُهُورُهُمْ، وَأَنْفَضَى أَصْحَابُ الْأَشْرَسِ إِلَى الْبَابِ، فَضَرَبُوا الْقُلَّ حَتَّى كَسَرُوهُ، وَفَتَحُوا الْبَابَ، وَدَخَلَ أَبُو مُوسَى وَالْمَسْلُومُونَ، فَوَضَعُوا فِيهِمُ السِّیُوفَ، وَهَرَبَ الْهَرُمَزَانُ فِي عِظَاءِ مَرَّازِبَتِهِ حَتَّى دَخَلُوا الْحِصْنَ الَّذِي فِي جُوفِ الْمَدِينَةِ، وَأَخَذَ أَبُو مُوسَى الْمَدِينَةَ بِمَا فِيهَا وَحَاصَرُوا الْهَرُمَزَانَ حَتَّى فَنِيَ مَا كَانَ أَعَدَّ فِي الْحِصْنِ مِنَ الْيَمِينَةِ، ثُمَّ سَأَلَ الْأَمَانَ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَوْمِنُكَ عَلَى حَكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَرَضَى بِذَلِكَ، وَخَرَجَ فَيَمُنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَرَّازِبَتِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَوَجَّهَ بِهِ وَبِهِمْ أَبُو مُوسَى إِلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَجَّهَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، فَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ «السَّمِينَةُ»^(١)، فَأَقْبَلَ أَهْلَ الْمَاءِ يَمْنُمُونَهُمْ مِنَ النَّزُولِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُفْنُوا مَاءَهُمْ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ أَنْسًا صَاحِبَ الْقَوْمِ جَاءَهُمْ، فَزَلُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ أَنْسِ لِأَنْسٍ: أَخْبِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ بِنَا، لِيُخْرِجُوهُمْ مِنْ هَذَا الْمَاءِ. قَالَ الْهَرُمَزَانُ: وَإِنْ أَرَادَ مَرِيدُ أَنْ يُخَوِّلَهُمْ إِلَى مَكَانٍ ثَمَرَهُ مِنْهُ، هَلْ كَانَ يَجِدُهُ؟

١٥ ثُمَّ سَارُوا حَتَّى وَافُوا الْمَدِينَةَ، فَأَتُوا دَارَ عَمْرِ، وَقَدْ زَيَّنُوا الْهَرُمَزَانَ بِقَبَائِهِ^(٢) وَمِنْطَقَتِهِ وَسَيْفِهِ وَسَوَارِيهِ وَتَوَاطُّمَتِيهِ^(٣)، وَكَذَلِكَ مِنْ كَانَ مَعَهُ، لِيَنْظُرَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى زَيِّ الْمُلُوكِ وَالْمَرَّازِبَةِ وَهَيْئَتِهِمْ، فَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ.

٢٠ وَانصَرَفَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَيَمُنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ بِالْكُوفَةِ، وَسَارَ أَبُو مُوسَى مِنْ تُسْتَرٍ حَتَّى أَتَوْا السُّوسَ^(٤)، فَحَاصَرُهَا، فَسَأَلَهُ مَرْزَبَانُهَا أَنْ يُؤَمِّنَهُ فِي ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَاصَّةً أَصْحَابِهِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَمَدَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا، وَلَمْ يَدَعْ نَفْسَهُ فِيهِمْ فَأَمَرَ أَبُو مُوسَى بِهِ، فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ، وَأَطْلَقَ الثَّمَانِينَ الَّذِينَ عَدَّهُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَغَنِمَ مَا فِيهَا، ثُمَّ بَعَثَ مَنَجُوفَ بْنَ ثَوْرٍ إِلَى

(١) ماء لبني الهجيم، تصغير سمينة: أول منزل من الناح لفاصد البصرة

(٢) نوع من الثياب تجمع أطرافه. (٣) درنان الأدبى إحداهما نومة الأخرى.

(٤) بلدة بخورستان.

مِهْرَجَان قَدَق^(١) ، فافتتحها ، ومعه السائب بن الأقرع ، فاتتهى السائب إلى قصر الهرمزان صاحب تُستر ، وكان موطنه الصَّيْمَرَة ، فدخل القصر ، وكان من المدينة على ميل ، فنظر في بعض البيوت إلى تمثال في الحائط مَادٍّ إصبعه مُصَوَّبًا إلى الأرض ؛ فقال السائب « مَا صُوِّبَتْ إصْبَعُ هَذَا التَّمَالِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا لِأَمْرٍ ، احفروا هاهنا » فحفروا ، فأصابوا سِفْطًا^(٢) ، كان للهرمزان مملوءا جوهرا ، فاحتبس منه السائب فصّ خاتم ، وسَرَّحَ بالباقي إلى أبي موسى ، وأعلمه أنه أخذ منه فصًا ، فسأله أن يهبه له ؛ ففعل أبو موسى ، ووجه بالسفط إلى عمر رضى الله عنه ، فأرسل عمر إلى الهرمزان ، وقال : « هل تعرف هذا السفط ؟ » فقال : « نعم ، أفقد منه فصًا » قال عمر : « إن صاحب المقسم استوثبه ، فوهبه له أبو موسى » ، فقال : « إن صاحبكم لبصير بالجواهر » .

١٠

ثم إن عمر ولى عثمان بن أبي العاص أرض البحرين ، فلما بلغه فتح الأهواز سار بمن كان معه حتى أوغل في أرض فارس ، فنزل مكانا يسمى « تَوَّج »^(٣) فصيده دار هجرة ، وبنى مسجدا جامعا ؛ فكان يحارب أهل أَرْدَشِير ، حتى غلب على طائفة من أرضهم ، وغلب على ناحية من بلاد سَابُور ، وبلاد إصْطَخَر ، وأَرْجَان ، فكث بذلك حَوْلًا ، ثم خلف أخاه الْحَكَمَ بن أبي العاص على أصحابه ولحق بالمدينة .

١٥ وإنَّ مرزبان فارس جَمَعَ جُمُوعًا عظيمة ، وزحف إلى الحكم ، فظفر به الحكم ، فقتله ، وكان اسمه « سَهْرُك » .

[وقعة نهاوند]

ثم كانت وقعة نَهَاوَنْد^(٤) سنة إحدى وعشرين [٦٤١ م] ؛ وذلك أن العجم لما قَتَلُوا بِجَلُولَاء ، وهرب يَزْدَجَرْد ، فصار بَقُم ، ووجَّهَ رسله في البلاد يستجيش ، فغضب له أهل مملكته ، فَتَحَلَّبَتْ^(٥) إليه الأعاجم من أقطار البلاد ،

٢٠

(١) كورة حسنة واسعة ، ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحي الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان .

(٢) السفط كالجوالق ، يعي فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .

(٣) مدينة بفارس ، شديدة الحر ، قريبة من كازرون .

(٤) مدينة عظيمة من أقدم المدن في الجبل ، وبها آثار حسنة للفرس ، وفي وسطها حصن عجيب البناء ، على السمك ، وبها قبور جماعة من الشهداء .

(٥) جاءوا من كل أوب للنصرة .

فأتاه أهل قُومِسَ ، وطَبْرِسْتَان ، وَجُرْجَان ، وَدُنْبَاوَنْد ، والرَّيِّ ، وَأَصْبَهَان ، وَهَمْدَان ،
والمَاهِين ، واجتمعت عنده جموع عظيمة ، فَوَلَّى أمرهم مَرْدَان شاه بن هُرْمُز ،
وَوَجَّههم إلى نَهَاوَنْد .

وكتب عَمَّار بن يَاسِر إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فخرج عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، ويده الكتاب حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا معشر العرب ، إِنَّ الله أَيَّدَكم بالإسلام ، وَأَلْفَ بينكم بعد الفُرْقَةِ ،
وَأَغْنَاكم بعد الفَاقَةِ ، وَأَظْفَرَكم في كل مَوْطِنٍ لقيم فيه عدوكم ، فلم تُفَلِّتُوا ،
ولم تُفَلِّتُوا ، وَإِنَّ الشيطان قد جمع جموعاً لِيُطْفِئَ نور الله ، وهذا كتاب عَمَّار
ابن يَاسِر ، يَذْكُرُ أَنَّ أهل قُومِسَ وطَبْرِسْتَان وَدُنْبَاوَنْد وَجُرْجَان والرَّيِّ وَأَصْبَهَان
وَقُمَّ وَهَمْدَان والمَاهِين وَمَاسَبَذَان قد أَجفلوا^(١) إلى مَلِكهم ، ليسيروا إلى إِخوانكم
بالكوفة والبصرة حتى يطردوهم من أرضهم ، ويغزوكم في بلادكم ، فَأَشِيرُوا على » .
فكَلَّمَ طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله ، فقال : « يا أَمِير المؤمنين ، إِنَّ الأمور
قد حَنَكَتْكَ ، وَإِنَّ الدُّهْر قد جَرَّبَتْكَ ، وَأَنْتَ الْوَالِي ، فَمَرُّنَا نُطِيعُ ،
وَاسْتَنْهَضْنَا نَهَضُ » . ثم تكلَّم عثمان بن عفَّان ، فقال : « يا أَمِير المؤمنين ،
اكتب إلى أهل الشام ، فيسيروا من شامهم ؛ وإلى أهل اليمن ، فيسيروا من
يمنهم ؛ وإلى أهل البصرة ، فيسيروا من بصرتهم ؛ وَسِرُّ أَنْتَ بِأهل هذا الحرم حتى
توافي الكوفة ، وقد وافاك المسلمون من أَقْطَارِ أرضهم وآفاق بلادهم ، فَإِنَّكَ إِذَا
فعلت ذلك كنت أ كثر منهم جَمْعاً وَأَعَزَّ نَفَرًا » .

فقال المسلمون من كلِّ ناحية « صَدَقَ عثمان » ، فقال عمر لعلِّي رضي الله عنهما :
« ما تقول أنت يا أبا الحسن ؟ » ، فقال علي رضي الله عنه : « إِنَّكَ إِن أَشْخَصْتَ
أهل الشام من شامهم سارت الرُّوم إلى ذَرَارِيَّهم ، وَإِنْ سَيَّرْتَ أهل اليمن من يمنهم
خَلَقْتَ الحَبْشَةَ على أرضهم ، وَإِنْ شَخَصْتَ أَنْتَ من هذا الحَرَمِ انتَقَضَتْ عليك

(١) أسرعوا .

الأرض من أقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهم إليك مما قدّامك ، وإنّ المعجم إذا رأوك عيانا قالوا ، هذا ملك العرب كلها ، فكان أشدّ لقتالهم ؛ وإنّا لم نقاتل الناس على عهد نبيّنا صلى الله عليه وسلم ولا بعده بالكثرة ، بل اكتب إلى أهل الشام أن يُقيم منهم بشامهم الثلاثان ، ويشخص الثالث ، وكذلك إلى عمّان ، وكذلك سائر الأمصار والكُور .^٥

فقال عمر : هو الرأى الذى كنت رأيت ، ولكنى أحببت أن تتأبى عنى عليه ، فكتب بذلك إلى الأمصار ، ثم قال : لأولين الحرب رجلا يكون غداً لآسنة القوم جزراً^(١) . فولى الأمر النعمان بن مقرّن المزنيّ ، وكان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان على خراج كسسكر ، فدعا عمر السائب بن الأقرع ، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرّن ، وقال له : إن قُتل النعمان فوليّ الأمر حذيفة بن اليمان ، وإن قُتل حذيفة فوليّ الأمر جرير بن عبد الله البجليّ ، وإن قُتل جرير فالأمير المنيرة ابن شعبة ، وإن قُتل المنيرة فالأمير الأشعث بن قيس .

وكتب إلى النعمان بن مقرّن « إن قبلك رجلين هما فارسا العرب : عمرو بن معدى كرب ، وطلحة بن خويلد فشاورها في الحرب ، ولا تولّهما شيئا من الأمر ، ثم قال للسائب : إن أظفر الله المسلمين فتولّ أمر المنعم ، ولا ترفع إلى باطلا ، وإن يهلك ذلك الجيش فأذهب ، فلا أرينك .^{١٥}

فسار السائب حتى ورد الكوفة ودفع إلى النعمان عهده ، ووافقت الأمداد ، وخلف أبو موسى بالبصرة ثلثي الناس ، وسار بالثلث الآخر حتى وافى الكوفة ، فتجهّز الناس ، وساروا إلى نهاوند ، فنزلوا بمكان يسمى « الإسفنديهان »^(٢) من مدينة نهاوند على ثلاثة فراسخ ، قرب قرية يقال لها « قدسيجان » ، وأقبلت الأعاجم يقودها مردان شاه بن هرمزد ، حتى عسكروا قريبا من عسكر المسلمين ، وخندقوا على أنفسهم ، وأقام الفريقان بمكانهما ، فقال النعمان لعمر وطلحة : « ما تريان ؟

(١) الجزر : القطع والاستئصال .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب « أسفنديان » واحدة من قرى أصبهان .

فإن هؤلاء القوم قد أقاموا بكانهم لا يخرجون منه ، وأمدادهم تترى عليهم كل يوم «
فقال عمرو : « الرأى أن تشيع أن أمير المؤمنين توفى ، ثم ترحل بجميع من معك ،
فإن القوم إذا بلغهم ذلك طلبونا فننقف لهم عند ذلك » ، ففعل النعمان ذلك ،
وتباشرت الأعاجم ، وخرجوا في آثار المسلمين ، حتى إذا قاربوهم وقفوا لهم ،
ثم تراحفوا ، فاقتتلوا ، فلم يُسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، وكثرت القتلى
من الفريقين ، وحال بينهما الليل ، فانصرف كل فريق إلى معسكرهم ؛ وبات
المسلمون لهم أنين من الجراح ، ثم أصبحوا ، وذلك يوم الأربعاء ، فتراحفوا ،
واقترلوا يومهم كله ، وصبر الفريقان ، ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس ، وتراحفوا
يوم الجمعة ، وتواقفوا ، وركب النعمان بن مقرن رذونا أشهب ،
ولبس ثياباً بيضاء ، وسار بين الصفوف ، يذمر المسلمين ، ويحضرهم ، وجعل ينتظر
الساعة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُقاتل فيها ، ويستنزِل النصر ،
وهي زوال النهار ، ومهبّ الرياح ، وسار في الرايات يقول لهم : « إني هاؤلكم
الراية ثلاثاً ، فإن هزتها أول مرة فليشد كل رجل منكم حزام فرسه ، وليستلم
شكته ، فإذا هزتها الثانية فصوبوا رماحكم ، وهزوا سيوفكم ، فإذا هزتها
الثالثة ، فكبروا ، واحملوا ، فإني حامل » .

فلما زالت الشمس بأدنى صلّوا ركعتين ركعتين ، ووقف ، ونظر الناس إلى
الراية ، فلما هزها الثالثة كبروا ، وحملوا ، فانتقضت صفوف الأعاجم ، وكان
النعمان أول قتيل ، فحمله أخوه سويد بن مقرن إلى فسطاطه ، فخلع ثيابه ،
فلبسها ، وتقلد سيفه ، وركب فرسه ، فلم يشك أكثر الناس أنه النعمان ،
وثبتوا ، يُقاتلون عدوهم ، ثم أنزل الله نصره ، وانهزمت الأعاجم ، فذهبت على
وجوهها ، حتى صاروا إلى قرية من نهاوند على فرسخين ، تسمى « دزيريد »
فنزلوها لأن حصن نهاوند لم يسمعهم ؛ وأقبل حذيفة بن اليمان ، وقد كان تولى
الأمر بعد النعمان ، حتى أناخ عليهم ؛ فحاصرهم بها .

قال : وإنهم خرجوا ذات يوم مستعدين للحرب ، فقاتلهم المسلمون ،
فانهزمت الأعاجم ، وانقطع عظيم من عظمائهم يسمى « دينار » فحال المسلمون بينه
وبين السخول إلى الحصن ، واتبعه رجل من عبس ، يسمى « سمالك بن عبيد »
فقتل قوماً كانوا معه ، واستسلم له الفارس ، فاستأسره سمالك ، فقال لسمالك :
« انطلق بي إلى أميركم ، فإنى صاحب هذه الكورة ، لأصلحه على هذه الأرض ،
وأفتح له باب الحصن » ، فانطلق به إلى حذيفة ، فصالحه حذيفة عليها ،
وكتب له بذلك كتاباً .

فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن فهكؤند ، ونادى من فيه « افتحوا باب
الحصن ، وانزلوا ، فقد آمنكم الأمير ، وصالحنى على أرضكم » . فنزلوا إليه ، فبذلك
سميت « ماء دينار » . وأقبل رجل من أشراف تلك البلاد إلى السائب بن الأقرع ،
وكان على المنام ، فقال له « أتصالحنى على ضياعى ، وتؤمننى على أموالى ، حتى أدلك
على كنز لا يدرى ما قدره ، فيكون خالصاً لأمركم الأعظم ، لأنه شئ لم يؤخذ فى
الغنيمة » .

وكان سبب هذا الكنز أن النخارجان الذى كان يوم القادسية أقبل بالمدد ،
فألقى المعجم قد انهزموا ، فوقف ، فقاتل حتى قتل ، وكان من أعظم الأعاجم ،
وكان كريماً على كسرى أبرويز ، وكانت له امرأة من [أكل]^(١) النساء بجمالاً ، وكانت
تختلف إلى كسرى ، فبلغ النخارجان ذلك ، فرفضها ، فلم يقربها ، وبلغ ذلك
كسرى ، فقال يوماً للنخارجان وقد دخل عليه مع العطاء والأشراف : « بلغنى أن لك
عيناً عذبة الماء ، وأنت لا تشرب منها » . فقال النخارجان « أيها الملك ، بلغنى أن
الأسد ينساب تلك العين ، فاجتنبها مخافة الأسد » فاستحلى كسرى جواب
النخارجان ، وعجب من فطنته ، فدخل دار نسائه ، وكانت له ثلاثة آلاف امرأة
لفراشه ، فجمعهن وأخذ ما كان عليهن من خيل ، فجمعه ، ودفعه إلى امرأة النخارجان ،

(١) فى الأصل أجمل .

ودعا بالصاغة ، فاتخذوا للنخارجان تاجا من ذهب مكللا بالجواهر الثمين ، فتوجه به ، فبقى ذلك التاج وتلك الحلى عند ولد بنى المرأة ؛ فلما وقعت الحرب بناحيتهما ساروا به إلى قرية لأبيهم ، سميت باسمه ، يقال لها « الخوارجان » وفيها بيت نار ، فاقتلوا الكانون^(١) ودفنوا الحلى تحته ، وأعادوا الكانون كهيئته .

٥ فقال له السائب : إن كنت صادقا فأت آمن على أولادك وضياحك وأهلك وولدك ؛ فانطلق به حتى استخرجه في سفطين : أحدهما التاج ، والآخر الحلى .

فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال ، وفرغ حمل السفطين في خرجين على ناقته ، وقدم بهما على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكان من أمرهما الخبر المشهور ، اشتراها عمرو بن الحارث بمطاء المقاتلة والذرية جميعا ، ثم حملهما إلى الحيرة فباع بفضل كثير ، واعتقد بذلك أموالا بالعراق ، وكان أول قرشي اعتقد بالعراق ، فقال عروة بن زيد الخيل يذكر أيامهم :

أَلَا طَرَفَتْ رَحْلِي وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي بِأَيَّوَانِ سِيرِينَ الْمَزْخَرِ خُلْتِي
وَلَوْ شَهِدْتُ يَوْمَ جُلُولَاءَ حَرْبَنَا وَيَوْمَ نَهَاوْنَدَ الْمَهُولِ اسْتَهَلَّتْ
إِذَا لَرَأْتُ ضَرْبَ امْرِئٍ غَيْرِ خَامِلٍ مُجِيدٍ بِطَعْنِ الرُّمَحِ أَرْوَعَ مِصْلَتِ
وَلَمَّا دَعَوْا يَا عُرْوَةَ بْنَ مَهْلِلٍ ضَرَبْتُ جُمُوعَ الْفُرْسِ حَتَّى تَوَلَّتْ
دَفَعْتُ عَلَيْهِمْ رَحْلَتِي وَفَوَارِسِي وَجَرَدْتُ سَيْفِي فِيهِمْ ثُمَّ أَلْتِي

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ أَشْوَسَ مُتَعَرِّدٍ عَلَيْهِ بِحَيْلِي فِي الْهِيَاجِ أَظَلَّتْ
وَكَمْ كُرْبَةٍ فَرَجْتُهَا وَكُرْبَةٍ شَدَدْتُ لَهَا أَزْرِي إِلَى أَنْ تَجَلَّتْ
وَقَدْ أَضْحَتِ الدُّنْيَا لَدَى ذَمِيمَةٍ وَسَايْتُ عَنْهَا النَّفْسَ حَتَّى تَسَلَّتْ
وَأُصْبِحَ هَمِّي فِي الْجِهَادِ وَنَيْتِي فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَدْبَرَتْ وَتَوَلَّتْ
فَلَا تَرَوْهُ الدُّنْيَا تُرِيدُ اكْتِسَابَهَا أَلَا إِنَّهَا عَنْ وَفَرَهَا قَدْ تَحَلَّتْ
وَمَاذَا أَرْجَى مِنْ كُنُوزٍ جَمَعْتُهَا وَهَذِي الْمَنَآيَا شُرْعًا قَدْ أَظَلَّتْ

[ولاية عثمان بن عفان]

- وتوفي عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الجمعة لأربع ليالٍ بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر ، واستخلف عثمان ابن عفان ، فمزل عمار بن ياسر عن الكوفة ، وولّى الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، وكان أخا عثمان لأمه ، أمهما أروى بنت أم حكيم بن عبد المطلب بن هاشم ، وعزل أبا موسى الأشعريّ عن البصرة ، وولّاها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وكان ابن خال عثمان ، وكان حَدَّث السنّ ؛ واستعمل عمرو بن العاص على حرب مصر ، واستعمل عبد الله بن أبي سرح على خراجها ، وكان أخاه من الرضاعة ، ثم عزل عمرو بن العاص ، وجمع الحرب والخراج لعبد الله بن أبي سرح .

١٠ [الفتوحات في عهد عثمان]

- ثم كانت غزوة سَابُور من أرض فارس ، وافتتاحها . وأميرها عثمان بن أبي العاص ، ثم كان فتح إفريقية سنة تسع وعشرين ، وأميرها عبد الله بن أبي سرح ، ثم كان فتح قُبْرُس ، وأميرها معاوية بن أبي سفيان .
- ثم إن أهل إصطخر نزعوا يداً من الطاعة ، وقدمها يزْدَجَرْد الملك في جمع من الأعاجم ، فسار إليهم عثمان بن أبي العاص وعبد الله بن عامر ، فكان الظفر للمسلمين ، وهرب يزْدَجَرْد نحو خراسان ، فأُتِيَ مَرَوْ . فأخذ عامله بها ، وكان اسمه « مَاهُوِيَّة » بالأموال ، وقد كان مَاهُوِيَّة صاهر خاقان ملك الأتراك ، فلما تشدّد عليه أرسل إلى خاقان يُعَلِّمه ذلك ، فأقبل خاقان في جنوده حتى عبر النهر مما يلي آمُوِيَّة ، ثم ركب المفازة حتى أتى مَرَوْ ، ففتح له مَاهُوِيَّة أبوابها ، وهرب يزْدَجَرْد على رجله وحده ، فمشى مقدار فرسخين حتى انتهى في السَّحَر إلى رَحَى فيها سراج يتقدّ ، فدخلها ، وقال للطَّحَّان : « آوْنِي عندك الليلة » قال الطَّحَّان : « أعطني أربعة دراهم ، فأني أريد أن أدفعها إلى صاحب الرَّحَا ^(١) ، فناوله سيفه

(١) الرحا : الحجر العظيم ، وتكتب بالياء والألف .

ومنطقته ، وقال : « هذا لك » ، ففرش له الطحان كساءه ، فنام يَزْدَجِرْدُ لما ناله من شِدَّةِ التعب ، فلما استثقل نوماً قام إليه الطحّان بمنقار الرّحَا ، فقتله ، وأخذ سَلَبَهُ^(١) ، وألقاه في النهر .

ولما أصبح الناس تَدَاعَوْا ، فأجلبوا على الأتراك من كلّ وجه ، فخرج خاقان مُهْزِماً حتى أُوْغِلَ في المَافِزَةِ ، فطلبوا الملك فلم يجدوه ، فخرجوا يَقْفُونَ أثره حتى انتهوا إليه ، فوجدوه قتيلاً مطروحاً في الماء ، وأصابوا بزّته عند الطحّان .

وذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان ، وهي سنة ثلاثين من التاريخ^(٢) ، فعند ذلك انقضى مُلْكُ فارس ، وأرَّخُوا عليه تاريخهم الذي يكتبون به اليوم . وهرب مأهوية حتى نزل أْبَرَشَهْرَ خَافَةِ أن يقتله أهل مَرَوَ ، فأت بها .

وسار عبد الله بن خازم السلمي إلى سَرْخَس^(٣) ، فافتتحها أيضاً ؛ وسار عبد الله ابن عامر إلى كَرْمَان وسِجِسْتَان ، فافتتحهما .

[بيعة على بن أبي طالب]

ثم قُتِلَ^(٤) عثمان رضي الله عنه ، فلما قُتِلَ بقي الناس ثلاثة أيام بلا إمام ، وكان الذي يُصَلِّي بالناس العافقيّ ، ثم بايَعَ الناس عَلِيّاً رضي الله عنه ، فقال : « أيها الناس ، بايعتموني على ما بُويعَ عليه من كان قبلي ، وإنما الخيار قبل أن تقع البيعة ، فإذا وقعت فلا خيار ، وإنما على الإمام الاستقامة ، وعلى الرّعيّة التسليم ، وإن هذه بيعة عامة ، من رَدَّهَا رغب عن دين الإسلام ، وإنها لم تكن فلتة » .

ثم إن عَلِيّاً رضي الله عنه أظهر أنه يريد السير إلى العراق ، وكان على الشام يومئذ معاوية بن أبي سفيان ، ورَليها لعمر بن الخطاب سُبُماً ، ووليها جميع ولاية عثمان

(١) السلب : كل ما على الإنسان من اللباس .

(٢) سنة ثلاثين من التاريخ الهجري أي ٦٥٠ م

(٣) مدينة قديمة بين نيسابور ومرو ، في وسط الطريق ، وهي مدينة معطشة ، ليس بها ماء .

(٤) وكان قتله في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ (٣١ مايو ٦٥٥ م) .

رضى الله عنه اثنتى عشرة سنة ، فواتاه الناس على السير إلا ثلاثة نفر : سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى .

وبعث على رضى الله عنه عمّاله إلى الأمصار ، فاستعمل عثمان بن حنيف على البصرة ، وعُمارة بن حسان على الكوفة ، وكانت له هجرة ، واستعمل عبد الله ابن عباس على جميع أرض اليمن ، واستعمل قيس بن سعد بن عبادة على مصر ، واستعمل سهل بن حنيف على الشام .

فأما سهل فإنه لما انتهى إلى تبوك ، وهى تخوم أرض الشام استقبله خيل لمعاوية ، فردّوه ، فانصرف إلى على ، فلم على رضى الله عنه عند ذلك أن معاوية قد خالف ، وأن أهل الشام بايعوه .

١٠ وحضر الموسم ، فاستأذن الزبير وطلحة علياً فى الحج ، فأذن لهما ، وقد كانت عائشة أم المؤمنين خرجت قبل ذلك مُعْتَمِرَةً ، وعثمان محصور ، وذلك قبل مقتله بمشرين يوماً ، فلما قضت عُمرَتَهَا أقامت ، فوافاها الزبير وطلحة .

وكتب على بن أبى طالب إلى معاوية « أما بعد ، فقد بلغك الذى كان من مصاب عثمان رضى الله عنه ، واجتماع الناس على ومبايعتهم لى ، فادخل فى السلم أو ائذن بحرب » . وبعث الكتاب مع الحجاج بن غزيرة الأنصارى ، فلما قدم على معاوية ، وأوصل كتاب على إليه ، فقرأه ، فقال : « انصرف إلى صاحبك ، فإن كتابى مع رسولى على إترك » ، فانصرف الحجاج ، وأمر معاوية بطومارين^(١) ، فوصل أحدهما بالآخر ، ولُفَا ، ولم يكتب فيهما شيئاً إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ وكتب على العنوان « من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب » .

٢٠ ثم بعث به مع رجل من عبّس ، له لسان وجسارة ، فقدم العباسى على على ، فناوله الكتاب ، ففتحه ، فلم ير فلم فيه شيئاً ، إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، وعند على وجوه الناس .

(١) الطامور والطومار : الصحيفة .

- فقام العباسي ، فقال : « أيها الناس ، هل فيكم أحد من عبس ؟ » قالوا :
نعم . قال : فاسمعوا مني ، وافهموا عني ، إني قد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ
خاضعي لحام بدموع أعينهم تحت قيص عثمان ، رافعيه على أطراف الرماح ، قد
عاهدوا الله ألا يشيموا^(١) سيوفهم حتى يقتلوا قتلته ، أو تلحق أرواحهم بالله .
- ٥ فقام إليه خالد بن زفر العباسي ، فقال : بئس لعمر الله وافد الشام أنت ، أتخوف
المهاجرين والأنصار بجنود أهل الشام وبكائهم على قيص عثمان ، فوالله ما هو بقميص
يوسف ولا بحزن يعقوب ، ولئن بكوا عليه بالشام ، فقد خذلوه بالعراق .
- ثم إن المغيرة بن شعبة دخل على علي رضي الله عنه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ،
إن لك حقَّ الصَّحبة ، فأفر معاوية على ما هو عليه من إمرة الشام ، وكذلك
١٠ جميع عمال عثمان ، حتى إذا أتت طاعتهم وبيعتهم استبدلت حينئذ أو تركت » ،
فقال علي رضي الله : « أنا ناظر في ذلك » .
- وخرج عنه المغيرة ثم عاد إليه من غدٍ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إني أشرت
أمس عليك برأى ، فلما تدبرته عرفت خطأه ، والرأى أن تعاجل معاوية وسائر
عمال عثمان بالعزل ، لتعرف السامع المطيع من العاصي ، فتكافي كلاً بجزائه »
- ١٥ ثم قام ، فتلقاء ابن عباس داخلا ، فقال لعلي رضي الله عنه : « فيم أتاك المغيرة ؟ »
فأخبره على بما كان من مشورته بالأمس ، وما أشار عليه بهدٍ ؛ فقال ابن عباس :
« أما أمس فإنه نصَّح لك ؛ وأما اليوم ففَشَّك » .
- وبلغ المغيرة ذلك ، فقال : « صدق ابن عباس ، نصَّحت له ، فلما ردَّ
نُصْحِي بدَّلْتُ قَوْلِي » ، ولما خاض الناس في ذلك سار المغيرة إلى مكة ، فأقام بها
٢٠ ثلاثة أشهر ، ثم انصرف إلى المدينة .
- ثم إن علياً رضي الله عنه نادى في الناس بالتأهب للمسير إلى العراق ، فدخل
عليه سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة ،

(١) شام السيف شيما : سله أو أغمدته وهو من الأضداد .

فقال لهم : « قد بلغني عنكم هَنَاءَ كرهتها لكم » ، فقال سمع : « قد كان ما بلغك ، فأعطني سيفاً يعرف المسلم من الكافر حتى أَقَاتِلَ به معك » .

وقال عبد الله بن عمر : « أنشدك الله أن تحملني على ما لا أعرف » .

وقال محمد بن مَسْلَمَةَ : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أَقَاتِلَ

- بسيفي ما قُوِيَ تَلَّ به المشركون ، فإذا قُوِيَ تَلَّ أهل الصلاة ضربت به صخر أُحُد حتى ينكسر ، وقد كسرت به بالأمس » . ثم خرجوا من عنده .

ثم إن أسامة بن زَيْدٍ دخل ، فقال : « أعفني من الخروج معك في هذا الوجه ، فإني عاهدت الله ألا أَقَاتِلَ مَنْ يَشْهَدُ أن لا إله إلا الله » .

وبلغ ذلك الأَشْتَر ، فدخل على عليّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا وإن لم نكن

- ١٠ من المهاجرين والأنصار ، فإنا من التابعين بإحسان ، وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه ، وهذه بيعة عامة ، الخارج منها طَائِعٌ مُسْتَعْتَبٌ ، كَحُصٍّ هَوْلَاءَ الذين يريدون التخلف عنك باللسان ، فإن أبوا فادَّبهم بالحبس » فقال عليّ : « بل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه » .

ولما هَمَّ على رضى الله عنه بالسير إلى العراق ، اجتمع أشراف الأنصار ، فأقبلوا

- ١٥ حتى دخلوا على عليّ ، فتكلم عُقْبَةُ بن عامر ، وكان بَدْرِيًّا^(١) فقال : « يا أمير المؤمنين إن الذى يفوتك من الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسمى بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق ، فإن كنت إنما تسير لحرب الشام ، فقد أفام عمر فينا ، وكفاه سعدٌ زحف القادِسيَّة ، وأبو موسى زحف الأهواز ، وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك ، والرجال أشباه ، والأيام دُول » ، فقال عليّ : « إن الأموال والرجال بالعراق ، ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريباً منها » . ونادى ٢٠ فى الناس بالسير ، فخرج وخرج معه الناس .

(١) ممن شهدوا غزوة بدر .

[وقعة الجمل ^(١)]

قالوا : ولما قضى الزُبَيْرُ وطلحة وعائشة حجّهم تأمروا في مقتل عثمان ، فقال الزُبَيْرُ وطلحة لعائشة : « إن أطمعنا طلبنا بدم عثمان » . قالت : « ومن تطلبون دمه ؟ » ، قالوا : « إنهم قوم معروفون ، وإنهم بطانة على ورؤساء أصحابه ، فآخرجي معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز ، وإن أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعاً يدًا واحدة معك » . فأجابتهم إلى الخروج ، فسارت والناس حولها يمينا وشمالاً .

ولما فصلَ على من المدينة نحو الكوفة بلغه خبر الزُبَيْرِ وطلحة وعائشة ، فقال لأصحابه : « إن هؤلاء القوم قد خرجوا يؤمنون بالبصرة ، لما دبروه بينهم ، فسيروا بنا على أثرهم ، لعلنا نلحقهم قبل موافاتهم . فإنهم لو قد وافوها لَمَالَ معهم جميع أهلها » ، قالوا : « سِرْ بنا يا أمير المؤمنين » . فسار حتى وَاَفَى ذاقار ^(٢) ، فأتاه الخبر بموافاة القوم البصرة ، ومبايعة أهل البصرة لهم إلا بنى سعد ، فإنهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس ؛ وقالوا لأهل البصرة : « لا نكون معكم ولا عليكم » ؛ وقعد عنهم أيضا كعب بن سُرٍ في أهل بيته ، حتى أتته عائشة في منزله ، فأجابها ، وقال : « أكره ألا أجيب أُمى » ، وكان كعب على قضاء البصرة .

ولما انتهى الخبر إلى عليّ وجّه هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ليستنهض أهل الكوفة ، ثم أردفه بإبنة الحسن وبعمار بن ياسر ، فساروا حتى دخلوا الكوفة ، وأبو موسى يومئذ بالكوفة ، وهو جالس في المسجد ، والناس مُحْتَوِشُونَ ^(٣)

(١) وقعت في منتصف جمادى الآخرة سنة ٣٦ (نوفمبر ٦٥٦م) .

(٢) مكان قريب من البصرة ، اشتهر بيوم لبني شيان فيه ، وكان أبرويز أغزاهم جيشا فظفرت بنو شيان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم .

(٣) احتوش القوم فلانا واحتوشوا عليه جعلوه وسطهم .

وهو يقول : « يا أهل الكوفة ، أطيعوني تكونوا جُرثومة ^(١) من جرائم العرب ،
ياؤى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ؛ أيها الناس ، إن الفتنة إذا أقبلت شَبِهَتْ ،
وإذا أدبرت تَبَيَّنَتْ ، وإن هذه الفتنة الباقرة ^(٢) لا يُدْرَى من أين تأتي ، ولا من
أين تُؤْتَى ، شِيمُوا سيوفكم ، وانزعوا أَسِنَّةَ رماحكم ، واقطعوا أوتار قسيكم ،
والزموا قعود البيوت ، أيها الناس ، إن النائم في الفتنة خير من القائم ، والقائم خير
من الساعي » .

فانتهى الحسن بن عليّ وعُمّار رضى الله عنهما إلى المسجد الأعظم وقد اجتمع
عالم من الناس على أبي موسى ، وهو يقول لهم هذا وأشباهه ، فقال له الحسن :
« اخرج عن مسجدنا ، وامض حيث شئت » . ثم صعد الحسن المنبر ، وعُمّار صعد
معه ، فاستنَفَرَا الناس ؛ فقام حُجْر بن عَدِيّ الكندي ، وكان من أفاضل أهل الكوفة
فقال : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ » فأجابه الناس من كل وجه : سِمًا
وطاعة لأمر المؤمنين ، نحن خارجون على اليُسْر والمُسْر والسُدَّة والرَّخَاء .

فلما أصبحوا من الغد خرجوا مستعدين ، فأحصاهم الحسن ، فكانوا تسعة
آلاف وستمائة وخمسين رجلا ، فوافوا عَلِيًّا بِذِي قار قبل أن يرتحل . فلما همّ بالمسير
غَلَسَ الصُّبْح ؛ ثم أمر مناديا ، فنادى في الناس بالرحيل ، فدنا منه الحسن ، فقال :
« يا أَبَتِ أشرتُ عليك حين قُتِلَ عثمان وراح الناس إليك وغدوا ، وسألوك أن تقوم
بهذا الأمر ألا تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس في الآفاق ، وأشرتُ عليك حين
بلغك خروج الزبير وطلحة بمائشة إلى البصرة أن ترجع إلى المدينة ، فتقيم في بيتك ،
وأشرتُ عليك حين حُوصِرَ عثمان أن تخرج من المدينة ، فإن قُتِلَ قُتِلَ وأنت
غائب ، فلم تَقْبَلْ رأيي في شيء من ذلك » .

(١) جرثومة كل شيء أصله ومجتمعه . (٢) يعني أنها منسدة للدين ومفرقة بين الناس
ومشتتة أمورهم .

فقال له عليّ : « أما انتظاري طاعة جميع الناس من جميع الآفاق ، فإنّ البيعة لا تكون إلّا لمن حضر الحرّمين من المهاجرين والأنصار ، فإذا رضوا وسلّموا وجب على جميع الناس الرضا والتّسليم ؛ وأما رجوعي إلى بيتي والجلوس فيه ، فإنّ رجوعي لو رجعت كان غدرًا بالأمة ، ولم آمن أن تقع الفرقة ، وتصدّع عصا هذه الأمة ؛ وأما خروجي حين حوَصِرَ عثمان فكيف أمكنني ذلك ؟ »
 وقد كان الناس أحاطوا بي كما أحاطوا بعثمان ، فأكفّف يا بُنيّ عما أنا أعلم به منك .
 ثم سار بالناس ، فلما دنا من البصرة كتّبت الكتاب ، وعقدت الأوليّة والرايات ، وجعلها سبع رايات ، عقدت لحميم وهمدان راية ، وولّي عليهم سميد بن قيس الهمدانيّ ؛ وعقدت لمذحج والأشعرين راية ، وولّي عليهم زياد ابن النضر الحارثيّ ؛ ثم عقدت لطبيّ راية ، وولّي عليهم عديّ بن حاتم ؛ وعقدت لقيس وعبس وذبيان راية ، وولّي عليهم سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار بن أبي عبيد ؛ وعقدت لكندة وحضرموت وقضاة ومهرة راية ، وولّي عليهم حُجر ابن عديّ الكنديّ ؛ وعقدت للأزد وبجيلة وخثعم وخزاعة راية ، وولّي عليهم مخنف بن سليم الأزديّ ؛ وعقدت لبكر وتغلب وأفناء ربيعة راية ، وولّي عليهم محدوج الدّهليّ ؛ وعقدت لسائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز راية ، وولّي عليهم عبد الله بن عباس ، فشهد هؤلاء الجمل وصفيّ والنهر ، وهم أسباع كذلك ، وكان على الرّجالة جندب بن زهير الأزديّ .

ولما بلغ طلحة والزبير ورود عليّ رضی الله عنه بالجيش ، وقد أقبل حتى نزل « الخريبة »^(١) فعباهم طلحة والزبير ، وكتبّاهم كتاب ، وعقدت الأوليّة ، فجعلوا على الخيل محمد بن طلحة ، وعلى الرّجالة عبد الله بن الزبير ، ودفعوا اللواء الأعظم إلى عبد الله بن حرام بن خويلد ، ودفعوا لواء الأزد إلى كعب بن سور ، وولّياه اليمنة ، وولّيا قريشاً وكنانة عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، وولّيا أمر

(١) عملة من محال البصرة ينسب إليها كثيرون ، وقد كانت مدينة لافرس خربت لتواتر الامارات عليها ، ولما مصرت البصرة ابتليت إلى جانبها .

المسيرة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وهو الذى قالت عائشة فيه : « وَدَدْتُ لو قعدت فى بيتى ولم أخرج فى هذا الوجه لكان ذلك أَحَبَّ إِلَيَّ من عشرة أولاد ، لو رَزَقْتُهُنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وعقله وزُهدِهِ ». وولَّيَا على قَيْسٍ مُجَاشِعَ بن مسعود ، وعلى تَيْمَ الرِّبَابِ عمرو بن يَثْرِبِي ، وعلى قَيْسٍ والأنصار وثَقِيفَ عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وعلى خُزَاعَةَ عبد الله بن خَلْفِ الخُزَاعِيَّ ، وعلى قُضَاعَةَ عبد الرحمن بن جابر الرَّاسِبِيَّ ، وعلى مَذْحِجَ الرِّبِيعِ بن زِيَادِ الحَارِثِيَّ ، وعلى رِبِيعَةَ عبد الله بن مالك .

قالوا : وأقام على رضى الله عنه ثلاثة أيام يبعث رسله إلى أهل البصرة ، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول فى الجماعة ، فلم يجد عند القوم إجابة ، فزحف نحوهم يوم الخميس لِعَاشِرِ مَضِيٍّ من جمادى الآخرة ، وعلى ميمنته الأَشْترُ ، وعلى ميسرته عَمَّارُ بن يَاسِرٍ ، والراية المُعْظَمَى فى يد ابنه محمد بن الحَنْفِيَّةِ ، ثم سار نحو القوم حتى دَنَا بصفوفه من صفوفهم ، فواقفهم من صلاة الغَدَاة إلى صلاة الظهر ، يدعوهم ويُناشِدُهُمْ ، وأهل البصرة وُفُوفٌ تحت رايتهم ، وعائشة فى هَوْدَجِهَا أمام القوم .

قالوا : وإنَّ الزبير لما علم أنَّ عَمَّارًا مع على رضى الله عنه ارتاب بما كان فيه ، ١٥ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْحَقَّ مع عَمَّار ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ » .

قالوا : ثم إنَّ عَلِيًّا دَنَا من صفوف أهل البصرة ، وأرسل إلى الزبير يسأله ، لِيَدْنُو ، فيكلمه بما يريد ؛ وأقبل الزبير حتى دَنَا من على رضى الله عنه ، فَوَقَّفا جميعاً بين الصَّفَيْنِ حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال له على : « نَاشَدْتُكَ الله يا أبا عبد الله ، هل تَذْكُرُ يوما مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠ ويدي فى يدك ، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَتَحِبُّهُ ؟ ، قلت : نعم ، يا رسول الله ، فقال لك : أما إنك تُقاتله ، وأنت له ظالمٌ...؟ » ، فقال الزبير : « نعم ، أنا ذاكِرُهُ له » .

ثم انصرف على إلى قومه ، وقال لأصحابه : « احمِلوا على القوم ، فقد أعذرنا إليهم » ، فَحَمَلَ بعضهم على بعض ، فاقتتلوا بالقدما والسيوف . وأقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله ويده الراية العظمى ، فقال : « يا بُنَيَّ ، أنا منصرف » ، قال : « وكيف يا أبت ؟ » ، قال : « مالى فى هذا الأمر من بصيرة ، وقد أذكركنى على أمراً ، قد كنت غفلت عنه ، فانصرف يا بُنَيَّ مَنِ » ، فقال عبد الله : « والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا » . فتركه الزبير ، ومضى نحو البصرة لِيَتَحَمَّلَ منها ، ويمضى نحو الحجاز . ويُقال : إن طلحة لما علم بانصراف الزبير هم أن ينصرف ، فعلم مروان بن الحكم ما يريده ، فرماه بسهم ، فوقع فى رُكْبَتِهِ ، فَزَفَّ حتى مات .

وأقبل الزبير حتى دخل البصرة ، وأمر غلمانه أن يَتَحَمَّلُوا ، فليحذروا به ، وخرج من ناحية الخُرَيْبَةِ ، فرَّ بالأحنف بن قيس ، وهو جالسٌ بفناء داره ، وحوَّلَه قومه ، وقد كانوا اعتزلوا الحرب ، فقال الأحنف : « هذا الزبير ، ولقد انصرف لأمرٍ ، فهل فيكم من يأتينا بخبره ؟ » ، فقال له عمرو بن جرموز : « أنا آتيك بخبره » . فركب فرسه ، وتقلَّد سيفه ، ومضى فى أثره ، وذلك

قبل صلاة الظهر ، فليحقه ، وقد خرج من دور البصرة ، فقال له : « أبا عبد الله ، ما الذى تركت عليه القوم ؟ » ، قال الزبير : « تركتهم ، وبعضهم يضرب وُجُوهُ بعض بالسيف » ، قال : « فأين تريد ؟ » ، قال : « أنصرف لحال بالى ، فما لى فى هذا الأمر من بصيرة » . قال عمرو بن جرموز : « وأنا أيضاً أريد الخُرَيْبَةَ ، فسير بنا » . فسارا حتى دنا وقت الصلاة ، فقال الزبير : « إنَّ هذا وقت الصلاة ، وأنا أريد أن أقضيها » ، قال عمرو : « وأنا أريد أن أقضيها » ، قال الزبير : « أنت منى فى أمان ، فهل أنا منك كذلك » ، قال : « نعم » . فنزلا جميعاً ، وقام الزبير فى الصلاة ، فلما سجد حمل عليه عمرو بالسيف ، فضربه حتى قتله ، وأخذ دِرْعَه وسيفه وفرسه ، وأقبل حتى أتى عليّاً ، وهو واقفٌ ، والناس

١٠

١٥

٢٠

يَجْتَلِدُونَ بِالسَّيْفِ ، فَأَلْقَى السِّلَاحَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ إِلَى السَّيْفِ ، قَالَ : « إِنَّ هَذَا السَّيْفَ طَالَمَا فَرَّجَ بِهِ صَاحِبُهُ الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أُبَشِّرُ يَا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ » ، فَقَالَ عَمْرُو : « نَقْتُلُ أَعْدَاءَكُمْ ، وَتُبَشِّرُونَنَا بِالنَّارِ ؟! » .

قالوا : ثم إن علياً أمر ابنه عبد بن الحنفية ، فقال : تقدم برايتك . وكان معه ٥ الراية العظمى ، فتقدم بها وقد لاث^(١) أهل البصرة بعبد الله بن الزبير ، وقلدوه الأمر ، فتقدم عبد بالراية ، فاستقبله أهل البصرة بالقنا والسيوف ، فوقف بالراية ، فتناولها منه على رضى الله عنه ، وحمل وحمل منه الناس ، ثمناولها ابنه عدا ، واشتد القتال وحملت الحرب ، وانكشف الناس عن الجمل ، وقُتل كعب بن سُر ، وثبتت الأزد وضبة ، فقاتلوا قتالا شديدا .

١٠ فلما رأى على شدة صبر أهل البصرة جمع إليه حماة أصحابه ، فقال : إن هؤلاء القوم قد محكوا^(٢) ، فاصدقوهم القتال ، فخرج الأشتر وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وعمار بن ياسر في عددهم من أصحابهم ، فقال عمرو بن يثرب لقومه ، وكانوا في ميمنة أهل البصرة « إن هؤلاء القوم الذين قد برزوا إليكم من أهل العراق هم قتل عثمان ، فعليكم بهم » ، وتقدم أمام قومه بني ضبة ، فقاتل قتالا شديدا ، وكثرت ١٥ النبل في الهودج ، حتى صار كالقنفذ ؛ وكان الجمل مجففا^(٣) ، والهودج مطبق بصفائح الحديد .

وصبر الفريقان بعضهم لبعض حتى كثرت القتلى وثار القتام ، وطأت الألوية والرايات ، وحمل على نفسه ، وقاتل حتى انثنى سيفه ، وخرج فارس أهل البصرة عمرو بن الأشرف ، لا يخرج إليه أحد من أصحاب على إلا قتله ، وهو يرتجز ، ٢٠ ويقول :

(١) اجتمعوا به ، ولات به يلوث كلاله . (٢) المحك : التهادى في الغضب .

(٣) أى عليه تجفاف ، وهو ما يوضع على الخيل والإبل من حديد أو غيره في الحرب .

يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمَّ نَعْلَمُ وَالْأُمُ تَعْدُو وَلَدَهَا وَتَرْحَمُ
أَلَا تَرَيْنَ كَمْ جَوَادٍ يُكَلِّمُ وَتُخْتَلَى هَامَتُهُ وَالْمِعْصَمُ

فخرج إليه من أهل الكوفة الحارث بن زهير الأزدي ، وكان من فرسان علي ،
فاختلفا ضربتين ، فأوهط^(١) كل منهما صاحبه ، فخرّا جميعاً صريعين ،
يفتحصان^(٢) بأرجلهما حتى ماتا .

قالوا : وانكشف أهل البصرة انكشافاً ، وانتهى الأشر إلى الجمل ،
وعبد الله بن الزبير أخذ بخطامه ، فرمى الأشر بنفسه على عبد الله بن الزبير ،
فصار تحته ، فصاح عبد الله بن الزبير : « اقتلوني ومالك » ، فثاب إلى ابن الزبير
أصحابه .

فلما خاف الأشر على نفسه قام عن عبد الله بن الزبير ، وقاتل حتى خلص إلى
أصحابه ، وقد عار فرسه ، فقال لهم : « ما أنجاني إلا قول ابن الزبير : اقتلوني
ومالك ؛ فلم يدبر القوم من مالك ، ولو قال اقتلوني والأشر لقتلوني » .

وقاتل عدي بن حاتم حتى فُقِمت إحدى عينيه ، وقاتل عمرو بن الحمق ،
وكان من عباد أهل الكوفة ، ومعه النساك قتالاً شديداً ، فضرَبَ بسيفه حتى
انثنى ، ثم انصرف إلى أخيه رياح ، فقال له رياح : « يا أخي ، ما أحسن ما نصنع
اليوم ، إن كانت الغلبة لنا » .

قالوا : ولما رأى على لوث أهل البصرة بالجمل ، وأنهم كلما كشفوا عنه
عادوا ، فلأثوابه ، قال لعمار وسعيد بن فيس وقيس بن سعد بن عبادة والأشر
وابن بُدَيْل ومحمد بن أبي بكر وأشباههم من حماة أصحابه : « إن هؤلاء لا يزالون
يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم ، ولو قد عُقِرَ فسقط لم تثبت له ثابته » ،
فقصَدوا بذوى الجدة من أصحابه قصَدَ الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه ، وأفضى

(١) الإيهاط : الإثخان ضرباً ، أو الرمي المهلك .

(٢) يشرعان في التراب كما تفحص الدجاجة لتتخذ لها الحفوة تبيض فيها .

إليه رجل من مرّاد الكوفة ، يُقال له « أُعَيْنَ بنُ ضُبَيْعَةَ » ، فكشف عُرْفُوبَهُ بالسيف ، فسقط وله رُغَاءٌ ، ففرق في القَتَلَى ، وَمَالَ الهَوْدَجَ بمائشة ، فقال علىّ لمحمد بن أبي بكر : « تَقَدَّمْ إِلَى أُخْتِكَ » ، فدَنَا محمد ، فأدخل يده في الهَوْدَجِ ، فنَكَتَ يده ثياب عائشة ، فقالت : « إِنَّا لِلَّهِ ، مَنْ أَنْتَ ، تَكَلَّمْتَ أَثْمَكَ » ، فقال « أَنَا أَخُوكَ محمد » .

٥

ونادى علىّ رضى الله عنه في أصحابه : « لَا تَتَّبِعُوا مُوَلِّيَّاءَ ، وَلَا تَجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَنْتَهَبُوا مَالًا ، وَمَنْ أُلْقِيَ سِلَاحُهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ » . قال : فجعلوا يَمْرُونَ بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع ، فلا يمرض له أحد إلا ما كان من السلاح الذى قاتلوا به ، والدواب التى حاربوا عليها ، فقال له بعض أصحابه : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ حَلَّ لَنَا قِتَالَهُمْ ، وَلَمْ يَحِلَّ لَنَا سَبْيُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ » . فقال علىّ رضى الله عنه : « لَيْسَ عَلَى الْمُؤَحِّدِينَ سَبْيٌ ، وَلَا يَغْنَمُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا قَاتَلُوا بِهِ وَعَلَيْهِ ، فَدَعُوا مَا لَا تَعْرِفُونَ ، وَالْزَمُوا مَا تُؤْمَرُونَ » .

١٠

قال : وأمر علىّ محمد بن أبي بكر أن ينزل عائشة فأنزّلها دار عبد الله بن خلف الخُزَاعِيّ ، وكان عبد الله فيمن قُتِلَ ذلك اليوم ، فنزلت عند امرأته صَفِيَّة .

١٥

وقال علىّ رضى الله عنه لمحمد : « انظر هل وصل إلى أُخْتِكَ شَيْءٌ ؟ » قال : « أَصَابَ سَاعِدُهَا خَدَشٌ سَهْمٌ ، دَخَلَ بَيْنَ صَفَاحِ الْحَدِيدِ » .

ودخل علىّ رضى الله عنه البصرة ، فأَتَى مَسْجِدَهَا الْأَعْظَمَ ، واجتمع الناس إليه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم قال : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَعِقَابٍ أَلِيمٍ ، فَاظْنِكُمْ بِي يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ جُنْدَ الْمَرَاةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ؟ رَغَا ، فَقَاتَلْتُمْ ، وَعُفِرَ ، فَانْهَزْتُمْ ، أَخْلَقَكُمْ دِقَاقَ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقَ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقُ ^(١) ، أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ،

٢٠

(١) ماء زعاق ، مره غليظ لا يطاق شربه .

وايم الله ليأتينّ عليها زمان لا يُرى منها إلا شُرُفات مسجدها في البحر ، مثل جُوجُو^(١) السفينة ، انصرفوا إلى منازلكم . ثم نزل ، وانصرف إلى معسكره ، وقال لمحمد بن أبي بكر : « سِرْ مع أختك حتى توصلها إلى المدينة ، وعَجِّل الحقوق بي بالكوفة » ، فقال : « أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين » ، فقال علي : « لا أعفيك منه ، ومالك بُدّ » . فسار بها حتى أوردتها المدينة .

وَشَخَّصَ عَلِيٌّ عَنْ الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَرْبِدِ^(٢) التفت إلى البصرة ، ثم قال : « الحمد لله الذي أخرجني من شرِّ البقاع تُرَابًا ، وأسرعها خَرَابًا ، وأقربها من الماء ، وأبعدها من السماء » . ثم سار ، فلما أَشْرَفَ عَلَى الْكُوفَةِ ، قال : « وَيَحْكُ يَا كُوفَانُ ، مَا أَطْيَبَ هَوَاءُكَ ، وَأَغْدَى تُرْبَتُكَ ، الْخَارِجُ مِنْكَ بِذَنْبٍ ، وَالدَّخِلُ إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ ، لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالَى ، حَتَّى يَجِيءَ إِلَيْكَ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَيَبْغِضَ الْقَامُ بِكَ كُلُّ فَاجِرٍ ، وَتَعْمُرِينَ ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِكَ لِيُبَسِّكِرَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلَا يَلْحَقُهَا مِنْ بُدِّ الْمَسَافَةِ » .

قالوا : وكان مقدمه الكوفة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين ؛ فقبل له : « يا أمير المؤمنين ، أتزل القصر ؟ » ، قال : « لا حاجة لي في نزوله ، لأنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يبنضه ، ولكي نازل الرَّحْبَةَ » ، ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم ، فصلى ركعتين ، ثم نزل الرَّحْبَةَ ، فقال السَّنيُّ يُحَرِّضُ عَلِيًّا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ :

قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ قَدْ خَبَتِ النُّجُومُ ، وَتَمَّتْ بِذَلِكَ النِّعْمَةُ
وَفَرَّغْنَا مِنْ حَرْبٍ مَنْ نَكَّتِ الْعَهْدُ ، وَبِالشَّامِ حَيَّةٌ صَمَاءُ
تَنْفُثُ السُّمَّ ، مَا لِمَنْ نَهَشَتْهُ فَارِمَهَا قَبْلَ أَنْ تَعَضَّ شِفَاهُ

قالوا : وإنَّ أوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّى بِالْكُوفَةِ خُطِبَ ، فقال : « الحمد لله أحمدُه ،

(١) الجُوجُو : الصدر. (٢) المربد : فضاء وراء البيوت يرتفق به ، وبه سمى مربد البصرة.

- وَأَسْتَمِينَهُ وَأَسْتَمِدِيهِ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ
وَالرَّدَى ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، انْتُخِبَهُ
لِرِسَالَتِهِ ، وَاخْتَصَّهُ لِتَبْلِيغِ أَمْرِهِ ، أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ ، وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ ، فَبَلَغَ
رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَوْصِيَكُمْ
عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، وَأَقْرَبُهُ لِرِضْوَانِ
اللَّهِ ، وَأَفْضَلُهُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَبِتَقْوَى اللَّهِ أَمْرُكُمْ ، وَلِلْإِحْسَانِ
خُلِقْتُمْ ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ حَذَّرَكُمْ بَأْسًا شَدِيدًا ،
وَاحْشُوا اللَّهَ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْدِيرٍ ، وَاعْمَلُوا مِنْ غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ عَمِلَ
لِنَعْرِ اللَّهِ وَكَوَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَمِلَ ، وَمَنْ عَمِلَ مُخْلِصًا لَهُ تَوَلَّاهُ اللَّهُ ، وَأَعْطَاهُ أَفْضَلَ
رِئِيسَتِهِ ، وَأَشْفَقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِكُمْ
سُدًى ، قَدْ سَمِعَ آثَارَكُمْ ، وَعَلِمَ أَسْرَارَكُمْ ، وَأَخْصَى أَعْمَالَكُمْ ، وَكُتِبَ آجَالُكُمْ ،
فَلَا تَغُرُّكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ لِأَهْلِهَا ، وَالْمَغْرُورُ مِنْ أَغْتَرَّ بِهَا ، وَإِلَى
فَنَاءٍ مَا هِيَ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ؛ نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَمُرَاقَقَةَ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَعِيشَةَ السَّعْدَاءِ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

- ثُمَّ وَجَّهَ عُثْمَانُ إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدَائِنِ وَجُوحَى ^(١) كَالِهَا يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ
الْأَرْحَبِيُّ ، وَعَلَى الْجَبَلِ وَأَصْبَهَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، وَعَلَى الْبَيْهَقِ أَذَاتُ قُرْطُ بْنُ كَعْبٍ ،
وَعَلَى كَسْكَرَ وَحِيزِهَا قُدَامَةُ بْنُ عَجْلَانَ الْأَزْدِيُّ ، وَعَلَى بَهْرُسِيرَ وَأُسْتَانِهَا عَدِيُّ
ابْنِ الْحَارِثِ ، وَعَلَى أُسْتَانَ الْعَالِي حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِيُّ ، وَعَلَى أُسْتَانَ الزَّوَابِي
سَعْدُ ^(٢) بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ ، وَعَلَى سِجِسْتَانَ وَحِيزِهَا رَبِيعِيُّ بْنُ كَاسٍ ، وَعَلَى
خِرَاسَانَ كَالِهَا خَلِيدُ بْنُ كَاسٍ .

(١) كورة واسعة في سواد بغداد . (٢) في الأصل : سعيد .

فَأَمَّا خُلَيْدُ بْنُ كَلَسٍ فَإِنَّهُ لَمَّا دَنَا مِنْ خِرَاسَانَ بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ نَيْسَابُورٍ خَلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ ، وَأَنَّهُ قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ بِنْتُ لَكْسَرَى مِنْ كَابُلٍ ، فَمَالُوا مَعَهَا ، فَقَاتَلَهُمْ خُلَيْدٌ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ ابْنَةَ كَسْرَى بِأَمَانٍ ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى عَلِيٍّ . فَلَمَّا أُذْخِلَتْ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهَا : « أَتُحِبِّينَ أَنْ أَرْوِّجَكَ مِنْ ابْنِي هَذَا ؟ » يَعْنِي الْحَسَنَ ، قَالَتْ : « لَا أَرْوِّجُ أَحَدًا عَلَى رَأْسِهِ أَحَدٌ ، فَإِنْ أَنْتَ أَحْبَبْتَ رَضِيتُ بِكَ » ، قَالَ : « إِنِّي شَيْخٌ ، وَابْنِي هَذَا مِنْ فَضْلِهِ كَذَا وَكَذَا » ، قَالَتْ : « قَدْ أُعْطِيتُكَ الْجِلَّةَ » . فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ دِهَاقِينَ الْعِرَاقِ ، يُسَمَّى نَرْسَى ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ بَلَغَكَ أَنَّي مِنْ سِنَخٍ ^(١) الْمَمْلُوكَةِ ، وَأَنَا قَرَابَتِيهَا ، فَزَوِّجْنِيهَا » فَقَالَ : « هِيَ أَمْلَأُكَ بِنَفْسِهَا » ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « انْطَلِقِي حَيْثُ شِئْتِ ، وَانْكِحِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكِ » . ١٠

وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْوَصْلِ ، وَنَصِيبِينَ ، وَدَارَاءَ ، وَسَنْجَارَ ، وَآمُدَ ، وَمِيَا فَارْقِينَ ، وَهَمِيَّتَ ، وَعَانَاتَ ، وَمَا غَلَبَ عَلَيْهَا مِنْ أَرْضِ السَّامِ الْأَشْتَرِ ؛ فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَلَقِيَهُ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ ، وَكَانَ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَاقْتَتَلَا بَيْنَ حَرَّانَ ^(٢) وَالرَّقَّةِ ^(٣) بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْمَرْجُ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَدَّ الصَّحَّاحُ بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْتَرُ ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْوَصْلِ ، فَأَقَامَ بِهَا يُقَاتِلُ مَنْ أَنَاهُ مِنْ أَجْنَادِ مَعَاوِيَةَ ، ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ صَفِينٍ . ١٥

(١) السِّنَخُ : الْأَصْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٢) حَرَّانُ : مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ، قَاعِدَةُ بِلَادِ مِصْرَ ، فَتَحَهَا الْعَرَبُ عَلَى يَدِ عِيَّاسِ بْنِ غَزَمٍ سَنَةَ ٦٣٩ م ، وَقَدْ اشتهرت بالفلاسفة والعلماء أمثال ثابت بن قررة والبتاني .

(٣) الرَّقَّةُ : قَاعِدَةُ دِيَارِ مِصْرَ فِي الْجَزِيرَةِ عَلَى الْفَرَاتِ ، وَعِنْدَهَا قَطْعٌ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ نَهْرِ الْفَرَاتِ فِي وَقْعَةِ صَفِينِ سَنَةِ ٦٥٦ م ، وَفِيهَا آثَارُ قَدِيمَةٍ .

[وقعة صفين ^(١)]

قالوا : وضربت الرُّكبان إلى الشام بنمى عثمان ، وتحريض معاوية على الطلب بدمه ، فبينما معاوية ذات يوم جالس إذ دخل عليه رجل ، فقال : « السلام عليك يا أمير المؤمنين » ، فقال معاوية : « وعليك ، مَنْ أَنْتَ ، لَهِ أَبُوكَ ؟ فَقَدْ رَوَّعْتَنِي بِتَسْلِيمِكَ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ قَبْلَ أَنْ أَنَالَهَا » ، فقال : « أَنَا الْحِجَّاجُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ الصَّمَّةِ » ، قال : « ففيم قدمت ؟ » ، قال : « قدمت قاصداً إليك بنمى عثمان » ، ثم أنشأ يقول :

إِنَّ بَنِي عَمِّكَ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ هُمُ قَتَلُوا شَيْخَكُمْ غَيْرَ الْكَذِبِ
وَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْوُثْبِ فَثَبَّ وَسِرِّ مَسِيرِ الْمُخْزَلِ ^(٢) الْمُتَلَبِّ

قال : ثم إنى كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد لنصر عثمان ، فلم نلحقه ، فلقيت رجلاً ، ومعى الحارث بن زُفر ، فسألناه عن الخبر ، فأخبرنا بقتل عثمان ، وزعم أنه ممن شايح على قتله ، فقتلناه ، وإنى أخبرك ، أنك تقوى بدون ما يقوى به على ، لأن معك قوما لا يقولون إذا سكت ، ويسكتون إذا نطقت ، ولا يسألون إذا أمرت ؛ ومع على قوم يقولون إذا قال ، ويسألون إذا سكت ، فقليلك خير من كثيره ، وعلى لا يرضيه إلا سخطك ، ولا يرضى بالعراق دون الشام ، وأنت ترضى بالشام دون العراق ، فضاق معاوية بما آتاه به الحجاج بن خزيمة ذرعا ، وقال :

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّاسِ غُمَّةٌ وَفِيهِ بُكَاءٌ لِلْمُيُونِ طَوِيلُ
مُصَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذِهِ تَكَادُ لَهَا صُمُّ الْجِبَالِ تَزُولُ
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَالِكٍ أُصِيبَ بَلَا ذَخْلٍ وَذَاكَ جَلِيلُ ^(٣)

(١) كان مبدأ محاربات صفين في أول صفر سنة ٣٧ هـ (يولييه سنة ٦٥٧) .

(٢) المخزئل : المرتفع . (٣) الذحل : الثأر .

تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ عُصْبَةٌ فَرِيقَانِ، مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَخَذُولٌ
دَعَاهُمْ، فَصَمُّوا عَنْهُ عِنْدَ دُعَائِهِ وَذَاكَ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ دَلِيلٌ
سَأْنَمَى أَبَا عَمْرٍو بِكُلِّ مُتَقَفٍ وَبَيْضَ لَهَا فِي الدَّارِ عَيْنَ صَلِيلٍ
تَرَكَتْكَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ تَطَاَفَرُوا عَلَيْكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَقُولُ
فَلَسْتُ مُقِيمًا مَا حَيِّتُ بِلَدِّهِ أَجُرُّ بِهَا ذَيْلِي وَأَنْتَ قَتِيلٌ ٥
وَأَمَّا الَّتِي فِيهَا مَسْوَدَةٌ بَيْنَنَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيِّتُ سَيْبِلُ
سَأَلْتُهَا حَرْبًا عَوَانًا مُلِحَّةً وَإِنِّي بِهَا مِنْ عَامِنًا لَكَفِيلُ

وكتب عليٌّ إلى جرير بن عبد الله البجليّ ، وكان عامل عثمان بأرض الجبل مع
زحر بن قيس الجعفيّ ، يدعوهم إلى البيعة له ، فبايع وأخذ بيعة من قبله ، وسار
حتى قدم الكوفة . ١٠

وكتب إلى الأشعث بن قيس بمثل ذلك ، وكان مقبلاً بأذربيجان طول ولاية
عثمان بن عفان ، وكانت ولايته مما عتب الناس فيه على عثمان ، لأنه ولّاه عند
مصاهرته إياه ، وتزوج ابنة الأشعث من ابنه ، ويقال إن الأشعث هو الذي افتتح عامة
أذربيجان ، وكان له بها أثر ونصح واجتهاد ، وكان كتابه إليه مع زياد بن مَرْحَب ،
فبايع لعلّيّ ، وسار حتى قدم عليه الكوفة . ١٥

وإن عَلِيًّا أَرْسَلَ جرير بن عبد الله إلى معاوية يدعوهم إلى الدخول في طاعته ،
والبيعة له ، أو الإيذان بالحرب ، فقال الأشعث : « ابعت غيره فإنّي لا آمن مراهنته »
فلم يلتفت إلى قول الأشعث . فسار جرير إلى معاوية بكتاب عليّ ، فقدم على معاوية ،
فألقاه وعنده وجوه أهل الشام ، فناوله كتاب عليّ ، وقال : « هذا كتاب عليّ
إليك ، وإلى أهل الشام يدعوكم إلى الدخول في طاعته ، فقد اجتمع له الحرمان ،
والمصران ، والحجازان ، واليمن ، والبحران ، وعمان ، واليمامة ، ومصر ، وفارس ،
والجبل ، وخراسان ، ولم يبق إلا بلادكم هذه ، وإن سألَ عليها وادٍ من أوديته
غرقها » . ٢٠

وفتح معاوية الكتاب فقرأه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد فقد لزمك ومن قبلك من المسلمين بيعتي ، وأنا بالمدينة ، وأنتم بالشام ، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فليس للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الأمر في ذلك للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل مسلم ، فسموه إماما ، كان ذلك لله رضي ، فإن خرج من أمرهم أحد بطعن فيه أو رغبة عنه رد إلى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، ويُضِلُّه جهنم وساءت مصيرا ، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار ، فإن أحب الأمور فيك وفيمن قبلك المافية ، فإن قبلتها وإلا فائذن بحرب ، وقد أكرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلى ، أحلك وأياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه ، فأما تلك التي تريدها ، فإنما هي خدعة الصبي عن الرضاع » .

فجمع معاوية إليه أشرف أهل بيته ، فاستشارهم في أمره ، فقال أخوه عتبة بن أبي سفيان : « استعن على أمرك بعمرو بن العاص » وكان مقيا في ضيعة له من حيز فلسطين ، قد اعتزل الفتنة . فكتب إليه معاوية « أنه قد كان من أمر علي في طاحنة والزيير وعائشة أم المؤمنين ما بلغك ، وقد قدم علينا جرير بن عبد الله في أخذنا ببيعة علي ، فخبست نفسي عليك ، فأقبل ، أناظرك في ذلك ، والسلام » .

فسار ومعه ابنه عبد الله ومجد حتى قدم على معاوية ، وقد عرف حاجة معاوية إليه ، فقال له معاوية : « أبا عبد الله ، طرقتنا في هذه الأيام ثلاثة أمور ، ليس فيها ورد ولا صدر » ، قال : « وما هن ؟ » قال : « أمّا أولهن ، فإن محمد بن أبي حذيفة كسر السجّج وهرب نحو مصر فيمن كان معه من أصحابه ، وهو من أعدى الناس لنا ؛ وأمّا الثانية فإن قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج إلينا فيحاربنا على الشام ؛ وأمّا الثالثة فإن جريرا قدّم رسولا لى بن أبي طالب يدعونا إلى البيعة له أو إيدان بحرب » .

قال عمرو : « أما ابن أبي حُدَيْفَةَ فما يَغْمُكَ من خروجه من سجنه في أصحابه ،
فارسٍ في طلبه الخيل ، فإن قدرت عليه قدرت ، وإن لم تقدر عليه لم يضرَّكَ ؛
وأما قيصر ، فاكتبُ إليه تعلِّمه ، أنك ترُدُّ عليه جميع مَنْ في يديك من
أسارى الروم ، وتسأله المَوَادَّةَ والمُصَالَحَةَ تجده سريماً إلى ذلك ، راضياً بالمفو منك ؛
وأما على بن أبي طالب فإن المسلمين لا يُساوُونَ بينك وبينه » .

قال معاوية : « إنه مَالَأُ على قتل عثمان ، وأظهر الفِتْنَةَ ، وفرَّقَ الجماعة » .
قال عمرو : « إنه وإن كان كذلك ، فليست لك مثل سابقته وقرابته ،
ولكن مالى إن شايئْتُكَ على أمرك حتى تنالَ ما تريد ؟ » .
قال : « حكك » .

قال عمرو : « اجعل لى مِصْرَ طُعْمَةَ ما دامت لك وُلَايَةُ » .
فتلكاً معاوية ، وقال : « يا عبد الله ، لو شئتَ أن أخدعك خدعتُكَ » .
قال عمرو : « ما مثلى يُخْدَعُ » .
قال له معاوية : « اذنُ منى أسارك » .

فَدَنَا عمرو منه ، فقال : « هذه خُدْعَةٌ ، هل ترى في البيت غيرى وغيرك »
ثم قال : « يا عبد الله ، أما تعلم أن مصر مثل العراق ؟ » .
قال عمرو : « غير أنها إنما تكونُ لى إذا كانت لك الدنيا ، وإنما تكون
لك إذا غلبتَ عليَّ » .

فتلكاً عليه ، وانصرف عمرو إلى رَحْلِهِ ، فقال عُتْبَةُ لمعاوية : « أما ترَضَى
أن تشتريَ عُمراً بمصر إن صَفَتْ لك قَلِيَّتُكَ ^(١) لا تُغْلَبَ على الشام » .
وقال معاوية : « رِبْتُ عندنا ليلتك هذه » ، فبات عُتْبَةُ عنده ، فلما أخذ
معاوية مضجعه أنشأ عُتْبَةُ :

(١) القلية : مِرْقَةٌ تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها .

أَيْهَا الْمَانِعُ سَيِّفًا لَمْ يُهَزَّ إِنَّمَا مِلَتْ عَلَى خَزَرٍ وَقَزَّ
 إِنَّمَا أَنْتَ خَرُوفٌ نَاعِمٌ . بَيْنَ ضَرَعَيْنِ وَصُوفٍ لَمْ يُجَزَّ
 نَالَكَ الْخَيْرُ ، فَخُذْ مِنْ دَرِّهِ شُخْبَهُ الْأَوَّلَ ، وَاتْرُكْ مَا عَزَزْ
 وَاتْرُكِ الْحِرْصَ عَلَيْهَا ضِنَّةً وَاشْبُبِ النَّارَ لِمَقْرُورٍ يُكْزَّ
 إِنْ مِضْرًا لِعَلِيٍّ أَوْ لَنَا يَنْغِلِبُ الْيَوْمَ عَلَيْهَا مَنْ عَجَزْ ٥

وسمع معاوية ذلك ، فلما أصبح بعث إلى عمرو ، فأعطاه ما سأل ، وكتبنا بينهما في ذلك كتابا ، ثم إن معاوية استشار عمرًا في أمره ، وقال ما ترى ؟

قال عمرو : « إنه قد أذاك في هذه البَيْعَةِ خبر أهل العراق من عند خير الناس ، ولست أرى لك أن تدعو أهل الشام إلى الخلافة ، فإن ذلك خطر عظيم حتى تتقدم قبل ذلك بالتَّوْطِئِ لِلْأَشْرَافِ مِنْهُمْ ، وإشْرَابِ قُلُوبِهِم بِالْيَقِينِ ، بَأَنْ عَلِيًّا مَا لَا عَلَى قَتْلِ عُمَانَ ، واعلم أن رأس أهل الشام شُرْحَبِيلُ بْنُ السَّمْطِ الْكِنْدِيُّ ، فارسل إليه لِيَأْتِيكَ ، ثم وُطِّنْ لَهُ الرِّجَالَ عَلَى طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، يُخْبِرُونَهُ بَأَنْ عَلِيًّا قَتَلَ عُمَانَ ، وليكونوا من أهل الرِّضَى عِنْدَهُ ، فَإِنَّهَا كَلِمَةُ جَامِعَةٍ لِكُلِّ أَهْلِ الشَّامِ ، وَإِنْ تَعَلَّقَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ لَمْ يَخْرِجْهَا شَيْءٌ أَبَدًا .

١٥ فدعا يزيد بن أسد ، وبُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ ، وسفيان بن عمرو ، ومُخَارِقَ بْنَ الْحَارِثِ ، وحَمْزَةَ بْنَ مَالِكٍ ، وحَابِسَ بْنَ سَعْدٍ ، وغير هؤلاء من أهل الرِّضَا عِنْدَ شُرْحَبِيلِ بْنِ السَّمْطِ ، فَوَطَّنَهُمْ لَهُ عَلَى طَرِيقِهِ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ يَلْقَى الرَّجُلَ بَعْدَ الرَّجُلِ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي طَرِيقِهِ ، فَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ عَلِيًّا مَا لَا عَلَى قَتْلِ عُمَانَ ، ثُمَّ أَشْرَبُوا قَلْبَهُ ذَلِكَ .

٢٠ فلما دنا من دمشق أمر معاوية أشراف الشام باستقباله ، فاستقبلوه ، وأظهروا تعظيمه ، فَكَانَ كُلُّهَا خِلا بَرَجٍ مِنْهُمْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ مُغْضِبًا ، فَقَالَ : « أَبِي النَّاسِ إِلَّا أَنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ قَتَلَ عُمَانَ ، وَاللَّهِ لَأَنْ بَايَعْتَهُ لَنَخْرِجَنَّكَ مِنَ الشَّامِ » ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : « مَا كُنْتُ لِأَخَالَفَ أَمْرَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَنَا

واحد منكم . قال : فاردد هذا الرجل إلى صاحبه - يعنى جويرا - فعلم عند ذلك معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل ، فقال لشرحبيل : إن هذا الذى تمهم به لا يصلح إلا برضى العامة ، فسر فى مدائن الشام ، فأعلمهم ما نحن عليه من الطلب بئار خليفتنا وبايعهم على النصرة والمعونة .

٥ فسار شرحبيل يستقرى مدن الشام ، مدينة بعد مدينة ، ويقول : « أيها الناس ، إن عليا قتل عثمان ، وإنه غضب له قوم فلقبهم ، فقتلهم ، وغلب على أرضهم ، ولم يبق إلا هذه البلاد ، وهو واضع سيفه على عاتقه ، وخائض به غمرات الموت حتى يأتىكم ، ولا يجد أحدا أقوى على قتله من معاوية ، فانهضوا أيها الناس بئار خليفتكم المظلوم . فأجابه الناس كلهم إلا نفرا من أهل حمص نساء كا ، فإنهم قالوا « نلزم بيوتنا ومساجدنا ، وأنتم أعلم » .

فلما ذاق معاوية أهل الشام ، وعرف مبايعتهم له قال لجرير « الحق بصاحبك ، وأعلمه أنى وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة » ، ثم كتب إليه بأبيات كعب بن جهميل :

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهُونَا
وَكُلِّ لِسَاحِبِهِ مُبْغِضٌ يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
وَقَالُوا عَلَيَّ إِمَامٌ لَنَا قَقْلُنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَنَا قَقْلُنَا لَهُمْ لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَكُلُّ يَسْرٍ بَاعٍ عِنْدَهُ يَرَى غَثَّ مَا فِي بَدَنِ سَمِينَا
وَمَا فِي عَلِيٍّ لِمُسْتَعْتَبٍ مَقَالٌ سِوَى ضَمِّهِ الْمُحْدِثِينَا
وَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ وَلَا فِي النُّهَاءِ وَلَا الْأَمْرِينَا
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرٌّ وَلَا بُدٌّ مِنْ بَعْدِ ذَا أَنْ يَكُونَا

فلما قرأ على رضى الله عنه قال للنجاشى أجب ، فقال :

دَعْنِ مُعَاوِيَةَ مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحْذَرُونَا
أَنَا كُمْ عَلَى بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا

يَرُونَ الطَّعْمَانَ خِلَالَ الْمَجَاجِ وَضَرَبَ الْقَوَانِسَ فِي النَّقْعِ دِينًا
هُمْ هَزَمُوا أَجْمَعَ جَمَعَ الزُّبَيْرِ وَطَلَحَةَ وَالْمُعَشَرَ النَّاكِثِينَ
فَإِنْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ مُلْكَ الْمِرَاقِ قَدِمًا رَضِينَا الَّذِي تَكْرَهُونَا
فَقُولُوا لِكُتَيْبِ أَخِي وَائِلٍ وَمَنْ جَعَلَ الْفَتْحَ يَوْمًا سَمِينًا
جَمَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاعَهُ نَظِيرَ ابْنِ هِنْدٍ أَمَا تَسْتَحُونَا ٥

ولما رجع جرير إلى عليّ كثر قول الناس في التهمة له ، واجتمع هو والأشتر عند عليّ ، فقال الأشتر : « أما والله يا أمير المؤمنين ، لو أرسلتني فيما أرسلت فيه هذا لما أُرْخِيت من خناق معاوية ، ولم أدع له بابا يرجو فتحه إلا سدّذته ، وَلَا أَعْجَلْتُهُ عَنِ الْفِكْرَةِ » ، قال جرير : « فإيمنك من إتيانهم ؟ ! » ، قال الأشتر : « الآن وقد أفسدتهم ، والله ما أحسبك أتيتهم إلا لتتخذ عندهم مودة ، ١٠ والدليل على ذلك كثرة ذِكْرِكَ مساعدتهم وتَخْيُوفُنَا بكثرة جُموعهم ؛ ولو أطاعني أمير المؤمنين لَحَبَسَكَ وَأَشْبَاهَكَ مِنْ أَهْلِ الظُّنَّةِ مَحْبَسًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ حَتَّى يَسْتَتِبَ هَذَا الْأَمْرُ » . فنضب جرير مما استقبله به الأشتر ، فخرج من الكوفة ليلاً في أناس من أهل بيته ، فلحق بقرقيسيا ، وهي كورة من كور الجزيرة ، فأقام بها .

١٥ وغضب عليّ لخروجه عنه ، فركب إلى داره ، فأمر بمجلس له فَأُخْرِقَ ؛ فخرج أبو زُرْعَةَ بن عمرو ابن عم جرير ، فقال : « إِنْ كَانَ إِنْسَانٌ فِدَا أَجْرَمَ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَنْاسًا كَثِيرًا لَمْ يُجْرِمُوا إِلَيْكَ جُرْمًا ، وَقَدْ رَوَّعْتَهُمْ » ، فقال عليّ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ » . ثم خرج منها إلى دار لابن عم جرير ، يُقَالُ لَهُ أُوَيْرُ بْنُ عَامِرٍ ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ مَعَهُ ، فَشَعَثَ فِيهَا شَيْئًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

٢٠ قالوا : ولما فرغ عليّ رضي الله عنه من أصحاب الجَمَلِ خافه عُبيد الله بن عمر أَنْ يَقْتُلَهُ بِالْهَرْمُرَّانِ ، فخرج حتى لحق بمعاوية ، فقال معاوية لعمر : « قد أحيا الله لنا ذِكْرَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بِقُدُومِ عُبيد الله ابْنِهِ عَلَيْنَا » . قَالَ :

فأراد معاوية على أن يقوم في الناس فَيُكْرِمَ عَلِيًّا دَمَ عُمَانَ ، فَأَبَى ، فَاسْتَحَفَّ بِهِ معاوية ، ثُمَّ أَدْنَاهُ بَعْدُ وَقَرَّبَهُ .

قالوا : ولما عزم أهل الشام على نصر معاوية ، والقيام معه أقبل أبو مسلم الخولانيّ ، وكان من عُبَادِ أَهْلِ الشَّامِ ، حتى قدم على معاوية ، فدخل عليه في أناس من العُبَادِ ، فقال له : « يا معاوية ، قد بلغنا أنك تهتم بمحاربة عليّ بن أبي طالب ، فكيف تُناوِئُهُ ^(١) وليست لك سابقته ؟ » ، فقال لهم معاوية : « لست أدعى أتى مثله في الفضل ، ولكن هل تعلمون أن عُمَانَ قُتِلَ مَظْلُوماً ؟ » ، قالوا : [نعم] ^(٢) ، قال : « فليَدْفَعْ لَنَا قَتْلَهُ حَتَّى نُسَلِّمَ إِلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ » .

قال أبو مسلم : « فَاسْكُتْ إِلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا بِكِتَابِكَ » ، فسكت : ١٠

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فإن الخليفة عُمَانَ قُتِلَ مَعَكَ فِي الْحَلَّةِ ، وَأَنْتَ تَسْمَعُ مِنْ دَارِهِ الْهَبْئَةِ ^(٣) ، فَلَا تَدْفَعُ عَنْهُ بِقَوْلٍ وَلَا بِفِعْلٍ ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْ قُتِمَتْ فِي أَمْرِهِ مَقَاماً صَادِقاً ، فَتَهْنِئَتْ ^(٤) عَنْهُ مَا عَدَلَ بِكَ مَنْ قَبْلُنَا مِنَ النَّاسِ أَحَدًا ، وَأُخْرَى أَنْتَ بِهَا ظَلِيمٌ ، إِيوَاؤُكَ قَتْلَتَهُ ، فَهُمْ عَصْدُوكَ وَيَدُكَ وَأَنْصَارُكَ وَبِطَانَتُكَ ، وَبَلَّغْنَا أَنَّكَ تَبْهَلُ ^(٥) مِنْ دَمِهِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَأَمْكِنَّا مِنْ قَتْلَتِهِ ، نَقْتُلِهِمْ بِهِ ، وَنَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكَ ؛ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَنَطْلُبَنَّ فَتْلَةَ عُمَانَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ وَالسَّلَامُ » .

فسار أبو مسلم بكتابه حتى وَرَدَ السَّكُوفَةُ ، فدخل على عليّ ، فناوله الكتاب ، فلما قرأه تسكّم أبو مسلم ، فقال : « يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّكَ قَدْ قُتِمْتَ بِأَمْرٍ ، وَوَلِيَّتَهُ ،

(١) في الأصل : تناويه . (٢) في الأصل : بلى .

(٣) الهيعة : صوت الصارخ للفرع . (٤) التهنئة : الزجر والكف .

(٥) أي تتحلل .

ووالله ما نحبّ أنه لغيرك إن أعطيت الحقّ من نفسك ؛ إنّ عثمان رضى الله عنه قُتِلَ مظلوما ، فادفع إلينا قَتَلَتَهُ ، وأنتَ أميرُنا ، فإن خافك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصِرة ، وألسنتنا لك شاهدة ، وكنت ذا عُدْرٍ وَحَجَّةٍ » ، فقال له على : « اغدُ على الغداة » . وأمر به ، فَأُنْزِلَ ، وأُكْرِيمَ .

- ٥ فلما كان من الغد دخل إلى على وهو في المسجد ، فإذا هو بزُهاء عشرة آلاف رجل ، قد لبسوا السّلاح ، وهم ينادون : « كُذِّبَتْ عُثْمَانُ » ، فقال أبو مسلم لعلى : « إني لأرى قوماً مالَكَ معهم أمر ، وأحسب أنه بلغهم الذي قدمتُ له ، ففعلوا ذلك خوفاً من أن تدفعهم إلى » .

- قال على : « إني ضربت أنف هذا الأمر وعينه ، فلم أرَ يستقيم دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، فاجلس حتى أكتب جوابَ كتابك » . ثم كتب :

- ١٠ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ؛ أما بعد ، فإن أخا خولان قدم على بكتابٍ منك ، تذكّرُ فيه قطمى رَحِمَ عُثْمَانُ ، وتألبي الناس عليه ، وما فعلتُ ذلك ، غير أنه رحمه الله عتبَ الناس عليه ، فَمَنْ بَيْنَ قَاتِلٍ وَخَازِلٍ ، جَلَسْتُ فِي بَيْتِي ، واعتزلتُ أمره ، إلا أن تَتَجَنَّى فَتَجَنَّى ما بدّا لك ، فأما ما سألت من دفعي إليك قَتَلَتَهُ ، فإني لا أرى ذلك ، لعلمي أنك إنما تطلب ذلك ذريعةً إلى ما تأمل ، ومرفاةً إلى ما ترجو ، وما الطلّبَ بدمه تُريد ؛ ولعمري لئن لم تنزع عن غيِّك وشِقَاقك لينزل بك ما ينزل بالشاقّ العاصي الباغى ، والسلام » .

وكتب إلى عمرو بن العاص :

- ٢٠ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ؛ أما بعد ، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها ، صاحبها منهوّمٌ فيها ، لا يُصِيبُ منها شيئاً إلا ازداد عليها حِرْصاً ، ولم يستغنَ بما نال عما لا يبلغ ، ومن وراء ذلك فِرَاقٌ ما جَمَعَ ؛ والسَّعيد مَنْ اتَّعَظَ بِنِيره ، فلا تُحِيطَ عَمَلُكَ بِمِجَاراةِ معاوية - في باطله ، فإنه سِفَهَ الحقّ واختارَ الباطل والسلام » .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« من عمرو بن العاص إلى علي بن أبي طالب ، أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن نجيبَ إلى ما ندعوك إليه ، من شورى تحملنا وإياك على الحق ، ويعذرنا الناس لها بالصدق والسلام . »

قالوا : ولما أجمع على السير إلى أهل الشام ، وحضرت الجمعة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أيها الناس ، سيرُوا إلى أعداء السنن والقرآن ، سيرُوا إلى قتلة المهاجرين والأنصار ، سيرُوا إلى الجفأة الطغام الذين كان إسلامهم خوفاً وكرهاً ، سيرُوا إلى المؤلفّة قلوبهم ليكشفوا عن المسلمين بأسهم . »

فقام إليه رجل من فزارة ، يسمى أربد ، فقال : « أريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة ، فقتلناهم؟ كلاً ، ها الله ، إذا لا نفعل ذلك . »

فقام الأشر ، فقال : « أيها الناس ، مَنْ لهذا ؟ » فهرب الفزاري وسمى شوبوب^(١) من الناس في إثره ، فلاحقه بالكُناسة^(٢) فضربوه بنعالهم حتى سقط ، ثم وطئوه بأرجلهم حتى مات ؛ فأخبر بذلك على رضى الله عنه فقال : « قتيْل عَمِيَّة ، لا يُدْرَى مَنْ قتلَه » فدفع دِيْنَتَه إلى أهله من بيت المال ، وقال بعض شعراء بني تميم :

أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي كَمَا مَاتَ فِي سُوقِ الْبَرَاذِينِ أَرْبَدُ
تَعَاوَرَهُ هَمْدَانُ خَصَفَ نِمْالِهِمْ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ يَدُ

وقام الأشر ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، لا يؤيسنك من نصرتنا ما سمعت من هذا الخائن ، إن جميع مَنْ ترى من الناس شيعتك ، لا يرغبون بأنفسهم عنك ،

(١) الشوبوب : الدفعة من المطر ، والمراد جماعة . (٢) اسم موضع بالكوفة .

ولا يحبون البقاء بمدك ، فسير بنا إلى أعدائك ، فوالله ما ينجو من الموت من خافه ،
ولا يُعطى البقاء من أحبه ، ولا يمشي بالأمل إلا المروء .

فأجابه جُلّ الناس إلى المسير ، إلا أصحاب عبد الله بن مسعود ، وعبيدة
السلمانيّ ، والربيع بن خثيم في نحو من أربعمئة رجل من القراء ، فقالوا :
« يا أمير المؤمنين ، قد شككنا في هذا القتال ، مع معرفتنا فضلك ، ولا غنى بك
ولا بالمسلمين عن يُقاتل المشركين ، فولّنا بمض هذه الثُّغور لنقاتل عن أهله » .
فولّاهم ثَمَر قزوين والرّيّ ، وولّى عليهم الربيع بن خثيم ، وعقد له لواء ،
وكان أوّل لواء عُقد في الكوفة .

قالوا : وبلغ عليّاً أن حُجّر بن عدىّ وعمرو بن الحَمِق يُظهريان شتم معاوية ،
ولعن أهل الشام ، فأرسل إليهما أن كُفّا عما يبلغن عنكما . فأتياه ، فقالا :
« يا أمير المؤمنين ، ألسنا على الحق ، وهم على الباطل؟ » ، قال : « بلى ، وربّ
الكعبة المُسدّنة » ، قالوا : « فلمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ » ، قال :
« كرهت لكم أن تكونوا شتّامين لِمَائنين ، ولكن قولوا : اللهم احقن دماءنا
ودماءهم ، واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق
من جهله ، ويرعوى عن الغي من ليحج به » .

قالوا : ولما عزم علىّ رضى الله عنه على الشُّحُوص أمر مُنادياً ، فنادى بالخروج
إلى المعسكر بالنُّخَيْلَة^(١) ، فخرج الناس مستعدين ، واستخلف علىّ الكوفة
أبا مسعود الأنصاريّ ، وهو من السبعين الذين بأيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة . وخرج علىّ رضى الله عنه إلى النُّخَيْلَة ، وأمامه عمّار بن ياسر ،
فأقام بالنُّخَيْلَة معسكراً ، وكتب إلى عمّاله بالقدوم عليه .

ولما انتهى كتابه إلى ابن عباس ندب الناس ، وخطبهم ، وكان أوّل من
تكلم الأحنف بن قيس ، ثم قام خالد بن المعمر السدوسيّ ، ثم قام عمرو بن مَرْحُوم

(١) موضع بالبادية قرب الكوفة على سمت الشام .

العَبْدِيُّ ، وكلّهم أجاب ، نخلف على البصرة أبا الأسود الدَّيْلِيّ ، وسار بالناس حتى قدم على عليّ بالنُّخَيْلَةِ .

فلما اجتمع إلى عليّ قَوَاصِيهِ ، وانضمت إليه أطرافه تَهِيئاً للمسير من النُّخَيْلَةِ ، ودعا زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَشُرَيْحَ بْنَ هَانِءٍ ، فمعد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس ، وقال : « لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مُنْفَرِداً عَنْ صَاحِبِهِ ، فَإِنْ جَمَعْتُمَا حَرْبَ ، فَأَنْتَ يَا زِيَادَ الْأَمِيرَ ، وَاَعْلَمُ أَنَّ مَقْدَمَةَ الْقَوْمِ عِيُونُهُمْ ، وَعِيُونَ الْمَقْدَمَةِ طَلَائِمُهُمْ ، فَإِيَّاهُمَا أَنْ تَسَامَا عَنْ تَوْجِيهِ الطَّلَائِعِ ، وَلَا تَسِيرَا بِالْكَتَائِبِ وَالْقَبَائِلِ مِنْ لَدُنْ مَسِيرِكُمَا إِلَى زَوَلِكُمَا إِلَّا بِتَقْيِيئَةٍ وَحَذَرٍ ، وَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ ، فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ فِي أَشْرَفِ الْمَوَاضِعِ لِيَكُونَ ذَلِكَ لَكُمْ حِصْنًا حَصِينًا ، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَخَفُّوا عَسْكَرَكُمْ بِالرَّمَاكِ وَالتَّرْسَةِ ، وَلِيَلِيَهُمُ الرَّمَاةُ ، وَمَا أَقْتَمَ فَكَذَلِكَ فَكُونُوا ، لئَلَّا يَصَابَ مِنْكُمْ غَرَّةٌ ، وَاحْرُسُوا عَسْكَرَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَذُوقُوا نَوْمًا إِلَّا غِرَارًا وَمُضْمَضَةً ، وَلِيَكُنْ عِنْدِي خَبْرُكُمْ ، فَإِنِّي وَلَا شَيْءَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ حَثِيثَ السَّيْرِ فِي إِرْكَكُمْ ، وَلَا تُقَاتِلَا حَتَّى تُبْدَأَ أَوْ يَأْتِيَكُمَا أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

فلما كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ مِنْ مَخْرَجِهِمَا قَامَ فِي أَصْحَابِهِ خَطْلِيَا ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، نَحْنُ سَائِرُونَ غَدًا فِي آثَارِ مَقْدَمَتِنَا ، فَإِيَّاكُمْ وَالتَّخَافَ ، فَقَدْ خَلَفْتُ مَالِكَ بْنَ حَبِيبِ الْيَرْبُوعِيِّ ، وَجَعَلْتُهُ عَلَى السَّافَةِ ، وَأَمَرْتُهُ أَلَّا يَدْعَ أَحَدًا إِلَّا لِحَقِّهِ بِنَا »

فلما أَصْبَحَ نَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ ، وَسَارَ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رُسُومِ مَدِينَةِ بَابِلَ ، قَالَ لِمَنْ كَانَ يُسَايِرُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ : « إِنَّ هَذِهِ مَدِينَةٌ قَدْ خُسِفَ بِهَا مَرَارًا ، فَحَرِّكُوا خَيْلَكُمْ ، وَارْخُوا أَعْنَتَهَا ، حَتَّى تَجُوزُوا مَوْضِعَ الْمَدِينَةِ ، لَعَلَّنَا نُدْرِكُ الْعَصْرَ خَارِجًا مِنْهَا » . فَحَرَّكَ ، وَحَرَّكَوا دَوَابَّهُمْ ، فَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَزَلَّ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ ، وَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دِيرِ كَعْبٍ فَجَاوَزَهُ ، وَأَتَى سَابَاطَ الْمَدَائِنِ ، فَزَلَّ فِيهِ بِالنَّاسِ ، وَقَدْ هَيَّئَتْ لَهُ فِيهِ الْأَنْزَالُ .

فلما أَصْبَحَ رَكِبَ وَرَكِبَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَإِنْهُمْ لَثَمَانُونَ أَلْفَ رَجُلٍ ، أَوْ يَزِيدُونَ ،

سوى الأتباع والخدم ، ثم سار حتى أتى مدينة الأنبار ، فلما وافى المدائن عقد لمَعْقِل بن قَيْس في ثلاثة آلاف رجل ، وأمره أن يسير على الموصل ونصيبين حتى يوافيه بالرقّة^(١) ، فسار حتى وافى حديثة الموصل ، وهي إذ ذاك المِصر ؛ وإنما بنى الموصل بعد ذلك مروان بن محمد .

- ٥ فلما انتهى مَعْقِل إليها إذا هو بكبشين يتناطحان ، ومع مَعْقِل رجل من خشمهم يزجر ، فجعل الخشمي يقول : « إيه ، إيه » ، فأقبل رجلان ، فأخذ كل منهما كبشا ، فقاده وانطلق به . فقال الخشمي لمَعْقِل « لا تُغلبُونَ ولا تَغْلِبُونَ » فقال مَعْقِل : « يكون خيرا ، إن شاء الله » .

- ثم مضى حتى وافى عليا وقد نزل « البليخ »^(٢) فأقام ثلاثا ، ثم أمر بجسر ، ففقد ، وعبر الناس ، ولما قطع على رضى الله عنه الفرات أمر زياد بن النضر وشُرَيْح ابن هاني أن يسيرا أمامه ، فسارا حتى انتهيا إلى مكان يدعى « سور الروم » لقيهما أبو الأعور السلمي في خيل عظيمة من أهل الشام ، فأرسلا إلى علي يعلمانه ذلك .
- فأمر علي الأشتر أن يسير إليهما ، وجمله أميرا عليهما ، فسار حتى وافى القوم ، فاقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض حتى جن عليهم الليل ، وانسل أبو الأعور في جوف الليل حتى أتى معاوية .
- ١٥

- وأقبل معاوية بالخيال نحو صفين ، وعلى مقدمته سفيان بن عمرو ، وعلى ساقته بُسر^(٣) بن أبي أرطاة العامري ، فأقبل سفيان بن عمرو ، ومعه أبو الأعور ، حتى وافيا صفين ، وهي قرية خراب من بناء الروم ، منها إلى الفرات غلوة^(٤) ، وعلى شطّ الفرات مما يليها غيضة^(٥) مأتفة ، فيها نزور طولها نحو من فرسخين ، وليس في ذينك الفرسخين طريق إلى الفرات إلا طريق واحد مفروش بالحجارة ،
- ٢٠

(١) مدينة مشهورة على الفرات من الجانب الشرقي . (٢) نهر بالرقّة يجتمع فيه الماء من عيون .

(٣) في الأصل : بشر . (٤) الغلوة : قدر رمية بسهم وقد تستعمل في سباق الخيل .

(٥) الغيضة بالفتح : الأجمة ، ومجتمع الشجر في منفض ماء .

وسائر ذلك خلاف وغرب مُلْتَفٍّ لا يُسَلِّك ، وجميع النَيْضَةِ نَزور ووحل
إلا ذلك الطريق الذي يأخذ من القرية إلى الفُرَات .

فأقبل سفيان بن عمرو وأبو الأعور حتى سبقا إلى موضع القرية ، فنزلا هناك
مع ذلك الطريق ، ووافاهما معاوية بجميع الفَيْلَقِ ، حتى نزل متهما ، وعسكر
مع القرية ؛ وأمر معاوية أبا الأعور أن يقف في عشرة آلاف من أهل الشام على
طريق الشريعة ، فيمنع مَنْ أراد السالك إلى الماء من أهل العراق . ٥

وأقبل على رضى الله عنه حتى وَافَى السَّكَّانَ ، فصادف أهل الشام قد احتووا على
القرية والطريق ، فأمر الناس ، فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية ، وانطلق السَّكَّانُ
والغلمان إلى طريق الماء ، فجال أبو الأعور بينهم وبينه .

وأخبر على رضى الله عنه بذلك ، فقال لَصَعَصَمَةَ بْنِ صُوحَانَ « إيت معاوية ،
فقل له ، إنا سرنا إليكم لنُعَذِّرَ قبل القتال ، فإن قبلتم كانت العافية أحب إلينا ،
وأراك قد حلتَ بيننا وبين الماء ، فإن كان أعجبَ إليك أن ندع ما جئنا له ، ونذر الناس
يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا . ١٠

فقال الوليد : « امنعهم الماء كما منعه أمير المؤمنين عثمان ، افعلهم عطشا ،
فقتلهم الله » . ١٥

فقال معاوية لمعمر بن العاص : ماترى ؟ .
قال : « أرى أن تُخْلَى عن الماء ، فإن القوم لن يعطشوا وأنت ربَّان » .
فقال عبد الله بن أبي سرح ، وكان أخا عثمان لأمه : « امنعهم الماء إلى الليل ،
لعلهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة ، فيكون انصرافهم هزيمة » .

فقال صَعَصَمَةُ لمعاوية : « ما الذى ترى ؟ » . ٢٠
قال معاوية : « ارجع ، فسيأتىكم رأيي » . فانصرف صَعَصَمَةُ إلى على ، فأخبره
بذلك .

وظل أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء إلا من كان ينصرف من الغلمان
إلى طرف الغيضة ، فيمشى مقدار فرسخين ، فيستقي ، فغمّ عُلِيًّا رضى الله عنه

أمرُ الناس غمًّا شديدًا ، وضائق بما أصابهم من العطش ذرعًا ؛ فاتاه الأشعث بن قيس فقال : « يا أمير المؤمنين ، أئمننا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا ؟ ولَّني الزحف إليه ، فوالله لا أرجع أو أموت ، ومُر الأشر فلينضم إلى في خيله » ، فقال له عليّ : « إيت في ذلك ما رأيت » .

٥ فلما أصبح زاحف أبا الأعور ، فاقتتلوا ، وصَدَقَهُم الأشر والأشعث حتى نفيا أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة ، وصارت في أيديهما ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : « ما ظنُّكَ بالقوم اليوم إن منوك الماء كما منعتهم أمس ؟ » ، فقال معاوية : « دَع ما مضى ، ما ظنُّكَ بعليّ ؟ » ، قال : « ظنِّي أنه لا يَسْتَحِلَّ منك ما اسْتَحَلَّت منه ، لأنه أذاك في غير أمر الماء » .

١٠ ثم تَوَادَعَ الناس ، وكَفَّ بعضهم عن بعض ، وأمر عليّ ألا يُمنَعَ أهل الشام من الماء ، فكانوا يسقون جميعًا ، ويختلط بعضهم ببعض ، ويدخل بعضهم في معسكر بعض ، فلا يمرض أحد من الفريقين لصاحبه إلا بخير ، وَرَجَوا أن يقع الصُّلح .

وأقبل عُبيد الله بن عمر بن الخطاب حتى استأذن على عليّ ، فأذن له ، فدخل عليه ، فقال له عليّ : « أَقْتَلْتَ الهُرْمُرَّانَ ظُلْمًا ، وقد كان أسلمَ على يَدَيَّ عَمِّي العباس ، وفَرَضَ له أبوك في ألفين ، وترجو أن تسلمَ مني ؟ » .

فقال له عُبيد الله : « الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهُرْمُرَّان ، وأنا أطلبك بدم أمير المؤمنين عثمان » .

فقال له عليّ : « ستجمعنا وإيَّاك الحرب ، فتعلم » .

٢٠ قال : فلم يزالوا يتراسلون شهرى ربيع^(١) وجمادى الأولى ، ويفزعون فيما بين ذلك ، يزحف بعضهم إلى بعض ، فيحجز بينهم القراء والصالحون ، فيفترقون من غير

(١) ربيع الثاني من سنة ٣٧ هـ = أغسطس ٦٥٧ م .

حرب حتى فزعوا في هذه الثلاثة الأشهر خمسا وثمانين فَرَعَةً ، كل ذلك يحجز بينهم القُراء .

فلما انقضت جمادى الأولى بات على رضى الله عنه يُعَبِّى أصحابه ، ويكتب كتائبه ، وبعث إلى معاوية يؤذنه بحرب ، فعَبِّى معاوية أيضا أصحابه ، وكتب كتائبه .

٥

فلما أصبحوا تراحفوا وتواقفوا تحت راياتهم في صفوفهم ، ثم تهاجروا ، فلم تكن حرب ، وكانوا يكرهون أن يلتقوا بجميع الفِيلَقَيْن مخافة الاستئصال ، غير أنه يخرج الجماعة من هؤلاء إلى الجماعة من أولئك ، فيقتتلون بين العسكرين ، فكانوا كذلك حتى أهلّ هلال رجب ، فأمسك الفريقان .

قالوا : وأقبل أبو الدَّرْدَاء وأبو أُمَامَةَ الباهليّ حتى دخلا على معاوية ، فقالا : « عَلَامَ تُقَاتِل عَلِيًّا ، وهو أحق بهذا الأمر منك ؟ » .

١٠

قال : « أقاتله على دم عثمان » .

قالا : « أو هو قتله ؟ » .

قال : « آوى قتلته ، فسأله أن يسلم إلينا قتلته ، وأنا أول من يُبايعه من

أهل الشام » .

١٥

فأقبلا إلى على رضى الله عنه ، فأخبراه بذلك . فاعتزل من عسكر على زهاء عشرين ألف رجل ، فصاحوا : « نحن جميعا قتلنا عثمان » .

فخرج أبو الدَّرْدَاء وأبو أُمَامَةَ فلاحقا بيمض السواحل ، ولم يشهدا شيئا من تلك الحروب .

وأن معاوية بعث إلى شُرَحْبِيل بن السمط ، وحبيب بن مسلّمة ، ومعن بن يزيد ابن الأخنس ، وقال : « انطلقوا إليه ، وسأله أن يسلم إلينا قتلة عثمان ، ويتخلّى مما هو فيه حتى نجعلها شورى بين المسلمين ، يختارون لأنفسهم من رضا وأحبوا » .

٢٠

فأقبلوا حتى دخلوا على على رضى الله عنه ، فبدأ حبيب بن مسلّمة ، فتكلّم

بما حمله معاوية ، فقال له عليّ : « وما أنت وذاك ، لا أمّ لك ، فليست هناك !؟ »
فقام حبيب مُنْضَبًا ، فقال : « والله لترينى بحيث تكره » ، فقال سُرخِيل :
« أفلا تُسَلِّمُ إلينا قَتْلَةَ عُمَانَ ؟ » ، قال عليّ : « إني لا أستطيع ذلك ، وهم زهاء
عشرين ألف رجل » ، فقاما عنه ، فخرجا ، قالوا : فكث الناس كذلك إلى
أن انسلخَ المحرم^(١) .

٥

وفي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي ، وكان صاحب لواء طيّء مع معاوية :

فَمَا بَيْنَ الْمَنَآيَا غَيْرُ سَبْعٍ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَوْ ثَمَانٍ
أَلَمْ يُعْجِبْكَ أَنَّا قَدْ هَجَمْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى الْمَوْتِ الْعِيَانِ
أَيُّنَاهَا كِتَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ وَلَا يَنْهَاهُمْ آيُ الْقُرْآنِ

١٠ فلما انسلخ المحرم بعث عليّ مُنَادِيًا ، فنَادَى في عسكر معاوية عند غروب
الشمس : « إِنَّا أَمْسَكْنَا لِنَنْصُرَ الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ ، وقد تصرّمت ، وَإِنَّا نَنْبِذُ إِلَيْكُمْ
على سَوَاءٍ ، إن الله لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

١٥ فبات الفريقان يكتبُونَ الكُتَابَ ، وقد أَوْقَدُوا النيرانَ في العسكرين ، فلما
أصبحوا تَرَاخَفُوا ، وقد استعمل عليّ على الخليل عمار بن ياسِر ، وعلى الرّجالة عبد
الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِيّ ، ودفع الراية العظمى إلى هاشم بن عُتْبَةَ المِرْقَالِ ،
وجعل على الميمنة الْأَشْعَثُ بن قَيْسٍ وعلى الميسرة عبيد الله بن عباس ، وعلى رجالة
الميمنة سليمان بن صُرَد ، وعلى رجالة الميسرة الحارث بن مُرَّة العَبْدِيُّ ، وجعل في
القلب مُضَرَ ، وفي الميمنة ربيعة ، وفي الميسرة أهل اليمن ، وضم قريشا وأسدا وكنانة
إلى عبد الله بن عباس ، وضمّ كِنْدَةَ إلى الْأَشْعَثِ ، وضمّ بكر البصرة إلى الْحَضَيْنِ^(٢)
٢٠ ابن المنذر ، وضمّ تميم البصرة إلى الْأَحْنَفِ بن قَيْسٍ ، وولّى أمر خُزَاعَةَ عمرو بن
الْحَمِيق ، وولّى بكر الكوفة نُعَيْمَ بن هُبَيْرَةَ ، وولّى سعد رباب البصرة خارجة

(١) من سنة ٣٨ هـ .

(٢) في الأصل : الحصين .

ابن قدامة ، وولى بَجَيْلَةَ رِفَاعَةَ بن شَدَّاد ، وولى ذُهل الكوفة رُوَيْمًا الشَّيْبَانِيَّ ،
 وولى حَنْظَلَةَ البصرة أَعْيَن بن ضُبَيْمَةَ ، وجعل على قُضَاعَةَ كلها عَدِيَّ بن حاتم ، وجعل
 على لَهَازِم الكوفة عبد الله بن بُدَيْل ، وعلى تيم الكوفة عُمَيْر بن عَطَّارِد ، وعلى الأزد
 جُنْدُب بن زهير ، وعلى ذُهل البصرة خالد بن المَعْمَر ، وعلى حَنْظَلَةَ الكوفة شَبَثَ
 ابن رَبِيعٍ ، وعلى هَمْدَان سعد بن قَيْس ، وعلى لَهَازِم البصرة خُزَيْمَةَ بن خازم ،
 وعلى سعد رباب الكوفة أبا صِرْمَةَ ، واسمه الطُّفَيْل ، وعلى مَذْحِجَ الأَشْجَر ، وعلى
 عبد قيس الكوفة عبد الله بن الطُّفَيْل ، وعلى عبد قَيْس البصرة عمرو بن حَنْظَلَةَ ، وعلى
 قَيْس البصرة شَدَّادًا الهَلَالِيَّ ، وعلى اللَفِيف من القَوَاصِي القَاسِم بن حَنْظَلَةَ
 الجُهَنِيَّ .

واستعمل معاوية على الخليل عبيد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الرجالة مُسْلِم
 ابن عَقْبَةَ ، لعنه الله ، وعلى الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى الميسرة حَبِيب
 ابن مسلمة ، ودفع اللواء الأعظم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، واستعمل على
 أهل دمشق الضَّحَّاك بن قَيْس ، وعلى أهل حِمصَ ذَا الكَلَّاع ، وعلى أهل قَنْسَرِين
 زُفَر بن الحارث ، وعلى أهل الأَرْدُنَّ سَفِيَّان بن عمرو ، وعلى أهل فِلَسْطِينَ مُسْلِمَةَ
 ابن خالد ، وعلى رَجَّالَةَ دِمَشْق بُسْر بن أَبِي أَرْطَاة ، وعلى رَجَّالَةَ حِمصَ حَوْشَبَاءَ
 ذَا ظَلِيم ، وعلى رَجَّالَةَ قَنْسَرِين طَرِيفَ بن حَابِس ، وعلى رَجَّالَةَ الأَرْدُنَّ عبد الرحمن
 الْقَيْنِيَّ ، وعلى رَجَّالَةَ فِلَسْطِينَ الحارث بن خالد الأَزْدِي ، وعلى قيس دِمَشْق هَمَّام
 ابن قَبِيصَةَ ، وعلى قيس حِمصَ هَلَال بن أَبِي هُبَيْرَةَ ، وعلى رَجَّالَةَ الميمنة حَابِس
 ابن رَبِيعَةَ ، وعلى قُضَاعَةَ دِمَشْق حَسَان بن بَجْدَل ، وعلى قُضَاعَةَ حِمصَ عَبَّاد
 ابن زَيْد ، وعلى كِنْدَةَ دِمَشْق عبد الله بن جَوْث السَّكْسَكِيَّ ، وعلى كِنْدَةَ
 حِمصَ يَزِيد بن هُبَيْرَةَ ، وعلى النَّمِر بن قَاسِط يَزِيد بن أَسَد العِجْلِيَّ ، وعلى حِمَيْرَ
 هَانِي بن عُمَيْر ، وعلى قُضَاعَةَ الأَرْدُنَّ مُخَارِق بن الحارث ، وعلى لَخْمَ فِلَسْطِينَ نَابِل
 ابن قيس ، وعلى هَمْدَان الأَرْدُنَّ حَمْزَةَ بن مَالِك ، وعلى غَسَّان الأَرْدُنَّ يَزِيد بن الحارث ،

وعلى أهل القَوَاصِي القَعْقَاعِ بنُ أْبْرَهَةَ ، وعلى الخليل كلها عمرو بن العاص ، وعلى
الرجالة كلها الضَّحَّاكُ بن قيس .

واصطف كل فريق منهم سبعة صفوف ، صفين في الميمنة و صفين في اليسرة ،
وثلاثة صفوف في القلب ، فكان الفريقان أربعة عشر صفاً ، فوقفوا تحت راياتهم ،
لا ينطق أحد منهم بكلمة ، نخرج رجل من أهل العراق يسمى حَجَلُ بن أَثَال ، وكان
من فرسان العرب ، فوقف بين صفوف أهل العراق وأهل الشام ، ثم نادى « هل
من مبارز ؟ وهو متقن بالحديد ؛ نخرج إليه أبوه أَثَال ، وكان من معدود فرسان
أهل الشام متقناً بالحديد ، ولم يعلم واحد منهما من صاحبه ؛ فتطاردا ، والناس قد
شخصت أبصارهم ، ينظرون ، فطعن كل واحد منهما صاحبه ، فلم يصنعا شيئاً ،
للكمال لَأَمْتِيهِمَا^(١) ، فحمل الأب على الابن ، فاحتضنه حتى أشاله^(٢) عن سرجه ،
فسقط وسقط الأب عليه ، فأنكشفت وجوههما ، فعرف كل واحد منهما صاحبه ،
فانصرفا إلى عسكريهما ، ثم تفرق الناس يومئذ ، ولم يكن بينهما غير هذا .

فلما أصبحوا عادوا إلى مواقعهم ، كما كانوا بالأمس ، نخرج عُتْبَةُ بن أبي سفيان
حتى وقف على فرسه بين الصفين ، فدعا جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ بن أبي وهب القرشي ، ليخرج
إليه ، فأقبل جعدة حتى دنا من عتبة ، فتجاريا ما هم فيه ، وتقاولا حتى أغضب
حمدة عتبة ، فتناولوه عتبة بلسانه ، فانصرفا مغضبين ، وعسى كل منهما لصاحبه
كتيبة ، فافتتلوا بين الصفين ، وأعين الناس إليهم ، وبأشر جعدة القتال ، فانهزم
عتبة ، وانصرف الفريقان لم يكن بينهم يومئذ إلا ذلك ، فقال النجاشي يذكر ما كان
بينهما :

٢٠ إِنَّ شَتَمَ الْكَرِيمِ يَاعْتَبَ خَطْبُ
أُمُّهُ أُمُّ هَانِيٍّ ، وَأَبُوهُ فَأَعْلَمَنَهُ مِنَ الْخُطُوبِ عَظِيمُ
إِنَّهُ لِلْهَبِيرَةِ بن أَبِي وَه مِنْ لُؤَيٍّ بن غَالِبٍ لَصِيمُ
بِ ، أَفَرَّتْ بِفَضْلِهِ مَخْزُومُ

(١) الأئمة : الدرر .

(٢) رفعه .

وقال أيضاً :

مَا زِلْتَ تَنْظُرُ فِي عِظْفَيْكَ أَهْبَةً لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ مِنْكَ التَّيَهُ وَالصَّلَفُ
لَمَّا رَأَيْتَهُمْ صُبْحًا حَسِبْتَهُمْ أَسَدَ الْعَرَبِينَ حَمَى أَشْبَالَهَا الْغَرْفُ^(١)
نَادَيْتَ خَيْلَكَ إِذْ عَصَّ السُّيُوفُ بِهَا عُوْجِي إِلَى ، فَمَا عَاجُوا وَمَا وَقَفُوا
هَلَّا عَطَفْتَ إِلَى قَتْلَى مُصَرَّعَةً مِنْهَا السَّكُونُ وَمِنْهَا الْأَزْدُ وَالصَّدْفُ
قَدْ كُنْتَ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَاوِ مُسْتَمَعٍ يَأْعُتَبُ لَوْلَا سَفَاهُ الرَّأْيِ وَالتَّرَفُ

فالوا « وخرج الأشعث في يوم من الأيام في خيل من أبطال أهل العراق ،
فخرج إليه حبيب بن مسلمة في مثل ذلك من أهل الشام ، فافتتلوا بين الصفيين ملياً
حتى مضى جُلّ النهار ، ثم انصرفوا وقد انتصف بعضهم من بعض .

١٠ وخرج يوماً آخر المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل ، فخرج إليه
أبو الأعور السلمي في مثل ذلك ، فافتتلوا بين الصفيين جُلّ النهار . فلم يفر أحد
عن أحد .

١٥ وخرج يوماً آخر عمار بن ياسر في خيل من أهل العراق ، فخرج إليه عمرو
ابن العاص في ذلك ، ومعه شقة سوداء على فناة ، فقال الناس : « هذا لواء عقده
رسول الله ﷺ » ؛ فقال على رضي الله عنه : « أنا مُخْرِكُم بِقِصَّةِ هَذَا اللِّوَاءِ :
هَذَا لِوَاءُ عَقْدِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : مَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ ؟ ، فَقَالَ عَمْرُو :
وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا تَفَرُّ بِهِ مِنْ كَافِرٍ ، وَلَا تُقَاتِلْ بِهِ مُسْلِمًا . فَقَدْ فَرَّ بِهِ
مِنَ الْكَافِرِينَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ قَاتَلَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ . فَافْتَتَلَ عَمْرُو
وَعَمَّارُ ذَلِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ ، لَمْ يُؤَلَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ الدُّبُرُ .

٢٠ وخرج في يوم آخر محمد بن الحنفية ، فخرج إليه عبيد الله بن عمر في مثل
عدده من أهل الشام ، فقال عبيد الله لابن الحنفية : « ابْرُزْ لِي » فقال محمد :

(١) الغَرْف : الشجر الكثيف الملتف ، أي شجر كان .

« نزال » قال : « رذاك » . فنزلا جميعا عن فرسيهما ، ونظر على إلهيها ، فحرك فرسه حتى دنا من محمد ، ثم نزل ، وقال لمحمد : « امسك على فرسى » ففعل . ومشى إلى هُبَيْدِ اللَّهِ ، فَوَلَّى عنه عُبَيْدُ اللَّهِ ، وقال : « مالى فى مبارزتك من حاجة ، إنما أردتُ ابنك » فقال محمد : « يا أَبَتِ^(١) ، لو تركتني أبارزه لرجوت أن أقتله » قال : « لو بارزته لرجوتُ ذلك ، وما كنت آمنا أن يقتلك » . واقتتل خيلاهما إلى أنصاف النهار ، ثم انصرفت ، وكلٌّ غير غالب .

وخرج فى يوم آخر عبد الله بن عباس فى خيل من أهل العراق ، فخرج إليه الوليد بن عُتْبَةَ فى مثلها من أهل الشام ، فقال الوليد : « يا ابن عباس ، قطعتم أرحامكم ، وقتلتم إمامكم ، ولم تُدْرِكُوا ما أملتُمْ » ، فقال له ابن عباس : « دَعْ عنك الأساطير ، وابْرُزْ إلى » ، فأبى الوليد ، وقاتل ابن عباس يومئذ بنفسه قتالاً شديداً ، ثم انصرفا مُنتَصِفَيْنِ .

وخرج فى يوم آخر عمرو بن العاص فى خيل من أهل الشام ، فخرج إليه سعد بن قيس الهمداني فى مثل ذلك من أهل العراق ، وعمرو يرتجز :

لَا تَأْمَنَنَّ بَعْدَهَا أَبَا حَسَنٍ طَاحِنَةً تَدُقُّكُمْ دَقَّ الطَّاحِنِ
إِنَّا نُمِرُّ الْحَرْبَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ^(٢)

فبدرهمن كان مع عمرو فتى من أهل الشام ، يسمى حُجْرَ الشَّرِّ ، فدعا للبراز ، فبرز إليه حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فاطمنا ، فطعنه حُجْرُ الشَّرِّ طعنة أذراه عن فرسه ، وهما أصحابه ، فانصرفا وقد جرحه السنان ، فخرج إليه الحَكَمُ بْنُ أَزْهَرَ ، وكان من أشرف الكوفة ، فاختلفا ضربتين ، فضربه حُجْرُ الشَّرِّ فقتله ؛ ثم نادى « هل من مبارز ؟ » ، فبرز إليه ابن عمّ للحكم يسمى رفاعه بن طليق ، فضربه حُجْرُ الشَّرِّ فقتله ، فقال على : « الحمد لله الذى قتل هذا مقتل عبد الله بن بديل » .

وخرج فى يوم آخر عبد الله بن بديل الخُرَاعِيّ ، وكان من أفاضل أصحاب على

(١) فى الأصل يا أبة . (٢) الرسن : محرقة الجبل وما كان من زمام على أنف .

في خيل من أهل العراق ، فخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك من أهل الشام فاقْتَتَلُوا هُيُويًّا^(١) من النهار ، فترك عبد الله أصحابه يعتركون في مجالهم ، وضرب فرسه حتى أحماء ، ثم أرسله على أهل الشام ، فشق جموعهم ، لا يدنو منه أحد إلا ضربه بالسيف حتى انتهى إلى الراية التي كان معاوية عليها ، فقام أصحاب معاوية دونه ، فقال معاوية : « ويحكم ، إن الحديد لم يؤذن له في هذا ، فعليكم بالحجارة » فرُث بالصخر حتى مات ، فأقبل معاوية حتى وقف عليه ، فقال : « هذا كبش القوم » هذا كما قال الشاعر :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عُضَّهَُا وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرًا
كَلَيْثٍ عَرِينٍ بَاتَ بِحِمَى عَرِينُهُ رَمَتْهُ الْمَنَائِيَا قَصَصَدَهَا فَتَقَطَّرَا

قالوا : وكان فارس معاوية الذي ينتهي به حُرَيْثٌ مولاه ، وكان يلبس بزّة معاوية ، ويستلم سلاحه ، ويركب فرسه ، ويحمل متشبّها بمعاوية ، فإذا حمل قال الناس : « هذا معاوية » وقد كان معاوية نهاه عن عليّ ، وقال « اجْتَنِبْهُ ، وَضَعْ رُمْحَكَ حَيْثُ شِئْتَ ». فَخَلَا بِهِ عَمْرُو ، وقال : « ما يمنعك من مبارزة عليّ ، وأنت له كُفٌّ ؟ » ، قال : « نهاني مولاي عنه » ، قال : « وإني والله لأَرْجُو إن بارزته أن تقتله ، فتذهب بشرف ذلك » . فلم يزل يُزَيِّنُ له ذلك حتى وقع في قلب حُرَيْث .

فلما أصبحوا خرج حُرَيْثٌ حتى قام بين الصفيين ، وقال : « يا أبا الحسن ، ابرُزْ إليّ ، أنا حُرَيْثٌ » ، فخرج إليه عليّ ، فضربه ، فقتله .

وبعث عليّ يوماً من تلك الأيام إلى معاوية : « لِمَ تَقْتُلُ النَّاسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟ ابرُزْ إليّ ، فَأَيْنَا قَتَلَ صَاحِبَهُ تَوَلَّى الْأَمْرَ » . فقال معاوية لعمرُو : « ما ترى ؟ » قال : « قد أنصَفَكَ الرجل ، فابرُزْ إليه » ، فقال معاوية : « أتخدعني عن نفسي ، ولم ابرُزْ إليه ، ودوني عكَّ والأشعرون » . ثم قال :

(١) هوى بالضم وكفني ساعة من النهار أو من الليل .

مَا لِلْمُلُوكِ وَالسِّبَرَانِ وَإِنَّمَا حَظُّ الْمُبَارِزِ خَطْفَةٌ مِنْ بَارٍ
ووجد من ذلك على عمرو ، فهِجَرَهُ أَيَامَا ، فقال عمرو لمعاوية : « أنا خارج
إلى عليّ غدا » .

فلما أصبحوا بَدَرَ عمرو حتى وقف بين الصفين ، وهو يرتجز :
شُدًّا عَلَى شِكَّتِي لَا تَنَكِّشِفُ يَوْمَ لِهَمْدَانَ وَيَوْمَ لِلصَّدْفِ ٥
وَلِتَمِيمٍ مِثْلُهُ أَوْ تَنْحَرِفُ وَالرَّابِعُونَ لَهُمْ يَوْمَ عَصِيفٍ
إِذَا مَشَيْتُ مَشْيَةَ الْعَوْدِ النَّظِيفِ أَطْعَمُهُمْ بِكُلِّ خَطِيئَةٍ ثَقِفُ^(١)

ثم نادى : « يا أبا الحسن ، اخرج إلىّ ، أنا عمرو بن العاص » . فخرج إليه
عليّ ، فتطاعنا ، فلم يصنعا شيئاً ، فانتضى عليّ سيفه ، فحمل عليه ، فلما أراد
أن يُجَلِّله رمى بنفسه عن فرسه ، ورفع إحدى رجليه ، فبَدَتْ نَوْرَتُهُ ، فَصُرِفَ ١٠
إلى وجهه ، وتركه . وانصرف عمرو إلى معاوية ، فقال له معاوية : « الحمد لله
وسوداء إستك يا عمرو » .

قالوا : وخرج عُبَيْدُ اللَّهِ بن عمر بن الخطاب يوماً من تلك الأيام ، وكان من
فرسان العرب وأبطالها في خيل من أهل الشام ، وخرج الأشر في مثلها ، فاشتبكت
بينهما الحرب ، فالتق عُبَيْدُ اللَّهِ والأشتر ، فحمل عُبَيْدُ اللَّهِ على الأشتر ، وبَدَرَهُ الْأَشْتَرُ ١٥
يطعنه ، فأخطأه ، وأسرع الأشتر في أصحاب عُبَيْدِ اللَّهِ ، فانصرف الفريقان ،
وللأشتر الفضل .

وخرج يوماً آخر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان من معدودي رجال
معاوية ، فخرج إليه عَدِيّ بن حاتم في مثلها ، فاقتتلوا يومهم كله ، ثم انصرفوا ،
وكل غير غالب . ٢٠

(١) الخطى الثقف : الرمح المعتدل .

وخرج يوماً ذو الكلاع في أربعة آلاف فارس من أهل الشام قد تبايعوا على الموت ، فحملوا على ربيعة ، وكانوا في ميسرة على ، وعليهم عبد الله بن عباس ، فتصدّعتُ مجموع ربيعة ، فناداهم خالد بن المعمر : « يا معشر ربيعة أسخطم الله » فثابوا إليه ، فاشتد القتال حتى كثرت القتلى ، ونادى عبّيد الله بن عمر : « أنا الطيّبُ ابن الطيّب » ، فسمعه عمار ، فناداه : « بل أنت الحبيثُ ابن الطيّب » . ثم حمل عبّيد الله ، وهو يرتجز :

أَنَا عَبِيدُ اللَّهِ بَنِمِينِي عُمَرُ خَيْرُ قُرَيْشٍ مَنْ مَضَى وَمَنْ غَبَرَ
غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّيْخِ الْأَعْرَ أَبْطَأَ عَنْ نَصْرِ ابْنِ عَفَّانَ مُضَرَ
وَالرَّبَّيعُونَ ، فَلَا أُسْقُوا الْمَطَرَ

١٠ فضرب شمر بن الرّيان العجليّ ، فقتله ، وكان من فرسان ربيعة .

[مقتل عبّيد الله بن عمر بن الخطاب]

فلما أصبحوا خرج عبّيد الله فيمن كان معه بالأمس ، وخرجت إليهم ربيعة ، فاقتتلوا بين الصّفين ، وعبّيد الله أمامهم يضرب بسيفه ، فحمل عليه حرّيث بن جابر الحنفيّ ، فطعنه في لبتّه^(١) ، فقتله ؛ وقد اختلفوا في قتله ، فقالت^(٢) همدان :
١٥ قتله هانيء بن الخطاب ، وقال[ت] حضرموت : قتله مالك بن عمرو الحضرميّ ، وقالت ربيعة : حرّيث بن جابر الحنفيّ ، وهو المُجمّع عليه ، فقال كعب بن جُمَيْل يرثيه :
أَلَا إِنَّمَا تَبْكِي الْعَيُونَ لِفَارِسٍ بِصِفَيْنِ أَجَلَتْ خِيَاهُ وَهُوَ وَافٍ
فَأَضْحَى عَبِيدُ اللَّهِ بِالقَاعِ مُسْلَمًا تَمُجُّ دَمًا مِنْهُ وَالْعُرُوقُ النَوَازِفُ
يَنُوءُ وَقَعْلُوهُ سَبَابُ مِنْ دَمٍ كَمَا لَاحَ فِي جَيْبِ الْقَمِيصِ الْكَفَائِفُ^(٣)
٢٠ وَقَدْ ضَرَبَتْ حَوْلَ ابْنِ عَمٍّ نَبِيْنًا مِنَ الْمَوْتِ شَهْبَاءَ الْمَنَّاكِبِ شَارِفُ^(٤)

(١) النحر وموضع الفلادة من الصدر . (٢) في الأصل : فقال .

(٣) السباب جمع سببية وهي الشقة الرقيقة من الثياب ، والكفائف طرر القميص التي لا

أهداب لها . (٤) يعني أن الكندية قد صارت مناكبها شهباء لما يعلوها من الحديد .

تَمْوُجُ تَرَى الرِّايَاتِ مُجَرَّأَ كَأَنَّهَا إِذَا صُوِّبَتْ لِلطَّعْنِ طَيْرٌ عَوَاكِفُ
جَزَى اللَّهُ قَتْلَانَا بِصِفِّينِ خَيْرَ مَا جَزَى عِبَادًا غَادَرَتَهَا الْمَوَاقِفُ

[مقتل ذى الكلاع]

قالوا : وخرج ذو الكلاع في يوم من تلك الأيام في كتيبة من أهل الشام من
عكّ ولخّم ، فخرج إليه عبد الله بن عباس في ربيعة ، فالتقوا ، ونادى رجل من
مَذْحِجِ العراق « يا آل مَذْحِجِ ، خَدِّمُوا ^(١) » فاعترضت مَذْحِجُ عكّا يضربون
سوقهم بالسيوف ، فيبركون . فنادى ذو الكلاع .. يا آل عكّ ، بروكا كبروك
الإبل .

وحمل رجل من بكر بن وائل يسمّى خَنْدِفاً على ذى الكلاع ، فضر به بالسيوف
على عاتقه ، فَقَدَّ الدَّرْعَ ، وَفَرَّ عَاتِقَهُ ، فخرّ ميتاً ؛ فلما قُتِلَ ذو الكلاع تَمَحَّكَتْ
عكّ ، وصبروا لعض السيوف ، فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا .

وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صِفِّينِ إذا انصرفوا من الحرب يدخل كل
فريق منهم في الفريق الآخر ، فلا يعرض أحد لصاحبه ، وكانوا يطلبون قتلاهم ،
فيخرجونهم من المعركة ، ويدفنونهم .

قالوا : وإن عَلِيّاً رضى الله عنه أشاع أنه يخرج إلى أهل الشام بجميع الناس ،
فيقاتهم حتى يحكم الله بينه وبينهم ، ففرع الناس لذلك فزعاً شديداً ، وقالوا : « إنما
كنا إلى اليوم تخرج الكتيبة إلى مثلها ، فيقتتلون بين الجمعين ، فإن التقينا بجميع
الْفَيْلَقَيْنِ فهو فناء العرب » .

وقام [على] في الناس خطيباً ، فقال : « ألا إنكم مُلَاؤُ القوم غداً بجميع
الناس ، فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وسألوا الله الصبر والعفو ،
والقوّم بالجدّة » .

(١) في الأصل : خدموا والصواب : خدّموا أى أسرعوا في السير .

فقال كعب بن جُعيل :

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
أَقُولُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ الْكَذِبِ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ

واجتمع أهل الشام إلى معاوية ، فمرضهم ، فنَادَى مُنَادِيهِ : « أين الجند المقدّم ؟ »
 ٥ فخرج أهل حِمص تحت راياتهم ، وعليهم أبو الأعور الشلبي ، ثم نادى : « أين
أهل الأردن ؟ » ، فخرجوا تحت راياتهم ، وعليهم زُفَر بن الحارث السكلابي ،
ثم نادى : « أين جُند الأمير ؟ » فجاء أهل دمشق تحت راياتهم ، وعليهم الضحّاك
ابن قَيْس ، فأطافوا بمعاوية ، فَمَقَّدَ لعمر بن العاص على جميع الناس ، وساروا
حتى وقفوا بإزاء أهل العراق .

١٠ وقعد معاوية على منبر ينظر منه فوق رابية إلى الفريقين إذا اقتتلوا ، وأقبلت
عكّ الشام ، وقد عَصَبُوا أنفسهم بالعائم ، وطرَحُوا بين أيديهم حَجَرًا ، وقالوا :
« لَا نُؤَلِّي الدُّبُرَ أَوْ يُؤَلَّى معنا هذا الحِجْر » ، فَصَفَّوْهُمُ عمرو خمسة صفوف ، ووقف
أمامهم يرتجز :

يَا أَبَهَا الْجَيْشِ الصَّلِيبُ الْأَيْمَانُ قُومُوا قِيَامًا ، فَاسْتَعِينُوا الرَّحْمَنُ ^(١)
إِنِّي أَنَا نِي خَبَرٌ فَأَبْكَانُ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَقَّانَ
 ١٥ رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا كَمَا كَانَ

وأنشأ رجل من أهل الشام يقول :

تَبَكَّى الْكَتِيبَةُ يَوْمَ جَرَّ حَدِيدَهَا يَوْمَ الْوَعَى جَزَعًا عَلَى عُثْمَانَ
يَسْأَلُونَ حَقَّ اللَّهِ لَا يَمْدُونَهُ وَسَأَلْتُمُ لِعَلِيٍّ السُّلْطَانَا
 ٢٠ فَأَتُوا بَيِّنَةً بِمَا تَسْأَلُونَهُ هَذَا الْبَيَانُ ، فَأَخْضِرُوا الْبُرْهَانَا

ولما أصبح على رضى الله عنه غُلَسَ ^(٢) بصلاة الفجر ، ثم أمر أصحابه ، فخرجوا

(١) في الأصل : الرحمان . (٢) صلى الفجر في أول وقته .

تحت راياتهم ، ثم جعل يدور على رايات أهل الشام ، فيقول : « مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ »
 فَيُسَمُّونَ لَهُ ، حتى إذا عرفهم ، وعرف مرآكزهم ، قال لأزد الكوفة :
 « اكفوني أزد الشام » ، وقال لَخَثَمَ : « اكفوني خَثَمَ » ، فأمر كل قبيلة
 من أهل العراق أن تسكفيه أختها من أهل الشام ؛ ثم أمرهم أن يحملوا من كل ناحية
 حملة رجل واحد ؛ فحملوا ، وحمل على رضى الله عنه على الجَمْع الذى كان فيه معاوية
 ٥ فى أهل الحجاز من قريش والأنصار وغيرهم ، وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس ،
 وعلى أمامهم ، وكَبَرُوا وكَبَرَتِ الناسُ تَكْبِيرَةً ارتجَّتْ لها الأرض ، فانتقضت
 صفوف أهل الشام ، واختلفت راياتهم ، وانتهوا إلى معاوية ، وهو جالس على
 منبره ، معه عمرو بن الماص ، ينظران إلى الناس ، فدعا بفرس ليركبه .

ثم إن أهل الشام تَدَاعَوْا بعد جَوَلَتِهِمْ ، وثابوا ، ورجعوا على أهل العراق ،
 ١٠ وصَبَرَ القوم بعضهم لبعض إلى أن حَجَزَ بينهم الليل ، فُقْتِلَ فى ذلك اليوم أناس
 كثير من أعلام العرب وأشرافهم ؛ فلما أصبحوا دخل الناس بعضهم فى بعض ،
 يستخرجون قَتْلَاهُمْ ، فيدفنونهم يومهم ذلك كله .

ثم إن عَلِيًّا قام فى عَشِيَّة ذلك اليوم فى أصحابه ، فقال : « أيها الناس ، اغدُوا
 على مصافِّكم ، وازحفوا إلى عدوِّكم ، وغضُّوا الأبصار ، واخْفِضُوا الأصوات ،
 ١٥ وَأَقِلُّوا الكلام ، واثبتوا ، واذكروا الله كثيراً ، ولا تنازعُوا فتَفَشَلُوا وتذهب
 ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين » .

وقام معاوية فى أهل الشام ، فقال : « أيها الناس ، اصْبِرُوا وصَابِرُوا ،
 ولا تَتَخَذَلُوا ولا تَتَوَاكَلُوا ، فإنكم على حَقٍّ ، ولكم حُجَّةٌ ، وإنما تُقَاتِلُونَ
 ٢٠ مَنْ سَفَكَ الدَّمَ الحَرَامَ ، فليس له فى السماء عَذِرٌ » .

وقام عمرو ، فقال : « أيها الناس ، قَدِّمُوا المُسْتَأْثِمَةَ وأخْرُوا الحُسْرَ (١) ،
 وأعيرونا جَمَاعَتَكُمْ اليوم ، فقد بلغ الحق مقطعه ، وإنما هو ظالم أو مظلوم » .

(١) الماسر خلاف الدارع ، ويقال للرجالة فى الحرب المسر لأنه لا درع عليهم ولا يمين
 على رءوسهم .

فبات الفريقان طول تلك الليلة يتعبون للحرب ، ثم غدوا على مصافهم ، وحمل الفريقان بعضهم على بعض ، وحمل حبيب بن مسكمة ، وكان على ميسرة معاوية ، على ميمنة على رضى الله عنه ، فأنكشفوا وجالوا جولة ، ونظر على إلى ذلك ، فقال لسهل بن حنيفة : « انهض فيمن معك من أهل الحجاز حتى تمين أهل الميمنة ؛ ففضى سهل فيمن كان معه من أهل الحجاز نحو الميمنة ، فاستقبلهم جموع أهل الشام ، فكشفوه ومن معه حتى انتهوا إلى على ، وهو في القلب ، فجال القلب وفيه على جولة ، فلم يبق مع على إلا أهل الحفاظ والنجدة ، فحث على فرسه نحو ميسرته ، وهم وقوف يقاتلون من إزائهم من أهل الشام ، وكانوا ربيعة .

قال زيد بن وهب : « فإني لأنظر إلى على ، وهو يمر نحو ربيعة ، ومعه بنوه : الحسن والحسين ومحمد ، وإن النبل ليمر بين أذنيه وعاتقه ، وبنوه يقونه بأنفسهم ، فلما دنا على من الميسرة ، وفيها الأشر ، وقد وقفوا في وجوه أهل الشام يُجَالِدُونَهُمْ ، فناداه على ، وقال : « إيت هؤلاء المهزمين ، فقل : أين فراركم من الموت الذي لم تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم » .

فدفع الأشر فرسه ، فعارض المهزمين ، فناداهم : « أيها الناس ، إلى إلى ، أنا مالك بن الحارث » فلم يلتفتوا إليه ، فظن أنه بالاستمرار ، فقال : « أيها الناس أنا الأشر » فتابوا إليه ، فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام . فقاتل بهم قتالا شديدا حتى انكشف أهل الشام ، وعادوا إلى موافقهم الأولى .

ورتب الأشر ميمنة على رضى الله عنه والقلب مراتبهما قبل الجولة ، فلما عادوا إلى موافقهم جمل على يسير في الصفوف ويؤنبهم على ما كان من جوتهم ، وذلك ما بين صلاة العصر والمغرب .

قال : ثم إن أهل الشام حملوا على تميم ، وكانوا في الميمنة ، فكشفوهم ، فناداهم زحر^(١) بن نهشل : يا بني تميم ، إلى أين ؟ قالوا : « ألا ترى إلى ما قد غشنا ؟ ! »

(١) في الأصل : زجر .

فقال : « وَيَحْسَكُم ، أَرَارًا واعتذارًا؟! إن لم تُقَاتِلُوا على الدين ، فقاتلوا على الأحساب ، احمِلوا مي . » فحمل وحملوا ، فقاتل حتى قُتِلَ ، وهو أمامهم ، وحمل الناس جميعا بعضهم على بعض ، واقتتلوا حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف ، ثم تكادموا^(١) بالأفواه ، وتحاثوا بالتراب ، ثم نادوا من كل جانب : « يا معشر العرب ، مَنْ للنساء والأولاد ، الله الله في الحُرُمَات . »

وإن عَلِيًّا رضى الله عنه لينغمس في القوم ، فيضرب بسيفه حتى ينثني ، ثم يخرج مُتَخَضِّبًا بالدم حتى يُسَوِّيَ له سيفه ، ثم يرجع ، فينغمس فيهم ، وربيعة لا تترك جهدا في القتال معه والصبر ، وغابت الشمس ، وقربوا من معاوية ، فقال عمرو : « ما ترى ؟ » قال : « أن تخلى سُرَادِقُك . »

فنزله معاوية عن المنبر الذي كان يكون عليه ، وأخلى السُرَادِقَ ، وأقبلت ربيعة ، وأمامها على رضى الله عنه حتى غشوا السرداق ، فقطعوه ، ثم انزفوا ، وبات على تلك الليلة في ربيعة .

[مقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال]

فلما أصبح على غادى^(٢) أهل الشام القتال ، ودفع رايته المظمى إلى هاشم بن عُتْبَةَ ، فقاتل بها نهاره كله ، فلما كان العشيّ انكشف أصحابه انكشافا ، وثبت هاشم في أهل الحفّاط منهم والنجدة ، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التَّنُوخِيّ ، فطمعنه طمعة جائفة^(٣) ، فلم ينته عن القتال ، ووافاه رسول علىّ يأمره أن يقدم رايته ، فقال للرسول : « انظر إلى ما بي » فنظر إلى بطنه ، فرآه منشقا ، فرجع إلى علىّ ، فأخبره ، ولم يلبث هاشم أن سقط ، وجال أصحابه عنه ، وتركوه بين القتلى ، فلم يلبث أن مات . وحال الليل بين الناس وبين القتال .

(١) عض بعضهم بعضا . (٢) باكرهم .

(٣) فائقة ، وجأفه أى صرعه ، لغة في جعفه .

فلما أصبح على غَلَسٍ^(١) بالصلاة، وزحف بمجموعه نحو القوم على التَّعْبِيَةِ الأولى ،
 ودفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة ، وتزاحف الفريقان فاقتتلوا . فرُوى
 عن القمّاع الظَفَرِيّ أنه قال : « لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما
 الرعد القاصف دونه » وعلى رضى الله عنه وافق ينظر إلى ذلك ، ويقول : « لا حول
 ولا قوة إلا بالله ، والله المُسْتَمَان ، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير
 الفاتحين » . ٥

ثم حمل على نفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم ، فأنصرف مُخَضَّباً بالدماء ، فلم
 يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه ، وجرح على خمس جراحات ، ثلاث
 في رأسه واثنان في وجهه ، ثم تفرقوا وغَدَوْا على مصافهم ، وعمر بن العاص يقدم
 أهل الشام ، فحمل عبد الله بن جعفر ذو الجناحين في قريش والأنصار في وجه عمرو
 فاقتتلوا ، وحمل غلامان أخوان من الأنصار على جموع أهل الشام حتى انتهيا إلى
 سرادق معاوية ، فقتلا على باب السرادق ، ودارت رحى الحرب إلى أن ذهب ثلث
 الليل ، ثم تحاجزوا ؛ ولما أصبح الناس اختلط بعضهم ببعض ، يستخرجون قتلاهم ،
 فيدفنونهم . ١٠

وكتب معاوية إلى عليّ : « أمّا بعد ، فإنني إنما أقاتلك على دم عثمان ، ولم أرَ
 المَدَاهَنَةَ في أمره وإسلام حَقِّه ، فإن أدرك بثأري فيه فذاك ، وإلا فالوت على
 الحق أجل من الحياة على الضَّيِّم ، وإنما مثلي ومثل عثمان ، كما قال المخارق :
 فَمَهْمَا تَسَلَّ عَنْ نُصْرَتِي السَّيِّدَ لَا تَجِدْ
 لَدَى الْحَرْبِ بَيْتَ السَّيِّدِ عِنْدِي مُذَمَّمًا

فكتب إليه عليّ : « أمّا بعد ، فإنني عارض عليك ما عرض مخارق على
 بنى فالج ، حيث قال :

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، والمراد أنه صلى الصبح في
 أول وقته .

يَا رَاكِبًا إِنَّمَا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنَا بَنِي فَارِجٍ حَيْثُ اسْتَقَرَّ فَرَارُهَا
هَلُمُّوا إِلَيْنَا لَا تَكُونُوا كَأَنَّاكُمْ بَلَاقِعُ أَرْضٍ طَارَ عَنْهَا غُبَارُهَا
سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ أَنَا أَعِزَّةٌ وَأَرْضُهُمْ أَرْضٌ كَثِيرٌ وَبَارُهَا^(١)
فَكُتِبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : إِنَّا لَمْ نَزَلْ لِلْحَرْبِ قَادَةً ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكَ مَا قَالَ
أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

٥

إِذَا الْحَرْبُ حَلَّتْ سَاحَةَ الْحَيِّ أَظْهَرَتْ
عُيُوبَ رِجَالٍ يُعْجِبُونَكَ فِي الْأَمْنِ
وَالْحَرْبِ أَقْوَامٌ يُحَامُونَ دُونَهَا
وَكَمْ قَدْ تَرَى مِنْ ذِي رُوءَاءٍ وَلَا يُغْنِي

١٠ ثم غَدَوْا عَلَى الْحَرْبِ ، وَرَايَةَ أَهْلِ الشَّامِ الْعُظْمَى مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ
ابْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ يَحْمِلُ بِهَا فَلَا يَلْقَاهُ شَيْءٌ إِلَّا هَدَّاهُ ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ ؛
وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ جَوَلَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَنَادَى النَّاسَ الْأَشْتَرُ ، وَقَالُوا : « أَمَّا تَرَى
اللَّوَاءَ أَيْنَ قَدْ بَلَغَ ؟ » ، فَتَنَاولَ الْأَشْتَرُ لَوَاءَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَتَقَدَّمَ بِهِ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ :
إِنِّي أَنَا الْأَشْتَرُ مَعْرُوفُ الشَّتْرِ إِنِّي أَنَا الْأَفْمَى الْعِرَاقِيُّ الذِّكْرُ^(٢)

١٥ فَقَاتَلَ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى رَدَّ اللَّوَاءَ ، وَرَدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ؛ فَبِذَلِكَ يَقُولُ النَّجَاشِيُّ :
رَأَيْتُ اللَّوَاءَ كَظِلِّ الْمُقَابِرِ يُقَحِّمُهُ الشَّامِيُّ الْأَخْزَرَ^(٣)
دَعَوْنَا لَهُ الْكَبْشَ الْكَبْشَ الْعِرَاقِ وَقَدْ خَالَطَ الْعَسْكَرَ الْعَسْكَرُ
فَرَدَّ اللَّوَاءَ عَلَى عَقْبِهِ وَفَازَ بِحُظُوتِهَا الْأَشْتَرُ

[مقتل حوشب ذي ظليم]

٢٠ قالوا : وَأَخَذَ الرَّايَةَ جُنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَوْشَبُ ذُو ظُلَيْمٍ ، وَكَانَ
مِنْ عِظَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَفُرْسَانِهِمْ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ وَجَعَلَ يَمْضِي بِهَا قَدَمًا ، وَيُنْكَأُ

(١) أَى شَجَرِهَا . (٢) الشتر بالتحريك انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل ، أو استرخاء
أسفله ، والأشتر لقب اشتهر به إبراهيم بن مالك بن الحارث .

(٣) العقاب طائر عظيم ، والحزير بالتحريك انكسار بصر العين خلقة ، أو ضيقها وصغرها .

في أهل العراق ، فخرج إليه سليمان بن صُرَد ، وكان من فرسان عليّ ، فاقتتلوا ، ففُتِلَ حَوْشَب ، وجمال أهل العراق جولة انتقضت صفوفهم ، وانحاز أهل الحفاظ منهم مع عليّ رضي الله عنه إلى ناحية أخرى يقاتلون ؛ وأقبل عديّ بن حاتم يطلب عليّاً في موضعه الذي خلفه فيه ، فلم يجده ، فسأل عنه ، فدُل عليه ، فأقبل إليه ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما إذ كنتَ حيا فالأمر أمّ^(١) ، واعلم أنني مامشيتُ إليك إلا على أشلاء القَتَلَى ، وما أبقي هذا اليوم لنا ولا لهم عميدا . »

وكان أكثر من صبر في تلك الساعة مع عليّ وقاتل ربيعة ، فقال عليّ رضي الله عنه : « يامعشر ربيعة ، أنتم درعي وسيفي^(٢) » ثم ركب الفرس^(٣) الذي كان لرسول الله ﷺ - يسمى الريح - وجنب بين يديه بغلة رسول الله ﷺ الشهباء ، وتعمّم بهامته ﷺ السوداء ، ثم أمر مناديه ، فنادى : « أيها الناس ، مَنْ يشري نفسه لله ؟ » فانتدب له الناس ، وانضموا إليه ، فأقبل بهم على أهل الشام حتى أزال راياتهم ، وجالوا جولة فبيحة حتى دعا معاوية بفرسه ليركبها ، ثم نادى مناديه في أهل الشام : « إلى أين أيها الناس ؟ أثيبوا ، فإن الحرب سجال » فتاب إليه الناس ، وكرّوا على أهل العراق .

وقال معاوية لعمره : قدّم عكّ والأشعرين ، فإنهم كانوا أول من انهزم في هذه الجولة . فأتاهم عمرو ، فبلغهم قول معاوية ، فقال رئيسهم مسروق العكّي : « انتظروني حتى آتي معاوية » فأتاه ، فقال : « افرض لقومي في ألفين ألفين ، ومن هلك منهم ، فإن عمه مكانه » ، قال : « ذلك لك » ؛ فانصرف إلى قومه ، فأعلمهم ذلك ، فتقدّوا ، فاضطربوا هم وهمدان بالسيوف اضطراباً شديداً ، فأقسمت عكّ لا ترجع حتى ترجع همدان ، وأقسمت همدان على مثل ذلك .

فقال عمرو لمعاوية : « لَقِيْتُ أُسْدَ أُسْدًا ، لم أرَ كالיום قط . »
فقال معاوية : « لو أن معك حيّاً آخر كعكّ ، ومع عليّ كهمدان لكان الفناء . »

(١) أي يسير وهين . (٢) الفرس للذكر والأنثى من الخيل .

وكتب معاوية إلى عليّ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب ،
أما بعد ، فإنّي أحسبك أن لو علمت وعلمنا ، أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نَجْنِها
على أنفسنا ، فإنّا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا ، فقد بقى لنا منها ما ينبغي أن نندم على
ما مضى ونصلح ما بقى ، فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا أخاف من القتل
إلا ما تخاف ، وقد والله رقت الأجناد ، وتفانى الرجال ، ونحن بنو عبد مناف
ليس لبعضنا على بعض فضل إلا ما يُستدلّ به العزيز ، ولا يُسترقّ به الحرّ ،
والسلام » .

فكتب إليه على رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك ، تذكر أنك لو علمت
وعلمنا أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نَجْنِها على أنفسنا ، فاعلم أنك وإيانا منها
إلى غاية لم نبلغها بعد ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء ، فإنك لست أمضى على
الشك منى على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على
الآخرة ، وأما قولك إنا بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل ، فليس
كذلك ، لأن أُمّية ليس كهائهم ، ولا حرّ با كعبد المطلب ، ولا أبا سفيان كأبي طالب ،
ولا المهاجر كالطليق ، وفي أيدينا فضل النبوة التي بها قتلنا العزيز ، ودان لنا
بها الذليل » .

ثم إن عليّاً رضى الله عنه غلّس بالصلاة صلاة الفجر ، وزحف بجموعه نحو
أهل الشام ، فوقف الفريقان تحت راياتهم ، وخرج الأشتر على فرس كُفيت ذنوب^(١)
مقنعا بالحديد ، وبيده الرمح ، فحمل على أهل الشام ، فاتّبعه الناس ، وكسر فيهم
ثلاثة أرماع ، واضطرب الناس بالسيوف وعمد الحديد ؛ وبرز رجل من أهل
الشام مُقنعا بالحديد ، ونادى : « يا أبا الحسن ، اذنُ منى ، أكلك » فدنا منه عليّ

(١) طويل الذنب .

حتى اختلفت أعناق فرسيهما بين الصفتين ، فقال : « إن لك قدماً في الإسلام ليس لأحد ، وهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجهاداً ، فهل لك أن تحقن هذه الدماء ، وتؤخر هذه الحرب برجوعك إلى عرافك ، وترجع إلى شامنا إلى أن تنظر وننظر في أمرنا ؟ » .

٥ فقال عليّ : « يا هذا ، إني قد ضربت أنف هذا الأمر وعينه ، فلم أجده يسمي إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، إن الله لا يرزى من أوليائه أن يمسي في الأرض ، وهم سكوت ، لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ، فوجدت القتال أهون من معالجة الأغلال في جهنم » .

١٠ قال : فالصرف الشامي ، وهو يسترجع ؛ ثم اقتتلوا حتى تكسرت الرماح ، وتقطعت السيوف ، وأظلمت الأرض من القتال^(١) ، وأصابهم اليأس^(٢) ، وبقي بعضهم ينظر إلى بعض بهيراً . فتحاجزوا بالليل ، وهو ليلة الحرير . ثم أصبحوا غداة هذه الليلة ، واختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم ويدفنونهم .

١٥ ثم إن علياً قام من صبيحة ليلة الحرير في الناس خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إنه قد بلغ بكم وبعثكم الأمر إلى ما ترون ، ولم يبق من القوم إلا آخر نفّس ، فتأهبوا رحمكم الله لناجزة عدوكم غداً ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين » .

٢٠ وبلغ ذلك معاوية ، فقال لعمره : « ما ترى ، فإنما هو يومنا هذا وليلتنا هذه ؟ » ، فقال عمرو : « إني قد أعددت بحيلتي أمراً آخرته إلى هذا اليوم ، فإن قبلوه اختلفوا ، وإن ردّوه تفرقوا ، قال معاوية : « وما هو ؟ » قال عمرو : « تدعوهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم ، فإنك بالغ به حاجتك » . فعلم معاوية أن الأمر كما قال .

قالوا : وإن الأشعث بن قيس قال لقومه ، وقد اجتمعوا إليه : « قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبيرة^(٣) وإنا والله إن التقينا غداً ، إنه لآوار العرب وضيفة الحرمات » .

(١) الغبار . (٢) اليأس : انقطاع النفس أو تنابحه من الإعياء ، وهو مبهور وبهيم .

(٣) السرفة في إهلاك الناس .

قالوا : « فانطلقت العيون إلى معاوية بكلام الأشعث ، فقال : صدق الأشعث ،
لئن التقينا غدا ليميلن الروم على ذراري أهل الشام ، وليميلن دهاقين فارس على
ذراري أهل العراق ، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام ، اربطوا المصاحف على
أطراف القنا^(١) . »

• قالوا : فربط المصاحف ، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم ، ربط على
خمس أرماع ، يحملها خمسة رجال ، ثم ربطوا سائر المصاحف ، جميع ما كان معهم ،
وأقبلوا في الغس ، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام قد أقبلوا ، وأمامهم شبيهة
بالرايات ، فلم يدروا ما هو ، حتى أضاء الصبح ، فنظروا ، فإذا هي المصاحف .

ثم قام الفضل بن أذهم أمام القلب ، وشريخ الجذاعي أمام الميمنة ، وورقاء
ابن المعمّر أمام اليسرة ، فنادوا : « يامعشر العرب ، الله . الله في نسائكم وأولادكم
من فارس والروم غدا ، فقد فنيتم ، هذا كتاب الله بيننا وبينكم » . فقال على رضي
الله عنه : « ما الكتاب تريدون ، ولكن المكر تحاولون » .

ثم أقبل أبو الأعور السلمي على بردون أشهب ، وعلى رأسه مصحف ، وهو
ينادي : « يا أهل العراق ، هذا كتاب الله حكما فيما بيننا وبينكم » .

١٥ فلما سمع أهل العراق ذلك قام كُرْدُوس بن هاني البكري ، فقال : « يا أهل
العراق ، لا يهدئكم ما ترون من رفع هذه المصاحف ، فإنها مكيدة » . ثم تكلم
سفيان بن ثور النكري^(٢) ، فقال : « أيها الناس ، إنا قد كنا بدأنا بدعاء أهل الشام
إلى كتاب الله ، فردوا علينا ، فاستحللنا قتالهم ، فإن رددناه عليهم حل لهم قتالنا ،
ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله » .

٢٠ ثم قام خالد بن المعمّر ، فقال لعلي : « يا أمير المؤمنين ، ما البقاء إلا فيما دعا
القوم إليه إن رأيت ، وإن لم تره فأريك أفضل » . ثم تكلم الحصين بن المنذر ،
فقال : « أيها الناس ، إن لنا داعيا قد حمدا وردّه وصدره ، وهو المأمون على ما فعل ،
فإن قال : لا ، قلنا : لا ؛ وإن قال : نعم ، قلنا : نعم » .

(١) جمع قنّة وهي الرمح . (٢) في الأصل : البكري .

فتكلم عليّ ، وقال : « عباد الله ، إنا أخرى من أجاب إلى كتاب الله ، وكذلك أنتم ؛ غير أن القوم ليس يريدون بذلك إلا المكر ، وقد عضّتهم الحرب ؛ والله ، لقد رفعوها وما رأيتهم العمل بها ، وليس يسمى مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فآبى ، وكيف وإنما قاتلناهم ليدينوا بحكمه » .

• فقال الأشعث : « يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا عليه لك أمس ، غير أن الرأى ما رأيت من إجابة القوم إلى كتاب الله حكما » . فأما عديّ بن حاتم وعمر بن الحِقِّم فلم يهويا ذلك ، ولم يشيروا على عليّ به .

ولما أجاب عليّ رضى الله عنه ، قالوا له : « فابعث إلى الأشتر ليمسك عن الحرب ويأتيك » . وكان يقاتل في ناحية الميمنة ؛ فقال عليّ ليزيد بن هاني : « انطلق إلى الأشتر ، فمره أن يدع ما هو فيه ، ويقبل » ، فأتاه ، فأبلغه ، فقال : « ارجع إلى أمير المؤمنين ، فقل له إن الحرب قد اشتجرت ببني وبين أهل الناحية ، فليس يجوز أن أنصرف » .

فانصرف يزيد إلى عليّ ، فأخبره بذلك ، وعكّت الأصوات من ناحية الأشتر ، وثار النّقع^(١) ، فقال القوم لعليّ ، « والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال » .

١٥ فقال : « كيف أمرته بذلك ، ولم أسأره سرا ؟ » ثم قال ليزيد : « عد إلى الأشتر ، فقل له . أقبل ، فإن الفتنة قد وقعت » . فأتاه ، فأخبره بذلك .

فقال الأشتر : « أرفع هذه المصاحف ؟ » ، قال : « نعم » . قال : « أما والله لقد ظننتُ بها حين ، رفعتُ ، أنها ستوقع اختلافا وفرقة » .

٢٠ فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم ، فقال : « يا أهل الوهن والذلّ ، أحين علوتم القوم تُنكّلون لرفع هذه المصاحف ؟ أمهلوني فوّاقا^(٢) » ، قالوا : « لا ندخل معك في خطيئتك » ، قال : « ويحكم ، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقي أراذلكم ، فحتى كنتم مُحقّقين ؟ أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسكنكم ؟ فما حال قتلاكم الذين

(١) الغبار الداطع .

(٢) الفواق بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت ، فالناقة تحلب ثم تترك سبوعة يرضعها الفصيل لتدر ، ثم تحلب .

لَا تُنْكِرُونَ فَضْلَهُمْ ، أَفَى الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ ؟ » . قَالُوا : « قَاتَلْنَاكُمْ فِي اللَّهِ ، وَنَدْعُ قَاتِلَهُمْ فِي اللَّهِ » . فَقَالَ : « يَا أَصْحَابَ الْجَبَاهِ السُّودِ ، كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ صَلَاتَكُمْ عِبَادَةَ وَشَوْقَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَنَرَاكُمْ قَدْ فَرَرْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا ، فَبُحْجًا لَكُمْ » . فَسَبَّوْهُ ، وَسَبَّوْهُمْ ، وَضَرَبُوا وَجْهَ دَابَّتِهِ بِسَيَاطِهِمْ ، وَضَرَبَ هُوَ وَجُوهُ دَوَابِهِمْ بِسَوْطِهِ . وَكَانَ مِسْعَرُ بْنُ فَدَكِيٍّ وَابْنُ السَّكَوَاءِ وَطَبَقْتُهُمُ مِنَ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ صَارُوا بَعْدُ خَوَارِجَ كَانُوا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى حُكْمِ الْمَصْحَفِ .

وإن معاوية قام في أهل الشام ، فقال : « أيها الناس ، إن الحرب قد طالت بيننا وبين هؤلاء القوم ، وإن كل واحد منا يظن أنه على الحق وصاحبه على الباطل ، وإنا قد دعوناهم إلى كتاب الله والحكم به ، فإن قبلوه ، وإلا كنا قد أعذرنا إليهم » .

ثم كتب إلى علي : « إن أول من يُحَاسَبُ على هذا القتال أنا وأنت ، وأنا أدعوك إلى حقن هذه الدماء وألفة الدين وإطراح الضغائن ، وأن يحكم بيني وبينك حكمان ، أحدهما من قبلي والآخر من قبلك ، ما يجدانه مكتوباً مبيناً في القرآن يحكمان به ، فأرضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله » .

فكتب إليه علي : « دَعَوْتَ إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَيْسَ بِحُكْمِهِ تَحَاوَلِ ، وَقَدْ أَجَبْنَا الْقُرْآنَ إِلَى حُكْمِهِ لَا إِيَّاكَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا » .

وكتب إلى عمرو بن العاص : « أما بعد ، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها ، ولم يُصِبْ صاحبها منها شيئاً إلا انفتح له بذلك حرصٌ يزيد فيها رغبةً ، ولن يستغنى صاحبها بما نال منها عما لم ينله ، ومن وراء ذلك فراق ما جمَعَ ، فلا تُحْطِطْ عَمَلُكَ بِمَجَارَاةِ مُعَاوِيَةَ عَلَى بَاطِلِهِ ، وَإِن لَمْ تَنْتَهَ لَمْ تَضُرَّ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَالسَّلَامَ » . فَأَجَابَهُ عَمْرُو : « أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ما بيننا الإجابة إلى الحق ، وقد جعلنا القرآن حكماً بيننا وبينك لترضى بحكمه ، ويُعْذِرْنَا النَّاسُ عِنْدَ الْمُنَاجَزَةِ ، وَالسَّلَامَ » .

فكتب إليه عليّ : « أما بعد ، فإنّ الذي أعجبك مما نازَعَتْكَ نفسك إليه من طلب الدنيا مُنْقَلَبٌ عنك ، فلا تطمئنّ إليها ، فإنها غرارة ، ولو اعتبرت بما مضى انتفعت بما بقى ، والسلام » .

فكتب إليه عمرو : « أمّا بعد ، فقد أنصفَ من جعل القرآن حَكَمًا ، فاصبر يا أبا الحسن ، فإنّا غير مُتَيْلِكٍ إلّا ما أنالك القرآن ، والسلام » .

فاجتمع قُرّاء أهل العراق وقراء أهل الشام ، فقمعدوا بين الصفيين ، ومعهم الصحف يتدارسونّه ، فاجتمعوا على أن يُحَكِّمُوا حَكَمَيْنِ ، وانصرفوا . فقال أهل الشام : « قد رَضِينَا بعمرو » .

وقال الأشعث ومن كان معه من قُرّاء أهل العراق : « قد رَضِينَا نحن بأبي موسى » .

فقال لهم عليّ : « لست أثق برأى أبي موسى ، ولا بحزْمِهِ ، ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عباس » .

قالوا : « والله ما نفرّق بينك وبين ابن عباس ، وكأنك تريد أن تكون أنتَ الحاكم ، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر » .

قال عليّ رضي الله عنه : « فَلِمَ تَرْضَوْنَ لأهل الشام بابن العاص ، وليس كذلك ؟ » .

قالوا : « أولئك أعلم ، إنّما علينا أنفسنا » .

قال : « فإني أجعل ذلك إلى الأُشْتَرِ » .

قال الأشعث : « وهل سَعَرَ هذه الحرب إلا الأُشْتَرِ ، وهل نحن إلا في حُكْمِ الأُشْتَرِ ؟ » .

قال عليّ : « وما حكمة ؟ » ،

قال : « يضرب بعضٌ وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله » .

قال : « فقد أيتّم إلّا أن تجعلوا أبا موسى » .

قالوا : « نعم » .

قال : « فاصنعوا ما أحببتهم » .

قالوا : فأرسلوا رُسُولاً إلى أبي موسى ، وقد كان اعتزل الحرب ، وأقام

بِعَرْضٍ^(١) من أعراض الشام ؛ فدخل عليه مَوْلى له ، فقال : « قَدِ اضْطَلَحَ

الناس » ، قال : « الحمد لله رب العالمين » . قال : « وفد جعلوك حَكَمًا » .

قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فأقبل أبو موسى حتى دخل عسكر عليّ ، فَوَلّوه الأمر ، ورَضوا به ، فَقَبِلَهُ .

فقال الأحنف بن قيس لعليّ : « إِنَّكَ قَدْ مُنِيتَ بِحَجَرِ الأرض ، ودَاهِيَةِ

العرب ؛ وقد عجمت أبا موسى ، فوجدته كإيل الشفرة ، قريب المقر ، وأنه

لا يَصْلُحُ لهذا الأمر إلا رجل يَدْنُو من صاحبه حتى يكون في كَفِّهِ ، وَيَبْمُدُّ مِنْهُ

حتى يكون مكان النّجْم ، فإن شئتَ أن تجعلني حَكَمًا فافعل ، وإلا فتأنيأ أو تألثا ،

فإن قلتَ : إني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابث رجلاً

من صحابته ، واجعلني وزيراً له ومُشِيرًا » .

فقال عليّ : « إن القوم فدأبوا أن يرضوا بغير أبي موسى ، والله بالِغ أمره » .

قالوا : فقال أُتَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ الْأَسَدِيُّ من أهل الشام ، وكان مُعْتَرِلاً للقوم :

لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يَهْتَدُونَ بِهِ بَعْدَ الْقَضَاءِ رَمَوْكُم بِابْنِ عَبَّاسٍ

لَكِنْ رَمَوْكُم بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنٍ لَمْ يَذَرِ مَا ضَرَبَ أَخْمَاسٌ لِأَسْدَاسٍ^(٢)

(١) العرش : الجانب من كل شيء .

(٢) تقول العرب لمن حاتل ، ضرب أخماساً لأسداس ، وهو مثل ، أصله أن شيخاً كان في ليله ومعه أولاده رجلاً يرفعونها ، قد طالت غربتهم عن أهلهم ، فقال لهم ذات يوم : ارعوا إيلكم ربما ، فرعوا ربما نحو طريق أهلهم ، فقالوا له : لو رعيناهم خمسا ، فزادوا يوماً قبل أهلهم ، فقالوا : لو رعيناهم سدسا ، ففطن الشيخ لما يريدون ، فقال : ما أنتم إلا ضرب أخماس لأسداس ، ما همتمكم رعيها ، إنما همتمكم أهلهم .

قالوا : وقد كان معاوية جمل لأُيُمَنَ بن خريم ناحية من فاسطين على أن يُبايعه ،
فأبى ، وقال :

لَسْتُ بِقَاتِلِ رَجُلٍ يُصَلِّي عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِيمِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَطَيْشٍ
أَقْتُلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ حَقٍّ فَلَيْسَ بِنَافِعِي مَا عِشْتُ عَيْشِي

[وثيقة التحكيم]

قالوا : فاجتمع أهل العراق وأهل الشام وأتوا بكتاب ، وقالوا : « اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماتقاضي عليه أمير المؤمنين ». فقال معاوية « بئس
الرجل أنا إن أقررت بأنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ». قال عمرو « بل أكتب اسمه واسم
أبيه ». فقال الأحنف بن قيس : « يا أمير المؤمنين ، لا تمحُ اسم إمرة المؤمنين ،
فإن أخاف إن محوتها لم ترجع إليك أبدا ، ولا نجبهم إلى ذلك » .

فقال على : الله أكبر ، سُنَّةُ بَسَنَّة ، أما والله لقد جرى على يدي نظير هذا —
يعنى القضية — يوم الحُدَيْبِيَّة^(١) ، وامتناع قريش أن يُكْتَبَ عهد رسول الله ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم للكتاب ، اكتب عهد بن عبد الله ، فكتبوا .

« هذا ماتقاضي عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا
به من الحكم بكتاب الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، قضية على بن أهل العراق
شاهدهم وغائبهم ، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم ، إننا تراضينا أن
نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته ، نُجْبِي ما أحيا ، ونُمِيت ما أمات ،
على ذلك تقاضيا وبه تراضيا ، وإن عَلِيًّا وشيعته رضوا بعبسد الله بن قيس ناظرا
وحاكما ، ورضى معاوية وشيعته بعمرو بن العاص ناظرا وحاكما ؛ على أن عَلِيًّا
ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ، وذِمَّتُهُ وذِمَّةُ

(١) قرية قريبة من مكة ، سميت بئر فيها ، وقد ورد ذكرها في الحديث كثيرا .

رسوله أن يتخذنا القرآن إماما ، ولا يعدّوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورا ، وما لم يجدوا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة ، لا يتعمدان لها خلافا ، ولا يبنيان فيها بشبهة .

- « وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على عليّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرّضى بما حكّمَا به مما في كتاب الله وسنة نبيّه ، وليس لهما أن ينقضا ذلك ، ولا يخالفاه إلى غيره ، وهما آميّان في حكومتهم على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما ما لم يعدّوا الحق ، رضى به راض أو سخطه ساخط ، وأن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما هو في كتاب الله ؛ فإن توفى أحد الحكميّين قبل انقضاء الحكومة ، فليسميته وأصحابه أن يختاروا مكانه رجلا من أهل المدلّة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق ، وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدد في هذه القضية فليسميته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله ، وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ، ورفع السلاح ، وقد وجبت القضية على ماسميننا في هذا الكتاب من موقع الشرط على الأميرين والحكميّين والفريقين ، والله أقرب شهيد ، وكفى به شهيدا ؛ فإن خالفا وتعدّيا فالأمة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمّة ، والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم إلى انقضاء الأجل ، والسلاح موضوعة والسبل آمنة ، والغائب من الفريقين شمل الشاهد في الأمر ، وللمحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين أهل العراق وأهل الشام ، ولا يحضرهما فيه إلّا من أحبّبا عن ترّاضٍ منهما ، والأجل إلى انقضاء شهر رمضان ، فإن رأى الحكماء تعجيل الحكومة عَجَلّاها ، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخرّاها ، فإن هما لم يحكما بنا في كتاب الله وسنة نبيّه إلى انقضاء الأجل ، فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب ، وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر ، وهم جميعا يندّ واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحادا أو ظلما أو خلافاً . »

« شهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والأشعث بن قيس ، والأشتر

ابن الحارث ، وسعيد بن قيس ، والحُصَيْن والطُّفَيْل ابنا الحارث بن عبد المطلب ،
وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري ، وعبد الله بن حَبَّاب بن الأرت ، وسهل بن حُنَيْف ،
وأبو بشر بن عمر الأنصاري ، وعَوْف بن الحارث بن عبد المطلب ، وزيد بن
عبد الله الأسلمي ، وعُقْبَة بن عامر الجُهَنِي ، ورافع بن خَدِيج الأنصاري ،
وعمر بن الحَقَم الخُزَاعِي ، والنعمان بن الدَّجَلان الأنصاري ، وحُجْر بن عَدِيّ
الكندي ، وزيد بن حُجَّيَّة النُكْرِي ، ومالك بن كعب الهمداني ، وربيعة بن
شُرْحَبِيل ، والحارث بن مالك ، وحُجْر بن يزيد ، وُعْلَبَة بن حُجَّيَّة .

ومن أهل الشام : حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِي ، وأبو الأعور السَّكْمِي ، وبُسر
ابن أَرْطَاة القُرَشِي ، ومعاوية بن خُدَيْج الكندي ، والمُخَارِق بن الحارث ، ومسلم
ابن عمرو السَّكْسَكِي ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وحَمْزَة بن مالك ، وسُبَيْع
ابن يزيد الحَضْرَمِي ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعَلَقْمَة بن يزيد السكابي ،
وخالد بن الحُصَيْن السَّكْسَكِي ، وعَلَقْمَة بن يزيد الحَضْرَمِي ، وزيد بن أَبَجْر
العَبْسِي ، ومَسْرُوق بن جَبَلَة العَكِّي ، وبُسر بن يزيد الحِمِيرِي ، وعبد الله بن
عامر القُرَشِي ، وعُتْبَة بن أبي سفيان ، ومحمد بن أبي سفيان ، ومحمد بن عمرو بن
العاص ، وعَمَّار بن الأخوص السكابي ، ومَسْعَدَة بن عمرو العُتْبِي ، والصَّبَّاح
ابن جُلْهَمَة الحِمِيرِي ، وعبد الرحمن بن ذِي الكَلَاع ، وثُمَامَة بن حَوْشَب ،
وعَلَقْمَة بن حَكَم .

«وَكُتِبَ يَوْمَ الْأَرْبَاءِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ» .

[الخلاف بعد التحكيم]

وإن الأشعث أخذ الكتاب فقرأه على الفريقين ، يمر به على كل ، راية راية ،
وقبيلة قبيلة ، فيقرؤه عليهم ، فمرّ برايات عَزَّة ، وكان مع عليّ منهم أربعة آلاف
رجل ، فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم ، اسمهما جَعْد ومَعْدَان : « لا حُكْمَ إِلَّا
لِلَّهِ » ثم شدا على أهل الشام ، فقاتلا حتى قُتِلَا ، وهما أول من حَكَّم .

ثم مرّ على رايات مراد ، فقرأ عليهم ، فقال صالح بن شقيق ، وكان من أفاضلهم « لا حُكْمَ إلا لله ، وإن كرهَ المشركون ، ثم مر به على رايات بنى راسب ، فتنادوا « لا يحكم الرجال في دين الله » ، ثم مر به على رايات بنى تميم ، فقالوا مثل ذلك ، فقال عروة بن أدية : « أتَحَكِّمُون في دين الله الرجال ، فأين قتلتنا يا أشعث ؟ » ثم حمل بسيفه على الأشعث ، فأخطاه ، وأصاب السيف عجز دابته ، فانصرف الأشعث إلى قومه ، فمضى إليه سادات تميم ، فاعتذروا إليه ، فقبل وصفح .

وأقبل سليمان بن صرد إلى عليّ مضروباً في وجهه بالسيف ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة » . وقام مُحَرِّز بن خنيس بن ضليح إلى عليّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل ، فوالله إنى لخائف أن يُورَثَكَ ذُلّاً ؟ » . قال عليّ : « أبعد أن كتبناه ننقضه ؟ هذا لا يجوز »

ثم إن علياً ومعاوية اتفقا على أن يكون مجتمع الحكمين بدوامة الجندل ، وهو النصف بين العراق والشام . ووجه عليّ مع أبي موسى شريح بن هانئ في أربعة آلاف من خاصته ، وصيّر عبد الله بن عباس على صلاتهم ؛ وبعث معاوية مع عمرو بن العاص أبا الأعور السلمي في مثل ذلك من أهل الشام .

فساروا من صفين حتى وافوا دَوَمة الجندل ، وانصرف عليّ بأصحابه حتى وافى الكوفة ، وانصرف معاوية بأصحابه حتى وافى دِمَشْق ، ينتظران ما يكون من أمر الحَكَمَيْن .

وكان عليّ إذا كتب إلى ابن عباس في أمرٍ اجتمع إليه أصحابه ، فقالوا : « ما كتبَ إليك أمير المؤمنين ؟ » فيَكْتُمُهُمْ ، فيقولون : « لِمَ كَتَمْتَنَا ؟ وإنا كتبَ إليك في كذا وكذا » ، فلا يزالون يذكرون^(١) حتى يَقِفُوا على ما كتب .

(١) ذكّن الحذر زكداً بالتحريك علمه ، وقيل الزكن : التفرس والظن الذي هو كاليقين .

وتأتى كُتُب معاوية إلى عمرو بن العاص ، فلا يأتيه أحد من أصحابه ، يسأله عن شيء من أمره .

قبر : وكتب معاوية إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وإلى عبد الله بن الزُّبَيْر ، وإلى أبي الجَهْم بن حُذَيْفَةَ ، وإلى عبد الرحمن بن عبد يَفُوثَ : « أمّا بعد ، فإنّ الحرب قد وَضَعَتْ أوزارها ، وصار هذان الرجلان إلى دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ ، فافدِمُوا عليهما إن كنتم قد اعتزلتم الحرب ، فلم تدخلوا فيما دخل فيه الناس ، لتشهدوا ما يكون منهما ، والسلام » .

فلما أتاهم كتابه ساروا جميعاً إلى دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ ، فأقاموا ينتظرون ما يكون من الرجلين ، وحضر معهم سعد بن أبي وقَّاص ؛ وسار المغيرة بن شُعْبَةَ ، وكان مُقيماً بالطائف لم يشهد شيئاً من تلك الحروب حتى أتى دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ ، فأقام ينتظر ما يكون منهما ؛ فلما طال مقامه سار من هناك حتى أتى معاوية بدمشق ، فقال له معاوية : « أَشِرُّ عَلَىِّ بِمَا تَرَى » ، فقال له المغيرة : « لو أَشَرْتُ عليك لَقَاتَلْتُ معك ، ولكنى قد أَتَيْتُكَ بِخَيْرِ الرجلين » .

قال : « وما خَبَرُهُمَا ؟ » .

قال : « إِنِّي خَلَوْتُ بِأَبِي مُوسَى لِأُبَلِّغُوهُ مَا عِنْدَهُ ، فقلت : « ما تقول فيمن اعتزل عن هذا الأمر ، وجلس في بيته كَرَاهِيَةً لِلدِّمَاءِ ؟ » ، فقال : « أولئك خِيَارُ النَّاسِ ، خَفَّتْ ظُهُورُهُمْ مِنْ دِمَاءِ إِخْوَانِهِمْ ، وَبَطُونُهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ » .

قال : « نَفَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَتَيْتُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، فقلت : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، ما تقول فيمن اعتزل هذه الحروب ؟ » ، فقال : « أولئك شِرَارُ النَّاسِ ، لم يعرفوا حَقًّا ، ولم ينكروا باطلاً » . « وأنا أحسب أبا موسى خَالِماً صَاحِبِهِ ، وَجَاعِلِهَا لِرَجُلٍ لم يشهد ، وَأَحْسَبُ هَوَاهُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ . وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فهو صاحبك الذي عرفته ، وَأَحْسَبُ سَيَطْلُبُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَلَا أَرَاهُ يَظُنُّ أَنَّكَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ » . فأفلق ذلك معاوية .

[مداولة الحكمين]

- قالوا : ثم إن عمرو بن العاص جمل يُظهِر تبجيل أبي موسى وإجلاله ، وتقديسه في الكلام وتوقيره ، ويقول : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي ، وأنت أكبر سنًا مني » . ثم اجتمعا لِيَتَنَظَّرَا في الحكومة ، فقال أبو موسى : « يا عمرو ، هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضى الله ؟ » .
- قال : « وما هو ؟ » .
- قال : « نولّي عبد الله بن عمر ، فإنه لم يدخل نفسه في شيء من هذه الحروب » .
- قال له عمرو : « أين أنت من معاوية ؟ » .
- قال أبو موسى : « ما معاوية موضعًا لها ، ولا يستحقّها شيء من الأمور » .
- قال عمرو : « أأست تعلم أن عثمان قُتِلَ مظلومًا ؟ » .
- قال : « بلى » .
- قال : « فإن معاوية وليّ عثمان ، وبينه بعد في قريش ما قد عُدّت ، فإن قال الناس : لِمَ وُلّي الأمر وليست له سابقة ؟ فإنّ لك في ذلك عُذْرًا ؛ تقول : إني وجدته وليّ عثمان ، والله تعالى يقول : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا » وهو مع هذا أخو أمّ حَبِيبَةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد أصحابه » .
- قال أبو موسى : « اتّق الله يا عمرو ، أمّا ما ذكّرت من شرف معاوية ، فلو كان يُسْتَوْجَب بالشرف الخلافة ، لكان أحقّ الناس بها أبرهة بن الصّباح ، فإنه من أبناء ملوك اليمن التّبايعة الذين ملكوا شرق الأرض وغربها ، ثم أيّ شرف لمعاوية مع عليّ بن أبي طالب ؟ ، وأمّا قولك إنّ معاوية وليّ عثمان ، فأولّي منه ابنه عمرو بن عثمان ، ولكن إن طأوغتني أحيينا سنة عمر بن الخطاب وذكّره بتولّيّتنا ابنه عبد الله النّحر^(١) » .

(١) الرجل العالم الصالح، وجمعه أخبار .

قال عمرو : « فما يمنعك من ابني عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته ؟ » .

فقال أبو موسى : « إن ابنك رجل صدق ، ولكنك قد غمسته في هذه الحروب غمسا ، ولكن هلم نجعلها للطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر »
 قال عمرو : « يا أبا موسى ، إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل له خسران ، يأكل بأحدهما ، ويؤطعم بالآخر » .

قال أبو موسى : « ويحك يا عمرو ، إن المسلمين قد أسندوا إلينا أمراً بعد أن تقارعوا بالسيوف وتشاكوا بالرماح ، فلا نردّهم في فتنة » .
 قال : « فما ترى ؟ » .

قال : « أرى أن نخلع هذين الرجلين ، علياً ومعاوية ، ثم نجعلها شورى بين المسلمين ، يختارون لأنفسهم من أحبوا » .
 قال عمرو : « فقد رضيت بذلك ، وهو الرأي الذي فيه صلاح الناس » .

قال : فافترقا على ذلك ، وأقبل ابن عباس إلى أبي موسى ، فخلاً به ، وقال :
 « ويحك يا أبا موسى ، أحسب والله عمراً قد اختدعتك ، فإن كننا قد اتفقنا على شيء فقدمه قبلك ليتكلم ، ثم تكلم بعده ، فإن عمراً رجل غدار ، ولست آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه ، فإذا قتت به في الناس خالفك » ،
 قال أبو موسى : « قد اتفقنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله » .

[إعلان الحكم]

فلما أصبحوا من غد خرجوا إلى الناس ، وهم مجتمعون في المسجد الجامع ، فقال أبو موسى لعمرو :
 « اصعد المنبر ، فتكلم » .

فقال عمرو : « ما كنت أتقدمك وأنت أفضل مني فضلًا ، وأقدم هجرةً وسنًا » .

فبدأ أبو موسى ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أيها الناس ، إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الأمة ويصلح أمرها ،
فلم ترَ شيئًا هو أبلغ في ذلك من خلع هذين الرجلين ، عليّ ومعاوية ، وتصييرها
شورى ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلًا ، وإنى قد خلعت عليًّا ومعاوية ،
فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من أحببتكم » ثم نزل .

وصعد عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، ألا وإنى قد خلعت صاحبه كما
خلعته ، وأثبتت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ أمير المؤمنين عثمان ، والطالب بدمه ،
وأحق الناس بمقامه » .

فقال له أبو موسى : « مالك ، لا وفقتك الله ، غدرت وفجرت ، وإنما
مثلك مثل الكلب ، إن تحمّل عانيه ياهت أو تتركه يلهت » . فقال له
عمرو : « ومثلك كمثّل الحمار يحمّل أسفارًا » .

١٥ وحمل شريح بن هانيء على عمرو فقتله^(١) بالسوط ، وحجّر الناس بينهما ،
وكان شريح يقول : « ما ندمتُ على شيء قط كندامتى ألا أكون ضربته
مكان السوط بالسيف ، أتى الدهرُ في ذلك بما أتى » .

وانسلّ أبو موسى ، فركب راحلته ، وهرب ، حتى لحق بمكة ، فكان ابن
عباس يقول : « لآسى الله أبا موسى ، لقد نهته فما اتبعه ، وحذّرتُه بما صار إليه فما
انحاش^(٢) » . وكان أبو موسى يقول : « لقد حذّرتني ابن عباس غدرَ عمرو ،
فاطمأنت إليه ، ولم أظن أنه يؤثّر شيئًا على نصيحة المسلمين » .

(١) علاه به . (٢) ما انحاش لشيء أى ما يكثر له .

[مِبايعة معاوية]

ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية ، فسلموا عليه بالخلافة .
وأقبل ابن عباس وشُرَيْح بن هانئ ومَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى عَلِيٍّ
فَأَخْبَرُوهُ الْخَبْرَ ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيُّ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعْنَا عَلَى الْمُحْدَى ،
مَا زَادَنَا عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ بِصِيرَةٍ » . ثُمَّ تَكَلَّمَ عَامَّةُ النَّاسِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا . ٥

[فتنة الخوارج]

قالوا : « ولما بلغ أهل العراق ما كان من أمر الحَكَمَيْنِ لَقِيتِ الْخَوَارِجَ بَعْضُهَا
بَعْضًا ، وَاتَّعَدُّوا أَنْ يَجْتَمِعُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ الرَّاسِبِيِّ ؛ فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَظَمَاؤُهُمْ
وَعُبَادُهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ
قَالَ : « مَعَاشِرَ إِخْوَانِي ، إِنْ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَإِنْ فِرَاقُهَا وَشَدِيدٌ ، فَاخْرُجُوا بَنَاءَ
مُنْكَرِينَ لِهَذِهِ الْحَكُومَةِ ، فَإِنَّهُ لَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَإِنْ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ » . ١٠

ثم تكلم حمزة بن سيار ، فقال : « الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُمْ ، وَمَنْهَجُ الْحَقِّ فِيمَا قُلْتُمْ ، فَوَلُّوا
أَمْرَكُمْ رِجَالًا مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا بَدَ لَكُمْ مِنْ قَائِدٍ وَسَائِسٍ وَرَايَةٍ تَحْقُقُونَ بِهَا ، وَتَرْجُمُونَ
إِلَيْهَا » . ١٥

فعرضوا الأمر على يزيد بن الحُصَيْنِ ، وَكَانَ مِنْ عِبَادِهِمْ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، ثُمَّ
عَرَضُوهَا عَلَى ابْنِ أَبِي أُوْفَى الْعَبْسِيِّ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، ثُمَّ عَرَضُوهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ وَهَبٍ الرَّاسِبِيِّ ، فَقَالَ : « هَاتُوهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَقْبَلُهَا رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا ، وَلَا
فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَكِنْ أَقْبَلُهَا لِأَرْجُو فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ » . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ ،
فَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَبَايَعُوهُ ، فَقَامَ فِيهِمْ خُطِيبًا ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَهْدَنَا وَمَوَائِقَنَا
عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ » . ٢٠

يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » ، وقال الله عز وجل : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » ، وأشهد على أن أهل دعوتنا من أهل ديننا أن قد اتَّبَعُوا الْهَوَى وَنَبَذُوا حُكْمَ الْكِتَابِ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ ، وَإِنْ جِهَادُهُمْ لَحَقَّ ، فَأُقْسِمُ بِمَنْ تَعْنُو لَهُ الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ لَهُ الْأَبْصَارُ ، لَوْ لَمْ أَجِدْ عَلَى قِتْلِهِمْ مُسَاعِدًا لِقَاتِلِهِمْ وَحْدَى حَتَّى أَلْقَى رَبِّي شَهِيدًا . ٥

فلما سمع ذلك عبد الله بن السَّخْبَرِ ، وكان من أصحاب البرَّانِسِ ^(١) استعبر باكيا ، ثم قال : « لحي الله امرءًا لا يكون تشريح ما بين عظمه ولحمه وعَصَبِهِ أيسر عنده من سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي لَحْظَةٍ يَسْمَى بِهَا عَلَى مَقْتِهِ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا تَرِيدُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ، يَا إِخْوَتِي ، تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِبُغْضِ مَنْ عَصَاهُ ، وَاخْرَجُوا إِلَيْهِمْ ، فَاضْرِبُوا وَجُوهَهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى يُطَاعَ اللَّهُ يُثَبِّتُكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ الْعَامِلِينَ بِمَرْضَاتِهِ ، الْقَائِمِينَ بِحَقْوَفِهِ ، فَإِنْ تَظَفَرُوا فَالْغَنِيمَةُ وَالْفَتْحُ ، وَإِنْ تُغْلَبُوا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ » ثم افترقوا يومهم ذلك . ١٠

فلما كان من الغد أقبل عبد الله بن وهب الراسبي في نفرٍ من أصحابه حتى دخل على شُرَيْحِ بْنِ أَبِي أُوْفَى الْعَبْسِيِّ ، وكان من عظمائهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أَمَّا بَدَدٌ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْحَكَمَيْنِ قَدْ حَكَمَّا بغير ما أنزل الله ، وَقَدْ كَفَرَّا إِخْوَانَنَا حِينَ رَضُوا بِهِمَا ، وَحَكَمُوا الرِّجَالَ فِي دِينِهِمْ ، وَنَحْنُ عَلَى الشُّخُوصِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْخَلْقِ » . ١٥

فقال شُرَيْحٌ : « أَنْذِرْ أَصْحَابَكَ . وَأَعْلِمِهِمْ خُرُوجَكَ ، ثُمَّ اخْرُجْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ حَتَّى نَأْتِيَ الْمَدَائِنَ ، فَتَنْزِلُهَا ، وَنُرْسِلَ إِلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِالْبَصْرَةِ ، فَيَقْدِمُوا عَلَيْنَا ، فَتَسْكُنَ أَيْدِيهِمْ مَعَ أَيْدِينَا » . ٢٠

(١) البرنس كل ثوب رأسه منه ملزق به ، درّاعة كان أو مطرا أو جبة ، وقال الجوهري ، البرنس : قلنسوة كبيرة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

فقال يزيد بن حُصَيْن الطائي : « إنكم إن خرجتم بجماعتكم طلبتم ، ولكن اخرجوا فرادى مستخفين ؛ فأما المدائن فإن بها من يمنع منها ، ولكن تواعدوا أن توافوا جسر النهر وان ، فتقيموا هناك ، وتكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة أن يوافوكم بها . قالوا : « هذا الرأي » . فاتفقوا على ذلك ، وأنذروا جميعا أصحابهم ، فاستعدوا للخروج فرادى ، وكتبوا إلى من كان منهم بالبصرة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن وهب ، ويزيد بن الحُصَيْن ، وخرقوص بن زهير ، وشريح ابن أبي أوفى إلى من بلغه كتابنا بالبصرة من المؤمنين المسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإننا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، الذي جعل أحبَّ عباده إليه أعمالهم بكتابهم ، وأقوامهم بالحق في طاعته ، وأشدَّهم اجتهدا في مَرْضَاتِهِ ، وإن أهل دعوتنا حَكَمُوا الرجال في أمر الله ، فحَكَمُوا بغير ما في كتاب الله ولا في سُنَّة نبيِّ الله ، فكفروا لذلك ، وصدّوا عن سواء السبيل ، وقد نابذناهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ، أما بعد ، فقد اجتمعنا بجسر النهر وان ، فسيروا إلينا رحمكم الله لتأخذوا نصيبكم من الأجر والثواب ، وتأمرُوا بالمروف وتنهوا عن المنكر ، وكتابنا هذا إليكم مع رجل من إخوانكم ذي أمانة ودين ، فَسَأُوهُ عَمَّا أَحْبَبْتُمْ ، واكتبوا إلينا بما رأيتم ، والسلام » . ثم وَجَّهُوا كتابهم مع عبد الله بن سعد العَبْسِيّ ، فساد حتى البصرة ، وأوصل الكتاب إلى أصحابه ، فاجتمعوا فقرأوه ، ثم كتبوا إليهم بوشك موافاتهم .

ثم إن القوم خرجوا من الكوفة عباديد ، الرجل والرجلين والثلاثة ، وخرج يزيد بن الحُصَيْن على بئلة يقود فرسا ، وهو يتلو هذه الآية ^(١) : « فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ، قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » . وساد حتى انتهى إلى السَّيْب ^(٢) ، فاجتمع

(١) سورة القصص الآية العشرون .

(٢) السَّيْب : مجرى الماء ويطلق لفظ السببة الآن على ناحية في العراق على الضفة اليسرى من شط العرب قبالة مدينة عبادان الإيرانية .

إليه جمع كثير من أصحابه ، وفيهم زيد بن عدي بن حاتم ، فخرج عدي في طلب ابنه حتى انتهى إلى المدائن ، فلم يلحقه ، فأتى سعد بن مسعود الثقفي ، وكان سعد عامل على المدائن ، فأخذ حذره ، وتحماه القوم .

- وخرج عبد الله بن وهب الراسبي في جوف الليل ، والتأم إليه جميع أصحابه ، فصاروا جمعا كبيرا منهم ، فأخذوا على الأنبار ، وتبطنوا شط الفرات حتى عبروا من قبل « دَيْر الماقول » فاستقبله عدي بن حاتم ، وهو منصرف إلى الكوفة ، فأراد عبد الله أخذه ، فمنعه منه عمرو بن مالك النبهاني وبشير بن يزيد البولاني ، وكانا من رؤساء الخوارج ، فاستخلف سعد بن مسعود على المدائن ابن أخيه ، المختار ابن أبي عبيد ، وخرج في طلب عبد الله بن وهب وأصحابه ، فلقاهم بكرخ ببغداد مع مغيب الشمس ، وسعد في خمسمائة فارس ، والخوارج ثلاثون رجلا ، فتناوشوا ساعة ، فقال أصحاب سعد لسعد : « أيها الأمير ، ما تريد إلى قتال هؤلاء ، ولم يأتك فيهم أمر ؟ خلّ سبيلهم ، واكتب إلى أمير المؤمنين تلمّحه أمرهم » ، فمضى وتركهم .

- وسار عبد الله بن وهب ، فر ببغداد ، وأخذ دهاقينها بالمعابر ، وذلك قبل أن تبنى بغداد ، فأتاه الدهقان بها ، فمير إلى أرض « جوحى » ثم مضى من هناك حتى انضم إلى أصحابه ، وهم بنهروان^(١) ، ووافاهم من كان على رأيهم من أهل البصرة ، وكانوا خمسمائة رجل .

[قتال الخوارج^(٢)]

- وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن العباس ، فلما بلغه خروجهم وجّه في طلبهم أبا الأسود الدّيلي في ألف فارس ، فلاحقهم بجسر كُستَر ، وحال بينهم الليل ، ففاتوه .

(١) بلد في العراق واقعة بين بغداد وواسط ، وقد حدثت فيها الواقعة بين علي بن أبي طالب والخوارج سنة ٦٥٨ م .

(٢) كان في سنة ٣٩ هـ (٦٥٩) .

وكانوا في جميع مسيرهم لا يلقون أحدا إلا قالوا له : « ما تقول في الحكمين ؟ » فإن تبرأ منهما تركوه ، وإن أبى قتلوه .

ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى دجلة ، فعبروها من ناحية صريفين^(١) حتى وافوا نهروان ، فكتب إليهم علي رضي الله عنه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن وهب الراسبيّ ويزيد بن الحُصَيْن ومَنْ قبلهما ، سَلَامٌ عليكم ، فإن الرجاين اللذين ارتضيناها للحكومة خالفا كتاب الله ، واتبعوا هواها بغير هُدًى من الله ، فلما لم يعملوا بالسنة ولم يحكموا بالقرآن تبرأنا من حكمهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فأقبلوا إلى رحمتكم الله ، فإننا سائرنا إلى عدونا وعدوّكم ، لنعود لمحاربتهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين » .

فلما وصل إليهم كتابه ، كتبوا إليه : « أما بعد ، فإنك لم تغضب لربك ، ولكن غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك أنك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين ، واستأنفت التوبة والإيمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع إليك ، وإن تكن الأخرى ، فإننا ننايذك على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين » .

فلما فرأى على كتابهم ، يئس منهم ، ورأى أن يدعهم على حالهم ، ويسير إلى الشام ، ليعاود معاوية الحرب ، فسار بالناس حتى عسكر بالأنخيّلة ، وقال لأصحابه : « تأهبوا للمسير إلى أهل الشام ، فإنّي كاتب إلى جميع إخوانكم ليقدموا عليكم ، فإذا وافوا شخصنا إن شاء الله » .

ثم كتب كتابه إلى جميع عمّاله أن يخلفوا خلفاءهم على أعمالهم ، ويقدموا عليه ، وكتب إلى عبد الله بن عباس ، وكان على البصرة : « أما بعد ، فإننا قد عسكرنا بالأنخيّلة ، وقد أزمعنا على المسير إلى عدونا ، إلى أهل الشام ، فاشخص إلى فيمن قبلك حين يأتيك كتابي والسلام » .

فقدم عليه عبد الله بن عباس في فرسان البصرة ، وكانوا زهاء سبعة آلاف رجل

(١) قرية من قرى الكوفة .

فلما تهيأ للمسير أتاه عن الخوارج أخبار فظيمة، من قتلهم عبد الله بن خباب وامراته .
وذلك أنهم لقوها، فقالوا لهما : « أرضيتما بالحكمين ؟ » قالا : « نعم » . فقتلوهما،
وقتلوا أم سنان الصيداوية ، واعتراضهم الناس يقتلونهم . فلما بلغه ذلك بعث إليهم
الحارث بن مرة الفقمسي ليأتيه بخبرهم ، فأخذوه ، فقتلوه .

٥ فلما بلغ الناس ذلك اجتمعوا إلى عليّ ، فقالوا : « يا أمير المؤمنين ، أدع هؤلاء
على ضلاتهم وتسير ، فيفسدوا في الأرض ، ويعترضوا الناس بالسيف ؟ سرّ إليهم
بالناس ، وادعهم إلى الرجوع إلى الطاعة والجماعة ، فإن تابوا وقبلوا فإن الله
يحب التوابين ، وإن أبوا فآذنهم بالحرب ، فإذا أرخت الأمة منهم سرت إلى
الشام » .

١٠ فنأدى في الناس بالرحيل ، وسار حتى ورد عليهم نهر وان ، فعسكر على فرسخ
منهم ، وأرسل إليهم قيس بن سعد بن عبادة ، وأبا أيوب الأنصاريّ ، فأتياهم ،
فقالا : « عباد الله ، إنكم قد ارتكبتم أمرا عظيما باستمراضكم الناس تقتلونهم ،
وشهادتكم علينا بالشرك ، والشرك ظلم عظيم » .

فأجابهما عبد الله بن السخبري ، فقال : « إليكما عنا ، فإن الحق قد أضاء لنا كالصبح ،
ولسنا بمتابعيكم ولا راجعين إليكم ، أو تأتوا بمنزل عمر بن الخطاب » . فقال قيس بن
١٥ سعد « مانعرفه فينا إلا عليّ بن أبي طالب فهل تعرفونه فيكم ؟ » قالا : « لا » . قال :
« فأشهدكم الله في أنفسكم أن تهلكوها ، فإنني أرى الفتنة قد دخلت قلوبكم » .

ثم تكلم أبو أيوب بنحو هذا ، فقالوا : « يا أبا أيوب ، إننا إن بايعناكم
اليوم حكمتم غداً آخر » .

٢٠ قال : « فإننا ننشدكم الله أن تعجّبوا فتنة العام مخافة ما نأتى به في قابل » .
قالوا : « إليكما عنا ، فقد نابذناكم على سواء » .

فانصرفا إلى عليّ ، فأخبراه حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامه ، فنأدى :
« أيتها العصاة التي أخرجتها الأجاجّة ، وصدها عن الحق الهوى ، فأصبحت

في لبس وخطأ ، إني نذير لكم أن تتمادوا في ضلالتكم فتتلفوا مصرعين من غير بينة من ربكم ولا برهان ، ألم تعلموا أني شرطت على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله؟ وأخبرتكم أن طلب القوم الحكومة مكيدة ، فلما أيتهم إلا الحكومة شرطت عليهم أن يحييا ما أحيا القرآن ، ويميتا ما أمات القرآن ، نخالفنا الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبتذنا أمرها ، ونحن على أمرنا الأول ، فأين يتأه بكم ، ومن أين أتيتهم ؟ » .

فقالوا : « إنا كفرنا حين رضيينا بالحكمين ، وقد تبنا إلى الله من ذلك ، فإن تبنت كما تبنا فنحن معك ، وإلا فائذن بحرب ، فإننا منابذوك على سواء » . فقال لهم عليّ : « أشهد على نفسي بالكفر .. !! لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين » . ثم قال : « ليخرج إلى رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول ، فإن وجبت على الحجة أقررت لكم وتبنت إلى الله ، وإن وجبت عليكم فاتقوا الذي مرّدكم إليه » .

فقالوا لعبد الله بن الكواء ، وكان من كبرائهم : « اخرج إليه حتى تهاجه » ، فخرج إليه .

فقال عليّ : « هل رضيتم ؟ » .

قالوا : « نعم » .

قال : « اللهم اشهد ، فكفى بك شهيدا » .

فقال عليّ رضي الله عنه : « يا ابن الكواء ، ما الذي نقمت على بعد رضاكم بولايتي وجهادكم معي وطاعتكم لي ؟ فهل أبرئتم مني يوم الجمل ؟ » .

قال ابن الكواء : « لم يكن هناك تحكيم » .

فقال عليّ : « يا ابن الكواء ، أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » .

قال ابن الكواء : « بل رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال : « فما سمعت قول الله عز وجل : « قُلْ تَمَلَّؤُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ، وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ » . أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون ؟ » .

قال : « إن ذلك احتجاج عليهم ، وأنت شككت في نفسك حين رضيت بالحكمين ، فنحن أخرى أن نشكّ فيك » .

قال : « وإن الله تعالى يقول : فائتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، أتبعه » .

٥ قال ابن الكواء : « ذلك أيضاً احتجاج منه عليهم » .

فلم يزل على عليه السلام يُحاجّ ابن الكواء بهذا وشبهه ؛ فقال ابن الكواء : « أنت صادق في جميع ما تقول ، غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين » .

قال على : « ويحك يا ابن الكواء ، إني إنما حكمت أبا موسى وحده وحكم معاوية عمراً » .

١٠ قال ابن الكواء : « فإن أبا موسى كان كافراً » .

فقال على : « ويحك ، متى كفر ، أحين بعثته أم حين حكم ؟ » .
قال : « لا ، بل حين حكم » .

قال : « أفلا ترى أني إنما بعثته مسلماً ، فكفر في قولك بعد أن بعثته ؟ أرايت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من المسلمين إلى أناس من الكافرين ، ليدعوهم إلى الله ، فدعاهم إلى غيره ، هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء ؟ » .
قال : « لا » .

قال : « ويحك ، فما كان على إن ضلّ أبو موسى ؟ أفيحلّ لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس ؟ » .
٢٠ فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكواء : « انصرف ودع مخاطبة الرجل » .

فانصرف إلى أصحابه ، وأبى القوم إلا التماسى في الفتى .

وأمر على بالنداء في الناس أن يأخذوا أهبّة الحرب ، ثم عتي جنوده ، فوّلّى
اليمينه حُجْر بن عديّ ، ووّلّى اليسرة شَبَث بن رِئِمى ، ووّلّى الخيل أبا أيوب
الأنصارى ، ووّلّى الرّجالة أبا قتادة .

واستمدّ الخوارج فجعلوا على ميمنتهم يزيد بن حصّين ، وعلى يسرتهم شُرَيْح
ابن أبي أوفى العبّسى - وكان من نسّاكهم - وعلى الرّجالة حرقوص بن زهير ،
وعلى الخيل كلها عبد الله بن وهب .

ورفع على راية ، وضمّ إليها ألّى رجل ، ونادى : « من التجأ إلى هذه الرّاية
فهو آمن » .

ثم تواقف الفريقان ، فقال فرّوة بن نوّفل الأشجى - وكان من رؤساء
الخوارج - لأصحابه : « يا قوم ، والله ما ندرى ، علّام نقاتل عليّاً ، وليست لنا في
قتله حُجّة ولا بيان ، يا قوم ، انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو أتباعه » .

فترك أصحابه في مواقفهم ، ومضى في خمسمائة رجل حتى أتى إلى البندِ نِيجَين^(١) ،
وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة ، واستأمنَ إلى الرّاية منهم ألف رجل ،
فلم يبق مع عبد الله بن وهب إلا أقلُّ من أربعة آلاف رجل .

فقال على لأصحابه : « لا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم » ؛ فتنادت الخوارج :
« لا حُكْمَ إلا لله ، وإن كرهَ المشركون » . ثم شدّوا على أصحاب علىّ شدة
رجل واحد ، فلم تثبت خيل علىّ لشدّتهم ، واقتربت الخوارج فرقتين ، فرقة
أخذت نحو اليمين ، وفرقة أخرى نحو اليسرة .

وعطف عليهم أصحاب علىّ ، وحملَ قيس بن معاوية البرجُمى من أصحاب علىّ
على شُرَيْح بن أبي أوفى ، فضربه بالسيف على ساقه ، فأبانها ، فجعل يُقاتل برجله
واحدة وهو يقول : « الفحل يحمى شَوْلَه مَعْقُولاً »^(٢) ، فحملَ عليه قيس
ابن سعد فقتله ، وقتلت الخوارج كلها رِبْضَةً^(٣) واحدة .

(١) بلدة مشهورة في طرف النهران من ناحية الجبل ، وهى من أعمال بغداد .

(٢) عقل الفحل : ثنى وظيفه مع زراعته وشدّها في وسط الذراع والشول : جمع شائل وهو

الناقة اللاقح التى تشول بذنبها آية لفاحتها . (٣) مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة .

قال : وأمر عليّ بن منبه ذارمق أن يُدفعوا إلى عشائهم ، وأمر
بأخذ ما كان في معسكرهم من سلاح ودواب ، فقسمه في أصحابه ، وأمر بما سوى
ذلك ، فدفع إلى ورّائهم .

فلما أراد عليّ الانصراف من النهروان قام في أصحابه ، فقال : « أيها الناس ،
إن الله قد نصركم على المارقين ، فتوجهوا من قوركم هذا إلى القاسطين » يعني
أهل الشام ، فقام إليه رجال من أصحابه ، فيهم الأشعث بن قيس ، فقالوا :
« يا أمير المؤمنين ، نفذت نبأنا ، وكنت سيوفنا ، ونصّلت أسنة رماحنا ،
فارجع بنا إلى مصرنا ، لنستعدّ بأحسن عدتنا » .

فرحل بالناس حتى نزل النخيلة ، فمسكر بها ، فأقاموا أياماً ، فجعلوا يتسلّون
إلى الكوفة ، فلم يبق معه في المعسكر إلا زهاء ألف رجل من الوجوه .
فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، فأقام بها ، وسار فروة بن نوفل بمن كان
معه إلى خلوان ، فجعل ينجي خراجها ويقسمه في أصحابه .

[نهاية علي بن أبي طالب]

قالوا ولما رأى عليّ رضي الله عنه تتأقل أصحابه أهل الكوفة عن السير معه إلى
قتال أهل الشام ، وانتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار ، وقتلهم مسلحة على بها
والنارة عليها ، كتب كتاباً ، ودفعه إلى رجل ، وأمره أن يقرأه على الناس يوم الجمعة
إذا فرغوا من الصلاة ، وكانت نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى شيعته من أهل الكوفة ،
سلام عليكم ، أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، من تركه ألّسه الله الذلّة
وشمله بالصغار ، وسيم الخسف وسيل^(١) الضيم ، وإن قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم
ليلاً ونهاراً وسيراً وجهاراً ، وقلت لكم ، اغزؤهم قبل أن يغزؤكم ، فإغزى قوم في
عقر دارهم إلا ذلّوا واجترأ عليهم عدوهم ، هذا أخو بني عامر قد ورد الأنبار ، وقتل

(١) كذا في الأصل ، وفي روايات أخرى « ومنع النصف » .

ابن حستان البكري ، وأزال مسالحكم عن مواضعها ، وقتل منكم رجلا صالحين ، وقد بلغني أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والأخرى الماهدة^(١) ، فينزِع حِجْلَهَا^(٢) من رجلها ، وقلائدُها من عنقها ، وقد انصرفوا موفورين ، ما كَلِمَ رجل منهم كَلِمًا ، فلو أن أحدا مات من هذا أسفا ما كان عندي مَلُومًا ، بل كان جديرًا ؛ يا عجبًا من أمرِ ميت القلوب ، ويحتلب الهمَّ ويسمرُّ الأحران من اجتماع القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، فَبَعْدًا لَكُمْ وَسُخْقًا ، قد ضرتهم غَرَضًا ، تَرْمُونُ وَلَا تَرْمُونُ ، وَيُنَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَيُعَصِّي اللَّهُ فِتْرَتُونَ ، إذا قلت لكم سيروا في الشتاء قلتم كيف نفروا في هذا القُرِّ والصَّرِّ^(٣) . وإن قلت لكم سيروا في الصيف قلتم حتى ينصرم عنا حارة القيظ ، وكل هذا فرار من الموت ، فإذا كنتم من الحرِّ والقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السِّيفِ أَفْرَ ، والذي نفسى بيده ، ما من ذلك تهربون ، ولكن من السيف تحيدون ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام الأطفال وعقول ربّات الحِجَالِ ، أما والله لو دِدْتُ أن الله أخرجني من بين أظهركم وَقَبَضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ ، ووددت أن لم أركم ولم أعرفكم ، فقد والله ملأتم صُدْرِي غِيظًا ، وَجَرَّعْتُمُونِي الْأَمْرَيْنِ أَنْفَاسًا ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ ، حتى قالت قُرْبَشُ :
 ١٥ إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . لله أبوهم ، هل كان فيهم رجل أشدَّ لها مِرَاسًا وأطولَ مُقَاسَاةً مِنِّي ؟ ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا [ذا] اليوم قد جنتُ السَّيِّئَ . لا ، ولكن لا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعَ .

فقام إليه الناس من كل ناحية ، فقالوا : « سِرْ بِنَا ، فوالله لا يتخلف عنك إلا ظَنِين » .
 ٢٠ فأمر الحارث الهمداني بالنداء في الناس أَنْ يُصْبِحُوا غَدًا فِي الرَّحْبَةِ^(٤) ، ولا يأتينا إلا صادق النية .

فلما أصبح صَلَّى الغداة ، وأقبل إلى الرَّحْبَةِ ، فلم يَرِ فيها إلا نحو من ثلاثمائة

(١) هي التي لها عهد من أهل الذمة . (٢) الحجل بالكسر الخلل .
 (٣) القر والصر شدة البرد . (٤) الرحبة : مدينة موقعها على الفرات الأوسط .

- رجل ، فقال : « لو كانوا أوفاء لكان لي فيهم رأيٌ » .
 فكث بعد ذلك يومين ، بكاء حزنه ، شديد كآبته .
 فقام إليه حُجْر بن عَدِيّ ، وسعيد بن قيس الهمدانيّ ، فقالا : « اجبر
 الناس على السير ، ونادِ فيهم ، فَمَنْ تَخَلَّفَ ، فَمُرْ بِمُعَابَتِهِ » . فأمر مناديا ،
 فنَادَى في الناس : « لا يتخلفن أحد » ، وأمر معقل بن قيس أن يسير في الرّسّاتيق^(١) .
 فلا يدع أحداً من جنوده فيها إلا حشره . فلم ينصرف معقل بن قيس إلا بعد ما
 قُتِلَ على رضى الله عنه .

[مقتل على بن أبي طالب]

- قالوا : واجتمع في العام^(٢) الذي قُتِلَ فيه على رضى الله عنه بالموسم عبد الرحمن
 ابن مُلْجَم المراديّ ، والنّزّال بن عامر ، وعبد الله بن مالك الصيّداويّ ، وذلك
 بعد وقعة النهر بأشهر ، فتذكروا ما فيه الناس من تلك الحروب ، فقال بعضهم
 لبعض : « ما الراحة إلا في قتل هؤلاء النفر الثلاثة : على بن أبي طالب ، ومعاوية
 ابن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص » .
 فقال ابن مُلْجَم : « على قتلُ عليّ » .
 وقال النّزّال : « وعلى قتلُ معاوية » .
 وقال عبد الله : « وعلى قتلُ عمرو » .
 فاتمّدوا لليلة واحدة ، يقتلونهم فيها .
 وأقبل عبد الرحمن حتى قدم الكوفة ، فخطب إلى قَاطَم ابنتها الرّباب ،
 وكانت قَاطَم ترى رأى الخوارج ، وقد كان على قتل أبها وأخاها وعمها يوم النهر ،
 فقالت لابن مُلْجَم :
 « لا أزوّجك إلا على ثلاثة آلاف درهم ، وعبد ، وقينة ، وقتل على
 ابن أبي طالب » .
 فأعطاه ذلك وأملكها .

(١) كلمة فارسية معربة جمع رستاق وهو السواد من الأرض .

(٢) سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) .

وكان ابن مُلْجَمٍ يجلس في مجلس تَئِيمِ الرباب من صلاة الغداة إلى ارتفاع النهار ، والقوم يفيضون في السلام ، وهو ساكت ، لا يتكلم بكلمة ، لِلَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ من قتل عليّ .

٥ نخرج ذات يوم إلى السوق متقلداً سيفه ، قرت به جنازة يشيعها أشراف العرب ، ومعها القسيسون يقرءون الإنجيل ، فقال : « ويحكم ، ماهذا ؟ » فقالوا : « هذا أَبَجَر بن جابر العجليّ مات نصرانيا ، وابنه حَجَّار بن أيجر سيّد بكر ابن وائل ، فاتبعها أشراف الناس لسؤدد ابنه ، واتبعها النصارى لدينه » .

فقال : « والله لولا أني أبقى نفسي لأمر هو أعظم عند الله من هذا لاستمرضتهم بسيفي » . فلما كانت تلك الليلة تقلد سيفه ، وقد كان سمّه ، وقعد مُغلّساً ينتظر أن يمرّ به عليّ رضي الله عنه مقبلاً إلى المسجد لصلاة الغداة . ١٠

فبينما هو في ذلك إذ أقبل عليّ ، وهو ينادى : « الصلاة أيها الناس » فقام إليه ابن مُلْجَمٍ ، فضربه بالسيف على رأسه ، وأصاب طرفُ السيف الحائط ، فنَاقَمَ فيه ، ودُهِشَ ابن مُلْجَمٍ ، فانكبّ لوجهه ، وبدر السيف من يده ، فاجتمع الناس ، فأخذوه ، فقال الشاعر في ذلك :

١٥ وَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْجُسَامِ الْمُصَمَّمِ
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتَكِ ابْنِ مُلْجَمٍ
وَحُمِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وأدخل عليه ابن مُلْجَمٍ .

٢٠ فقالت له أم كلثوم ابنة عليّ : « يا عدو الله ، أقتلت أمير المؤمنين ؟ » .

قال : « لم أقتل أمير المؤمنين ، ولكني قتلت أباك » .

قالت : « أما والله إنني لأرجو ألا يكون عليه بأس » .

قال : « فعلام تبكين إذن ؟ أما والله لقد سممتُ السيف شهرا ، فإن أخلفني أبعد الله » .

فلم يُمسِ عليّ رضي الله عنه يومه ذلك حتى مات رحمه الله ورضي عنه .

[القِصَاص]

فدعا عبد الله بن جعفر بابن مُلَجَم ، فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه ،
فجعل يقول :

« إنك يا ابن جعفر لتكحل عينيَّ بِمُلْمُولٍ مَضٍّ ^(١) » .

ثم أمر بلسانه أن يُخْرَجَ لِيُقَطَعَ ، فجزع من ذلك .
فقال له ابن جعفر :

« قطعنا يديك ورجليك ، وسملنا عينيك ، فلم تجزع ، فكيف تجزع من
قطع لسانك ؟ » .

قال : « إني ما جزعت من ذلك خوفاً من الموت ، ولكنني جزعت أن أكون
حَيًّا في الدنيا ساعة لا أذكر الله فيها » ، ثم قُطِعَ لسانه ، فمات .

[محاولة قتل معاوية]

وأقبل النزال بن عامر في تلك الليلة حتى قام خلف معاوية وهو يُصَلِّي بالناس
الغداة ، ومعه خنجر ، فَوَجَّاهُ ^(٢) به في إلتيته ، وكان معاوية عظيم الإلتيتين ،
فَأَخِذَ ، فقال لمعاوية : « أَهْلُ قَتَاتِكَ يَأْذُونَ الله ؟ » .

فقال معاوية : « كلا ، يا ابن أخي » .

فأمر به معاوية ، فَقَطَعَتْ يداه وَرِجْلَاهُ ، وَنُزِعَ لسانه ، فمات .
ودعا بطبيب فأمره أن يقطع ما حَوْلَ الْوَجَّاهِ من اللحم ، خوفاً من أن يكون
الخنجر مسموماً .

فَنَ يَوْمَئِذٍ اتَّخَذَتِ الْقَاصِرُ فِي الْجَوَامِعِ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثِقَاتُهُ
وَأَحْرَاسُهُ ، وَاتَّخَذَ أَيْضاً مِنْ يَوْمَئِذٍ حُرَّاسَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ إِذَا سَجَدَ بِالنَّاسِ جَعَلَ
عَلَى رَأْسِهِ عَشْرَةَ مِنْ ثِقَاتِ أَحْرَاسِهِ ، يَقُومُونَ مِنْ خَلْفِهِ بِالسُّيُوفِ وَالْمَعَدِ .

[محاولة قتل عمرو بن العاص]

وأما عبد الله بن مالك الصَّيِّدَاوِيُّ فإنه أتى مصر ، فلما كان في تلك الليلة قام

(١) أي بمكحل حار محرق . (٢) ضربه .

حيال المحراب ، ومعه مشمل^(١) قد اشتمل عليه بئياه ، فأصاب عمرأ في تلك الليلة مَنَس^(٢) في بطنه ، فأمر رجلا من بني عامر بن لوئى أن يخرج فيصلى بالناس . فتقدّم مغلسا ، فلم يشكّ عبد الله أنه عمرو ، فلما سجد ضربه بالسيف من ورائه فقتله ، فقيل له : « إنك لم تقتل الأمير » ، قال : « فما ذنبى ، والله ما أردت غيره » . فأمر به عمرو فقتل .

[مبايعة الحسن بن على]

قال : ودُفنَ على رضى الله عنه ، وصلى عليه الحسن ، وكبرَ خمسا ، فلا يعلم أحد أين دُفن .

قالوا : ولما توفى على رضى الله عنه خرج الحسن إلى المسجد الأعظم ، فاجتمع الناس إليه ، فبايعوه ؛ ثم خطب الناس ، فقال : « أفعَلْتُمُوهَا ؟ قَتَلْتُمْ أمير المؤمنين ، أما والله لقد قُتِلَ في الليلة التي نزل فيها القرآن ، ورُفِعَ فيها الكتاب ، وجَفَّ القلم ، وفي الليلة التي قُبِضَ فيها موسى بن عمران ، وعُرجَ فيها بعيسى » .

[زحف جيوش معاوية]

قالوا : ولما بلغ معاوية قتل على تجهّز ، وقدّم أمامه عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، فأخذ على عَيْن التَّمَر^(٣) ، ونزل الأنبار يريد المدائن ، وبلغ ذلك الحسن بن على ، وهو بالكوفة ، فسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، فلما انتهى إلى ساباط رأى من أصحابه فشلا وتواكلا عن الحرب ، فنزل ساباط ، وقام فيهم خطيبا ، ثم قال : « أيها الناس ، إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضَغِينَة ،

(١) المشمل : السيف القصير ، يشتمل عليه الرجل فينطيه بثوبه .

(٢) المنس : لغة في المنس ، وهو وجع وتقطع يأخذ في البطن .

(٣) ناحية في العراق من أعمال قضاء كربلاء .

وإني ناظرٌ لكم كمنظري لنفسي ، وأرى رأياً فلا تردُّوا عليّ رأيي ، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة ، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب ، وفشل عن القتال ، ولست أرى أن أحلكم على ما تكرهون .

- فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض ، فقال من كان معه ممن يرى رأي الخوارج : « كَفَرَ الحسن كما كفر أبوه من قبله » ، فَشَدَّ عليه نعر منهم ، فانزعوا مُصَلَّاه من تحته ، وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه ^(١) عن عاتقه ، فدعا بقرسه ، فركبها ، ونادى : « أين ربيعة وحمدان ؟ » فتبادروا إليه ، ودفَعوا عنه القوم .
- ثم ارتحل يريد المدائن ، فكمن له رجل ممن يرى رأي الخوارج ، يسمي الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط ، فلما حاذاه الحسن قام إليه يَمْغُولٍ ^(٢) فطعنَه في فخذه .
- وحمل على الأسدَى عبد الله بن حَظَل وعبد الله بن طَبييان ، فقتلاه .

١٠

ومضى الحسن رضى الله عنه مُتَخَفًا حتى دخل المدائن ، ونزل القصر الأبيض ، وغُولِجَ حتى برأ ، واستمد للقاء ابن عامر .

- وأقبل معاوية حتى وَاَقَى الأنبار ، وبها قَيْس بن سعد بن عُبَادَة من قِبَل الحسن ، فحاصره معاوية ، وخرج الحسن فواقف عبد الله بن عامر ، فنَادَى عبد الله بن عامر : « يا أهل المراق ، إني لم أرَ القتال ، وإنما أنا مقدِّمة معاوية ، وقد وَاَقَى الأنبار في جموع أهل الشام فأقرئوا أبا عبد - يعني الحسن - مني السلام ، وقولوا له : أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك » .

١٥

فلما سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال ، وترك الحسن الحرب ، وانصرف إلى المدائن ، وحاصره عبد الله بن عامر بها .

(١) الطرف واحد المطارف وهي أردية من خز مربعة لها أعلام .

(٢) المغول : سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليقتال به الناس .

[مبايعة معاوية بالخلافة]

ولما رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل إلى عبد الله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية على أن يسلم له الخلافة ، وكانت الشرائط : ألا يأخذ أحداً من أهل العراق بإخنة ، وأن يؤمن الأسود والأحمر ، ويحتمل ما يكون من هفواتهم ، ويجعل له خراج الأهواز مسلماً في كل عام ، ويحمل إلى أخيه الحسين بن علي في كل عام ألفي ألف ، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس . ٥

فكتب عبد الله بن عامر بذلك إلى معاوية ، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه ، وختّمه بخاتمه ، وبذل عليه له اليهود الركبة والأيمان المغلظة ، وأشهد على ذلك جميع رؤساء الشام ، ووجه به إلى عبد الله بن عامر ، فأوصله إلى الحسن رضى الله عنه ، فرضى به ؛ وكتب إلى قيس بن سعد بالصلح ، ويأمره بتسليم الأمر إلى معاوية ، والانصراف إلى الدائن . ١٠

فلما وصل الكتاب بذلك إلى قيس بن سعد قام في الناس ، فقال : « أيها الناس ، اختاروا أحد الأمرين ، القتال بلا إمام ، أو الدخول في طاعة معاوية » . فاختاروا الدخول في طاعة معاوية .

فسار حتى وافي الدائن ، وسار الحسن بالناس من الدائن حتى وافي الكوفة ، ووافاه معاوية بها ، فالتقيا ، فوكد عليه الحسن رضى الله عنه تلك الشروط والأيمان . ثم سار الحسن بأهل بيته حتى وافي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخذ معاوية أهل الكوفة بالبيعة ، فبايعوا ، واستعمل عليهم المغيرة بن شعبه ، وسار منصرفاً في جموعه إلى الشام ، فكث المغيرة بن شعبه على الكوفة من قبل معاوية تسع سنين حتى مات بها . ٢٠ ١٥

[زياد بن أبيه]

وكان زياد بن أبيه إنما يعرف بزياد بن عُبَيْد ، وكان عبيد مملوكا لرجل من ثَقِيف ، فتزوج سُمَيَّة ، وكانت أمة للحارث بن كَلْدَةَ ، فأعتقها ، فولدت له زيادا ، فصار حُرًّا ، ونشأ غلاما كَفَنَّا ذَهْنًا ، عاقلا أدبيا ، فأخرجه المغيرة بن شعبة معه إلى البصرة حين وَلِيَهَا من قَبْلِ عمر بن الخطاب ، فاستكتبه المغيرة .

٥

فلما ولي عليّ بن أبي طالب وَلِيَّ زيادا أرض فارس ، فلما توجه إلى صفين كتب معاوية إلى زياد يتوعده ، فقام زياد في الناس ، فقال : « إن ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب إليّ يتوعدني ، وبينى وبينه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسمين ألف مُدَجِّج من شيعته ، أما والله لئن رامني ليجدني ضَرَّابا بالسيف » .

١٠

فلما قُتِلَ عليّ ، واستدْفَ الأمر لمعاوية تحصّن زياد بقلعة مدينة إصطخر ، وكتب معاوية له أمانا على أن يأتيه ، فإن رضى ما يُعطيه ، وإلا رَدَّه إلى مُتَحَصِّنِهِ بتلك القلعة .

فسار إلى معاوية ، وترقت به الأمور إلى أن ادّعاه معاوية ، وزعم للناس أنه ابن أبي سفيان ، وشهد له أبو مريم السُّلُويّ - وكان في الجاهلية ختارا بالطائف - أن أبا سفيان وقع على سُمَيَّة بعد ما كان الحارث أعتقها ، وشهد رجل من بني المُصْطَلِق ، اسمه يزيد ، أنه سمع أبا سفيان يقول : « إن زيادا من نُظْفَةِ أَقْرَاهَا في رحم أمة سُمَيَّة ، فم ادعأوه إياه . وكان في ذلك ما كان .

١٥

وأمر معاوية زيادا أن يسير إلى الكوفة إلى أن يرد عليه أمره ، فسار زياد حتى قدم الكوفة ، وعليها المغيرة بن شعبة ، فنزل دار سلمان بن ربيعة الباهليّ ، ووافاه كتاب معاوية بولاية البصرة ، فسار إليها .

٢٠

فلما وافاها قصد المسجد الجامع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إنه قد كانت بيني وبين قوم أحقاد ، وقد جعلتها تحت قدمي ، ولست أؤاخذ أحدا

بمداوة ، ولا أهتك له قناعاً حتى يبدى لى صفحته ، فإذا أبداها لم أنظره ، فمن كان منكم مُحْسِنًا فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مُسِيئًا فليقلع عن إساءته ، وأعينونا رحمكم الله بالسمع والطاعة » . ثم نزل .

فلبث على البصرة حَوَليْن حتى مات المنيرة ، فكتب إليه معاوية بولاية الكوفة مع البصرة ، فسار إليها .

قالوا : وكان أول من لقي الحسن بن عليّ رضي الله عنه ، فندّمه على ما صنع ، ودعاه إلى رد الحرب حُجْرُ بن عَدِيٍّ ، فقال له « يا بن رسول الله ، لوددت أنى مُتَّ قبل ما رأيت ، أخرجتنا من العَدَل إلى الجور ، فتركنا الحق الذي كنا عليه ، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه ، وأعطينا الدِّنيّة من أنفسنا ، وقبلنا الخَسيّة التي لم تَلِقْ بنا » .

فاشقتد على الحسن رضي الله عنه كلام حُجْر ، فقال له « إني رأيت هوى عَظُمَ الناس في الصّلاح ، وكرهوا الحرب ، فلم أحبّ أن أحملهم على ما يكرهون ، فصالحْتُ بُقِيًّا على شيعتنا خاصّة من القتل ، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يومٍ ما ، فإن الله كل يومٍ هو في شأن » .

قال : فخرج من عنده ، ودخل على الحسين رضي الله عنه مع عُبيدة بن عمرو ، فقالا : « أبا عبد الله ، شريتم الذلّ بِالْعِزِّ ، وقبِلتم القليل ، وتركتم الكثير ، أطمعنا اليوم ، واغصنا الدَّهْر ، دَعِ الحسن وما رأى من هذا الصّلاح ، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها ، ووَلِّني وصاحبي هذه المقدمة ، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نُقَارِعُه بالسيوف » .

فقال الحسين : « إنّنا قد بايعنا وعاهدنا ، ولا سبيل إلى نقض بَيْعَتنا » .

وزوى عن عليّ بن محمد بن بشير الهمدانيّ ، قال : خرجتُ أنا وسفيان ابن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة ، فدخلنا عليه ، وعنده السيِّب بن نَجَبَة .

وعبد الله بن الودّك التميمي ، وسراج بن مالك الخثعمي ، فقلت : « السلام عليك يا مُذِلّ المؤمنين » ، قال : « وعليك السلام ، اجلس ، لست مُذِلّ المؤمنين ، ولكني مُعزّهم » ، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ، ونكولهم عن القتال ، ووالله لئن سِرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بُدّاً من إفضاء هذا الأمر إليه .

قال : ثم خرجنا من عنده ، ودخلنا على الحسين ، فأخبرناه بما رَدّ علينا ، فقال : « صدق أبو محمد ، فليكن كل رجل منكم جِلْساً^(١) من أحلاس بيته ، ما دام هذا الإنسان حيّاً » .

[موت الحسن بن علي]

- ١٠ ثم إن الحسن رضي الله عنه اشتكى بالمدينة ، فَثَقُلَ ، وكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة له ، فأرسل إليه ، فَوَافَى ، فدخل عليه ، فجلس عن يساره ، والحسين عن يمينه ، ففتح الحسن عينه ، فرآها ، فقال للحسين : يا أخي ، أوصيك بمحمد أخيك خيراً ، فإنه جلدة ما بين العيينين » ثم قال : « يا محمد ، وأنا أوصيك بالحسين ، كَانْفَهُ وَوَاِزْرَهُ » .
- ثم قال « ادفنوني مع جدّي صلى الله عليه وسلم ، فَإِنْ مُنِعْتُمْ فَالْبَقِيع »^(٢) .
- ١٥ ثم تُوُفِّيَ ، فنع مروان أن يُدْفَنَ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فَدُفِنَ في البقيع . وبلغ أهل الكوفة وفاة الحسن ، فاجتمع عظامهم فكتبوا إلى الحسين رضي الله عنه يعزونه .

- وكتب إليه جَعْدَة بن هُبَيْرَة بن أبي وهب ، وكان أحضهم^(٣) حُبّاً ومَوَدَّةً : « أما بعد ، فإن مَن قَبَلْنَا من شيعتك مُتَطَلِّعَةً أَنفُسُهُمْ إِلَيْكَ ، لَا يَعْدِلُونَ بك أحداً ، وقد كانوا عرفوا رأى الحسن أخيك في دفع الحرب ، وعرفوك باللين لأوليائك ، والفِلْظَةَ على أعدائك ، والشَّدَّةَ في أمر الله ، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا ، فقد وطنّا أنفسنا على الموت معك »

(١) الرجل المألوس هو المريمس الملازم ، ويقال فلان جلس من أحلاس البيت للذي لا يبرح البيت . (٢) موضع فيه أروم شجر من ضروب شتى ، وهو مقبرة بالمدينة . (٣) في نسخة محضهم ، وأعضه الود وعحضه له أخلصه وصدقه .

فكتب إليهم : « أما أخى فأرجو أن يكون الله قد وفقه ، وسدّده فيما يأتى ؛
وأما أنا فليس رأيت اليوم ذلك ، فالصقوا رحمكم الله بالأرض ، واكنزوا فى البيوت ،
واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّاً ، فلن يُحدث الله به حدّنا وأنا حيّ ؛ كتبت
إليكم برأى والسلام » .

وانتهى خبر وفاة الحسن إلى معاوية - كتب به إليه عامله على المدينة مروان -
فأرسل إلى ابن عباس ، وكان عنده بالشام - قدم عليه وافداً - فدخل عليه ، فعزّاه ،
وأظهر الثمالة بموته ، فقال له ابن عباس : « لا تَسْمَنَّ بموته ، فوالله لا تلبث
بعده إلا قليلاً » .

[بين معاوية وعمر بن العاص]

١٠ قالوا : وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وهو على مصر ، قد قبضها
بالشرط الذى اشترطه على معاوية : « أما بعد ، فإن سُؤال أهل الحجاز ، وزُوار
أهل العراق قد كثروا علىّ ، وليس عندى فضل من أعطيات الجنود ، فأعنيّ
بخراج مصر هذه السنة » .

فكتب إليه عمرو :

١١ مُعَاوِيَ إِنْ تُدْرِكْكَ نَفْسٌ شَجِيحَةٌ فَمَا وَرَثَتْنِي مِصْرَ أُمِّي وَلَا أَبِي
وَمَا نِلْتُمَا عَفْوًا وَلَكِنْ شَرَطْتُمَا وَقَدْ دَارَتْ الْحَرْبُ الْعَوَانَ عَلَى قُطْبِ
وَلَوْلَا دِفَاعِي الْأَشْعَرِيَّ وَصَحْبِهِ لَا لَفَيْتُمَا تَرَعُو كَرَاغِيَةَ السَّقْبِ^(١)

فلما رجع الجواب إلى معاوية تذمّم ، فلم يُعاوِده فى شيء من أمرها .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر ساعة تضعه أمه .

قالوا : وقد كان معاوية حلفاً على الكوفة حين شخص منها المغيرة بن شعبة ، فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب فحَصَّبَهُ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، وكان من شيعة عليٍّ ، في نفر من أصحابه ، فنزل مُسْرِعاً من المنبر ، ودخل قصر الإمارة ، وبعث إلى حُجْرٍ بخمسة آلاف درهم تَرْضَاهُ بها . فقيل للمغيرة : « لِمَ فعلت هذا ، وفيه عليك وَهَنٌ وَغَضَاضَةٌ ؟ » فقال : « قد قتلته بها » .

فلما مات المغيرة وجمع معاوية لزياد الكوفة إلى البصرة ، كان يقيم بالبصرة ستة أشهر ، وبالكوفة مثل ذلك ، فخرج في بعض خُرُجَاتِهِ إلى البصرة ، وخلف على الكوفة عمرو بن حُرَيْثَ المَدَوِيِّ ، فصعد عمرو بن حُرَيْثُ ذات جمعة المنبر ليخطب ، وقعد له حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وأصحابه فحَصَّبُوهُ^(١) ، فنزل من المنبر ، فدخل القصر ، وأغلق بابه .

وكتب إلى زياد يخبره بما صنع حُجْرٌ وأصحابه ، فركب زياد البريد حتى وافى الكوفة ، ودخل المسجد ، وأخرج له سريره من القصر ، فجلس عليه ، فكان أوَّل من دخل عليه من أشراف الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس ، فسلم عليه بالإمرة . فقال زياد : « لاسلم الله عليك ، انطلق فَأَتِنِي بَابِنِ عَمِكَ السَّاعَةَ » .

قال محمد بن الأشعث : « مالي وَلِحُجْرٍ ، إنك لتعلم التَّبَاعُدَ بَيْنَنَا » . فقال له جرير بن عبدالله : « أنا آتيك بِحُجْرٍ أَيُّهَا الأمير ، على أن تجعل له الأمان ، وألا تعرض له حتى يلتقي معاوية ، فيرى فيه رأيه » . قال : « قد فعلت » .

فأقبل به إلى زياد ، فأمر بحبسه ، وأمر بطلب أصحابه الذين كانوا معه ، فَأَتَى بِهِمْ ، فوجههم جميعاً إلى معاوية مع مائة رجل من الجند ، فأنشأت أم^(٢) حُجْرٍ تقول :

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ تَرْفَعُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
أَلَا يَا حُجْرُ حَجْرُ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّتْكَ الْبَشَارَةُ وَالشُّرُورُ
وَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ عَمِيدٍ قَوْمٍ مِنْ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكَ يَصِيرُ

(١) رموه بالحصاة ، الحجارة والحصى

(٢) وقيل : ابنته هي التي قالت الأبيات (في نسخة أخرى) .

وبعث زياد بثلاثة نفر من الشهود ، ليشهدوا عنده بما فعل حُجْر وأصحابه ، منهم أبو بُرْدَة بن أبي موسى ، وشُرَيْح بن هاني الحارثي ، وأبو هُنَيْدَة (١) القينى .

فأتوا معاوية ، وشهدوا عليهم بحضبتهم عمرو بن حُرَيْث ، فأمر معاوية بهم ، فَقَتَلُوا ، فدخل مالك بن هُبَيْرَة على معاوية فقال : « يا أمير المؤمنين ، أسأت في قتلك هؤلاء النفر ، ولم يكونوا أخذتوا ما استوجبوا به القتل » . فقال معاوية : « قد كنت هممت بالمفو عنهم إلا أن كتاب زياد ورد علىّ يعلمنى أنهم رؤساء الفِتنَة ، وأنى متى قتلهم اجتثت الفِتنَة من أصلها »

ولما قتل حُجْر بن عَدِيّ وأصحابه استفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعاً شديداً ، وكان حُجْر من عظماء أصحاب علىّ ، وقد كان علىّ أراد أن يؤليه رياسة كندة ، ويمزل الأشعث بن قيس ، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار (٢) ، فأبى حُجْر بن عَدِيّ أن يتولّى الأمر والأشعث حتى .

فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة إلى الحسين بن علىّ ، فأخبروه الخبر ، فاسترجع وشق عليه ، فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن علىّ ، وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم ، فترقّى الخبر إليه ، فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجلاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، وهم مُقِيمُونَ عنده يختلفون إليه ، فاكتب إلى بالذى ترى .

فكتب إليه معاوية : « لا تعرض للحسين فى شيء ، فقد بايعنا ، وليس بناقض بيمتنا ولا مُخَفِّر ذِمَّتِنَا » .

وكتب إلى الحسين : « أما بعد ، فقد انتهت إلى أمور عنك لست بها حريّاً ،

(١) فى نسخة : هبيدة .

(٢) المرار : شجر صر ، وآكل المرار كان فى نفر من أصحابه فى سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم .

لأنَّ مَنْ أُعْطِيَ صَفَقَةً يَمِينَهُ جَدِيرٌ بِالْوَفَاءِ ؛ فاعلم رحمك الله أنى متى أنكرتك تستنكرنى ، ومتى تكذبنى أكذلك ، فلا يستغفر لك السفهاء الذين يحبون الفتنة والسلام .

فكتب إليه الحسين رضى الله عنه : « ما أريد حربك ، ولا الخلاف عليك » .

- قالوا : ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءاً فى أنفسهما ولا مكروها ، ولا قطعَ عنهما شيئاً مما كان شرطَ لهما ، ولا تغيّرَ لهما عن يرة .

قالوا : ومكث زياد على المصرين أربع سنين ، فحضرته الوفاة عند ما مضى من خلافة معاوية ثلاث عشرة سنة ، وذلك سنة ثلاث وخمسين .

فكتب إلى معاوية : « أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وأنا فى آخر يوم من الدنيا

- ١٠ وأول يوم من الآخرة ، وقد وليت الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، ووليت البصرة سمرة بن جندب الفزارى ، والسلام »

ف قيل له : « لِمَ لا تولّى ابنك عبّيد الله أحد المصرين ؟ وليس بدون واحد من هذين » .

فقال : « إن يك فيه خير فسيسبق إلى ذلك عمه معاوية » ، ثم مات ،

- ١٥ وصلى عليه ابنه عبّيد الله بن زياد ، ودُفِنَ فى مقابر قريش .

فتولى عبد الله بن خالد بن أسيد الكوفة ثمانية أشهر ، وكتب معاوية إلى عبّيد

الله بن زياد بولاية البصرة ، وعزّل عبد الله بن خالد عن الكوفة ، واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصارى .

[موت معاوية]

- ٢٠ قالوا : ولما دخلت سنة ستين مرض معاوية مرضه الذى مات فيه ، فأرسل إلى ابنه يزيد ، وكان غائباً عن مدينة دمشق ، فلما أبطلأ عليه دعا الضحّاك بن قيس

الفهرزي ، وكان على شُرطه ، ومسلم بن عُقْبَة ، وكان على حرسه ؛ فقال لها :
 « أبلغنا يزيد وصيتي ، واعلماه أني أمره في أهل الحجاز أن يُكْرِمَ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ
 منهم ، وَيَتَعَهَّدَ مَنْ غَابَ عَنْهُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَصْلُهُ ؛ وَإِنِّي أَمَرُهُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ
 أَنْ يَرْفُقَ بِهِمْ وَيُدَارِيَهُمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ زَلَّاتِهِمْ ؛ وَإِنِّي أَمَرُهُ فِي أَهْلِ الشَّامِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ
 عَيْنِيهِ وَبَطَانَتِهِ ، وَالْأَلَا يُطِيلَ حَبْسَهُمْ فِي غَيْرِ شَأْمِهِمْ ، لئَلَّا يَجْرُوا^(١) عَلَى أَخْلَاقِ غَيْرِهِمْ .
 واعلماه أني لست أخاف عليه إلا أربعة رجال : الحسين بن علي ،
 وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير . فأما الحسين
 ابن علي فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يُخْرِجُوهُ ، فَإِنْ فَعَلَ ، فَظَفَرْتُ بِهِ ،
 فاصفح عنه ، وأما عبد الله بن عمر فإنه رجل قد وَقَدَّتْهُ الْعِبَادَةُ ، وليس بطالب
 للخلافة إلا أن تأتيه عفواً ؛ وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس له في نفسه
 من النَّبَاهَةِ وَالذِّكْرِ عِنْدَ النَّاسِ مَا يُمْكِنُ طَلَبُهَا ، وَيَحَاوِلُ التَّمَسُّكَ بِهَا إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُ عَفْواً ؛
 وأما الذي يَجْئُكَ لَكَ جُثُومَ الْأَسَدِ ، وَيُرَاوِعُكَ رَوَّاعَانِ الشَّعْلِ ، فَإِنْ أُمَكَّنْتَهُ فُرْصَةً
 وَتَبَّ فذاك عبد الله بن الزبير ، فَإِنْ فَعَلَ وَظَفَرْتُ بِهِ ، فَقَطَعْتُهُ إِرْبَاباً إِرْبَاباً إِلَّا أَنْ
 يَلْتَمِسَ مِنْكَ صُلْحاً ، فَإِنْ فَعَلَ فَاقْبَلْ مِنْهُ ، وَاحْقِنْ دِمَاءَ قَوْمِكَ بِجَهْدِكَ ، وَكُفَّ
 عَادِيَتَهُمْ بِنَوَالِكَ ، وَتَغَمَّدْهُمْ بِحِلْمِكَ » .

ثم قدم عليه يزيد ، فأعاد عليه هذه الوصية ؛ ثم قضى .
 فأقبل الضحَّاك بن قيس حتى أتى المسجد الأعظم ، فعصم المنبر ، ومعه
 أكنافان معاوية ، فقال : « أيها الناس ، إن معاوية بن أبي سفيان كان عبداً
 من عباد الله ، ملكه على عبادته ، فماش بقدر ومات بأجل ، وهذه أكنافه
 كما ترون ، نحن مُدْرِجُوهُ فِيهَا وَمُدْخِلُوهُ قَبْرَهُ ، وَنُحَلِّقُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، فَمَنْ
 أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَشْهَدَ جَنَازَتَهُ فَلْيَخْضَرْ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ » . ثم نزل .
 وتفرق الناس حتى إذا صلوا الظهر اجتمعوا وأصلحوا جهازه ، وحملوه حتى
 واروه .

(١) في الأصل : يمسروا .

[مبايعة يزيد]

وانصرف يزيد فدخل الجامع ، ودعا الناس إلى البَيْعَةِ ، فبايعوه ، ثم انصرف إلى منزله .

- ومات معاوية وعلى المدينة الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري ، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد .

فلم تكن ليزيد همّة إلا بَيْعَةِ هؤلاء الأربعة نفر ، فكتب إلى الوليد بن عُتْبَةَ يأمره أن يأخذهم بالبَيْعَةِ أَخْذًا شَدِيدًا لَا رُخْصَةَ فِيهِ ؛ فلما وَرَدَ ذلك على الوليد قطع به وخاف الفِتْنَةَ ، فبعث إلى مروان ، وكان الذي بينهما مُتَبَاعِدًا ، فَأَتَاهُ ، فَأَقْرَأَهُ الوليد الكتاب واستشاره .

فقال له مروان : « أَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَلَا تَخَافَنَّ نَاحِيَتَهُمَا ، فَلَيْسَا بِطَالِبَيْنِ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمَا السَّاعَةَ ، فَإِنْ بَايَعَا وَإِلَّا فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا قَبْلَ أَنْ يُعْلَنَ الْخَبْرُ ، فَيُثَبِّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَاحِيَةً ، وَيُظْهِرَ الْخِلَافَ » .

- فقال الوليد لعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان حاضرا — وهو حينئذ غلام حين رَآهُ — : « انطلق يا بُنَيَّ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ، فَادْعُهُمَا . فَانْطَلِقِ الْغُلَامُ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا هُوَ بِهِمَا جَالِسَيْنِ ، فَقَالَ : « أَجِيبَا الْأَمِيرَ » . فَقَالَا لِلْغُلَامِ : « انطلق ، فَإِنَّا صَائِرَانِ إِلَيْهِ عَلَى إِثْرِكَ » . فَانْطَلِقِ الْغُلَامُ . فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ لِلْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « فِيمَ تَرَأَوْا بَعَثَ إِلَيْنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ » . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : « أَحْسَبُ مَعَاوِيَةَ قَدْ مَاتَ ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا لِلْبَيْعَةِ » . قَالَ ابْنُ الزَّيْرِ : « مَا أَظُنُّ غَيْرَهُ » . وانصرفا إلى منازلهما .

فَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَجَمَعَ نَفَرًا مِنْ مَوَالِيهِ وَغُلَمَانِهِ ، ثُمَّ مَشَى نَحْوَ دَارِ الْإِمَارَةِ ، وَأَمَرَ فِتْيَانَهُ أَنْ يَجْلِسُوا بِالْبَابِ ، فَإِنْ سَمِعُوا صَوْتَهُ اقْتَحَمُوا الدَّارَ .

ودخل الحسين على الوليد ، وعنده مروان ، فجلس إلى جانب الوليد ، فأقرأه الوليد الكتاب ، فقال الحسين : « إِنَّ مِثْلِي لَا يَمْعَلُ بِمِثْمَةِ سِرًّا ، وَأَنَا طَوَّعَ يَدِيكَ ، فَإِذَا جَمَعْتَ النَّاسَ لَذَلِكَ حَضَرْتُ ، وَكُنْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ » .

وكان الوليلا رجلاً يُحِبُّ العَافِيَةَ ، فقال للحسين : « فأنصرف إذن حتى تأتينا مع الناس » ، فأنصرف .

فقال مروان للوليد : « عَصَيْتَنِي ، وَوَاللَّهِ لَا يَمَكِّنُكَ مِنْ مِثْلِهِ أَبَدًا » .

قال الوليد : « وَيْحَكَ ، أَتَشِيرُ عَلَيَّ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؟ وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي يُحَاسِبُ بَدَمَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلِيفَ الْمِيزَانِ عِنْدَ اللَّهِ » .

١٠ وتحرَّزَ ابنُ الزبير في منزله ، ورَاوَعَ الوليدَ حتى إذا جَنَّ عليه الليل سار نحو مكة ، وتَنَكَّبَ الطريقَ الأعظمَ فأخذ على طريق الغُرْعِ .

ولما أصبح الوليد بلغه خبره ، فوجه في إثره حبيب بن كُوَيْنٍ في ثلاثين فارساً ، فلم يَقْعُوا له على أثر ، وشغلوا يومهم ذلك كله بطلب ابن الزُّبَيْرِ .

١٥ فلما أمسوا ، وأظلم الليل مضى الحسين رضى الله عنه أيضاً نحو مكة ، ومعه أختاه : أم كلثوم ، وزينب وولد أخيه ، وإخوته أبو بكر ، وجعفر ، والمُبَاس ، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحَنَفِيَّةَ ، فإنه أقام .

وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بأيام إلى مكة . وجعل الحسين رضى الله عنه يطوى النازل ، فاستقبله عبد الله بن مُطِيع ، وهو منصرف من مكة يريد المدينة ، فقال له : « أين تريد ؟ » .

٢٠ قال الحسين : « أما الآن فمكة » .

قال « خار^(١) الله لك ، غير أنى أحب أن أشير عليك برأى » .

قال الحسين « وما هو ؟ » .

قال : إذا أتيت مكة فأردت الخروج منها إلى بلد من البلدان ، فأياك والكوفة ، فإنها بلدة مشنومة ، بها قُتِلَ أبوك ، وبها خُذِلَ أخوك ، واغْتِيلَ بطعنة كادت

(١) جعل لله الخير .

تأتى على نفسه ؛ بل الزم الحرّم ، فإن أهل الحجاز لا يعدلون بك أحدا ، ثم ادعُ إليك شيعتك من كل أرض ، فسيأتونك جميعا .

قال له الحسين : « يقضى الله ما أحب » .

ثم أطلق عنانه ، ومضى حتى وَاَقَى مكة ، فنزل شعب على ، واختلف الناس إليه ، فكانوا يجتمعون عنده حَلَقًا حَلَقًا ، وتركوا عبد الله بن الزُّبَيْر ، وكانوا قبل ذلك يتحفلون إليه ؛ فساء ذلك ابن الزُّبَيْر ، وعلم أن الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد ، فكان يَخْتَلِف إلى الحسين رضى الله عنه صباحا ومساء .
ثم إن يزيد عزل يحيى بن حكيم بن صَفْوَان بن أُمَيَّة .

[أهل الكوفة والحسين]

١٠ قالوا : ولا بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن على إلى مكة اجتمع جماعة من الشيعة في منزل سليمان بن صُرَد ، واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم ، ليسلموا الأمر إليه ، ويطردوا النعمان بن بشير ، فكتبوا إليه بذلك ؛ ثم وجهوا بالكتاب مع عُبيد الله بن سُبَيْع الهمدانيّ وعبد الله بن وَدَّاح السُّلَميّ ، فوافوا الحسين رضى الله عنه بمكة لعشر خالون من شهر رمضان ، فأوصلوا الكتاب إليه .

ثم لم يُنَسِّ الحسين يومه ذلك حتى ورد عليه بشر بن مُسَهَّر الصَّيْدَاوِيّ ، وعبد الرحمن بن عُبيد الأرحبيّ ، ومعهما خمسون كتابا من أشرف أهل الكوفة ورؤسائها ؛ كل كتاب منها من الرجلين والثلاثة والأربعة بمثل ذلك .

فلما أصبح وافاه هاني بن هاني السُّبَيْميّ وسعيد بن عبد الله الخثعميّ ، ومعهما أيضا نحو من خمسين كتابا .

٢٠ فلما أمسى أيضا ذلك اليوم ورد عليه سعيد بن عبد الله الثَّقَفِيّ ومعه كتاب واحد من شَبَث بن رُبَيْع ، وَحَجَّار بن أَتَجَر ، ويزيد بن الحارث ، وَعَزْرَة بن قَيْس ، ومرو ابن الحجاج ، ومجد بن عُثْمَر بن عَطَّارِد . وكان^(١) هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة . فتتابعت عليه في أيام رُسُل أهل الكوفة [و] من الكتب ما ملأ منه خُرَجَان^(٢) .

(١) في الأصل : وكانوا . (٢) الحرج بالضم وعاء ذو شقين ، يوضع على ظهر الدابة ، ويتخذ المسافر ليضع فيه أحماله ؛ والجمع أخراج .

فكتب الحسين إليهم جميعا كتابا واحدا ، ودفعه إلى هاني بن هاني ، وسعيد ابن عبد الله ، نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليّ إلى مَنْ بلغه كتابي هذا ، من أوليائه وشيعته بالكوفة ، سَلَامٌ عليكم ، أما بعد ؛ فقد أتنى كتبكم ، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدمي عليكم ، وإني بآئتي إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي « مُسلم بن عَقِيل » ليعلم لي كُنه أمركم ، ويكتب إليّ بما يتبين له من اجتماعكم ، فإن كان أمركم على ما أتنى به كتبكم ، وأخبرتني به رسلكم أسرع القدوم عليكم إن شاء الله ، والسلام . »

وقد كان مسلم بن عَقِيل خرج معه من المدينة إلى مكة ، فقال له الحسين عليه السلام : « يا ابن عمّ ، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة ، فتتظّر ما اجتمع عليه رأي أهلها ، فإن كانوا على ما أتنى به كتبهم ، فمَجَّلْ عليّ بكتابك لأسرع القدوم عليك ، وإن تسكن الأخرى ، فمَجَّلْ الانصراف . »

فخرج مسلم على طريق المدينة لِيُليِمَ بأهله ، ثم استأجر دَلِيلَيْن من قَيْس ، وسار ، فضَلَّ ذات ليلة ، فأصبحا ، وقد تَأَهَّآ ، واشتد عليهما العطش والحرّ ، فانقطعا ، فلم يستطعا الشئ ، فقالا لمسلم : « عليك بهذا السَّمت ، فالزمه لعلك أن تنجو . »

فتركهما مسلم ومن معه من خدمه ' بمحاشاة الأنفس حتى أفضوا إلى طريق فلزموه ، حتى وردوا الماء ، فأقام مسلم بذلك الماء .

وكتب إلى الحسين مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء ، يخبره خبره ، وخبر الدَّالِيلَيْن ، وما من الجهد ، ويُعلِّمه أنه قد تَطَيَّرَ من الوجه الذي توجّه له ، ويسأله أن يُعْفِيَه ويوجّه غيره ، ويخبره أنه مقيم بمنزله ذلك من بطن الحُرْبُ^(١) .

فسار الرسول حتى وَاقَى مكة ، وأوصل الكتاب إلى الحسين ، فقرأ وكتب في جوابه : « أما بعد ، فقد ظننت أن الجُبْنَ قد قصّر بك عما وجهتُك به ، فأمضِ لما أمرتُك فإني غير مُعْفِيك ، والسلام . »

(١) البطن : الموضع النامس من الوادي ، والبطون كثيرة ؛ والحرب نبت أسود وزهرته بيضاء ، وهو من أطيب المراعى .

[مسلم في الكوفة]

فسار مسلم حتى وَاقَى الكوفة ، ونزل في الدار التي تُعرَف بدار المختار بن أبي عُبَيْدَة ، ثم عرفت اليوم بدار المُسَيَّب .

- فكانت الشيعة تختلف إليه ، فيقرأ عليهم كتاب الحسين ؛ ففشا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها ، فقال : « لا أَقَاتِلُ إِلَّا مَنْ فَاتَلَنِي ، ولا أُنَبِّإُ إِلَّا عَلَى مَنْ وَثَبَ عَلَيَّ » ، ولا آخذ بالقرعة^(١) والظنة ، فَمَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ وَنَكَثَ بَيْعَتَهُ ضَرْبَتَهُ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي ، ولو لم أكن إلا وحدي . وكان يحب العافية ويفتخم السلامة .

- فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمار بن عُقْبَة - وكانا عَيْنِي يزيد بن معاوية - إلى يزيد يُعْلِمَانِهِ قدوم مسلم بن عَقِيل الكوفة دَاعِيًا لِلْحُسَيْن بن علي ، وأنه قد أفسد قلوب أهلها عليه ، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادرْ إليه من يقوم بأمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ؛ فإن النعمان رجل ضعيف أو مُتَضَاعِف ، والسلام .
- فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بهد ، فكتب لِعُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد على الكوفة ، وأمره أن يبادر إلى الكوفة ، فيطالب مسلم بن عَقِيل طلب الحرزة حتى يظفر به ، فيقتله ، أو ينفيه عنهما ؛ ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهليّ أَبِي قُتَيْبَةَ بن مسلم ، وأمره ١٥ بإفخاذ السَّيْرِ . فسار مسلم حتى وَاقَى البصرة ، وأوصل الكتاب إلى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد . وقد كان الحسين بن علي رضي الله عنه كتب كتابا إلى شيعته من أهل البصرة مع مَوْلى له يسمى « سَلْمَان » نسخته :

- « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من الحسين بن عليّ إلى مالك بن مِسْمَع ، والأحنف ابن قَيْس ، والمنذر بن الجارود ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، سلام عليكم ؛ أما بعد ، فإنني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البِدْع ، فإن تَجِيبُوا تَهْتَدُوا سُبُلَ الرِّشَاد ، والسلام . »

فلما أتاهم هذا الكتاب كَتَمُوهُ جميعا إلا المنذر بن الجارود ، فإنه أفضاه ، لتزويجه ابنته هنداً من عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد ، فأقبل حتى دخل عليه ، فأخبره

بالكتاب ، وحكى له ما فيه ، فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول ، فطلبوه ، فأتوه به ، فضربت عنقه .

ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم ، فاجتمع له الناس ، فقام ، فقال : « أَنْصَفَ الْقَارَةَ ^(١) مَنْ رَامَاهَا ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي مَعَ الْبَصْرَةِ الْكُوفَةِ ، وَأَنَا سَائِرُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ خَلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي عُثْمَانَ بْنَ زِيَادٍ ، فَأَيُّكُمْ وَالْخِلَافَ وَالْإِرْجَافَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، لئن بلغني عن رجل منكم خَالَفَ أَوْ أَرْجَفَ لَأَقْتُلَنَّهُ وَوَلِيِّهِ ، وَلَأَخَذَنَّ الْأَدْنَى بِالْأَقْصَى ، وَالْبَرَىءَ بِالسَّقِيمِ حَتَّى تَسْتَقِيمُوا ، وَقَدْ أَعْذَرْتُ مِنْ أَنْذَرِ » . ثُمَّ نَزَلَ ، وَسَارَ .

وخرج معه من أشراف أهل البصرة شريك بن الأعور والنذر بن الجارود ، فسار حتى وَاقَى الْكُوفَةَ ، فدخلها ، وهو مُتَلَتِّمٌ .

وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وقدومه ، فكان لا يمرّ ابن زياد بجماعة إلا ظنوا أنه الحسين فيقومون له ، ويدعون ويقولون : « مَرْحَبًا بِابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ » .

فنظر ابن زياد من تباشيرهم بالحسين إلى ما ساءه ، وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم ، ونُودِيَ فِي النَّاسِ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَصَعِدَ الْمَنْبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي مَصْرَكُمْ ، وَقَسَمَ فَيْشُكُمْ فِيكُمْ ، وَأَمَرَنِي بِإِنْصَافِ مَظْلُومِكُمْ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى سَامِعِكُمْ وَمَطِيعِكُمْ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى

(١) القارة : قوم رُمّة من العرب ، وفي المثل : قد أنصف القارة من رامها ، وقد زعموا أن رجلين النخيا ، أحدهما فارى والآخر أسدى ، فقال الفارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال اخترت المراماة ، فقال الفارى : قد أنصفتني وأنشد :

قد أنصف القارة من رامها إذا ما نثتة نلقاها

نرد أولاهنا على أخراها

ثم انتزع له سهما فشك فؤاده .

عاصيكم ومُربيكم ، وأنا مُنتَه في ذلك إلى أمره ، وأنا لمُطيعكم كالوالد الشَّفيق ،
ولمُخالفتكم كالسُّمِّ النَّقِيع ، فلا يَبْقَيْن أحد منكم إلا على نفسه » .

ثم نزل ، فأقَى القصر ، فنزله ، وارتمل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام .

وبلغ مسلم بن عَقِيل قدوم عُبَيْد الله بن زياد وانصراف النعمان ، وما كان من

خطبة ابن زياد ووعيده ، نخاف على نفسه .

نفرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة حتى أتى دار هانيء بن وَرْقَةَ المَذْحِجِيّ ،

وكان من أشرف أهل الكوفة ، فدخل داره الخارجة ، فأرسل إليه وكان في دار

نسائه ، يسأله الخروج إليه ، فنرج إليه .

وقام مسلم ، فسلم عليه ، وقال :

« إني أتيتك لتجبرني وتضييفني » .

فقال له هانيء :

« لقد كلّفتني شَطَطًا بهذا الأمر ، ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف

عني ، غير أنه قد لزمني ذمامٌ لذلك » .

فأدخله دار نسائه ، وأفرد له ناحية منها .

وجعلت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء .

وكان هانيء بن عُرْوَةَ مواصلاً لشريك بن الأعور البصريّ الذي قام مع

ابن زياد ، وكان ذا شرفٍ بالبصرة وخطر ، فانطلق هانيء إليه حتى أتى به منزله ،

وأنزله مع مسلم بن عَقِيل في الحُجْرة التي كان فيها .

وكان شريك من كبار الشيعة بالبصرة ، فكان يبحث هانئًا على القيام بأمر مسلم ،

وجعل مسلم يبائع من أتاه من أهل الكوفة ، ويأخذ عليهم المهود والمواثيق

المؤكدة بالوفاء .

ومرض شريك بن الأعور في منزل هانيء بن عروة مرضاً شديداً ، وبلغ ذلك عُبيد الله بن زياد ، فأرسل إليه يُعلمه أنه يأتيه عائداً .

فقال شريك لمسلم بن عقيل : « إنما غابتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية ، وقد أمكنك الله منه ، هو صائرٌ إلى ليعودني ، فقم ، فادخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندى ، فاخرج إليه ، فقاتله ، ثم صرّ إلى قصر الإمارة ، فاجلس فيه ، فإنه لا ينازعك فيه أحد من الناس ، وإن رزقني الله العافية صرّت إلى البصرة ، فكفّيتك أمرها ، وبايع لك أهلها » .

فقال هانيء بن عروة : « ما أحبّ أن يُقتل في دارى ابن زياد » .

فقال له شريك : « ولم ؟ فوالله إن فتله لقرّبان إلى الله » .

ثم قال شريك لمسلم : « لا تُصّر في ذلك » .

فبينما هم على ذلك إذ قيل لهم : « الأمير بالباب » .

فدخل مسلم بن عقيل الخزانة ، ودخل عُبيد الله بن زياد على شريك ، فسلم

عليه ، وقال :

« ما الذى تجد وأشكوك ؟ » .

فلما طال سؤاله إياه استبطأ شريك خروج مسلم ، وجعل يقول ، ويسمع

مُسَلِّماً :

مَا تَنْظُرُونَ بِسَامَى عِنْدَ فُرْصَتَيْهَا فَقَدْ وَفَى وَدَّهَا ، وَاسْتَوْسَقَ الصَّرَمُ (١)

وجعل يردد ذلك .

فقال ابن زياد لهانيء : « أَيْهَجُرُ ؟ » - يعنى يهذى - .

قال هانيء : « نعم ، أصلح الله الأمير ، لم يزل هكذا منذ أصبح » .

ثم قام عُبيد الله وخرج ، فخرج مسلم بن عقيل من الخزانة ، فقال شريك :

« ما الذى منمك منه إلا الجبن والفشل ؟ » .

(١) استوسق الأمر إذا أمكن ، والصرم : الطائفة المجتمعة من القوم .

قال مسلم : « منعى منه خِلْتَان : إحداهما كراهية هانىء لقلقه فى منزله ، والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الإيمان في يد الفتك ، لا يفتك مؤمن » .

فقال شريك : « أما والله لو قتلتك لاستقام لك أمرك ، واستوسق لك سلطانك » .

ولم يمش شريك بعد ذلك إلا أياما ، حتى توفى ، وشيَّع ابن زياد جنازته ، وتقدم فصلى عليه .

ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتى بايمه منهم ثمانية عشر ألف رجل فى ستر ورفق .

١٠ وخفي على عبيد الله بن زياد موضع مسلم بن عقيل ، فقال لمولى له من أهل الشام يسمى مغللا ، وناولته ثلاثة آلاف درهم فى كيس ، وقال : « خذ هذا المال ، وانطلق ، فالتمس مسلم بن عقيل ، وتأت له بناية التأتى » .

فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الأعظم ، وجعل لا يدري كيف يتأتى الأمر . ثم إنه نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى سارية من سوارى المسجد ، فقال فى نفسه : « إن هؤلاء الشيعة يكثررون الصلاة ، وأحسب هذا منهم » .

١٥ فجلس الرجل حتى إذا انقضى من صلاته قام ، فدنا منه ، وجلس ، فقال : « جُعِلَتْ فِدَاكَ ، إني رجل من أهل الشام ، مولى لدى الكلاع ، وقد أنعم الله على بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب من أحبهم ، ومضى هذه الثلاثة الآلاف^(١) درهم ، أحب إيصالها إلى رجل منهم ، بلغنى أنه قدم هذا المضر داعية للحسين بن علي عليه السلام ، فهل تدلنى عليه لأوصل هذا المال إليه ؟ ليستعين به على بعض أموره ، ويضعه حيث أحب من شيعته » .

٢٠ قال له الرجل : « وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيرى ممن هو فى المسجد ؟ » .

(١) فى الأصل : آلاف .

قال : « لأنى رأيت عليك سيما الخير ، فرَجَوْتُ أن تكون ممن يَتَوَلَّى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال له الرجل : « ويحك ، قد وقعت على بعينك ، أنا رجل من إخوانك ، واسمى مُسلم بن عَوْسَجَةَ ، وقد سِرَرْتُ بك ، وساءنى ما كان من حسبي قبلك ، فإنى رجل من شيعة أهل هذا البيت ، خَوْفًا من هذا العَلَاغِيَةِ ابن زياد ، فأُعْطِنى ذِمَّة الله وعهده أن تَكْتُمَ هذا عن جميع الناس » .
فأعطاه من ذلك ما أراد .

فقال له مُسلم بن عَوْسَجَةَ : « انصرف يومك هذا ، فإن كان غد فائتني فى منزلى حتى أنطلق معك إلى صاحبنا - يعنى مُسلم بن عَقِيل - فأوصلك إليه » .
ففى الشامى ، فبات ليلته ، فلما أصبح غَدًا إلى مُسلم بن عَوْسَجَةَ فى منزله ، فانطلق به حتى أدخله إلى مُسلم بن عَقِيل ، فأخبره بأمره ، ودفع إليه الشامى ذلك المال ، وبأيمه .

فكان الشامى يَغْدُو إلى مُسلم بن عَقِيل ، فلا يُحْجَب عنه ، فيكون نهاره كله عند ، فَيَتَعَرَّفَ جميع أخبارهم ، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عُبَيْد الله ابن زياد ، فأخبره بجميع قصصهم ، وما قالوا وفعلوا فى ذلك ، وأعلمه نزول مُسلم فى دار هانىء بن عُرْوَةَ .

ثم إن محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة دخلا على ابن زياد مُسلمين ، فقال لهما :

« ما فعل هانىء بن عُرْوَةَ ؟ » .

فقالا : « أيها الأمير ، إنه عَليْلٌ منذ أيام » .

فقال ابن زياد : « وكيف ؟ وقد بلغنى أنه يجلس على باب داره عامة نهاره ، فما يمنعه من إتياننا ، وما يجب عليه من حق النسليم ؟ » .
قالا : « سنعلمه ذلك ، ونخبره باستبطائك إياه » .

فخرجوا من عنده ، وأقبلوا حتى دخلا على هاني بن عروة ، فأخبراه بما قال لهما
ابن زياد ، وما قالوا له ، ثم قالوا له :

« أقسمنا عليك إلا قت معنا إليه الساعة لتسل سخيمة ^(١) قلبه » .

فدعا بينفلته ، فركبها ، ومضى معهما ، حتى إذا دنا من قصر الإمارة خبئت

نفسه .

٥

فقال لهما :

« إن قلبي قد أوجس من هذا الرجل خيفة » .

قالا : « ولم تحدث نفسك بالخوف وأنت برىء الساحة ؟ » .

فمضى معهما حتى دخلا على ابن زياد ، فأنشأ ابن زياد يقول متمثلاً :

أَرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ
قال هاني : « وما ذاك أيها الأمير ؟ » .

قال ابن زياد : « وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم بن عقيل ، وإدخالك إياه

منزلك ، وجمك له الرجال ليبياعوه ؟ » .

فقال هاني : « ما فعلت ، وما أعرف من هذا شيئاً » .

فدعا ابن زياد بالشامي ، وقال : « يا غلام ، ادع لي معقلاً » .

١٥

فدخل عليهم .

فقال ابن زياد لهاني بن عروة : « أتعرف هذا ؟ » .

فلما رآه علم أنه إنما كان عَيْنًا عليهم .

فقال هاني : « أَمَدُكَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إني والله ما دَعَوْتُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ ،

وما شعرت به » . ثم قص عليه قصته على وجهها .

٢٠

ثم قال : « فأما الآن فأنا نُخْرِجُه من داري لينطلق حيث يشاء ، وأعطيك
عهداً وثيقاً أن أرجع إليك » .

(١) السخيمة : الحقد والضغينة والمودة في النفس -

قال ابن زياد : « لا والله ، لا تفارقني حتى تأتيني به » .
فقال هاني : « أَوْ يَحْمِلُ بِي أَنْ أَسْلَمَ ضَيْقِي وَجَارِي لِلْقَتْلِ ؟ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ أَبَدًا » .

فاعترضه ابن زياد بالخيزرانة ، فضرب وجهه ، وهشم أنفه ، وكسر حاجبه ،
وأمر به ، فَأَدْخَلَ بَيْتًا .

وبلغ مُذْحِجًا أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ قَتَلَ هَانِثًا ، فَاجْتَمَعُوا بِيَابِ الْقَصْرِ ، وَصَاحُوا .
فقال ابن زياد لشرَّيْحِ الْقَاضِي - وَكَانَ عِنْدَهُ - : « ادخل إلى صاحبهم ، فانظر
إليه ، ثم اخرج إليهم ، فَأَعْلِمِهِمْ أَنَّهُ سَحَى » . ففعل .

فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج : « أَمَا إِذَا كَانَ صَاحِبُكُمْ حَيًّا فَمَا يُعْجِلُكُمْ
الْفِتْنَةُ ؟ انصرفوا » . فانصرفوا .

فلما علم ابن زياد أنهم قد انصرفوا أمر بهاني ، فَأَتَى بِهِ السُّوقَ ، فَضَرِبَتْ
عُنُقَهُ هُنَاكَ .

ولما بلغ مسلم بن عَقِيلٍ قَتْلَ هَانِيٍّ بِنِ عُرْوَةَ نَادَى فِيمَنْ كَانَ بَايَعَهُ ، فَاجْتَمَعُوا ؛
فَعَقَدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كُرَيْزٍ الْكِنْدِيِّ عَلَى كِنْدَةَ وَرَيْمَةَ ، وَعَقَدَ لِمُسْلِمِ بْنِ
عَوْسَجَةَ عَلَى مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ ، وَعَقَدَ لِأَبْنِي ثُمَامَةَ الصَّيْدَاوِيِّ عَلَى تَيْمٍ وَهَمْدَانَ ، وَعَقَدَ
لِلْعَبَّاسِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ عَلَى قَرِيْشٍ وَالْأَنْصَارِ ؛ فَتَقَدَّوْا جَمِيعًا حَتَّى أَحَاطُوا بِالْقَصْرِ ،
وَاتَّبَعَهُمْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ النَّاسِ .

وَتَحَصَّنَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْقَصْرِ مَعَ مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ
أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْأَعْوَانِ وَالشُّرَطِ ، وَكَانُوا مِقْدَارَ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَقَامُوا
عَلَى سُورِ الْقَصْرِ يَرْمُونَ الْقَوْمَ بِالْمَدَرِ^(١) وَالنُّشَابِ ، وَيَعْنَمُونَهُمْ مِنَ الدُّنُوتِ مِنَ الْقَصْرِ ،
فَلَمْ يَزَالُوا بِذَلِكَ حَتَّى أُمْسَوْا .

(١) رماح كانت تتركب فيها القرون المهددة مكان الأسنة .

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ لَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ : يُشْرِفُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فِي نَاحِيَةِ مِنَ السُّورِ ، نَحْوُ فُؤَادِ الْقَوْمِ .

فَأَشْرَفَ كَثِيرٌ مِنْ شُهَابٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَالْقَعْمَاقُ بْنُ شَوْرٍ ، وَشَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ ، وَحَجَّارُ بْنُ أَبِجَرَ ، وَشَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ ، فَتَنَادُوا : « يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا الْفِتْنَةَ ، وَلَا تَشَقُّوا عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا تُورِدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ خِيُولَ الشَّامِ ، فَقَدْ ذَقْتُمُوهُمْ ، وَجَرَّبْتُمْ شَوْكَتَهُمْ » .

فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ مُسْلِمٍ مَقَالَتَهُمْ فَتَرَوْا بَعْضَ الْفِتْرِ .

وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَأْتِي ابْنَهُ ، وَأَخَاهُ ، وَابْنَ عَمَّةٍ فَيَقُولُ : انصرف ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْفُونُكَ . وَتَجِيءُ الْمَرْأَةُ إِلَى ابْنِهَا وَزَوْجِهَا وَأَخِيهَا فَتَتَمَلَّقُ بِهِ حَتَّى يَرْجِعَ .

فَصَلَّى مُسْلِمُ الْعِشَاءَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ إِلَّا زُهَاءُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مَضَى مِنْصَرَفًا مَاشِيًا ، وَمَشَوْا مَعَهُ ، فَأَخَذَ نَحْوَ كِنْدَةَ ، فَلَمَّا مَضَى قَلِيلًا التَفَتَ فَلَمْ يَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَلَمْ يُصِبْ إِنْسَانًا يَدُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَفَضَى هَاتِمًا عَلَى وَجْهِهِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى كِنْدَةَ .

فَإِذَا امْرَأَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى بَابِ دَارِهَا تَنْتَظِرُ ابْنَهَا - وَكَانَتْ مِنْ خَفٍّ مَعَ مُسْلِمٍ - فَآوَتْهُ وَأَدْخَلَتْهُ بَيْتَهَا ؛ وَجَاءَ ابْنُهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا فِي الدَّارِ ؟ فَأَعْلَمَتْهُ ، وَأَمَرَتْهُ بِالْكَتْمَانِ .

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ لَمَّا فَقَدَ الْأَصْوَاتَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْمَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : انظُرُوا ، هَلْ تَرَوْنَ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا ؟ - وَكَانَ الْمَسْجِدُ مَعَ الْقَصْرِ - .

فَنَظَرُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، وَجَعَلُوا يَشْعَلُونَ [أَطْنَابَ] الْقَصَبِ ^(١) ، ثُمَّ يَقْذِفُونَ بِهَا فِي رَحْبَةِ الْمَسْجِدِ لِيَضِيَ لَهُمْ ، فَتَجَبَّنُوا ، فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا .

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ : إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ خُذِلُوا ، وَأَسْلَمُوا مُسْلِمًا .

وَانصَرَفُوا .

(١) أَطْنَابُ الْقَصَبِ : عُرُوقُهُ الَّتِي تَنْشَعُ مِنْ أُرُومَتِهِ وَفِي الْأَصْلِ أَطْنَابٌ ، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرَ .

نخرج فيمن كان معه ، وجلس في المسجد ، ووضعت الشموع والقناديل ، وأمر مناديا فنادى بالكوفة « ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد » .

فاجتمع الناس ، ثم قال : « يا حصين بن نمير - وكان على الشرطة - ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سبك الكوفة ، فإذا أصبحت فاستقر الدور ، دارا ، دارا ، حتى تقع عليه . » ٥

وصلى ابن زياد العشاء في المسجد ، ثم دخل القصر . فلما أصبح جلس للناس ، فدخلوا عليه ، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث ، فأقمنه معه على سريره .

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث - وهو حينئذ غلام حين راهق - فأخبره بمكان مسلم عنده . ١٠ فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث ، وهو جالس مع ابن زياد ، فأسر إليه الخبر .

فقال ابن زياد : ما سار به ابنك ؟ قال : « أخبرني أن مسلم بن عقيل في بعض دورنا » . ١٥ فقال : « انطلق ، فأتني به الساعة » .

وقال لعبيد بن حريث : « ابث مائة رجل من قريش وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفا من المصيبة أن تقع . فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل ، ففتحوها ، فقاتلهم ، فرمى ، فكسّر قوّه ، وأخذ ، فأُتي ببغلة فركبها ، وصاروا به إلى ابن زياد . » ٢٠

[قتل مسلم بن عقيل]

فلما أُدخِلَ عليه ، وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له : « سلّم على الأمير » . قال : « إن كان الأمير يريد قتلي ، فما أنتفعُ بسلام عليه ، وإن كان لم يُرد فسيكثر عليه سلامي » .

قال ابن زياد : كأنك ترجو البقاء .

فقال له مسلم : فإن كنت مُزِمّاً على قتلى ، فدعني أوص إلى بعض من هاهنا من قومي .

قال له : أوص بما شئت .

- ٥ فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال له : اخلُ مئ في طرف هذا البيت حتى أوصي إليك ، فليس في القوم أقرب إلى ولا أَوْلَى بي منك .
فتنحى منه ناحية ، فقال له : أتقبل وصيتي ؟
قال : نعم .

- قال مسلم : إن عليّ هاهنا ديناً ، مقدار ألف درهم ، فاقض عني ، وإذا أنا قُتِلْتُ فاستَوْهَب من ابن زياد جُثتي لثلاثاً يُمَثَّلُ بها ، وابعث إلى الحسين بن عليّ رسولاً قاصداً من قبلك ، يُعلمه حالي ، وما صيرت إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنهم شيعة ، وأخبره بما كان من نكبتهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل ، لينصرف إلى حرم الله ، فيقيم به ، ولا يَغْتَرَّ بأهل الكوفة .
وقد كان مسلم كتب إلى الحسين أن يقدم ولا يلبث .

- ١٥ فقال له عمر بن سعد : لك على ذلك كله ، وأنا به زعيم .
فانصرف إلى ابن زياد ، فأخبره بكل ما أوصى به إليه مسلم .
فقال له ابن زياد : قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك ، وقد قيل « إنه لا يخونك إلا الأمين ، وربما ائتمنك الخائن » .

- وأمر ابن زياد بمسلم فرُقِيَ به إلى ظهر القصر ، فأشرف به على الناس ، وهم على باب القصر مما يلي الرخبة ، حتى إذا رأوه ضربت عنقه هناك ، فسقط رأسه إلى الرخبة ، ثم أتبع الرأس بالجسد .
٣٠ وكان الذي تولى ضرب عنقه أخمر بن بكير .

- وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الزبير الأسدي :
- فَإِنْ كُنْتُ لَا تَذَرِينَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِي
إِلَى هَانِيءٍ فِي الشُّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ
إِلَى بَعْلٍ قَدْ هَشَّمَ السَّيْفُ أَنْفَهُ
وَأَخْرَجَ، يَهْيُوى مِنْ طَعْمَارٍ، قَتِيلٍ^(١)
- أَصَابَهُمَا رَبُّ الزَّمَانِ ، فَأَصْبَحَا
أَحَادِيثَ مَنْ يَسْمَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
تَرَى جَسَدًا قَدْ غَيَّرَ الْمَوْتُ لَوْنَهُ
وَنَضَحَ دَمٍ قَدْ سَالَ كُلُّ مَسِيلٍ
- ثم بعث عُبيد الله برءوسهما إلى يزيد ، وكتب إليه بالنبأ فيهما . ١٠
- فكتب إليه يزيد : لم نَعُدْ الظَّنَّ بك ، وقد فعلتَ فِعْلَ الحَازِمِ الجَلِيدِ ،
وقد سألتُ رَسُولِيكَ عَنِ الْأَمْرِ ، ففَرَّشَاهُ لِي ، وهما كما ذَكَرْتَ فِي النَّضْحِ ،
وَفَضْلِ الرَّأْيِ ، فَاسْتَوْصِ بِهِمَا .
- وقد بلغني أن الحسين بن عليّ قد فَصَلَ مِنْ مَكَّةَ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَا قَبْلَكَ ، فَأَذْرِكِ
الْمَيُونَ عَلَيْهِ ، وَضَعِ الْأَرْصَادَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَقُمْ أَفْضَلَ الْقِيَامِ ، غَيْرَ إِلَّا تُقَاتِلِ ١٥
إِلَّا مَنْ فَاتَكَ ، وَاكْتُبِ إِلَى الْخَبَرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ .
- وكان أُنْقِذَ الرَّأْسَيْنِ إِلَيْهِ مَعَ هَانِيءِ بْنِ أَبِي حَيَّةِ الهمدانيّ ، والزبير بن الأروج
التميميّ .
- وكان قَتَلَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَلَاثَ خَلَوْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِينَ^(٢) ،
وهي السنة التي مات فيها معاوية . ٢٠

[خروج الحسين إلى الكوفة]

وخرج الحسين بن عليّ عليه السلام من مكة في ذلك اليوم .
ثم إن ابن زياد وجّه بالْحُصَيْن بن نُمَيْر - وكان على شُرطه - في أربعة آلاف
فارس من أهل الكوفة ، وأمره أن يُقيم بالقَادِسِيَّة^(١) إلى القُطُفُطَانَةِ^(٢) ، فيمنع
مَنْ أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز إلّا مَنْ كان حاجًا أو مُعْتَمِرًا
وَمَنْ لَا يَتَمَتَّعُ بِمَالَاتِهِمُ الْحُسَيْن .

قالوا : ولما وَرَدَ كتاب مُسْلِم بن عَقِيل على الحسين عليه السلام :
« إِنَّ الرَّائِدَ^(٣) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف
رجل ، فأقْدَم ، فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مَعَكَ ، وَلَا رَأْيَ لَهُمْ فِي آلِ أَبِي سَفْيَانَ » .
فلما عزم على الخروج ، وأخذ في الجهاز بلغ ذلك عبد الله بن عباس ، فأقبل
حتى دخل على الحسين ، رضى الله عنه ، فقال :

يا ابن عمّ ، قد بلغني أنك تريد السير إلى العراق .
قال الحسين : أنا على ذلك .

قال عبد الله : أعيدك بالله يا ابن عم من ذلك .

قال الحسين : قد عزمته ، ولا بد من السير .

قال له عبد الله : أَسِير إلى قوم طردوا أميرهم عنهم ، وضبطوا بلادهم ؟ فَإِنْ كَانُوا
فَعَلُوا ذَلِكَ فَسِرْ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَعُمَلَاهُ
يَجْبُونُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَكَ إِلَى الْحَرْبِ ، وَلَا آمْنَهُمْ أَنْ يَخْذُلُوكَ كَمَا خَذَلُوا أَبَاكَ
وَأَخَاكَ .

قال الحسين : يا ابن عم ، سأُنْظِرُ فِيمَا قُلْتَ .

(١) قرية بين الكوفة وعذيب في قضاء الديوانية .

(٢) موضع بقرب الكوفة .

(٣) الرائد هو الذي يتقد القوم يبصر لهم السكّالاً ومساقط الثبث .

- وبلغ عبد الله بن الزبير ما بهمّ به الحسين ، فأقبل حتى دخل عليه ، فقال له :
لو أقت بهذا الحرم ، وبثّثت رسلك في البلدان ، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن
يقدموا عليك ، فإذا قوى أمرك نقيت عمّال يزيد عن هذا البلد ، وعلى لك المكانة
والمؤازرة ، وإن عملت بمشورتي طلبت هذا الأمر بهذا الحرم ، فإنه مَجْمَعُ أَهْلِ
الآفاق ، ومورد أهل الأقطار لم يُدْمِكْ بإذن الله إدراك ما تريد ، ورجوت أن تناله .
- قالوا : ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس إلى الحسين ، فقال له :
— يا بن عم لا تقرب أهل الكوفة ، فإنهم قوم غدر ، وأقم بهذه البلدة ،
فإنك سيد أهلها ، فإن أبيت فسير إلى أرض اليم ، فإن بها حصونا وشعابا ، وهي
أرض طويلة عريضة ، ولأبيك فيها شيعه ، فتكون عن الناس في عزلة ، وتبث
دُعَاة في الآفاق ، فإني أرجو إن فعلت ذلك أنك الذي تحب في عافية .
- ١٠ قال الحسين عليه السلام : يا بن عم ، والله إني لأعلم أنك ناصح مُشفق ، غير
أنى قد عزمتم على الخروج .
- قال ابن عباس : فإن كنت لامحالة سائرا ، فلا تُخرج النساء والصبيان ، فإني
لا آمن أن تُقتل كما قتل ابن عفان ، وصبيته ينظرون إليه .
- ١٥ قال الحسين : عمّ ، ما أرى إلا الخروج بالأهل والولد .
- فخرج ابن عباس من عند الحسن فرّ با بن الزبير ، وهو جالس ، فقال له :
قرّت عينك يا بن الزبير بخروج الحسين .
ثم تمثّل :
- خَلَّالِكَ الْجَوِّ ، فَيَبْضِي وَاصْفَرِّي وَتَقَرِّي ، مَا شِئْتُ أَنْ تُنْقَرِّي
٢٠ قالوا : ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطة أميرها ، عمرو بن سعيد
ابن العاص في جماعة من الجند ، فقال : إن الأمير يأمرك بالانصراف ، فانصرف ،
وإلا منعتك .
- فامتنع عليه الحسين ، وتدافع الفريقان ، واضطربوا بالسياط .
وبلغ ذلك عمرو بن سعيد ، فخاف أن يتفاقم الأمر ، فأرسل إلى صاحب شرطه ،
يأمره بالانصراف .

قالوا « ولما فصل الحسين بن علي من مكة سائرا ، وقد وصل إلى التَّنِيم^(١) لحق
غيراً مقبلة من اليمن ، عليهما ورُس^(٢) وحِثَاء ، ينطلق به إلى يزيد بن معاوية ،
فأخذها وما عليها .

- وقال لأصحاب الإبل : من أحب منكم أن يسير معنا إلى العراق أوفيناه كِرَاه ،
وأحسننا صحبته ؛ ومن أحب أن يفارقنا من هاهنا أعطيناه من الكِرَى^(٣) بقدر
ما قطع من الأرض .

ففارقه قوم ، ومضى معه آخرون .

ثم سار حتى إذا انتهى إلى الصَّفَّاح^(٤) لقيه هناك الفرزدق الشاعر مقبلاً
من العراق ، يريد مكة ، فسلم على الحسين .

١٠

فقال له الحسين : كيف خلّفت الناس بالعراق ؟

قال : خلفتهم ، وقلوبهم معك ، وسيوفهم عليك .
ثم ودّعه .

ومضى الحسين عايه السلام حتى إذا صار بِبَطْن الرِّمّة^(٥) كتب إلى أهل الكوفة .

- ١٥ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين بالكوفة ،
سلامٌ عليكم ، أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن عقيل ورد عليّ باجتماعكم لي ، وتشوّفكم
إلى قدومي ، وما أنتم عليه مُنْطَوُّون من نصرنا ، والطلب بحقنا ، فأحسن الله لنا
ولكم الصنيع ، وأثابكم على ذلك بأفضل الذُّخر ، وكتّابي إليكم من بطن الرمة ، وأنا
قادم عليكم ، وحثيث السير إليكم ، والسلام » .

(١) مكان بين مكة والمدينة بالقرب من مكة .

(٢) الورس : نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . (٣) الأجر

(٤) موضع بين حنين وأنصاب الحرم يسره الداخل إلى مكة ، وصفاح نعمان جبال بين مكة والطائف .

(٥) فاع عظيم بنجد تصب فيه جماعة أودية .

- ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مُسهر ، فسار حتى وافى القَادِسِيَّة^(١) .
 فأخذه حُصَيْن بن نُمَيْر ، وبعث به إلى ابن زياد ، فلما أدخل عليه أغلظَ لُعْبِيد
 الله ، فأمر به أن يُطرحَ من أعلى سور القصر إلى الرَّحْبَةِ ، فطُرِحَ ، فمات .
 وسار الحسين عليه السلام من بطن الرُّمَةِ^(٢) ، فَلَقِيَهُ عبد الله بن مُطِيع ،
 وهو منصرف من العراق ، فسَلَّمَ على الحسين ، وقال له :
 ٥ بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا أَخْرَجَكَ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ وَحَرَمِ جَدِّكَ ؟
 فقال : إن أهل الكوفة كتبوا إليّ يسألونني أن أقدم عليهم لا رجوا من إحياء
 معالم الحق ، وإمامة البَيْع .
 قال له ابن مطيع : أنشدك الله أن [لا] تأتي الكوفة ، فوالله لئن أتيتها
 ١٠ لَتُقْتَلَنَّ .
 فقال الحسين عليه السلام : « لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » .
 ثم ودَّعه ومضى .
 ثم سار حتى انتهى إلى زَرْوَد^(٣) ، فنظر إلى فُسْطَاطٍ^(٤) مضروب ، فسأل عنه ،
 فقيل له : هو لزُهَيْر بن القَيْن .
 ١٥ وكان حاجباً أقبل من مكة يريد الكوفة .
 فأرسل إليه الحسين ، أن القَيْنِ أكلَمَكَ .
 فأبى أن يَلْقَاهُ .
 وكانت مع زهير زوجته ، فقالت له : سبحان الله ، يبعث إليك ابن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلا تُجيبه . .
 ٢٠ فقام يمشي إلى الحسين عليه السلام ، فلم يلبث أن انصرف ، وقد أَشْرَقَ وجهه ،

(١) القادسية ، قرية قرب الكوفة من جهة الرية ، بينها وبين العذيب أربعة أميال ،
 وعندها كانت الوقعة الكبرى بين المسلمين والفرس ، وقد فتحت بلادهم على المسلمين .

(٢) بطن الرمة : منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة ، بها يجتمع أهل البصرة والكوفة .

(٣) موضع بطريق مكة بعد الرمل . (٤) الفسطاط : بيت من الشعر .

فأمر بفُسطاطه فقلِّعَ ، وضُرب إلى رِزْق فسطاط الحسين .
ثم قال لامرأته : أَنْتِ طَارِقٌ ، فتقدّمت مع أخيكِ حتى تصلِي إلى منزلِك ،
فإني قد وطنت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام .
ثم قال لمن كان معه من أصحابه : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الشَّهَادَةَ فليُقم ، وَمَنْ كَرِهَهَا
فليَتقدَّم .

فلم يَقم معه منهم أحد ، وخرجوا مع المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة .

قالوا : ولما رحل الحسين من زُرُود تَلَقَّاهُ رجل من بني أسد ، فسأله عن الخبر .
فقال : لم أخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ، وهَانِيَةُ بْنُ عُرْوَةَ ،
ورأيت الصَّبِيَّانِ يَجْرُونَ بِأَرْجُلِهِمَا .

١٠

فقال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، عند الله نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا .
فقال له : أَنشدك الله يا بن رسول الله في نفسك ، وَأَنْفُسُ أَهْلِ بَيْتِكَ ،
هؤلاء الذين نراهم معك ، انصرف إلى موضعك ، ودَعِ المَسير إلى الكوفة ،
فوالله مَالَكُ بِهَا نَاصِرٌ .

فقال بنو عَقِيلٍ - وكأوا معه - : مالنا في العيش بعد أخينا مُسْلِمَ حَاجَةٍ ،
ولسنا براجمين حتى نموت .

١٥

فقال الحسين : « فَمَا خَيْرٌ فِي الْعِيشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ » ، وسار .
فلَمَّا وَافَى زُبَّالَةَ^(١) وافاه بها رسول محمد بن الأشعث ، وعمر بن سعد بما كان
سأله مسلم أن يكتب به إليه من أمره ، وخذلان أهل الكوفة إياه ، بعد أن بايعوه ؛
وقد كان مُسْلِمٌ سأل محمد بن الأشعث ذلك .

٢٠

(١) موضع بطريق مكة ، وبها بركتان ، قال الشماخ :

وَرَاخَتْ رَوَاحًا مِنْ زُرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَّالَةَ جَلْبَابًا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا

فلما قرأ الكتاب استنمقن بصحة الخبر ، وأفظمه قتل مسلم بن عقيّل ، وهائى
ابن عروة .

ثم أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر رسوله الذى وجهه من بطن
الرمّة .

٥ وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق ، فلما سمعوا خبر مسلم ، وقد كانوا ظنوا
أنه يقدم على أنصار وعضد تفرقوا عنه ، ولم يبق معه إلا خاصته .

فسار حتى انتهى إلى بطن المقيق^(١) ، فلقى رجل من بنى عكرمة ، فسلم
عليه ، وأخبره بتوطيد ابن زياد الخليل ما بين القادسية إلى العذيب^(٢) رسداً له .

١٠ ثم قال له : « انصرف بنفسى أنت ، فوالله ما تسير إلا إلى الأسنة والسيوف ،
ولا تتكلمن على الذين كتبوا لك ، فإن أولئك أول الناس مبادرة إلى حربك » .
فقال له الحسين : « قد ناصحت وبالنت ، فجزيت خيراً » .

ثم سلم عليه ، ومضى حتى نزل بشرارة^(٣) بات بها ، ثم ارتحل وسار .
فلما انتصف النهار ، واشتدت الحرّ ، وكان ذلك فى القيظ ، تراءت لهم
الجيل .

١٥ فقال الحسين لزهير بن القين :
أما ها هنا مكان يُنجأ إليه ، أو شرف ، نجعله خلف ظهورنا ، ونستقبل القوم
من وجه واحد ؟ » .

قاله زهير : بلى ، هذا جبل ذى جشم ، يسرة عنك ، فىل بنا إليه ، فإن سبقت
إليه فهو كما تحب .

٢٠ فسار حتى سبق إليه ، وجعل ذلك الجبل وراء ظهره .

(١) موضع بالقرب من ذات عرق قبلها بمرحلة ، وذات عرق منزل معروف من منازل الحاج ،
ويحرم أهل العراق بالحج منه .

(٢) ماء لبنى تميم على مرحلة من الكوفة ، سمي بذلك لأنه طرف أرض العرب .

(٣) مرتفع من الأرض بالقرب من عسفان .

وأقبلت الخيل ، وكانوا ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التيمي ، ثم اليربوعي ، حتى إذا دنوا أمر الحسين عليه السلام فتياه أن يستقبلوهم بالماء ، فشرّبوا ، وتغمرت خيلهم ، ثم جلسوا جميعاً في ظل خيولهم ، وأعطتها في أيديهم حتى إذا حضرت الظهر قال الحسين عليه السلام للحرّ : أتصلي معنا ، أم تصلي بأصحابك وأصلي بأصحابي ؟

٥

قال الحرّ : « بل نُصلي جميعاً بصلاتك » .

فتقدّم الحسين عليه السلام ، فصلّى بهم جميعاً .

فلما انقفل من صلاته حوّل وجهه إلى القوم ، ثم قال :

« أيها الناس ، معذرة إلى الله ، ثم إليكم ، إني لم آتكم حتى أتنى كتبكم ،

وقدّمت على رسلكم ، فإن أعطيتهموني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم
١٠ دخلنا معكم مضركم ، وإن تكن الأخرى انصرفت من حيث جئت » .

فأسكت القوم ، فلم يردّوا عليه ، حتى إذا جاء وقت العصر نادى مؤذن

الحسين ، ثم أقام ، وتقدّم الحسين عليه السلام ، فصلّى بالفريقين ، ثم انقفل إليهم ، فأعاد مثل القول الأول .

١٥ فقال الحرّ بن يزيد : « والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر » .

فقال الحسين عليه السلام : « إيتني بالخروجين ^(١) اللذين فيهما كتبهم » .

فأتى بخروجين مملوءين كتباً ، فنثرت بين يدي الحرّ وأصحابه ، فقال له الحرّ :

« يا هذا ، لسنا ممن كتب إليك شيئاً من هذه الكتب ، وقد أمرنا ألا نفارقك إذا لقيناك أو نقدم بك الكوفة على الأمير عبّيد الله بن زياد » .

٢٠ فقال الحسين عليه السلام : « الموت دون ذلك » .

(١) وعاء معروف ذو جانبيين .

ثم أمر بأثقاله ، فَحُمِلَتْ ، وأمر أصحابه ، فركبوا ، ثم ولى وجهه منصرفاً نحو الحجاز ، فحال القوم بينه وبين ذلك .

فقال الحسين للحُرّ : ما الذى تريد ؟

قال : أريد والله أن أنطلق بك إلى الأمير عُبيد الله بن زياد .

قال الحسين : إذن والله أنا بذلك الحرب .

٥

فلما كثر الجدل بينهما قال الحُرّ : « إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أمرت ألا أفارقك ، وقد رأيت رأياً فيه السلامة من حربك ، وهو أن تجعل بينى وبينك طريقاً ، لا تدخلك الكوفة ، ولا تردك إلى الحجاز ، تكون نصفاً بينى وبينك حتى يأتينا رأى الأمر » .

قال الحسين : « نأخذ هاهنا ، فنأخذ متياسراً من طريق العذيب ^(١) ، ومن ذلك

١٠

المكان إلى العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً » .

فساروا جميعاً حتى انتهوا إلى عذيب الجمادات ، فنزلوا جميعاً ، وكل فريق منهما على غلوة ^(٢) من الآخر .

ثم ارتحل الحسين من موضعه ذلك متيامناً عن طريق الكوفة حتى انتهى إلى وصر بنى مقاتل ، فنزلوا جميعاً هناك ، فنظر الحسين إلى فسطاط مضروب ، فسأل عنه ، فأخبر أنه لعبيد الله بن الحُرّ الجعفي ، وكان من أشرف أهل الكوفة ، وفرسانهم .

١٥

فأرسل الحسين إليه بعض مواليه بأمره بالمصير إليه ، فأتاه الرسول ، فقال :

— هذا الحسين بن علي يسألك أن تصير إليه .

٢٠

فقال عبيد الله : والله ما خرجت من الكوفة إلا لسكينة من رأيت خرج لمحاربتة

(١) العذيب : تصنيف المذهب ، ماء على يمين القادسية ، بينه وبين القادسية أربعة أميال ، منه

إلى مفارقة القرون في طريق مكة . (٢) الغلوة قدر رمية بسهم .

وخذلان شيمته ، فملت أنه مقتول ولا أقدر على نصره ، فليست أحب أن يرانى ولا أراه .

فانتحل الحسين حتى مشى ، ودخل عليه قُبَّته ، ودعاه إلى نُصْرته .
فقال عبيد الله : « والله إني لأعلم أن من شايحك كان السמיד في الآخرة ، ولكن ما عسى أن أغنى عنك ، ولم أخلف لك بالكوفة ناصرا ، فأنشدك الله أن تحمِلَنِي * على هذه الخُطَّة ، فإن نفسى لم تسمح بعدُ بالموت ، ولكن فرسى هذه المُلْحَقَّة ، والله ما طلبت عليها شيئا قط إلا لحقته ، ولا طابنى وأنا عليها أحد قط إلا سبقته ، نَحْذَهَا ، فهى لك » .

قال الحسين : « أمّا إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك » .

١٠ [نهاية الحسين]

وسار الحسين عليه السلام من قصر بنى مقاتل ، ومعه الحرّ بن يزيد ، كلما أراد أن يميل نحو البادية منعه ، حتى انتهى إلى المكان الذى يسمى « كَرْبَلَاء » ^(١) قال فليلا متيامنا حتى انتهى إلى (نَيْنَوَى) ^(٢) ، فإذا هو براكب على نَجِيب ، مقبل من القوم ، فوقفوا جميعا ينتظرونه .

١٥ فلما انتهى إليهم سلّم على الحرّ ، ولم يسلم على الحسين .
ثم ناول الحرّ كتابا من عبيد الله بن زياد ، فقرأه ، فإذا فيه :
« أما بعد ، فَجَمْعُجِج » ^(٣) بالحسين بن على وأصحابه بالمكان الذى يوافيك كتابى ، ولا تحلّه إلا بالمرء على غير خَرّ ^(٤) ولا ماء ، وقد أمرت حامل كتابى هذا أن يخبرنى بما كان منك فى ذلك ، والسلام » .

(١) موضع فى طرف البرية بالقرب من الكوفة .

(٢) قرية قديمة لا تزال آثارها باقية قبالة مدينة الموصل ، ويروى بعض المؤرخين أنها قرية البى يونس عليه السلام .

(٣) جمع القوم أى أناخوا بالجمعجاج وهو ما غلظ من الأرض .

(٤) أى شجر .

فقرأ الحرّ الكتاب ثم ناوله الحسين ، وقال :
لا بد من إنفاذ أمر الأمير عبيد الله بن زياد ، فانزل بهذا المكان ، ولا تجعل
للأمير على علة .

فقال الحسين عليه السلام « تقدّم بنا قليلا إلى هذه القرية التي هي منا على غلوة ،
وهي العاصرية^(١) » أو هذه الأخرى التي تسمى « السقبة » فنزل في إحداهما .
قال الحرّ « إن الأمير كتب إلى أن أحلك على غير ماء ، ولا بد من الانتهاء
إلى أمره .

فقال زهير بن القين للحسين : « أبى وأمى يا ابن رسول الله ، والله لو لم يأتنا
غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية ، فكيف بمن سيأتينا من غيرهم ؟ فهلّم بنا
نناجز هؤلاء ، فإن قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتينا من غيرهم » . ١٠

قال الحسين عليه السلام : فإني أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدأوا .
فقال له زهير : فيها هنا قرية بالقرب منا على شطّ الفرات ، وهي في عاقول^(٢)
حصينة ، الفرات يحدّق بها إلا من وجه واحد .

قال الحسين : وما اسم تلك القرية ؟

قال : العقر^(٣) . ١٥

قال الحسين : نعوذ بالله من العقر .

فقال الحسين للحرّ : سِرْ بنا قليلا ، ثم نزل .

فسار منه حتى أتوا كربلاء ، فوقف الحرّ وأصحابه أمام الحسين ومنعوه من
المسير ، وقال :

انزل بهذا المكان ، فالفرات منك قريب . ٢٠

قال الحسين : وما اسم هذا المكان ؟

(١) العاصرية : قرية من نواحي الكوفة ، قريبة من كربلاء .

(٢) عاقول الوادي ما اعوج منه ، والأرض العاقول التي لا يهتدى إليها .

(٣) مكان قرب كربلاء من نواحي الكوفة .

قالوا له : كَرْبٌ بَلَاءٌ .

قال : ذات كَرْبٍ وَبَلَاءٍ ، ولقد مرّ أبى بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين ، وأنا معه ، فوقف ، فسأل عنه ، فأخبر باسمه ، فقال : « هاهنا محط ركابهم ، وهاهنا مهراق دمائهم » ، فسئل عن ذلك ، فقال : « ثَقَلْ لآل بيت محمد ، ينزلون هاهنا » .

•

ثم أمر الحسين بأنقاله ، فَحُطَّتْ بذلك المكان يوم الأربعاء غرّة المحرم من سنة إحدى وستين^(١) ، وَقُتِلَ بعد ذلك بعشرة أيام ، وكان قتله يوم عاشوراء .

فلما كان اليوم الثانى من نزوله كربلاء وافاه عمر بن سعد فى أربعة آلاف فارس .

وكانت قصة خروج عمر بن سعد ، أن عبیدالله بن زياد ولّاه الرىّ ونفّر دَسْتَجِيَّ^(٢)

والدّ يَلَمَ ، وكتب له عهدا عليها ، فمسكر للمسير إليها ، فحدث أمر الحسين ، فأمره ١٠ ابن زياد أن يسير إلى محاربة الحسين ، فإذا فرغ منه سار إلى ولايته .

فتكاثراً عمر بن سعد على ابن زياد ، وكره محاربة الحسين .

فقال له ابن زياد : « فارُدْ علينا عهدنا » .

قال : « فأسير إذن » .

فسار فى أصحابه أولئك الذين ندبوا معه إلى الرىّ ودَسْتَجِيَّ ، حتى وافى الحسين ، ١٥ وانضم إليه الحرّ بن يزيد فيمن معه .

ثم قال عمر بن سعد لقُرّة بن سفيان الحنظلى « انطلق إلى الحسين ، فسكّه ما أقدمك » . فأتاه ، فأبلغه .

فقال الحسين : « أبلغه عني أن أهل هذا المصر كتبوا إلىّ يذكرون أن لا إمام لهم ،

ويسألوننى القدوم عليهم ، فوثقت بهم ، فغدروا بى ، بعد أن بايعنى منهم ثمانية عشر ٢٠ ألف رجل ، فلما دنوت ، فملت غرور ما كتبوا به إلىّ أردتُ الانصراف إلى حيث

(١) أكتوبر ٦٨٥

(٢) كورة كبيرة ، كانت مشتركة بين الرىّ ومهمذان ، فقسمت كورتين ، وتشتمل على قريب

تسعين قرية .

منه أقبأت ، فتمنى الحرّ بن يزيد ، وسار حتى جَمَعَ بى فى هذا المسكان ، ولى بك فرابة قريبة ، ورَحِمَ ماسّة ، فأطلقنى حتى أنصرف .
فرجع قُرّة إلى عمر بن سعد بجواب الحسين بن على .
فقال عمر : « الحمد لله ، والله إنى لأرجو أن أعفى من محاربة الحسين » .
ثم كتب إلى ابن زياد يخبره بذلك .

٥

فلما وصل كتابه إلى ابن زياد كتب إليه فى جوابه :
« قد فهمت كتابك ، فاعرض على الحسين البيعة ليزيد ، فإذا بايع فى جميع من معه ، فأعلمنى ذلك ليأتيك رأيى » .

فلما انتهى كتابه إلى عمر بن سعد قال : ما أحسب ابن زياد يريد العافية .
فأرسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد إلى الحسين ، فقال الحسين للرسول :
« لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً ، فهل هو إلا الموت ، فرحباً به » .

١٠

فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بذلك ، فغضب ، فخرج بجميع أصحابه إلى النخيلة^(١) .

ثم وجّه الحُصَيْن بن نَمِر ، وَحَجَّار بن أَبَجَر ، وَشَبَّث بن رَبِيعٍ ، وَشَمْر ابن ذى الْجَوْشَن ، ليعاونوا عمر بن سعد على أمره .

١٥

فأما شَمْر فنفذ لما وجهه له ؛ وأما شَبَّث فاعتلّ بمرض .
فقال له ابن زياد : أئتمّأرض ؟ إن كنت فى طاعتنا فخرج إلى قتال عدونا .
فلما سمع شَبَّث ذلك خرج ، ووجه أيضاً الحارث بن يزيد بن رُويم .

قالوا : « وكان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين فى الجمع الكثير، يصلون إلى كربلاء ، ولم يبق منهم إلا القليل ، كانوا يكرهون قتال الحسين ، فيرتدعون ، ويتخلفون .

٢٠

فبعث ابن زياد سُؤيد بن عبد الرحمن النخعى فى خيل إلى الكوفة ، وأمره أن يعطوف بها ، فمن وجده قد تخلف أناه به .

(١) موضع قرب الكوفة على سمت الشام .

فبينا هو يطوف في أحياء الكوفة إذ وجد رجلا من أهل الشام قد كان قدم الكوفة في طلب ميراث له ، فأرسل به إلى ابن زياد ، فأمر به ، فضربت عنقه . فلما رأى الناس ذلك خرجوا .

قالوا : وورد كتاب ابن زياد على عمر بن سعد ، أن امنع الحسين وأصحابه الماء ، فلا يذوقوا منه حُسوة^(١) كما فعلوا بالتقى عثمان بن عفان .

فلما ورد على عمر بن سعد ذلك أمر عمرو بن الحجاج أن يسير في خمسمائة راكب ، فينهي عن الشريعة ، ويحولوا بين الحسين وأصحابه ، وبين الماء ، وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام ، فكث أصحاب الحسين عطاشى .

قالوا : ولما اشتد بالحسين وأصحابه العطش أمر أخاه العباس بن علي - وكانت أمه من بني عامر بن صعصعة - أن يعضى في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا ، مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء ، فيحاربوا من حال بينهم وبينه .

فعضى العباس نحو الماء وأمامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة ، فمنعهم عمرو بن الحجاج ، فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها ، واقتحم رجاله الحسين الماء ، فلأوا قريبتهم ، ووقف العباس في أصحابه يذُبُّون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين .

ثم إن ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد : أما بعد ، فإنني لم أبعثك إلى الحسين لتطاوله الأيام ، ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتكون شفيعه إلى ، فاعرض عليه ، وعلى أصحابه النزول على حكمي ، فإن أجابوك فابعث به وبأصحابه إلى ، وإن أبوا فازحف إليه ، فإنه عاق شاق ، فإن لم تفعل فاعتزل جندنا ، واخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر ، فإننا قد أمرناك بأمرنا . فنادى عمر بن سعد في أصحابه أن انهضوا إلى القوم .

(١) الحسوة بالضم الجرعة بقدر ما يحس مرة واحدة .

فنهض إليهم عشية الخميس ليلة الجمعة لتسع ليال خلون من الهرم ، فسألهم الحسين ! تأخير الحرب إلى غد ، فأجابوه .

قالوا : وأمر الحسين أصحابه أن يضموا مضاربهم بعضهم من بعض ، ويكونوا أمام البيوت ، وأن يحفروا من وراء البيوت أخذوداً ، وأن يضرّموا فيه حطباً وقصباً كثيراً ، لئلا يؤتوا من أدبار البيوت ، فيدخلوها .

قالوا : ولما صلى عمر بن سعد الغداة نهّد بأصحابه ، وعلى ميمنته عمرو بن الحجاج ، وعلى ميسرته شمر بن ذى الجوشن - واسم شمر شَرْخَبِيل بن عمرو بن معاوية ، من آل الوحيد ، من بني عامر بن صعصعة - وعلى الخيل عَزْرَة بن قيس ، وعلى الرّجالة شُبث ابن رُبْعَى ، والراية بيد زيد مولى عمر بن سعد .

وعسى الحسين عليه السلام أيضاً أصحابه ، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين رجلاً ، فجعل زهير بن القين على ميمنته ، وحبيب بن مظهر على ميسرته ، ودفع الراية إلى أخيه العباس بن علي ، ثم وقف ، ووقفوا معه أمام البيوت .

وانحاز الحرّ بن يزيد الذي كان جمّيع بالحسين إلى الحسين ، فقال له : « قد كان منى الذى كان ، وقد أتيتك مُوَاسِيّاً لك بنفسى ، أفترى ذلك لى توبة مما كان منى ؟ » قال الحسين : نعم ، إنها لك توبة ، فابشّرْ ، فأنت الحرّ فى الدنيا ، وأنت الحرّ فى الآخرة ، إن شاء الله .

قالوا : ونادى عمر بن سعد مولاه زيدا أن قدّم الراية ، ففقدّم بها ، وشبّت الحرب .

فلم يزل أصحاب الحسين يُقاتلون ويُقتَلون ، حتى لم يبق معه غير أهل بيته . فكان أوّل مَنْ تقدّم منهم ، فقاتل على بن الحسين ، وهو على الأكبر ، فلم يزل يُقاتل حتى قُتِل ، طعنه مُرّة بن مُنقذ العبديّ ، فصرعه ، وأخذته السيوف فقتل

ثم قُتِلَ عبد الله بن مُسلم بن عَقِيل ، رماه عمرو بن صَبَّح الصَّيْدَاوِيُّ ، فصرعه .
ثم قُتِلَ عَدِيّ بن عبد الله بن جعفر الطَّيَّار ، قتله عمرو بن نَهْشَل التَّمِيمِيّ .
ثم قُتِلَ عبد الرحمن بن عَقِيل بن أبي طالب ، رماه عبد الله بن عُروَةَ الْخَثَمِيّ
بسهمٍ ، فقتله .

٥ ثم قُتِلَ محمد بن عَقِيل بن أبي طالب ، رماه آلَقِيْط بن نَاشِر الجُهَنِيّ بسهمٍ ، فقتله .
ثم قُتِلَ القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، ضربه عمرو بن سعد بن مَقْبِل
الْأَسَدِيّ .

ثم قُتِلَ أبو بكر بن الحسن بن عليّ ، رماه عبد الله بن عُقْبَةَ الْفَنَوِيّ بسهمٍ ،
فقتله .

١٠ قالوا : ولما رأى ذلك العباس بن عليّ قال لإخوته عبد الله ، وجعفر ، وعثمان ،
بنى عليّ ، عليه وعليهم السلام ، وأُمُّهم جميعاً أمّ البنين العامرية من آل الوحيّد :
« تقدّموا ، بنفسى أنتم ، فحاموا عن سيّدكم حتى تموتوا دونه » .
فتقدّموا جميعاً .

فصاروا أمام الحسين عليه السلام ، يَقُونَهُ بوجوههم ونحوهم .
١٥ فحمل هانيء بن ثَوَيْب الحضْرَمِيّ على عبد الله بن عليّ ، فقتله .
ثم حمل على أخيه جعفر بن عليّ ، فقتله أيضاً .
ورمى يزيد الأصْبَحِيّ عثمان بن عليّ بسهمٍ ، فقتله ، ثم خرج إليه ، فاختر رأسه ،
فأتى عمر بن سعد ، فقال له : « أَتُبْنِي » .

فقال عمر :

٢٠ عليك بأمرِك - يعنى عُبيد الله بن زياد - فَسَلُهُ أَنْ يُثَبِّكَ .
وبقى العباس بن عليّ قائماً أمام الحسين يُقاتل دونه ، ويميل معه حيث مال ،
حتى قُتِلَ ، رحمة الله عليه .

وبقي الحسين وحده، فحمل عليه مالك بن بشر الكندي، فضربه بالسيف على رأسه، وعليه بُرْنُسٌ خَزٌّ، فقطعه، وأفضى السيف إلى رأسه، فخرجه.

فالتقى الحسين البرنُس، ودعا بقلنسوة، فلبسها، ثم اعتم بهامة، وجلس، فدعا بصبي له صغير، فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد، وهو في حجر الحسين بمشقة^(١)، فقتله.

وبقي الحسين عليه السلام مَلِيًّا جالسا، ولو شاءوا أن يقتلوه قتلوه، غير أن كل قبيلة كانت تتكىل على غيرها، وتكره الإقدام على قتله.

وعطش الحسين، فدعا بقدح من ماء.

فلما وضعه في فيه رماه الحُصَيْن بن مُمير بسهم، فدخل فيه، وحال بينه وبين شرب الماء، فوضع القدح من يده.

ولما رأى القوم قد أحجموا عنه قام يَتَمَشَّى على المسناة^(٢) نحو الفرات، فحالوا بينه وبين الماء، فانصرف إلى موضعه الذي كان فيه.

فانتزع له رجل من القوم بسهم، فأثبتته في عاتقه، فزرع عليه السلام السهم. وضربه زُرْعَةُ بن شريك التيمي بالسيف، وأتقاه الحسين بيده، فأسرع السيف في يده.

وحمل عليه سنان بن أوس النخعي، فطعنه، فسقط.

ونزل إليه حوْليُّ بن يزيد الأصبحي ليحز رأسه، فأرعدت يداه.

فنزل أخوه شبُل بن يزيد، فاحتر رأسه، فدفعه إلى أخيه حوْلي.

ثم مال الناس على ذلك الورس الذي كان أخذه من العير، وإلى ما في المضارب، فاتهبوه.

(١) المشقة نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض.

(٢) ضفيرة تبني للسيل لترد الماء.

ولم ينج من أصحاب الحسين عليه السلام وولده وولد أخيه إلا ابناه ، عليّ الأصغر ، وكان قد رآه ق ، وإلا عمر ، وقد كان بلغ أربع سنين .

ولم يسلم من أصحابه إلا رجلان ، أحدهما الرُّقَّع بن ثُمَامَةَ الأَسَدِيّ ، بعث به عمر بن سعد إلى ابن زياد فَسَيَّرَهُ إلى الرَبَذَةِ (١) ، فلم يزل بها حتى هلك يزيد ، وهرب عُبَيْدُ اللَّهِ إلى الشام ، فانصرف الرُّقَّع إلى الكوفة ؛ والآخر مَوْئِي لِرَبَّاب ، أمّ سَكِينَةَ ، أخذوه بعد قتل الحسين ، فأرادوا ضرب عنقه ، فقال لهم : « إني عَبْدٌ مملوك » . نخلوا سبيله .

وبعث عمر بن سعد برأس الحسين من ساعته إلى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد مع حَوَليّ ابن يزيد الأَصْبَغِيّ .

وأقام عمر بن سعد بكر بلاء بعد مقتل الحسين يومين ، ثم آذَنَ في الناس بالرحيل ، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح ، وكانت اثنين وسبعين رأساً ، جاءت هَوَازِنُ منها بائنين وعشرين رأساً ، وجاءت نَمِيمُ بسبعة عشر رأساً مع الحصين بن نمير ، وجاءت كِنْدَةَ بثلاثة عشر رأساً مع قيس بن الأشعث ، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور ، وجاءت الأزْدُ بخمس رؤوس مع عَيْهَمَةَ بن زهير ، وجاءت ثقيف بائني عشر رأساً مع الوليد بن عمرو .

وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في الحامل المستورة على الإبل . وكانت بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قتل الحسين خمسون عاماً .

قالوا : ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد يَنْكُتُ بالخيزرانة ثنائياً (٢) الحسين ، وعنده زيد بن أَرْقَمَ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له :

(١) من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها . وهي قريبة من ذات عرق .

(٢) ثنائياً الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه ، ثنتان من فوق وثنان من أسفل .

« مَهْ ، ارفع قضيبك عن هذه الثنايا ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْشِمُهَا » .

ثم خنقته المَبْرَةُ ، فبكى .

فقال له ابن زياد : « مِمَّ تبكى ؟ أبكى الله عينيك ، والله لولا أنك شيخ قد خَرِفْتَ لضربت عنقك » . ٥

قالوا : وكانت الرؤوس قد تقدم بها شمر بن ذى الجوشن أمام عمر بن سعد .

قالوا : واجتمع أهل الغاصرية فدفنوا أجساد القوم .

وروى عن مُحمَّد بن مُسلم قال : كان عمر بن سعد لى صديقا ، فَأَتَيْتُهُ عند منصرفه من قتال الحسين ، فسألتُه عن حاله ، فقال : « لا تسأل عن حالى ، فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشرٍّ مما رجعتُ به ، قَطَعْتُ القرابة القريبة ، وارتكبتُ الأمر العظيم » . ١٠

قالوا : ثم إن ابن زياد جهز على بن الحسين ومن كان معه من الحرِّم ، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومُحَقِّن بن كَعْلَبَة ، وشمر بن ذى الجوشن . فساروا حتى قدموا الشام ، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ، وأدخل معهم رأس الحسين ، فرمى بين يديه . ١٥

ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ورد علينا هذا فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته ، وستين رجلا من شيعته ، فصرنا إليهم ، فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد ، أو القتال ، فغدونا عليهم عند شروق الشمس ، فأحطنا بهم من كل جانب ، فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يُلَوِّذُونَ إلى غير وَزَرٍ ^(١) ، لَوَذَانَ الحمام من الصقور ، فما كان إلا مقدار جَزَرٍ ^(٢) ، أو نوم قائل ^(٣) حتى أتيننا على آخرهم ، فهاتيك ٢٠

(١) ملجأ . (٢) ذبح ناقة .

(٣) القيلولة : النوم فى الظهيرة والقائلة نصف النهار .

أجسادهم مجردة ، وثيابهم مرملة ، وخدودهم مُمَقَّرَة ، تَسْفِي عليهم الرياح ، زَوَارُهُم
الْمَقْبَانُ ^(١) ، ووفودهم الرَّخَمُ ^(٢) .

فلما سمع ذلك يزيد دمعت عينه وقال :

« ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن مرجان ،
أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ، رحم الله أبا عبد الله » .

ثم تمثل :

نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه .

وكان يزيد إذا حضر غذاؤه دعا على بن الحسين وأخاه عمر فيأكلان معه ، فقال
ذات يوم لعمر بن الحسين :

« هل تصارع ابني هذا ؟ » يعني خالدًا ، وكان من أقرانه .

فقال عمر : بل اعطني سيفًا ، واعطه سيفًا حتى أقاتله ، فتنظر أئنا أصبر .

فضمّه يزيد إليه ، وقال : « شِنْشِنَة أعرفها من أخزَم ^(٣) ، هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ

إِلَّا حَيَّةً » .

١٥

قال : ثم أمر بتجهيزهم بأحسن جهاز ، وقال لعلي بن الحسين : « انطلق مع
نسائك حتى تبلّغهم وطنهم » .

ووجه معه رجلا في ثلاثين فارسا ، يسير أمامهم ، وينزل حَجَرَةً عنهم ، حتى

اتتهى بهم إلى المدينة .

(١) المقبان : عتاق الطير وسباعه التي لا تصيد الحشاش .

(٢) نوع من الطير موصوف بالغدر .

(٣) الشنشة : الطبيعة والسجية ، وأخزم كان ولدا عاقا لأبيه ، فأت وترك بين عقسوا جدهم

وضربوه وأدموه ، فقال إنما هو شنشة أعرفها من أخزم ، فصار مثلا .

قالوا : وإن عُبيد الله بن الحرّ ندم على تركه إجابة الحسين حين دعاه بقصر
بنى مقاتل إلى نصرته ، وقال :

فِيَا لَكَ حَسْرَةً مَا دُمْتُ حَيًّا تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقِي وَالتَّرَاقِي
حُسَيْنٌ حِينَ يَطْلُبُ بِذَلِكَ نَصْرِي عَلَى أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَالشَّقَاقِ
فَمَا أُنْسَى غَدَاةَ يَقُولُ حُزْنًا أَتَتْرُكُنِي وَتُزِمُّعُ لَانْطِلَاقِ ؟
فَلَوْ فَلَقَ التَّلَهُّفُ قَلْبَ حَيٍّ لَهُمَّ الْقَلْبُ مِنِّي بِانْفِلَاقِ
ثم مضى نحو أرض الجبل مُغاضِباً لابن زياد ، واتبعه أناس من صعاليك
الكوفة .

[عبد الله بن الزبير]

قالوا : وإن ابن الزبير لما سار إلى مكة وخرج الحسين عنها سائراً إلى الكوفة
كان يقول : « إني في الطاعة ، غير أني لا أبايع أحداً ، وأنا مستجير بالبيت الحرام » .
فبعث إليه يزيد بن معاوية رجلاً في عشرة نفر من حرسه ، وقال :
« انطلق ، فانظر ما عنده ، فإن كان في الطاعة نخذه بالبيعة ، وإن أبي فضع في
عنقه جامعة ^(١) واثنى به » .

فلما قدم الحرسى عليه ، وأخبره بما أتاه فيه تمثل ابن الزبير :
مَا إِنْ أَلَيْنُ لِنَعِيرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى يَلِينَ لِضِرْسِ الْمَاضِعِ الْحَجَرِ
وقال للحرسى : « انصرف إلى صاحبك ، فأعلمه أنني لا أجيبه إلى شيء مما
يسألني » .

قال الحرسى : أأست في الطاعة ؟
قال : بلى ، غير أني لا أمكنك من نفسي ، ولا أكاد .
فانصرف الحرسى إلى يزيد ، فأخبره بذلك .

(١) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

فوجه يزيد بعشرة نفر من أشرف أهل الشام ، فيهم النعمان بن بشير ،
وعبد الله بن عَصَاءَ الأشعريّ - وكان له صلاح - ، ومسلم بن عقبة - لعنه الله -
فقال لهم :

« انطلقوا ، فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة وأعلموه ، أن أحب الأمور إلى ما فيه
السلامة » .

فساروا حتى وافوا مكة ، ودخلوا على ابن الزبير في المسجد ، فدعوه إلى الطاعة
وسألوه البيعة .

فقال ابن الزبير لابن عَصَاءَ :

- أتستحل قتالي في هذا الحرم ؟

قال : نعم ، إن أنت لم تجب إلى طاعة أمير المؤمنين .

قال ابن الزبير : وتستحلّ قتل هذه الحمامة ؟ وأشار إلى حمامة من حمام المسجد .

فأخذ ابن عَصَاءَ قَوْسَهُ ، وفوقَ فيها سَهْمًا ، فَبَوَّأَهُ^(١) نحو الحمامة ، ثم قال :

يا حمامة ، أتعصين أمير المؤمنين ؟

والتفت إلى ابن الزبير ، وقال : « أما لو أنها قالت نعم لقتلتها » .

وأنّ ابن الزبير خلّا بنعمان بن بشير ، فقال : أنشدك الله ، أنا أفضل عندك
أم يزيد ؟

فقال : بل أنت .

فقال : فوالذي خَيْرُهُ أم والده ؟

قال : بل والدك .

قال : فأَمَى خَيْرُهُ أم أمّه ؟

قال : بل أمك .

قال : فخالتي خَيْرُهُ أم خالته ؟

قال : بل خالتك .

(١) سدده نحو الحمامة .

قال : فعمتي خير أم عمته ؟

قال : بل عمّتك ؛ أبوك الزبير ، وأمّك أسماء ابنة أبي بكر ، وخالتك عائشة ، وعمّتك خديجة بنت خويلد .

قال : أقنشير على مبايعة يزيد ؟

قال النعمان : « أما إذا استشرتني فلا أرى لك ذلك ، ولست بمائد إليك بعد هذا أبدا » . ٥

ثم إن القوم انصرفوا إلى الشام ، فأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يجب إلى شيء . قال مسلم بن عقبة المُرّي ليزيد : « يا أمير المؤمنين ، إن ابن الزبير خلا بالنعمان ابن بشير ، فكلّمه بشيء ، لم ندر ماهو ، وقد انصرف إليك بغير رأيه الذي خرج من عندك » . ١٠

ولما انصرف القوم من عند ابن الزبير جمع ابن الزبير إليه وجوه أهل تهامة والحجاز ، فدعاهم إلى بيعته ، فبايعوه جميعا ، وامتنع عليه عبد الله بن عباس ، ومحمد بن الحنفية .

وأن ابن الزبير أمر بطرد عمّال يزيد من مكة والمدينة ، وارتحل مروان من المدينة بولده وأهل بيته حتى لحق بالشام . ١٥

ولما انتهى إلى يزيد بن معاوية مبايعة أهل تهامة والحجاز لعبد الله بن الزبير ندب له الحصين بن نمير السكوني ، وحُبَيْش بن دُلْجَة القَيْنيّ ، وروّح بن زُبّاع الجُذاميّ ، وضم إلى كل واحد منهما جيشا ، واستعمل عليهم جميعا مسلم بن عقبة المُرّيّ ، وجعله أمير الأمراء ، وشيّعهم حتى بلغ ماء ، يقال له « وبرة » ، وهي أقرب مياه الشام إلى الحجاز . ٢٠

فلما ودعهم قال يأمسلم :

« لا تردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم ، واجمل طريقك إلى المدينة ، فإن حاربوك فحاربهم ، فإن ظفرت بهم ، فأنهبا ثلاثة أيام » .

ثم أنشأ يقول : ٢٥

أَبْلَغَ أَبَا بَكْرٍ إِذَا الْخَيْلُ أَنْبَرَى وَسَارَتْ الْخَيْلُ إِلَى وَادِي الْقَرْيِ^(١)

أَجْمَعَ سَكَرَانَ مِنَ الْخَمْرِ تَرَى

وذلك أن ابن الزبير كان يسمى يزيد « السَّكران » .

ولما بلغ أهل المدينة وصول الجيش تاهبوا للحرب ، فولت قريش عليها عبد الله

ابن مُطِيعِ الْعَدَوِيِّ ، وولت الأنصار عليها عبد الله بن حنظلة الراهب - وهو غسيل
الملائكة - ثم خرجوا إلى الحرّة ، فمسكروا بها .

ففي ذلك يقول شاعرهم :

إِنَّ فِي الْخَنْدَقِ الْمَكَلَّلِ بِالْجُودِ لَضَرْبًا يَفُورُ بِالسَّنَوَاتِ

لَسْتُ مِنَّا ، وَلَيْسَ خَالُكَ مِنَّا يَأْمُضِيعُ الصَّلَاةِ لِلشَّهَوَاتِ

١٠ ووافاهم الجيش ، فقاتلوه حتى كثرت القتلى .

وأقبلت طائفة من أهل الشام ، فدخلوا المدينة من قبل بَنِي حَارِثَةَ ، وهم الذين

قالوا « إِنَّ بَيوتَنَا عَوْرَةٌ »^(٢) ، فلم يشعر القوم ، وهم يقاتلون من يليهم ، إلا وأهل الشام

يضرّبونهم من أَدْبَارِهِمْ ، فقتل عبد الله بن حنظلة أمير الأنصار ، وقتل عمرو بن حزم

الأنصاري قاضي المدينة ، واستباح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها .

١٥ فلما كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة ، فدعاهم إلى البيعة ، فكان أول من

آتاه يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ، وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال له مسلم : « بايعني » .

قال : « أبايك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم » .

فقال مسلم « بل بايع على أنكم فيّ لأمر المؤمنين ، يفعل في أموالكم

٢٠ وذرائعكم ما يشاء » .

فأبى أن يبايع على ذلك ، فأمر به ، فضربت عنقه .

(١) وادي مكة .

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ١٣ .

ثم تقدم محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، فقال له مسلم :
« أنت الذي وفدت على أمير المؤمنين ، فأكرمك وحباك ، فرجعت إلى المدينة
تشهد عليه بشرب الخمر ، والله لا تشهد بشهادة زور أبدا ، أضربوا عنقه » .
فضربت عنقه .

٥ ثم تقدم معقل بن سنان الأشجعي ، وكان حليفا لبني هاشم ، فقال له مسلم :
« أتذكر يوما مررت بي بطبرية^(١) ، فقلت لك ، من أين أقبلت؟ فقلت ، سرنا
شهرًا ، وأنضينا ظهرًا ، ورجعنا صفرًا ، وسنأتي المدينة فنخلع الفاسق يزيد بن معاوية ،
ونبايع رجلا من أولاد المهاجرين ؟

فاعلم إنني كنت آليت ذلك اليوم ألا أقدر عليك في موطن يمكنني فيه قتلك لإقتلتك ،
وقد أمكنني الله منك يا أحمق ، ما أشجع والخلافة ؟! فتمزل وتولى ؛ أضربوا عنقه » .
١٠

ثم تقدم عمرو بن عثمان ، فقال له :
« أنت الخبيث ابن الطيب ، الذي إذا ظهر أهل الشام قلت أنا ابن عثمان بن عفان ،
وإذا ظهر أهل الحجاز قلت أنا واحد منكم ، وأنت في ذلك تبني أمير المؤمنين
الفوائل ؛ انتفوه » .

١٥ فنتفت لحيته ، حتى ما تركت فيها شعرة .
فقام إليه عبد الملك بن مروان ، فاستوهبه ، فوهبه له .
ثم أتاه على بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فأجلسه معه على ثيابه وفراشه ،
وقال :

— إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك .
٢٠ فقال علي : « إنني كنت لِمَا فعل أهل المدينة كارها » .
قال : « أجل » .

ثم حمله على بغلة ، وصرفه إلى منزله .

(١) بلد مطل على البحيرة المعروفة بها ، في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ، وهي
مستطيلة ، تنتهي إلى جبل صغير ، عنده آخر العمارة ، وفيها عيون ملحة حارة ، قد بنيت عليها حمامات .

وبعث إلى علي بن عبد الله بن عباس ليؤتي به للبيعة ، فأخرج من منزله ، فأقبلوا به .

فلقيه الحصين بن نمير ، فانزعه من يد الجلاوزة^(١) .

وكان الحصين من أخوال علي بن عبد الله .

فقال مسلم : « إني إنما بعثت إليه للبيعة ، فأتني به » .

فأرسل إليه الحصين ، فجاء حتى بايع .

وأرسلت بنت الأشعث بن قيس ، وكانت امرأة الحسين بن علي ، إلى مسلم ابن عقبة تعلمه أن منزلها انتهب ، فأمر برد جميع ما أخذ لها .

ثم شخص بالجيش إلى مكة ، وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة ، فتمثل يزيد .

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَبْدَرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ
حِينَ حَكَّتْ بِقَبَاءِ بَرٍّ كَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلِ

فلما بلغ ابن عقبة هرشي^(٣) اعتل ، واشتدت علته ، ونزل به الموت ، فقال :

اسندوني . فأسند ؛ فقال :

« إن أمير المؤمنين أمرني إن حدث بي في وجهي هذا حدث أن أستخلف الحصين

ابن نمير على الجيش ، ولو كان الأمر إلى ما استخلفته ، لأن من شأن اليمانية الرقة ،
غير أني لا أعصى أمير المؤمنين » .

ثم قال : « يا حصين ، إذا وافيت مكة فنادِ ابن الزبير الحرب من يومك ، ولا

ترد أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم ، ولا تجعل أذنك وعاء لقريش فيخدعوك » .

ثم مات ، وكانت به الذُّبْحَةُ .

فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير ، فسار حتى وافى مكة .

وتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه ، ونصَّبَ

(١) جمع جلواز بالكسر ، وهم الشرطة .

(٢) الرماح . (٣) هرشي : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة .

الحُصَيْنِ المجَانِيقِ عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ^(١) ، وَكَانُوا يَرْمُونَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَى الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ مَوْتُ يُزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ : « أَنْ الَّذِي وَجَّهَنَا لِحَارِبِكَ قَدْ هَلَكَ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْمَوَادَعَةِ ؟ وَتَفْتَحَ لَنَا الْأَبْوَابَ ، فَتَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَيَخْتَلِطَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ » .

فَقَبِلَ ذَلِكَ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، وَأَمَرَ بِأَبْوَابِ الْمَسْجِدِ ، فَفُتِّحَتْ ، فَجَمَعَ الْحُصَيْنِ وَأَصْحَابَهُ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ .

فَبَيْنَمَا الْحُصَيْنِ يَطُوفُ بَعْدَ الْمِشَاءِ إِذْ اسْتَقْبَلَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، فَأَخَذَ الْحُصَيْنِ بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ سِرًّا :

١٠ - هَلْ لَكَ فِي الْخُرُوجِ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ ؟ فَأَدْعُو النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِكَ ، فَإِنَّ أَمْرَهُمْ قَدْ مَرَجَ^(٢) ، وَلَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا الْيَوْمَ مِنْكَ ، وَلَسْتُ أُعْصِي هُنَاكَ .

فَاجْتَذَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ ، وَهُوَ يَجْهَرُ بِقَوْلِهِ : « دُونَ أَنْ أَقْتُلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عَشْرَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ » .

١٥ فَقَالَ الْحُصَيْنِ : لَقَدْ كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّكَ مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ ، أَكَلَمَكَ سِرًّا ، وَتَكَلَّمَنِي عَلَانِيَةً ، وَأَدْعُوكَ إِلَى الْخِلَافَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى الْحَرْبِ .

ثُمَّ انْصَرَفَ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ثَانِيًا . فَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَهَا ، وَقَالَ : « مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ » فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : « مَا هَمَمْنَا بِذَلِكَ » .

٢٠ وَذَكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُبْدِيُّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، وَلَحِيَّتَهُ بَيْضَاءَ ، وَقَدْ خَفَّ جَانِبَاهَا ، وَبَقِيَ وَسْطُهَا ، فَقُلْتُ : « يَا أَبَا سَعِيدَ ، مَا حَالُ لَحِيَّتِكَ ؟ »

(١) الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى مَكَّةَ مِنْ غَرْبِهَا ، وَكَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ « الْأَمِينِ » لِأَنَّهُ اسْتَوْدَعَ فِيهِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ .

(٢) اخْتَلَطَ وَفَسَدَ .

فقال : « هذا فعل ظلمة أهل الشام يوم الحرّة ، دخلوا على بيتي ، فأنهبوا ما فيه حتى أخذوا قدحى الذى كنت أشرب فيه الماء ، ثم خرجوا ، ودخل على بعدهم عشرة نفر ، وأنا قائمٌ أصلى ، فطلبوا البيت ، فلم يجدوا فيه شيئاً ، فأسفوا لذلك ، فاحتملوني من مُصلّائى ، وضربوا فى الأرض ، وأقبل كل رجل منهم على ما يليه من لحيّتى ، فنتفّه ، فأتى منها خفيفاً فهو موضع النّتف ، وما تراه عافياً فهو ما وقع فى التراب ، فلم يصلوا إليها ، وسادّها كما ترى حتى أوافى بهاربنى . »

[الخوارج]

قالوا : وفى سنة ثمانين تغاقم أمر الأزارقة الخوارج ؛ وإنما سُمّوا أزارقة برئيسهم نافع بن الأزرق .

١٠

وكان أول خروجهم فى أربعين رجلاً ، وفيهم من عظمائهم نافع بن الأزرق ، وعطيّة بن الأسود ، وعبد الله بن صَبَّار ، وعبد الله بن إباح ، وحنظلة بن بيّهس ، وعبيد الله بن ماحوز ، وذلك فى سلطان يزيد .

١٥

وعلى البصرة يومئذ عبيد الله بن زياد ، فوجه إليهم عبيد الله أسلم بن ربيعة فى ألفى فارس ، فلحقهم بقرية من الأهواز تدعى « آسك » ^(١) مما يلى فارس ، فواقهم ، فقتلت الخوارج من أصحاب ابن ربيعة خمسين رجلاً ، فانهزم أسلم ؛ فأنشأ رجل من الخوارج يقول :

٢٠

أَأَلَفْنَا مُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُكُمْ يَاسَكْ أَرَبَعُونَ؟
كَذَبْتُمْ ، لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ
أَطَعْتُمْ أَمَرَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلظَّالِمِينَ

(٢) بلد من نواحي الأهواز ، قرب أَرَجَان .

فانغاط ابن زياد من ذلك ، فكان لا يدع بالبصرة أحدا ممن يُتهم برأى الخوارج إلا قتله ، حتى قتل بالهمة والظنة تسعمائة رجل .

ولم يزل يتفاقم أمر الخوارج ، ويتحلب إليهم من كان على رأيهم وهوام من أهل البصرة حتى كثروا بعد موت يزيد ، وهرب عبيد الله بن زياد من العراق .

• وخاف أهل البصرة الخوارج على أنفسهم ، ولم يكن يومئذ عليهم سلطان ، فاجتمعوا على مسلم بن عُبَيْس القُرَشِي ، ووجهوا معه خمسة آلاف فارس من أبطال البصرة ، فسار إليهم ، فلحقهم بمكان يسمى « الدُولاب » ^(١) فالتقوا واقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض ، حتى تسكسرت الرماح وتقطعت السيوف ، وصاروا إلى المسكامة ، فقتل مسلم بن عُبَيْس ، وانهزم أصحابه .

فقال رجل من الأزد :

قَدْ رَمَيْنَا الْعَدُوَّ إِذْ عَظُمَ الْخَطُ بُ يَذِي الْجُودِ مُسْلِمَ بْنَ عُبَيْسٍ
فَانْظُرُوا غَيْرَ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْسٍ فَاطْلُبُوهُ مِنْ حَيْثُ أَيْنَ وَلَيْسَ ^(٢)
لَوْ رُمُوا بِالْمَهْكَبِ بْنِ أَبِي صَفْ رَةَ كَانُوا لَهُ كَأَكَلَةِ حَيْسٍ ^(٣)
وكان المهلب يومئذ بخراسان على ولايتها .

١٥ تخاف أهل البصرة حين قُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ خوفاً شديداً من الخوارج ، فاختاروا عثمان بن مَعْمَر القُرَشِي ، وانتدب معه زهاء عشرة آلاف رجل من أبطالهم ، فسار بهم عثمان في طلب الخوارج ، فلحقهم بفارس ، فاقتتلوا ، فَقُتِلَ عثمان ، وانهزم أصحابه .

٢٠ فكتب أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير يُعلمونه أنه لا إمام لهم ، ويسألونه أن يوجه إليهم رجلا من قبَله يتَوَلَّى الأمر .

(١) من قرى الرى . (٢) أى من حيث هو ولا هو .

(٣) الحيس تمر يخلط بسمن ونخيس غنم ، فيعجن شديداً ، ثم يندر منه نواه .

فوجه إليهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، فقدم البصرة ، وتولى
الأمر بها ، فدعا وجوه أهل البصرة ، فاستشارهم في رجل يوليه حرب الخوارج ،
فكلهم قالوا : « عليك بالمهلب بن أبي صفرة » .

وقام رجل من أهل البصرة يُعرف بابن عرادة ، فأنشده :

- مَضَى ابْنُ عُبَيْسٍ مُسْلِمٌ لِسَبِيلِهِ فَقَامَ لَهَا الشَّيْخُ الْحِجَازِيُّ عُثْمَانُ ٥
فَارْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللَّقَاءِ ابْنُ مَعْمَرٍ وَأُبْرِقَ ، وَابْرَقَ الْحِجَازِيُّ خَوَّانُ
وَلَمْ يُنِكَ عُثْمَانُ جَنَاحَ بَمُوضَةٍ وَأَضْحَى عَدُوَّ الدِّينِ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبُ إِنَّهُ مَلَى بِأَمْرِ الْحَرْبِ ، شَيْخٌ لَهُ شَانُ
إِذَا قِيلَ مَنْ يَحْيَى الْمِرَاقِينَ أَوَمَاتُ إِلَيْهِ مَعْدٌ بِالْأَكْفِ ، وَقَحْطَانُ
فَذَاكَ امْرُؤٌ إِنْ يَلْقَهُمْ يُطْفِئُ نَارَهُمْ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبُ إِنْسَانُ ١٠

[حرب المهلب مع الخوارج]

فقال الأخنف بن قيس للحارث بن عبد الله : أيها الأمير ، اكتب إلى
أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، وسله أن يكتب إلى المهلب بأن يخلف على خراسان
رجلا ، ويسير إلى الخوارج ، فيتولى محاربتهم . فكتب .

- ١٥ فلما انتهى كتابه إلى عبد الله بن الزبير كتب إلى المهلب :

- « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى المهلب بن
أبي صفرة ؛ أما بعد ، فإن الحارث بن عبد الله كتب إلي يخبرني أن الأزارقة
المارقة قد سعرت نارها ، وتفاقم أمرها ، فرأيت أن أولئك قتالهم لما رجوت
من قيامك ، فتكفي أهل مصرك شرهم ، وتؤمن روعتهم ، نخلف بخراسان
من يقوم مقامك من أهل بيتك ، وسرحتي توافي البصرة ، فتستمد منها بأفضل
عُدَّتِكَ ، وتخرج إليهم ، فإني أرجو أن ينصر الله عليهم ، والسلام » .
فلما وصل كتابه إلى المهلب خلف على خراسان .

وأقبل حتى وَاَقَى البصرة ، فصعد على المنبر ، وكان نَزَرَ الكلامَ وَجِيزَةً ، فقال :

«أيها الناس ، إنه قد غَشِيَكُمْ عدوٌ جاحِدٌ ، يسفك دماءكم ، وينتهب أموالكم ، فإن أعطيتموني خِصَالًا أسألكموها قت لكم بحربهم ، واستعنت بالله عليهم ، وإلا كنت كواحدٍ منكم لمن تجتمعون عليه في أمركم » .

قالوا : وما الذي تريد ؟ .

قال : أنتخب منكم أوساطكم ، لا الغنيَّ المُثْقَل ، ولا السُّبْرُوت^(١) الخِفِّ ، وعلى أن لي ما غَلَبْتُ عليه من الأرض ، وألا أخالف فيما أدبر من رأيي في حربهم ، وأترك ورأيي الذي أراه ، وتديري الذي أدبره .
فناداه الناس : لك ذلك ، وقد رَضِينَا به .

فنزل من المنبر ، وأتى منزله ، وأمر بديوان الجُند ، فأُخْضِرَ ، فانتخب من أبطال أهل البصرة عشرين ألف رجل ، فيهم من الأزْد ثمانية آلاف رجل ، وبقيتهم من سائر العرب ؛ ووَلَّى ابنه المغيرة مقدّمته في ثلاثة آلاف رجل .

وسار حتى أتى الخوارح ، وهم « بنهر تُسْتَر »^(٢) ، فواقمهم ، فهزمهم ، حتى بلغوا الأهواز ، فقال زياد الأعجم في ذلك :

جَزَى اللهُ خَيْرًا ، وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ أَخَا الْأَزْدِ عَنَّا مَا أَذَبَ وَأَخْرَبَا
وَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ وَأَلَّا تُوَارِي دُونَنَا الشَّمْسُ كَوَكْبَا
دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ ، فَاسْتَكَّ سَمْعُهُ وَأُحْنَفَ طَاطَا رَأْسَهُ ، وَتَهَيَّيَا
وَكَانَ ابْنُ مَنْجُوفٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ فَقَصَرَ عَنْهَا حَبْلُهُ وَتَذَبَذَبَا
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ كَلَّ حَدُّهُمْ لَدَى حَرِّبِهِمْ فِيهَا دَعَوْنَا الْمُهَلَّبَا

(١) الفقير .

(٢) أعظم أنهار خوزستان ، بنى عليه سابور الملك شاذروان بياستر ، حتى ارتفع ماؤه إلى المدينة ، لأن تستر على مكان مرتفع من الأرض ، وهذا الشاذروان كان من عجائب الأبنية ، طوله ميل ، مبنى بالحجارة المحكمة ، والصخر وأعمدة الحديد .

وأقام المهلب بالجسر بعد أن هزم الخوارج أربعين يوماً ، ثم ارتحل سائراً في آثارهم .

فبلغ ذلك نافع بن الأزرق ، فأقام بالأهواز حتى وافاه المهلب ، فواقمهم بمكان يسمى « بَسَلَى »^(١) ، فقاتلهم يوماً إلى الليل ، وأصابته ضربة في وجهه ، أغشى عليه منها ؛ فقال الناس « قُتِلَ الأمير » ، فازدادوا لذلك حنقا وجداً ، وقتلوا ٥ من الخوارج بشراً كثيراً ، وقُتِلَ رئيسهم نافع بن الأزرق ، وانهزمت الخوارج نحو فارس .

وبلغ أهل البصرة أن المهلب قُتِلَ ، فرُجَّ المِصْرُ بأهله ، وهم أميرهم الحارث ابن أبي ربيعة أن يهرب ، فكتب إليه رجل من بني يشكر :

أَيَا حَارِ ، يَا ابْنَ السَّادَةِ الصَّيِّدِ ، هَبْ لَنَا مَقَامَكَ ، لَا تَرَحَّلْ وَلَمْ يَأْنِكَ الْخَبَرُ ١٠
فَإِنْ كَانَ أَوْدَى بِالْمُهَلَّبِ يَوْمُهُ فَقَدْ كَسَفَتْ فِي أَرْضِنَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَمَا لَكَ مِنْ بَسَدِ الْمُهَلَّبِ عَرَجُهُ وَمَا لَكَ بِالْمِصْرَيْنِ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
فَدُونَكَ ، فَالْحَقْ بِالْحِجَازِ ، وَلَا تُقِمْ بِلَدَيْنَا ، إِنَّ الْمَقَامَ بِهَا خَطَرُ
وَإِنْ كَانَ حَيًّا كُنْتَ بِالْمِصْرِ آمِنًا وَكَانَ بَقَاؤُهُ الْمَرْءَ فِينَا هُوَ الظَّفَرُ

١٥ وقال رجل من بني سعد :

أَلَا كُلُّ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَيْنٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ عِنْدَ فَقْدِ الْمُهَلَّبِ
فَإِنْ يَكُ قَدْ أَوْدَى فَمَا نَحْنُ بَعْدَهُ بِأَمْنٍ مِنْ شَاءِ عِجَافٍ لِأَذْوَبِ^(٢)
نَعُوذُ بِمَنْ أَرَسَى تَبِيرًا مَكَانَهُ وَمُرْبَى حِرَاءِ وَالْقُدَيْدِ وَكَبْكَبِ^(٣)
مِنَ الْخَبَرِ الْمَلْقَى عَلَى الْحُورِ خِذْرَهَا وَيَشْجَى بِهِ مَا يَبْنُ بُصْرَى وَيَثْرِبِ

(١) موضع بالأهواز قرب منادر .

(٢) جمع ذئب . (٣) الككبب كجفر جبل برفات خلف ظهر الإمام إذا وقف .

فَأَقْبَلَ الْبَشِيرَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِسَلَامَةِ الْمُهَلَّبِ ، فَاسْتَبَشَرُوا بِذَلِكَ ، وَاطْمَأْنَنُوا ،
وَأَقَامَ أَمِيرُهَا بَعْدَ أَنْ هَمَّ بِالْهَرَبِ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ :

إِنَّ رَبًّا أَنْجَى الْمُهَلَّبَ ذَا الطَّوِّ ۖ لِي لَأَهْلٌ أَنْ تَحْمَدُوهُ كَثِيرًا ۖ
لَا يَزَالُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْوَ ۖ رَةً مَا عَاشَ بِالْمِرَاقِ أَمِيرًا ۖ
فَإِذَا مَاتَ فَالْجَالُ نِسَاءَ ۖ مَا يُسَاوِي مِنْ بَعْدِهِ قَطْمِيرًا^(١)
قَدْ أَمِنَّا بِكَ الْمَدُوَّ عَلَى الْمِضْ ۖ وَوَقَّرْتَ مِنْبَرًا وَسِيرًا ۖ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي قَتْلِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ :

شِمَتَ الْمُهَلَّبُ ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ۖ وَالشَّامِتُونَ بِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ ۖ
إِنْ مَاتَ غَيْرَ مُدَاهِنٍ فِي دِينِهِ ۖ وَمَتَى يَمُرُّ بِذِكْرِ نَافِعٍ يَصْمَقُ ۖ
وَالْمَوْتُ أَمْرٌ لَا حِمَالَةَ وَاقِعٌ ۖ مَنْ لَا يُصَبِّحُهُ نَهَارًا يَطْرُقُ ۖ
فَلَنْ مُنِينًا بِالْمُهَلَّبِ إِنَّهُ ۖ لِأَخَوِ الْحُرُوبِ وَلَيْثُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ۖ
وَلَمَلَهُ يَشْجَى بِنَا ۖ وَلَمَلْنَا ۖ نَشْجَى بِهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ نَلْتَقَى ۖ
بِالسُّمْرِ نَخْتَطِفُ النُّفُوسَ ذَوَابِلًا ۖ وَبِكُلِّ أَيْمَنٍ صَارِمٍ ذِي رَوْنَقِ ۖ
فَبِذِيْقُنَا فِي حَرِّ بِنَا ، وَبِذِيْقُهُ ۖ كُلُّ مَقَالَتُهُ لِصَاحِبِهِ ذُقِ ۖ

وَبَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَا كَانَتْ مِنْ عِزِّهِ عَامِلُهُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى الْهَرَبِ ، فَعَزَلَهُ ،
وَوَلَّى أَخَاهُ مُصَنَّبًا ؛ فَسَارَ مُصَنَّبٌ حَتَّى قَدِمَهَا ، وَتَوَلَّى أَمْرَ جَمِيعِ الْمِرَاقِينَ ، وَفَارَسَ ،
وَالْأَهْوَازَ .

(١) الْقَطْمِيرُ شَقُّ النَّوَاةِ أَوْ الْفَشْرَةِ الَّتِي فِيهَا ، أَوِ الْقَشْمِرَةُ الرَّقِيقَةُ بَيْنَ النَّوَاةِ وَالنَّمْرِ .

ولما قُتل نافع بن الأزرق اجتمعت الخوارج ، فولوا على أنفسهم عبد الله ابن ماحور^(١) ، وكان من نساءَهم .

وبلغ ذلك المهلب ، فسار من الأهواز في طلبهم حتى وافاهم بمدينة « سابور » من أرض فارس ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، وانهزمت الخوارج في آخر النهار حتى انتهوا إلى مكان يدعى « كُرْكان »^(٢) .

واتبعهم المهلب ، فوافاهم ، فالتقوا به في يوم شديد المطر ، فقاتلهم ، فهزمهم ، فأخذوا نحو كرمان^(٣) .

فلم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد إلى بلد ، ويواقمهم وقعة بعد وقعة طول ممالك عبد الله بن الزبير إلى مقتله ، وخلص الأمر لعبد الملك بن مروان .

١٠ فلما استهدف الأمر لعبد الملك ، وولّى الحجاج المراقين استبطأ المهلب في استئصال الخوارج ، وظن أنه يهوى مطاوتهم ، فبعث إليه عبد الأعلى بن عبد الله العامري ، وعبد الرحمن بن سبرة ، وقال لهما « احملاه على مناجرة القوم وترك مطاوتهم » .
فقدما عليه ، فأخبراه بما بشأله ، فقال لهما :

« أقيمّا حتى نَمّاينا ما نحن فيه ، فإن الحجاج أناه السّماع فقبله ، وأتاه العيان

١٥ فرّدّه ، وقد حملنى على خلاف الرأى ، وزعم أنه الشاهد وأنا الغائب »

ثم سار نحو الخوارج فلاحقهم بأداني أرض كرمان ، فواقمهم . وأمامه ابنه الفضل ، فقتل رئيس الخوارج عبد الله بن ماحور ، وانهزموا حتى توسطوا أرض كرمان ، وولوا على أنفسهم رجلا من نساءَهم ، يسمى « قَطْرَى بن الفُجاءة » .
ثم إن المهلب انصرف إلى بلد سابور ، فوافاهم يوم النّحر ، فخرج بالناس إلى المصلى .

٢٠

(١) في الأصل : ماحوز .

(٢) مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان .

(٣) ولاية مشهورة ، وناحية معمورة ، ذات بلاد وقرى ، ومدن واسعة ، وهى بلاد كثيرة

النخل والزرع ، ومن مدنها المشهورة جيرفت .

فبينما هو يخطب الناس على المنبر ، وقد صَلَّى بهم إذ أقبلت الخوارج ، فقال : سبحان الله ، أفي مثل هذا اليوم يأتوننا ؟ ما أَبْقَضَ إِلَى المحاربة فيه ، ولكن الله تعالى يقول : « الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ، فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ » (١) .

ثم نزل عن المنبر ، ونادى في أصحابه ، فركبوا واستلأموا ، واستقبلوا الخوارج ، فحملت عليهم الخوارج ، وأمامهم عظيم منهم يسمى « عمرو القنا » وكان من فرسانهم ، وهو يرتجز :

نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّخْرِ بِالْخَيْلِ أَمْثَالَ الْوَشِيحِ تَسْرِي (٢)
يَقْدُمُهَا عَمْرُو الْقَنَا فِي الْفَجْرِ إِلَى أَنْاسٍ لَهَجُوا بِالْكَفْرِ
الْيَوْمَ أَقْضَى فِي الْمَدُوِّ نَذْرِي ١٠

ثم اقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض ، وكثرت بينهم القتلى ، فلم يزل كل فريق منهما على مكانه حتى حال بينهم الليل ، وانحازت الخوارج إلى كازرون (٣) .

وسار إليهم المهلب فواقعهم بكازرون ، فأسرع المهلب في الخوارج ، [فتفرقوا] (٤) في تلك الوقعة ، وصاروا سيارّةً ، وخرجوا إلى تَخُومِ إصطخر ، واتبعهم المهلب . ١٥

فتوافق الفريقان ، وحمل بعضهم على بعض ، وأمام الخوارج رجل يرتجز :
حَقَّى مَتَى يَتْبَعُنَا الْمُهَلْبُ لَيْسَ لَنَا فِي الْأَرْضِ مِنْهُ مَهْرَبُ
وَلَا السَّمَاءُ ، أَيْنَ أَيْنَ الْمَذْهَبُ ؟

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٤ .

(٢) الوشيج : شجر الرماح .

(٣) مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، ويقال لأنها هي دمياط الأعاجم ، وكلها قصور وبساتين ممتدة عن عين وشمال .

(٤) في الأصل : ففرقوا .

فلما سمع قطري ذلك بكى ، ووطن نفسه على الموت ، وبأشَر الحرب بنفسه ، وهو يرتجز :

حَتَّى مَتَى تُخْطِئُنِي الشَّهَادَةُ وَالْمَوْتُ فِي أَغْنَاكِ قِلَادَةُ
لَيْسَ الْفِرَارُ فِي الْوَعَى بِمَادَّةَ يَا رَبِّ زِدْنِي فِي التَّقَى عِبَادَةُ
وَفِي الْحَيَاةِ بِمَدَّهَا زَهَادَةُ

فاقتتلوا يومهم حتى حال بينهم الليل .

ومضى قطري في أصحابه نحو « جيرفت » (١) ، وهم بالهرب إلى كرمان ، فقال رجل من أصحابه :

أَيَا قَطْرِيَّ الْخَيْرَ إِنْ كُنْتَ هَارِبًا سَتُلْبِسُنَا عَارًا وَأَنْتَ مُهَاجِرُ
إِذَا قِيلَ قَدْ جَاءَ الْمُهَلَّبُ أَسْلَمْتَ لَهُ شَفَتَاكَ الْقَمَّ ، وَالْقَلْبُ طَائِرُ
فَحَتَّى مَتَى هَذَا الْفِرَارُ خَافَةً وَأَنْتَ وَلِيٌّ ، وَالْمُهَلَّبُ كَافِرُ

ولما رأت الخوارج نكول قطري عن الحرب ، وما هم به من الفرار خلموه عنهم ، وولّوا « عبدربه » وكان من نساكهم ، فسار بهم إلى قومس (٢) ، فأقام بها .

١٥ [المهلب والحجاج]

وأن الحجاج كتب إلى المهلب :

« أما بعد ، فقد طاولت القوم وطاولوك ، حتى ضروا بك ومروا على حرّ بك ، ولعمري لو لم تطاولهم لا نحسم الداء وانتقم القرن ، وما أنت والقوم سواء ، إن

(١) مدينة بكرمان ، من أعيان مدنها وأنزهها ، بها نخل وفواكه ، قال سهيل بن عدى :

ولم تر عيني مثل يوم رأيته بجيرفت من كرمان أوهى وأحقرا

(٢) تعريب كومس : كورة كبيرة واسعة ، بها مدن وقرى ومزارع فذيل جبل طبرستان ،

قصبها دامن ، بين الري وفسابور ، ومن مدنها بسطام .

خَلَقَكَ رَجُلًا وَأَمْوَالًا ، وَالْقَوْمَ لَا رَجَالَ عَنْدهُمْ وَلَا أَمْوَالًا ، وَلَنْ يَدْرَكَ
الْوَجِيفُ ^(١) بِالذَّيْبِ ، وَلَا الْجِدَّ بِالْتَّمْذِيرِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ عبيد الله بن مَوْهَبٍ ،
لِيَأْخُذَكَ بِمَنَاجِزَةِ الْقَوْمِ وَتَرْكُ مَطَاوِلَتِهِمْ ، وَالسَّلَامُ » .

فلما قدم عبيد الله بن مَوْهَبٍ عَلَى الْمُهَلَّبِ بِكِتَابِ الْحِجَااجِ كَتَبَ إِلَيْهِ فِي جَوَابِهِ :
« أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّهُ أَنَا نِي مِنْ قَبْلِكَ رَجُلَانِ ، لَمْ أُعْطِهِمَا عَلَى الصَّدَقِ ثَمَنًا ، وَلَمْ أُحْتَجَّ
مَعَ الْعَيَانِ إِلَى التَّقْدِيرِ ، وَلَمْ يَكْذِبَا فِيمَا أَنْبَاكَ بِهِ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عَدُوِّي ، وَالْحَرْبُ لَا
يَدْرِكُهَا إِلَّا الْمَكِثُ ، وَلَا بَدَلُهَا مِنْ فَرْجَةٍ يَسْتَرِيحُ فِيهَا الْغَالِبُ ، وَيَحْتَالُ فِيهَا الْمَغْلُوبُ ،
فَأَمَّا أَنْ أُنْسَاهُمْ وَيَنْسَوْنِي فِيهِمَا مِنْ ذَلِكَ ، وَالْقَوْمُ سُدَّيْ ، فَإِنْ طَمَعُوا أَقَامُوا ، وَإِنْ
يُثْسِرُوا هَرَبُوا ، فَعَلَى فِي مَقَامِهِمُ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ ، وَفِي هَرَبِهِمُ الْجِدِّ وَالطَّلَبِ ، وَأَنَا
إِذَا طَاوَلْتُهُمْ شَارَكْتُهُمْ فِي رَأْيِهِمْ ، وَإِذَا عَاجَلْتُهُمْ شَرَكُونِي فِي رَأْيِي ، فَإِنْ خَلَّيْتَنِي
وَرَأَيْ قَدْ أَكَّ ذَاكَ مُحْصُومٌ وَقَرْنٌ مَقْصُومٌ ، وَإِنْ عَجَّلْتَنِي لَمْ أُطْعَمْ وَلَمْ أُعْصِكَ ،
وَكَانَ وَجْهِي إِلَيْكَ بِإِذْنِ مَنْكَ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِ الْأَمْرَاءِ وَمَقْتِ الْأَعْمَةِ ،
وَالسَّلَامُ .

فلما قرأ الْحِجَااجِ كِتَابَهُ كَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ : « إِنِّي قَدْ رَدَدْتُ الرَّأْيَ إِلَيْكَ ، فَدَبِّرْ
مَا تَرَى ، وَاعْمَلْ مَا تَرِيدُ » .

فلما أَنَاهُ كِتَابُ الْحِجَااجِ بِذَلِكَ نَشَطَ لَطَلَبُ الْخَوَارِجِ .
وَسَارَ فِي طَلَبِهِمْ إِلَى أَرْضِ قَوْمَسَ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ ، فَأَتَوْا « جِرْفُتَ » وَتَحَصَّنُوا
فِي مَدِينَةٍ هُنَاكَ ، نَفَرَ جُ خَلْفَهُمْ ، وَحَاصَرَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَكَلُوا خَيْلَهُمْ .
وَأَمَرَ الْمُهَلَّبُ ابْنَهُ زَيْدًا أَنْ يَقِيمَ عَلَيْهِمْ أَيَّامًا ، ثُمَّ يَخْلِي لَهُمْ عَنِ الْبَابِ ، فَإِذَا
خَرَجُوا وَأَصْحَرُوا اتَّبَعَهُمْ .

وَتَنَحَّى الْمُهَلَّبُ فَعَسَكَرَ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ زَيْدٌ أَيَّامًا ، ثُمَّ خَلَّى لَهُمْ
عَنِ الْبَابِ ، نَفَرَ جُ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُهَلَّبُ .

(١) الْوَجِيفُ : ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ .

فسار في طلبهم يومين حتى لحقهم ، فوقفوا له ، فاقتتلوا يوماً كله ، ثم غدوا في اليوم الثاني على الحرب ، فناداهم عبد ربّه : « يا معشر المهاجرين ، زوّحوا بنا إلى الجنة ، فإنّ القوم رائحون إلى النار » .

فاطعنوا بالرماح حتى تكسّرت ، واضطربوا بالسيوف حتى تقطّعت ، ثم صاروا إلى المانقة ، فترجّل المهلب في مُحامته ، وحمل عليهم ، وهو يتلو قول الله عز وجل : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ » (١) .

فلم يزالوا يقتتلون حتى حال بينهم الليل ، ثم غدّوا على الحرب ، وقد كسرت الخوارج جفون سيوفهم ، وحلّقوا رؤوسهم ، فاقتتلوا ، فقتل عبد ربّه ، وجميع أبطاله ، ولم يبق إلا ضعفاؤهم ، فدخلوا في عسكر المهلب ، وانضم كل رجل إلى عشيرته من أصحاب المهلب .

فنزّل المهلب عن فرسه ، وقال « الحمد لله الذي ردّنا إلى الأمن ، وكفانا مشونة الحرب ، وكفى أمر هذا العدو » .

ووجه بشر بن مالك الحرسى إلى الحجاج يبشّره بالفتح ، وكتب معه كتاب الظفر .

فأما وصل الكتاب إلى الحجاج وجّه به إلى عبد الملك ، وقام بشر بن مالك ، فأنشأ يقول :

قَدْ حَسَمْنَا دَاءَ الْأَزَارِقَةِ الدَّهْرِ رَ ، فَأَضْحَوْا طُرّاً ، كَالْ تَمُودِ
بطمان الكُماةِ في ثُغْرِ القَوِّ مَ وَضَرَبَ يُشِيبُ رَأْسَ الْوَلِيدِ
كُلَّمَا شِئْتُ رَاعِنِي قَطْرِي فَوْقَ عَبْلِ الشَّوَى أَقْبَ عَنُودِ (٢)
مُعِلِّمًا يَضْرِبُ الْكِتَابَةَ بِالسَّيْفِ فِ ، وَعَمَرُو كَالنَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٣ .

(٢) عبل الشورى أى قوى الدين والرجلين والفرس الأقب هو الضامر البطن والعنود من الإبل والدواب المتقدمة في السير .

وكتب الحجاج إلى المهلب يأمره بالقدوم عليه .

فسار حتى قدم على الحجاج ، فاستقبله الحجاج ، وأظهر برّه وإكرامه ، وأمر له بالجوائز والصلوات ، وأمر لوُلده ... وكانوا سبعة - المغيرة ، وحبيب ، ويزيد ، والفضل ، ومُدرِك ، ومُجد ، وعبد الملك ، وعبد الله ؛ وأكرم أصحاب المهلب .

[قتل قطرى بن الفجاءة]

٥

ولحق قطرى بالرى ، فوجه الحجاج سفيان بن الأبرد حتى أتى الرى ، وعليها إسحق بن محمد بن الأشعث ، فركب معه فى مائة فارس من جنده ، وساروا حتى لحقاه ، وهو فى مائة فارس يتخوم طبرستان ، فنزل عن دابته ، ونام متوسداً يده ، ثم استيقظ ، وقال لِعَلَجٍ^(١) من أهلها : إيتنى بشربة من ماء . فأتاه بالماء ؛ ولحقه القوم ، فقتلوه قبل أن يشرب ذلك الماء ، واحتزّ رأسه ، وأخذهُ سفيان بن الأبرد ، وانصرف إلى الحجاج ، فرمى بالرأس بين يديه ، فوجه الحجاج بالرأس إلى عبد الملك .

١٠

[ولاية خراسان]

وأقام المهلب بعد انصرافه بالبصرة فى منزله حتى وافاه عهده من عند عبد الملك على خراسان ، فسار إليها فكث عليها خمس سنين ، ثم مات .

فجعل عبيد الملك أمر خراسان إلى الحجاج ، فأقرّ الحجاج عليها يزيد ابن المهلب .

١٥

وكان يزيد أجمل ولد المهلب جمالا وأكلهم عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأذربهم لسانا ؛ وكان المهلب استخلفه عليها عند وفاته ، فكث عليها أعواما ، ثم عزله الحجاج ، واستعمل عليها قُتَيْبَةُ بن مُسلم ، فافتتح كل ما وراء النهر ، ولم يزل هناك إلى أن هاج به أصحابه ، فقتلوه .

٢٠

(١) العَلَج : الرجل الشديد الغليظ ، وقيل هو من خرجت لحيته ، واشتد بدنه ، أو هو الرجل من كفار العجم .

وأفضى الملك بعد ذلك إلى الوليد بن عبد الملك ، ثم إلى سليمان بن عبد الملك ، فولى سليمان على العراق خالد بن عبد الله القسرى ، فولى خالد أخاه أسد بن عبد الله خراسان ، فلم يزل بها حتى ظهر فيها دُعاة الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

[العراق بعد موت يزيد]

قالوا ، ومات يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد بالبصرة ، فكتب إليه الحارث بن عباد بن زياد بهذه الأبيات :

أَلَا يَا عُبَيْدَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ مَنْ بِهِ مَلَكَتْ رِقَابَ الْعَالَمِينَ يَزِيدُ
أَتَثَبْتُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ وَتَرْتَهُمْ ؟ وَذَلِكَ مِنَ الرَّأْيِ الزَّيْنِقِرِ بَعِيدُ^(١)
وَمَالِكَ غَيْرُ الْأَزْدِ جَارُ فَائِهِمْ أَجَارُوا أَبَاكَ ، وَالْبِلَادُ تَعِيدُ

فتمعجب عبيد الله من رأى ابن أخيه ، وكان ذا رأى .

ثم إن عبيد الله دعا بمولى له يسمى مهران ، وكان يُمدَلُ في الدهاء والأدب والعقل يورّدان غلام عمرو بن الماص ، وهو الذى يُنسَبُ إليه البراذين المهرانية ، فقال يامهران :

— إن أمير المؤمنين يزيد قد هلك ، فما رأى عندك ؟

— فقال مهران : أيها الأمير ، إن الناس إن ملكوا أنفسهم لم يولّوا عليهم أحدا من ولد زياد ، وإنما ملكتم الناس بمعاوية ، ثم يزيد ، وقد هلكا ، وإنك قد وَتَرْتَ الناس ، ولست آمن أن يثبوا بك ، والرأى لك أن تستجير هذا الحى من الأزد ، فإنهم إن أجاروك منعوك ، حتى يبلغوا بك مأمنك ، والرأى أن تبعث إلى الحارث بن قيس ، فإنه سيّد القوم ، وهو لك محبّ ، ولك عنده يد ، فتخبره بموت يزيد ، وتسأله أن يجيرك .

(١) الزنقي بضمّتين : العقول الثامة .

فقال عبيد الله : أصبت الرأي يا مهران .

ثم بعث من ساعته إلى الحارث بن قيس ، فأتاه فأخبره بموت يزيد ، واستشاره ، فقال :

المستشار مؤتمن ، فإن أردت المقام منعناك معاشر الأزد ، وإن أردت الاستخفاء
اشتملنا عليك حتى يسكن عنك الطلب ، ويخفى على الناس موضعك ، ثم توجه معك
من يبلّغك مأمنك .

فقال عبيد الله : هذا أريد .

فقال له الحارث : فأنا أقيم عندك ، إلى أن تمسى ويختلط الظلام ، ثم أنطلق
بك إلى الحى .

فأقام الحارث عند عبيد الله .

فلما أمسى واختلط الظلام أمر عبيد الله أن تُوَقَدَ السُّرُجُ في منزله ليأته كلها ،
ليظن من يطلبه أنه في منزله ، ثم قام فلبس ثيابه ، واعمّ بهامته وتلثم .
فقال له الحارث : « التلثم بالنهار ذلّ ، وبالليل ريبة ، فاحسِرْ عن وجهك ،
وسِرْ خلقي ، فإن المقدم وقاية للمؤخر » ، فسار .

فقال للحارث : تَخَلَّلْ بِنَا - فذاك أبي وأمي - الطرق ، ولا تأخذ بنا طريقا
واحدا ، فإني لا آمن أن يطلبَ أرى .

فقال الحارث : لا بأس عليك ، إن شاء الله ، فاطمئن .

ثم سارا هَوِيًّا .

فقال للحارث : أين نحن ؟ .

قال : في بني مسلم .

قال : سلمنا إن شاء الله .

ثم سارا جميعا ساعة ، فقال : أين نحن ؟ .

قال الحارث في بني ناجية .

قال : نجونا إن شاء الله .

ثم سارا حتى انتهيا إلى الأزد ، وأقحم الحارث بعبيد الله دار مسمود بن عمرو ،

وكان رئيس الأزد كلها بعد المهلب بن أبي صفرة ، وكان المهلب في هذا الوقت بخراسان بعدُ .

فقال الحارث لمسمود : يا ابن عم ، هذا عبيد الله بن زياد ، قد أجرته عليك وعلى قومك .

قال مسمود : أهلكت قومك يا ابن قيس ، وعرضتنا لحرب جميع أهل البصرة ، وقد كنّا أجرنا أباه من قبله فما كانت عنده مكافأة .

وكان سبب إجارتهم زيادا ، أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، في خلافته ولّى زيادا البصرة عند خروجه إلى صفين ، وإنما كان يعرف بزياد بن عبيد ، فوجه معاوية إلى البصرة عامر بن الحضرمي في جمع ، فغلب على البصرة ، وهرب منه زياد ، فلجأ إلى الأزد ، فأجاروه ، ومنعوه حتى ثاب الناس إلى زياد ، واجتمعوا ، فطرد عامر بن الحضرمي عن البصرة ، وأقام على عمله فيها .

ثم إن مسمود بن عمرو أدخل عبيد الله دار نساءه ، وأفرده في بيت من بيوته ، ووكل به امرأتين من خدمه ، وجمع إليه قومه ، فأعلمهم ذلك .

ولما أصبح الناس ، واستحق عندهم الخبر أتوا داره ، فاقتحموها ليقتلوه ، فلم يصادفوا فيها أحدا ، فانطلقوا إلى الحبس ، فكسروه ، وأخرجوا من كان فيه ، وبقي أهل البصرة تسعة أيام بغير والٍ .

فاتفقوا على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، فولّوه أمرهم لصلاحه ، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتولّى الأمر ، وقام بالتدبير .

ولما أتى على عبيد الله أيام ، وأمن الطلب ، قال لمسمود بن عمرو ، والحارث بن قيس : إن الناس قد سكنوا ، ويثسوا مني ، فاعملا في إخراجي من البصرة لألحق بالشام .

فاكترى له رجلا من بنى يشكر أمينا هاديا بالطريق ، وحمله على ناقة مَهْرِيَّة^(١) ، وقالا للشكرى : عليك به لا تفارقه حتى توصله إلى مأمنه بالشام .
فخرج ، وخرجا معه مشيعين له في نفر من قومهما ثلاثة أيام ، ثم ودّعا وانصرفا .

٥ قال الشكرى : فبينما نحن نسير ذات ليلة إذ استقبلنا عيرٌ واحدٌ يحدو فيها ، ويقول :

يَا رَبِّ ، رَبِّ الْأَرْضِ وَالْعِبَادِ الْمَنِّ زِيَادًا ، وَبَنِي زِيَادِ
كَمْ قَتَلُوا مِنْ مُسْلِمٍ عَبَادِ جَمَّ الصَّلَاةِ خَاشِعِ الْفُؤَادِ
يُكَادُ اللَّيْلَ مِنَ الشُّهَادِ

١٠ ر فلما سمع عُبيد الله ذلك فزع ، وقال : عُرِفَ مكانى .
فقلت : لَا تَخَفْ ، فليس كل مَنْ ذَكَرَكَ يعلم موضِعَكَ .
ثم سِرْنَا فاطرق طويلا ، وهو على ناقته ، فظننتُ أنه نائم ، فناديته : يَا نَوَّامَانِ .
فقال : مَا أَنَا بِنَائِمٍ ، وَلَكِنِّي مُفَكِّرٌ فِي أَمْرٍ .
قلت : إِنِّي لَأَعْلَمُ الَّذِي كُنْتَ مُفَكِّرًا فِيهِ .
فقال : هَاتِهِ إِذْنَ . ١٥

قلت : ندمتَ على قتلِكَ الحسين بن عليٍّ ، وفكرتَ في بنائك القصر الأبيض بالبصرة ، وما أنفقتَ عليه من الأموال ، ثم لم يُقَضَّ لَكَ التمتع به ، وندمت على ما كان من قتلِكَ الخوارج من أهل البصرة بالظَنَّةِ والتَّوَهُّمِ .

٢٠ قال عُبيد : مَا أَصَبْتَ يَا أَخَا بَنِي يَشْكُرَ شَيْئًا مِمَّا كُنْتَ مُفَكِّرًا فِيهِ ؛
أَمَّا قَتْلِي الْحُسَيْنِ فَإِنَّهُ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ وَأُمَّةٍ مُجْتَمِعَةٍ ، وَكُتِبَ إِلَى الْإِمَامِ يَأْمُرُنِي بِقَتْلِهِ ،
فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ خَطَأً كَانَ لَازِمًا لِيَزِيدَ ؛ وَأَمَّا بِنَاؤِي الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ ، فَمَا فِكَّرْتَنِي

(١) نوع من الإبل ينسب إلى حميرة بن حيدان .

في قصر بنيته للإمام بأمره وماله ؛ وأما قتلى مَنْ قُتِلَتْ من الخوارج فقد قتلهم قبلي مَنْ هو خير مني ، عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه . غير أني فكّرت في بني أبي ، وأولادهم ، فندمت على تركي إخراجهم من البصرة قبل وقوع ما وقع ، وفكّرت في بيوت الأموال بالكوفة والبصرة ألا أكون فرقتها وبدّتها في الناس عند ما ورد عليّ من وفاة الخليفة ، فكنت أكتسب بذلك حمداً في الناس وذكراً . ٥

قلت : فما تريد أن تصنع الآن ؟

قال : إن وافيت دمشق ، وقد اجتمع الناس على إمام دخلت فيما دخلوا فيه ، وإن لم يكونوا اجتمعوا على أحد كانوا غنماً ، قلبتها كيف شئت .

[خلافة مروان بن الحكم]

١٠ قال : فسرنا حتى دخلنا دمشق ، والناس مختلفون ، لم يعلّكوا عليهم أحداً ، وقد كان مروان بن الحكم همّ باللحاق بعبد الله بن الزبير ليبياعه ، ويكون معه . فدخل عبيد الله ، وعنفه في ذلك ، وقال :

— أنت سيد قومك ، وأحق الناس بهذا الأمر ، فدّ يدك أبايعك .

فقال مروان : وما تبلغ بيعتك وحدك ؟ أخرج إلى الناس وناظرهم في ذلك .
١٥ نخرج من عنده ، ولقي جماعة بني أمية ، فعنفهم في ذلك ، وفي تخاذلهم ، وجعلهم على بيعة مروان ، فاجتمعوا ، وبايعوه .

وتزوج مروان أم خالد بنت هاشم بن عتبة ، التي كانت امرأة يزيد بن معاوية ، فلما تم ملك مروان بن الحكم تسعة أشهر قتلت امرأته أم خالد .

وذلك أن مروان نظر يوماً إلى ابنها خالد بن يزيد بن معاوية ، وهو غلام من أبناء
٢٠ سبيع سنين ، يمشي مشية أنكرها ، فقال له : ما هذه المشية يا ابن الرطبة ؟ .

فشكا الغلام ذلك إلى أمه ، فقالت له : إنه لا يقول بعد هذا .

فسقته السم ، فلما أحس بالموت جمع بني أمية وأشراف أهل الشام ، فبايع لابنه

عبد الملك .

[خلافة عبد الملك بن مروان]

- وامتنع عمرو بن سعيد من البيعة ، ومات مروان . وله ثلاث وستون سنة ،
ثم ملك عبد الملك بن مروان سنة ست وستين ، فخرج عمرو بن سعيد بن العاص
عليه ، فصار أهل الشام فرقتين : فرقة مع عبد الملك ، وفرقة مع عمرو بن سعيد .
فدخلت بنو أمية وأشراف أهل الشام بينهما حتى اصطلحا ، على أن يكونا
مشاركين في الملك ، وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو بن سعيد ،
وعلى أن اسم الخلافة لعبد الملك ، فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن
سعيد ، وكتباً فيما بينهما كتاباً ، وأشهدا عليه أشراف أهل الشام .
وكان رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ من أخص الناس بعبد الملك بن مروان ، فقال له ،
وقد خلا به يوما : يا أمير المؤمنين ، هل من رأيك الوفاء لعمرو ؟
قال : ويحك يا ابن زيباع ، وهل اجتمع فحلان في هجمة قطّ إلا قتل أحدهما
صاحبه ؟

وكان عمرو بن سعيد رجلاً مُعْجَباً بنفسه ، مُتَهَوِّناً في أمره ، مُتَنَزِّهاً بأعدائه .

[قتل عمرو بن سعيد بن العاص]

- ثم إنَّ عَمْرَأً دخل على عبد الملك يوماً ، وقد استعدَّ عبد الملك للندَر به ، فأمر به ،
فأخذ ، فأضجع ، وذبح ذبحاً ، وألف في بساط .
وأحسن أصحاب عمرو بذلك ، وهم بالباب ، فتنادوا ، فأخذ عبد الملك خمسمائة
صُرَّة ، قد هُبَيْتْ ، وجعل في كل صُرَّة ألفاً درهم ، فأمر بها ، فأضعدت إلى أعلى
القصر ، فألقيت إلى أصحاب عمرو بن سعيد مع رأس عمرو ، فترك أصحابه الرأس
مُلَقًى ، وأخذوا المال ، وتفرقوا .

فلما أصبح عبد الملك أخذ من أصحاب عمرو ومواليه خمسين رجلاً ، فضرب
أعناقهم ، وهرب الباقون ، فلحقوا بعبد الله بن الزبير .

وفي ذلك يقول قائلهم :

غَدَرْتُمْ بِعَمْرٍو يَا مَرْوَانَ ضِلَّةً وَمِثْلُكُمْ يَبْنِي الْبُيُوتَ عَلَى الْغَدْرِ
فَرُحْنَا ، وَرَاحَ الشَّامِتُونَ بِقَتْلِهِ كَانَ عَلَى أَكْتَفِنَا فَلَقُ الصَّخْرِ
وَمَا كَانَ عَمْرُو عَاجِزًا ، غَيْرَ أَنَّهُ أَتَتْهُ الْمَنَابَا بَغْتَةً ، وَهُوَ لَا يَدْرِي
كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ يَقْتُلُونَهُ بَغَاثٌ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى صَقْرِ (١)
قالوا : ولما خرج عُبيد الله من البصرة شاع بها أن عُبيد الله كان عند الأزد ،
فأقبل رجل من الخوارج ليلاً ، فجلس لمسمود بن عمرو ، فلما خرج لصلاة الفجر ،
وثب عليه بسكين فقتله .

فاجتمعت الأزد ، وقالوا : والله ما قتله إلا بنو تميم ، ولنقتلن سيدهم
الأحنف بن قيس .

فقال الأحنف لقومه : إن الأزد قد اتهموكم في قتل صاحبهم ، وقد استئنوا
بالظن عن اليقين ، ولا بد من غرم عقله (٢) .
فجمعوا ألف ناقة ، ووجهوا بها إلى الأزد - وكانت دية الملوك - فرضيت
الأزد ، وكفوا .

وقوى أمر عبد الله بن الزبير ، وأعطاه أهل الكوفة الطاعة .
فولى الكوفة عبد الله بن مطيع المدوي .

ووجه أخاه مُصعب بن الزبير إلى البصرة ، وأمر عبد الله بن مطيع بمكاتبتة .
ووجه عماله إلى اليمن ، والبحرين ، وعمان ، وسائر الحجاز .

ودانت لابن الزبير البلدان إلا الشام ومصر . فإن مروان بن الحكم كان حماها .
وانحلبت على ابن الزبير الأموال ، فهدم الكعبة وجدد بناءها ، وذلك في

(١) البغاث مثلثة : طائر ضعيف من شرار الطير ، لونه أغبر . ومن أمثلة العرب ، إن البغاث
بأرضنا يستنسر ، أي من جاورنا عز بنا .

(٢) العقل الدية .

سنة خمس وستين ، وأتت الحجر الأسود في حرير وجمله في تابوت وختم عليه ،
واستودعة الحَجَبَة مع جميع ما كان معلقاً في الكعبة من ذهب وجوهر ؛ ولما بناها
أدخل الحجر في البيت .
فلما قُتِلَ ابنُ الزبير نَقَضَها الحِجَّاجُ ، وأعاد بناءها على ما كان ، فهي على ذلك
إلى اليوم .

[الدعوة إلى العلويين]

قالوا : وإن المختار^(١) بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ جمل يختلف بالكوفة إلى شيعة
بنى هاشم ، ويختلفون إليه ، فيدعوه إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين ؛
فاستجاب له بشرٌ كثير ، وكان أكثر من استجاب له همدان ، وقوم كثير من
أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة ، ففَرَضَ لهم معاوية - وكانوا يُسمَّونَ الحَمَرَاءَ -
وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل .

وكان على الكوفة يومئذ من قَبْلِ عبد الله بن الزبير عبدُ الله بنُ مُطِيع ،
فأرسل ابنُ مُطِيع إلى المختار : ما هذه الجماعات التي تندو وتروح إليك ؟
فقال المختار : مريض ، يُعاد .

فلم يزل كذلك حتى قال له نصحاءُه : عليك إبراهيم بن الأشتر ، فاستَمَلَهُ
إليك ، فإنه متى شايئك على أمرٍ ظفرت به ، وقضيت حاجتك .
فأرسل المختار إلى جماعة من أصحابه ، فدخلوا عليه ، ويده صحيفة مختومة
بالرصاص .

فقال الشَّعْبِيُّ : وكنت فيمن دخل عليه ، فرأيت الرصاص أبيض يلوح ،
فظننتُ أنه إنما خُتِمَ من الليل ، فقال لنا : انطلقوا بنا حتى نأتى إبراهيم
ابن الأشتر .

(١) كان خروج المختار في صفر سنة ٦٦ (سبتمبر ٦٨٥) .

قال : فضينا معه ، وكنت أنا ويزيد بن أنس الأسدي ، وأحمر بن سليط ،
وعبد الله بن كامل ، وأبو عمرة كيسان ، مولى بجيلة ، الذي يقول الناس : قد جاوره
أبو عمرة ؛ وكان من بعد ذلك على شرط المختار .

قال الشعبي : فأتينا إبراهيم بن الأستر ، وهو جالس في صحن داره ، فسلمنا
عليه ، فتناول يد المختار ، وأجلسه معه على مقدمة كان عليها .

وتكلم المختار وكان مقوّهًا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم ، ثم قال :

إن الله قد أكرمك ، وأكرم أباك من قبلك بموالاته بني هاشم ونصرتهم ،
ومعرفة فضلهم ، وما أوجب الله من حقهم ، وقد كتب إليك محمد بن علي بن أبي
طالب - يعني ابن الحنفية - هذا الكتاب بحضرة هؤلاء النفر الذين معي .

فقال القوم جميعا : نشهد أن هذا كتابه ، رأيناه حين كتبه .

ثم ناوله ، ففتحه وقرأه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن علي إلى إبراهيم الأستر ، أما بعد ، فإن
المختار بن أبي عبيد على الطلب بدم الحسين ، فسأعذه في ذلك ، وآزره يثبك الله ثواب
الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

فلما قرأ إبراهيم بن الأستر الكتاب قال للمختار :

سمما وطاعة لمحمد بن علي ، فقل ما بدا لك ، وادع إلى ماشئت .

فقال المختار : أتأتينا ، أو نأتيك في أمرنا ؟

فقال إبراهيم : بل أنا آتيك كل يوم إلى منزلك .

قال الشعبي : فكان إبراهيم بن الأستر يركب إلى المختار في كل يوم في نفر من
مواليه وخدمه .

قال الشعبي : ودخائني وحشة من شهادة النفر الذين كانوا معي ، على أنهم رأوا

محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب إلى إبراهيم بن الأشتر ، فأثبتهم في منزلهم
رجلا رجلا ، فقلت :

هل رأيت محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب ؟

فكلُّ يقول : نعم ، وما أنكرتَ من ذلك ؟

فقلت في نفسي : إن لم أستعملها من المعجمي ، يعني أبا عمرة ، لم أطمع فيها
من غيره .

فأثبته في منزله ، فقلت :

ما أخوفني من عاقبة أمرنا هذا أن ينصبَّ الناس جميعاً لنا ، فهل شهدت
محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب ؟

فقال : والله ما شهدتُ حين كتبه ، غير أن أبا إسحق - يعني المختار -
عندنا ثقة ، وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفية ، فصَدَّقناه .

قال الشعبي : فمرفت عند ذلك كذب المختار ، وتوحيه ، فخرجت من
الكوفة حتى لحقت بالحجاز ، فلم أشهد من تلك المشاهد شيئاً .

قالوا : وكان على شرطة عبد الله بن مطيع بالكوفة إياس بن نضار العجلي ، وكان
طريق إبراهيم بن الأشتر إذا ركب إلى المختار على باب داره ، فأرسل إلى إبراهيم :
إنه قد كثر اختلافك في هذا الطريق ، فاقصِر عن ذلك .

فأخبر إبراهيم المختار بما أرسل إليه إياس ، فقال له المختار : « تجنب ذلك الطريق ،
وخذ في غيره » . ففعل .

وبلغ إياس أن إبراهيم بن الأشتر لا يُقْلَع عن إثيان المختار كل يوم ، فأرسل إليه :
إن أمرك يربني ، فلا أرينك راكبا ، ولا تبرحنَ منزلك ، فأضرب عنقك .

فأخبر إبراهيم المختار بذلك . واستأذنه في قتله ، فأذن له .

وأن إبراهيم ركب في جماعة من أهل بيته وما يليه ، وجعل طريقه على مجلس
إياس ، فقال له إياس :

يا ابن الأشر ، ألم آمرك ألا تبرح من منزلك ؟
فقال له إبراهيم : أنت والله - ما علمت - أحق .
فقال للجلاوزة : نكسوه .

فانتضى إبراهيم سيفه ، وشدّ على إياس ، فضربه حتى قتله . ثم حمل على
الجلاوزة ، فأنحرفوا عنه ، ومضى إبراهيم .

وبلغ عبد الله بن مطيع الخبر ، فأمر بطلب إبراهيم ، ووجه إلى منزله .
وبلغ ذلك المختار ، فوجه إلى إبراهيم بمائة فارس ، فلما وافوه حمل على أصحاب
ابن مطيع ، فأنهزموا عنه ، فأقبل إبراهيم نحو دار الإمارة ، ووافاه المختار في
سبعة آلاف فارس .

١٠ فتحصّن ابن مطيع في القصر ، وبعث إلى الحرس والجند .
فوافاه منهم نحو ثلاثة آلاف رجل ، فنادى « يَا لثَارَاتِ الْحُسَيْنِ » فوافاه زهاء
عشرة آلاف رجل ممن بايعه على الطلب بدم الحسين .
وفي ذلك يقول عبد الله بن همام :

وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى وَيَزْوِيهِ عَنْ رُودِ الشَّبَابِ شَمُوعُ
دَعَا ، بِالثَّارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ كِتَابُ مِنْ هَمْدَانٍ بَعْدَ هَزِيعِ
وَمِنْ مَذْحِجٍ جَاءَ الرَّئِيسُ ابْنُ مَالِكٍ بِقُوْدٍ جُمُوعًا أُرْدِفَتْ بِجُمُوعِ
وَمِنْ أَسَدٍ وَافَى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ بَكْلَ فَتَى مَاضِي الْجَنَانِ مَنِيعِ
وخرج ابن مطيع من القصر ، واجتمع إليه الجنود ، ونهد^(١) إليه المختار في
أصحابه ، وعلى مقدمته ابن الأشر ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فقتل من أصحاب ابن مطيع
بشر كثير ، فأنهزموا .

٢٠ وبادر ابن مطيع إلى القصر ، فتحصّن فيه في طائفة من أصحابه ، وأقبلت همدان
حتى تسلّقوا القصر بالحبال من ناحية دار عمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيْط .

فلما رأى ابن مطيع ضعفه عن القوم سأل الأمان على نفسه ومن معه من أصحابه ،
فأجابه المختار إلى ذلك ، فأمنه .

فخرج ابن مطيع ، وأظهر المختار إكرامه ، وأمر له من بيت المال بمائة ألف ألف درهم ،
وحفظ فيه قرابته من عمر بن الخطاب ، وقال له : « ارحل إذا شئت » .

ثم إن المختار غلب على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد إلا الجزيرة والشام
ومصر ، فإن عبد الملك قد كان حماها ، ووجه عماله في الآفاق .

فاستعمل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني على الموصل ، ومحمد بن عثمان
التميمي على أذربيجان ، وعبد الله بن الحارث أبا الأشر على الماهين وهمدان ، ويزيد
ابن معاوية البجلي على أصبهان وقم وأعمالها ، وابن مالك البكر اوى على حلوان^(١)
وماسبذان ، ويزيد بن أبي نجبة الفزارى على الري ودستبي ، وزحر بن قيس
على جوحى . وفرق سائر البلدان على خاصته .

وولى الشرطة كيسان أبا عمرة ، وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة
بالمعاول ، وتنتبّع دور من خرج إلى قتال الحسين بن على ، فيهدمها .
وكان أبو عمرة بذلك عارفا ، فجعل يدور بالكوفة على دورهم ، فيهدم الدار في
لحظة ، فمن خرج إليه منهم قتل ، حتى هدم دورا كثيرة ، وقتل أناسا كثيرا ،
وجعل يطلب ويستقصى ، فمن ظفر به قتل ، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء
المعجم الذين كانوا معه .

ثم إن المختار عقد ليزيد بن أنس الأسدي في عشرين ألف رجل ، وقواتهم
بالسلاح والمدة ، وولاه الجزيرة وما غلب عليه من أرض الشام .
فسار يزيد حتى نزل نصيبين .

(١) بلد في العراق ، آخر حدود السواد مما يلي الجبال ، سميت باسم حلوان بن عمران بن
فضاعة ، وكان أقطعه إياها بعض الملوك ، وكانت مدينة عامرة ، لم يكن بالعراق بعد البصرة
والكوفة وواسط أكبر منها ، وحواليها عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء .

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، نخرج بأهل الشام فوافى نصيبين ، وقاتل يزيد ابن أنس ، فهزمه ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة .

وبلغ المختار ذلك ، فقال لإبراهيم بن الأشتر :

- أيها الرجل ، إنما هو أنا وأنت ، فسير إليهم ، فوالله لتقتلن الفاسق عبيد الله ابن زياد ، أو لتقتلن الحصين بن نمير ، وليهزم من الله بك ذلك الجيش ، أخبرني بذلك من قرأ الكتاب ، وعرف الملاحم .

قال إبراهيم :

ما أحسبك أيها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام ، ولا أحسن بصيرة في ذلك مني ، وأنا سائر .

- ١٠ فانتخب له المختار عشرين ألف رجل ، وكان جلهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ، ويسمون الحمراء .

وسار نحو الجزيرة ، ورد من كان انهزم من أصحاب يزيد بن أنس ، فصار في نحو من ثلاثين ألف رجل .

- ١٥ وبلغ ذلك عبد الملك ، فعقد للحصين بن نمير في فرسان أهل الشام ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، وفيهم عبيد الله بن زياد ، وفيهم من قتلة الحسين : عمير بن الحباب ، وفرات بن سالم ، ويزيد بن الحصين ، وأناس سوى هؤلاء كثير .

فقال فرات لعمير : قد عرفت سوء ولاية بني مروان ، وسوء رأيهم في قومنا من قيس ، ولئن خلص الأمر ، وصفا لعبد الملك ليستأصلن قيساً ، أو ليقصينهم ، ونحن منهم ، فانصرف بنا للنظر ما حال إبراهيم بن الأشتر .

- ٢٠ فلما جنهما الليل ركبا فرسيهما ، وبينهما وبين عسكر إبراهيم أربعة فراسخ ، وكانا يمران بمسالح أهل الشام ، فيقولون لها : [من] ^(١) أنما ؟ فيقولان : طليعة للأمير الحصين بن نمير .

فأقبلا حتى أتيا عسكر إبراهيم بن الأشتر ، وقد أوقد النيران ، وهو قائم يمشي

(١) في الأصل : ما أتما .

أصحابه ، وعليه قميص أصفر هَرَوِيٌّ^(١) ، ومُلاءة مَرْدَّة متوشحاً بها ،
مُتَقَلِّداً سيفه .

فدنا منه عمير بن الحباب ، فصار خلفه ، وإبراهيم لا يَأْبَهُ لَهُ ، فاحتضنه من
ورائه ، فالتحلل^(٢) إبراهيم عن موضعه ، غير أنه أمال رأسه ، وقال :
— من هذا ؟

قال : أنا عمير بن الحباب .

فأقبل بوجهه إليه ، وقال :

— اجلس حتى أفرغ لك .

فتنحى عنه ، وقعدا مُمَسِّكَيْنِ بِأَعِنَّةِ فرسيهما .

فقال عمير لصاحبه : هل رأيت رجلاً أربط جأشاً ، وأشدّ قلباً من هذا ؟ تُرَاهُ

تتحلل من مكانه ، أو أكثر لي ، وأنا محتضنه من خلف .

فقال له صاحبه : ما رأيت مثله .

فلما فرغ إبراهيم من تَعْبِيَةِ أصحابه أتاها ، فجلس إليهما ، ثم قال لعمير :

ما أعملك إليّ يا أبا المُغَلِّس ؟

قال عمير : لقد اشتد غمّي مُذْ دخلتُ عسكرك ، وذلك أني لم أسمع فيه كلاماً

عريباً حتى انتهيت إليك ، وإنما معك هؤلاء الأعاجم ، وقد جاءك صناديد^(٣)

أهل الشام وأبطالهم ، وهم زهاء أربعين ألف رجل ، فكيف تلقاهم بمن معك ؟

فقال إبراهيم :

والله لو لم أجد إلا النمل لقاتلتهم بها ، فكيف وما قومٌ أشدّ بَصِيرَةً في قتال

أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم مي ؟ وإنما هم أولاد الأساورة من أهل

(١) من صنع هراة ، بلدة بفارس .

(٢) أي ما تحرك عن موضعه ، وفي نسخة نخلخل .

(٣) السيادة الشجعان ، وجماعات العسكر .

فارس، والمرآزبة، وأنا ضارب الخيل بالخيـل، والرجال بالرجال، والنصر من عند الله .

قال عمير : إن قومي قيسا . إذا التقى الجبلان غداً في ميسرة أهل الشام فلا تحفل بنا، فإننا منهزمون لنكسر الجيش بذلك ، فإننا لا نحب ظهور بني مروان لسوء صنيعهم إلينا معاشر قيس ، وإنما إليك لأتميل .

قال إبراهيم : وذلك .

ثم انصرفا إلى معسكرهما .

ولما أصبح الفريقان زحف بعضهم إلى بعض ، فتوافقوا بمكان يُدعى حَازِر^(١) فنادى إبراهيم بن الأشرم مُحاماةَ عسكره « عليكم بالميسرة » ، وفيها قيس .

فقال عمير بن الحباب لصاحبه : هذا وأبيك الحزم ، لم يثق بقولنا وخاف مكرنا .
وصاح عمير بن الحباب في قيس ، يالثرأت مَرَجَ راهط^(٢) ، فنكسوا أعلامهم، وانهزموا ، فانكسر أهل الشام .

وحمل عليهم إبراهيم بن الأشرم ، فأكثر فيهم القتل ، وانهزم أهل الشام ، فاتبعهم إبراهيم يقتلهم إلى الليل ، وقتل أميرهم الحصين بن نمير - وكان من قتلة الحسين - وشرحبيل بن ذى الكلاع ، وعطاء أهل الشام .

فلما وضعت الحرب أوزارها قال إبراهيم بن الأشرم : إنى قتلت في الوقعة رجلاً من أهل الشام ، كان يقاتل في أوائلهم قتالاً شديداً ، وهو يقول : « أنا النلام القرشى » . فلما سقط شممت منه ریح المسك ، فاطلبوه بين القتلى .

فطلب حتى أصابوه ، فإذا هو عبيد الله بن زياد ، فأمر به إبراهيم ، فحز رأسه ، فوجه به إلى المختار ، فوجه به المختار إلى محمد بن الحنفية .
واحتوى إبراهيم بن الأشرم على عسكر الشام ، فغنم ما كان فيه .

(١) كورة بين الموصل وادبيل ، على تهر سمي به

(٢) المَرَج الموضع ترعى فيه الدواب ، ومرج راهط : ناحية من نواحي دمشق .

فأنته هند ابنة أسماء بن خارجة الفزارى ، امرأة عبيد الله بن زياد ، فأخبرته
بانتهاج ما كان معها من مالها ، فقال لها :

— كم ذهب لك ؟

قالت : قيمة خمسين ألف درهم .

فأمر لها بمائة ألف درهم ، ووجه معها مائة فارس حتى أتوا بها أباه البصرة .
ودخل عبيد الله بن عمرو الساعدي ، وكان شاعرا على إبراهيم بن الأشتر ،
فأنشده :

اللهُ أَعْطَاكَ الْمَهَابَةَ وَالتَّقَى وَأَحْلَلَ بَيْتَكَ فِي الْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
وَأَقَرَّ عَيْنَكَ يَوْمَ وَقْعَةِ خَازِرٍ وَالْخَيْلُ تَعْتَرُ بِإِلْقَانَا التَّكْسَرِ
مِنْ ظَالِمِينَ كَفَّتَهُمْ آثَامُهُمْ تَرَكُوا لِمَا فِيهِ وَطَيْرَ حُسْرِ
مَا كَانَ أَجْرَهُمْ ، جَزَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَّ الْجَزَاءِ عَلَى ارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ إِذْ تَدَاوَى مَنْزِلِي وَذَمَمْتُ إِخْوَانَ الْغِنَى مِنْ مَعَشَرِي
وَعِلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُضِيعُ مِدْحَتِي وَمَتَى أَكُنْ بِسَيْمِلٍ خَيْرٍ أَشْكُرِ
فَهَلْ كُنْ نَحْوِي ، مِنْ يَمِينِكَ نَفْحَةٌ إِنَّ الزَّمَانَ أَلَحَّ يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ
فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

وأن إبراهيم بن الأشتر أقام بالموصل ، ووجه عماله إلى مدن الجزيرة ، فاستعمل
إسماعيل بن زُفَرٍ على قَرْ قَيْسِيَّاء^(١) ، وحاتم بن النعمان الباهلي على حران^(٢) والرُّها^(٣)

(١) في الأصل قرقيسيا ، وهي بلد على نهر الحابور عند مصبه ، ومنها جانب على نهر الفرات ،
فوق رجة مالك بن طوق .

(٢) مدينة قديمة ، قصبة ديار مضر ، قيل لأنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وكانت منزل
الصائبة ، وهي مهاجر الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٣) مدينة بأرض الجزيرة في العراق فوق حران .

وَسُمِّيَ سَاطَ^(١) ، وَعُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ عَلَى [كَفَرُ ثُونًا]^(٢) ، وَالسَّفَاحُ
ابْنُ كُرْدُوسٍ عَلَى سِنَجَارٍ^(٣) ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَيَّافَارِقِينَ^(٤) ، وَمُسْلِمُ
ابْنِ رَبِيعَةَ الْعُقَيْلِيِّ عَلَى آمَدٍ^(٥) ، وَسَارُ هُوَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَأَقَامَ بِهَا .

وَأَنَّ الْمُخْتَارَ كَتَبَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ الْجُعْفِيِّ ، وَكَانَ بِنَاحِيَةِ الْجَبَلِ يَتَطَرَّفُ
وَيُغِيرُ : « إِنَّمَا خَرَجْتَ غَضِبًا لِلْحُسَيْنِ ، وَنَحْنُ أَيْضًا مِمَّنْ غَضِبَ لَهُ ، وَقَدْ تَجَرَّدْنَا
لِنَطْلُبَ بَنَاءَهُ ، فَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ » . فَلَمْ يَجِبْهُ عَبِيدُ اللَّهِ إِلَى ذَلِكَ .

فَرَكِبَ الْمُخْتَارُ إِلَى دَارِهِ بِالْكُوفَةِ فَنَهَمَهَا ، وَأَمَرَ بِامْرَأَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ ، ابْنَةِ عَمْرِ
الْجُعْفِيِّ ، فَخَبَسَتْ فِي السَّجْنِ ، وَانْتَهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي مَنْزِلِهِ ؛ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ
عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ ، فَقَصَدَ إِلَى ضَيْعَةِ لَعْمَرُونَ سَعِيدِ بْنِ الْمَاهِئِينَ ، فَأَغَارَ عَلَيْهَا ،
وَاسْتَأَقَ مَوَاشِيَهَا ، وَأَحْرَقَ زَرْعَهَا ، وَقَالَ :

وَمَا تَرَكَ الْكَذَّابُ مِنْ جُلٍّ مَالِنًا وَلَا الرِّءْ مِنْ هَمْدَانٍ غَيْرَ شَرِيدٍ
أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُجْتَاحَ مَالِي كُلُّهُ وَتَأَمَّنَ عِنْدِي ضَيْعَةُ ابْنِ سَعِيدٍ ؟
ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ أَبْطَالِ أَصْحَابِهِ مِائَةَ فَارَسٍ ، فِيهِمْ مُحَشَّرُ التَّيْمِيِّ ، وَدَلَّهُمْ بْنُ زِيَادِ
الْمُرَادِيِّ ، وَأَحْمَرُ طَيِّءٍ ، وَخَلَفَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِهِ بِالْمَاهِئِينَ .

١٥

وَسَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جِسْرِهَا لَيْسًا ، فَأَمَرَ بِقُؤَامِ الْجِسْرِ ،
فَكَتِفُوا ، وَوَكَّلَ بِهِمْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ عَبَرَ .

(١) مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم ، وكان بها قلعة ، يسكن في شق منها الأرمن .

(٢) في الأصل « كفر ثونا » والصحيح ما ذكر ، وهي قرية كبيرة ، من أعمال الجزيرة بالعراق

(٣) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .

(٤) أشهر مدينة بديار بكر ، وقد بناها الروم .

(٥) انطة رومية ، وهي بلد قديم حصين ، يحيط بأكثره نهر دجلة .

ودخل الكوفة ، فلقية أبو عَمْرَةَ كَيْسَانَ ، وهو يَعْسُ بالكوفة ، فقال : من أنتم ؟
قالوا : نحن أصحاب عبد الله بن كامل ، أقبلنا إلى الأمير المختار .
قال : امضوا في حفظ الله .

ففضوا حتى انتهوا إلى السجن ، فكسروه ، فخرج كل من فيه ، وحمل أم سلمة
على فرس ، ووكل بها أربعين رجلاً ، وقدمها ، ثم مضى .
وبلغ الخبر المختار ، فأرسل راشداً مولى بجيلة في ثلاثة آلاف رجل ، وعطف
عليهم أبو عمرة من ناحية بجيلة في ألف رجل .

وخرج عليهم عبد الله بن كامل من ناحية النَّخَع في ألف رجل ، فأحاطوا بهم .
فلم يزل عُبيد الله يكشفهم ، ويسير والحجارة تأخذه [هو] وأصحابه من سطوح
الكوفة حتى عبر الجسر ، وقد قتل من أصحاب المختار مائة رجل ، ولم يُقتل من
أصحابه إلا أربعة نفر .

وسار عُبيد الله حتى انتهى إلى « بَاقِيَا »^(١) فنزلوا ، وداووا جروحهم ،
وعَلَفُوا دوابهم ، وسقوها ، ثم ركبوا ، فلم يحلُّوا عُقْدَهَا حتى انتهوا إلى « سُورَا »^(٢)
فأراحوا بها ، ثم ساروا حتى أتوا المدائن ، ثم لحق بأصحابه بالماهين .

ولما تجرَّد المختار لطلب قَتْلَةِ الحسين هرب منه عمر بن سعد ومحمد بن الأشعث ،
وهما كانا التَّوَكِّلِيَيْنِ للحرب يوم الحسين ، وأُتِيَ بعبد الرحمن بن إِبْرِي الخزاعي ،
وكان ممن حضر قتال الحسين ، فقال له :

— يا عدو الله ، أكنت ممن قاتل الحسين ؟

قال : لا ، بل كنت ممن حضر ، ولم يُقاتل .

قال : كذبت ، اضربوا عنقه .

فقال عبد الرحمن : ما يمكنك قتلي اليوم حتى تُعْطَى الظفر على بني أمية ،

(١) ناحية من نواحي الكوفة ، كانت على شاطئ الفرات .

(٢) مدينة تحت الحلة ، لها نهر ينسب إليها .

وَيَصْفُو لَكَ الشَّامَ ، وَتَهْدِمُ مَدِينَةَ دِمَشْقَ حَجَرًا حَجَرًا ، فَتَأْخُذْنِي عِنْدَ ذَلِكَ ،
فَتَصْلُبْنِي عَلَى شَجَرَةٍ بِشَاطِئِ نَهْرٍ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا السَّاعَةَ .
فَالْتَفَتَ الْمُخْتَارُ إِلَى أَصْحَابِهِ [وَقَالَ] : أَمَا إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَالِمٌ بِالْمَلَاخِمِ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ
إِلَى السَّجْنِ .

- فلما جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ بَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ أَنَاةَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
- يَا أَخَا خِرَازَةِ ، أَظَرُّقًا عِنْدَ الْمَوْتِ ؟
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ أَمُوتَ هَاهُنَا ضَيْعَةً .
قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ مِنَ الشَّامِ ؟
قَالَ : بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِي عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَتَيْتُهُ مُتَقَاضِيًا .
فَأَمَرَهُ الْمُخْتَارُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ أَصْبَحْتَ بِالْكُوفَةِ قَتَلْتُكَ .
١٠ فَنَجَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ .

- وَمَكَثَ الْمُخْتَارُ بِذَلِكَ يُطَلِّبُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ ، وَتُجَبِّي إِلَيْهِ الْأُمُورَ مِنَ السَّوَادِ ،
وَالجَبَلِ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَالرَّيِّ ، وَأَذْرَبِيْجَانَ ، وَالْجَزِيرَةَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ؛
وَقَرَّبَ أَبْنَاءَ الْعِجْمِ ، وَفَرَضَ لَهُمْ وَلَوْلَادِهِمُ الْأَعْطِيَّاتِ ، وَقَرَّبَ مَجَالِسَهُمْ ،
١٥ وَبَاعَدَ الْعَرَبَ وَأَقْصَاهُمْ ، وَحَرَمَهُمْ . فَغَضِبُوا مِنْ ذَلِكَ .
وَاجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَعَاتَبُوهُ ، فَقَالَ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ غَيْرَكُمْ ،
أَكْرَمْتُكُمْ فَشَمَخْتُمْ بَأَنَافِكُمْ ، وَوَلَّيْتُكُمْ فَكَسَرْتُمْ الْخِرَاجَ ، وَهَوَّلَاءُ الْعِجْمِ
أَطْوَعُ لِي مِنْكُمْ ، وَأَوْفَى ، وَأَسْرَعُ إِلَى مَا أُرِيدُ .
٢٠ قَالُوا : فَدَنَّتِ الْعَرَبُ ، بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : هَذَا كَذَّابٌ ، يَزْعُمُ
أَنَّهُ يُوَالِي بَنِي هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ طَالِبُ دُنْيَا .

فاجتمعت القبائل على محاربتة ، وصاروا في ثلاثة أمكنة ، وولّوا أمرهم رُفَاعَةَ
ابْنِ سَوَّارٍ ، فاجتمعت كِنْدَةَ ، وَالْأَزْدُ ، وَبُجَيْلَةَ ، وَالنَّخِيعَ ، وَخَثْعَمَ ، وَقَيْسَ ،

وَتَيْمُ الرَّبَابِ فِي جَبَّانَةِ مُرَاد^(١) ، واجتمعت ربيعة وتيم ، فصاروا في جَبَّانَةِ الْحَشَّاشِينَ^(٢) .

وأرسل المختار إلى همدان - وكانوا خاصته - واجتمع إليه أبناء المعجم .

فقال لهم : أَلَا تَرَوْنَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ؟

قالوا : بلى .

قال : فإنهم لم يفعلوا ذلك إِلَّا لتقديمي إيتاكم ، فكونوا أحرارا كراما .

فخرّضهم بذلك ، وأخرجهم إلى ظَهْرِ الكوفة ، فأخصّصهم ، فبلغوا أربعين ألف رجل .

وَأَنَّ شَمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ ، وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ ، وَأَخَاهُ قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ قَدِمُوا الكوفةَ عِنْدَ مَا بَلَغَهُمْ خُرُوجُ النَّاسِ عَلَى الْمُخْتَارِ وَخَلَعَهُمْ طَاعَتَهُ ، وَكَانُوا هُرَّابًا مِنَ الْمُخْتَارِ طَوِيلَ سُلْطَانِهِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا الرُّؤَسَاءَ فِي قِتَالِ الْحُسَيْنِ ، فَصَارُوا مَعَ أَهْلِ الكوفةِ ، وَتَوَلَّوْا أَمْرَ النَّاسِ .

وَتَأَهَّبَ الْفَرِيقَانِ لِلْحَرْبِ ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الكوفةِ جَمِيعًا فِي جَبَّانَةِ الْحَشَّاشِينَ ، وَزَحَفَ الْمُخْتَارُ نَحْوَهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، فَنَادَى الْمُخْتَارُ : يَا مَعْشَرَ رُبَيْعَةٍ ، أَلَمْ تُبَايَعُونِي ؟ فَلِمَ خَرَجْتُمْ عَلَيَّ ؟

قَالَتْ رُبَيْعَةٌ : قَدْ صَدَقَ الْمُخْتَارُ ، فَقَدْ بَايَعْنَاهُ وَأَعْطَيْنَاهُ صَفْقَةً أَيْمَانَنَا ؛ فَاعْتَرَكُوا ، وَقَالُوا : لَا نَكُونُ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ . وَثَبَّتَ سَائِرُ الْقِبَائِلِ ، فَقَاتَلُوا .

وَأَنَّ أَهْلَ الكوفةِ انْهَزَمُوا ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَسْرَ مِنْهُمْ

(١) محلة بالكوفة ، وأهل الكوفة يسمون المقبرة جبانة .

(٢) يطلق لفظ الحشاشين على فريق من طائفة الإسماعيلية الذين كانوا يحتلون الحصون الجبلية في الشام وفي غيرها من ربوع المسلمين ، ولا يميزهم عن سائر الإسماعيلية مبدأ خاص بقدر ما يميزهم تحول نظامهم السياسي إلى جماعة سرية يطيع أفرادها أئمتهم طاعة عمياء ، وقد اتخذوا القتل وسيلة للتخلص من أعدائهم . (دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ، ص ٤٣٤) .

مائتا رجل ، فهرب أشراف الكوفة ، فلاحقوا بالبصرة ، وبها مُصْعَب بن الزبير ، فانضموا إليه .

وبلغ المختار أن شَبَث بن رُبَيْعٍ ، وعمرو بن الحجاج ، ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشراف أهل الكوفة ، فأرسل في طلبهم ٥ رجلاً من خاصته يسمى « أبا القلوص الشبامي » في جريدة خيل ، فلاحقهم بناحية المذار ، فواقموا ، وقتلوه ساعة ، ثم انهزموا ، ووقع في يده عمر بن سعد ونجا الباقيون .

فأتى به المختار ، فقال : الحمد لله الذي أمكن منك ، والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك ، يا كسيان ، اضرب عنقه . ١٠
فضرب عنقه .

وأخذ رأسه ، فبعث به إلى المدينة ، إلى محمد بن الحنفية .
وقال أعشى همدان ، وكان من أهل الكوفة :

وَلَمْ أُنْسَ هَمْدَانًا غَدَاةَ تَجُوسُنَا بِأَسْيَافِهَا، لَا أُسْقِيَتْ صَوْبَ هَاضِبٍ^(١)
فَقُتِّلَ مِنْ أَشْرَافِنَا فِي مَحَالِّهِمْ عَصَائِبُ مِنْهُمْ أُرْدِفَتْ بِمِصَائِبِ ١٥
فَكَمْ مِنْ كِمَى قَدْ أَبَارَتْ سِيُوفُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رُزْءَ تِلْكَ الْمِصَائِبِ
مُقَتَّلَنَا الْمُخْتَارُ فِي كُلِّ غَائِطٍ فَيَا لَكَ دَهْرٌ مُرْصَدٌ بِالْمِجَائِبِ

وبلغ المختار أن شمر بن ذى الجوشن مقيم [بدستِ ميسان]^(٢) في أناس من بني عامر بن صعصعة ، يكرهون دخول البصرة لشهامة أهل البصرة بهم ، فأرسل المختار إليهم زُرَيْبًا ، مولى بَيْجِيلَةَ ، في مائة فارس على الخيل العتاق^(٣) ، فسار بهم بالحث ٢٠

(١) الهاضب : المطرة .

(٢) في الأصل : دست ميسان ، وهي كورة بين واسط البصرة والأهواز ، وقيل إنها الأبله ، فتكون البصرة منها .

(٣) نجائب الخيل .

الشديد ، فقطع أصحابه عنه إلا عشرة فوارس ، فلحقهم وقد استعدوا له ، فطعنه شمر ، فقتله ، وانهزم أصحابه العشرة حتى لحق بهم الباقيون ، فطلبوا شمرًا وأصحابه ، فلم يلحقوهم .

ومضى شمر حتى نزل قريبا من البصرة بمكان يدعى « سادماه » فأقام به .
٥ وأن قيس بن الأشعث أنف من أن يأتي البصرة فيشمت به أهلها ، فانصرف إلى الكوفة مستنجرا بعبد الله بن كامل ، وكان من أخص الناس عند المختار .
فأقبل عبد الله إلى المختار ، فقال : أيها الأمير ، إن قيس بن الأشعث قد استجار بي وأجرته ، فأنفذ جوارى إياه .

فسكت عنه المختار مليا ، وشغله بالحديث ، ثم قال : أرني خاتمك ، فناوله إياه ، فجعله في إصبعه طويلا . ١٠

ثم دعا أبا عمرة ، فدفع إليه الخاتم ، وقال له سرا : انطلق إلى امرأة عبد الله بن كامل ، فقل لها : هذا خاتم بعلك علامة ، لتدخليني إلى قيس بن الأشعث ، فإنني أريد مناظرته في بعض الأمور التي فيها خلاصه من المختار ؛ فأدخلته إليه .

فانتضى سيفه ، فضرب عنقه ، وأخذ رأسه ، فأتى به المختار ، فألقاه بين يديه . ١٥

فقال المختار : هذا بقطيفة الحسين .
وذلك أن قيس بن الأشعث أخذ قطيفة كانت للحسين حين قتل ، فكان يسمى « قيس قطيفة » .

فاسترجع عبد الله بن كامل ، وقال للمختار : قتلت جاري وضيقي وصديقي في الدهر ؟ ٢٠

قال له المختار : لله أبوك ، اسكت ، أنستجمل أن تُجِيرَ قَتْلَةَ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّكَ ؟

ثم إن المختار دعا بالأسرى الذين أسره من أهل الكوفة في الوقعة التي كانت بينه وبين أهل الكوفة ، فجعل يضرب أعناقهم حتى انتهى إلى سُرَاقَةِ البَارِقِ ، وكان فيهم ، فقام بين يديه ، وأنشأ يقول :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْمُخْتَارِ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا
خَرَجْنَا لَا نَرَى إِلَّا شِرَاكَ دِينَا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا^(١) ٥

ثم قال للمختار : أيها الأمير ، لو أنكم أنتم الذين قاتلتمونا لم تطعموا فينا . فقال له المختار : فَمَنْ قَاتَلَكُمْ ؟

قال سُرَاقَةُ : قَاتَلْنَا قَوْمَ بِيضِ الْوُجُوهِ عَلَى خَيْلِ شُهْب .

قال له المختار : تلك الملائكة ، وَيْلَكَ ، أَمَا إِذْ رَأَيْتَهُمْ فَقَدْ وَهَبْتُكَ لَهُمْ .

ثم خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَهَرَبَ ، فَلَحَقَ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ : ١٠

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الشُّهْبَ كُفْتًا مُصْنَعَاتٍ^(٢)
أُرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَ أَبَاهُ كِلَانًا عَالِمٌ بِالزُّهَّاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَبَرِئْتُ مِنْكُمْ وَمِنْ قَتْلَاكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ

وهرب أسماه بن خارجة الفزاري ، وكان شيخ أهل الكوفة وسيدهم من المختار

خوفا على نفسه ، فنزل على ماء لبنى أسد يسمى ذَرْوَةَ : في نفر من مواليه وأهل بيته فأقام به . ١٥

وهرب عمرو بن الحجاج ، وكان من رؤساء قتلة الحسين ، يريد البصرة ، يخاف

الشماتة فعدل إلى « سَرَاةٍ » .

فقال له أهل الماء : ارحل عنا ، فإننا لا نأمن المختار ، فارتحل عنهم ، فتلوا وموا ،

وقالوا : قد أسأنا . ٢٠

فركبت جماعة منهم في طلبه ليردوه ، فلما رأهم من بعيد ظن أنهم من أصحاب

(١) الحين : الهلاك .

(٢) الكتنة : لون بين السواد والحمرة .

المختار ، فملك الرَّمْل في مكان يُدعى « البَيْيُضَة » ^(١) وذلك في حَمَارَة القِيظ ، وهي فيما بين بلاد كلب وبلاد طي ، فَقَالَ ^(٢) فيها ، فقتله ومن معه العطش . ولم يزل أسماء مقيماً بِدِرْوَة ^(٣) إلى أن قتل المختار ، ودخل مصعب بن الزبير الكوفة ، فانصرف أسماء إلى منزله بالكوفة .

٥ ولما تَتَبَعَ المختار أهل الكوفة جعل عظامهم يتسللون هُرَابًا إلى البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل ، وفيهم محمد بن الأشعث ، فاجتمعوا ، ودخلوا على مصعب بن الزبير .

فتكلم محمد بن الأشعث ، وقال : أيها الأمير ، ما يمنعك من المسير لمحاربة هذا الكذاب الذي قتل خيارنا ، وهدم دورنا ، وفرّق جماعتنا ، وحمل أبناء العجم على رقابنا ، وأباحهم أموالنا ؟ سِرْ إليه ، فإننا جميعاً معك ، وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب ، هم أعوانك . ١٠

قال مصعب : يا ابن الأشعث ، أنا عارف بكل ما ارتكبكم به ، وليس يمنعني من المسير إليه إلا غيبة فرسان أهل البصرة وأشرفهم ، فإنهم مع ابن عمك المهلب ابن أبي صُفْرَة في وجوه الأزارقة بناحية كِرمَان ، غير أني قد رأيت رأياً . ١٥ قال : وما رأيت أيها الأمير ؟

قال : رأيت أن أكتب إلى المهلب ، أمره أن يؤدع الأزارقة ، ويُقْبِلَ إلى فيمن معه ، فإذا وَافَى تجهزنا لمحاربة المختار .

قال ابن الأشعث : نَعَمْ ما رأيت ، فكتب إليه ، واجعلني الرسول . فكتب مُصْعَبُ بن الزبير إلى المهلب كتاباً ، يَدْكُرُ له ما فيه أهل الكوفة من القتل والحرب ، ويفسر فيه أمر المختار . ٢٠

فسار محمد بن الأشعث بكتابه حتى ورد كِرمَان ، وأوصل الكتاب إلى المهلب ،

(١) اسم ماء في بادية حلب ، بينها وبين تدمر . (٢) الفائلة : نصف النهار .

(٣) أرض ببادية الشام .

وقال له : يا ابن عمّ ، قد بلغك ما لقي أهل الكوفة من المختار ، وقد كتب إليك الأمير مُصَنَّب بما قد قرأته .

فكتب المهّاب إلى قَطْرِيّ ، وكان رئيس الأزارقة يومئذ ، يسأله المُوَادَّةَ إلى أَجَلٍ سِتِّمَاءَ ، وَيَكْتُبُ بينهما كتاباً في ذلك ، وَيَضْمَانُ الحرب إلى ذلك الأَجَلِ .

فأجابه قَطْرِيّ إلى ذلك ، وَكَتَبَا بينهما كتاباً وَجَعَلَا الأَجَلُ ثمانية عشر شهراً .
وسار المهلب بمن معه حتى وَافَى البصرة ، فوضع مُصَنَّبُ لأهل البصرة العطاء ونهياً للمسير .

وبلغ المختار ذلك فَعَقَّدَ لأمر بن سَلِيط في ستين ألف رجل من أصحابه ، وأمره أن يستقبل القوم ، فيناجزهم الحرب .

فسار أمر بن سَلِيط في الجيوش حتى وَافَى المَذَارَ ، وقد انصرف إليها شَمْرُ
ابن ذِي الْجَوْشَنِ أَئِنَّةً من أن يأتى البصرة هارباً ، فيشمتوا به ، فوجهَ أمر بن
سَلِيط إلى المكان الذي كان متحصّناً فيه خمسين فارساً ، وأمامهم نَبِيطِيٌّ^(١) يدلّهم
على الطريق ، وذلك في ليلة مقمرة .

فلما أَحَسَّ بهم دعا بفرسه فركبه، وركب مَنْ كان معه ليهربوا ، فأدركهم القوم،
فقاتلواهم ، فَقُتِلَ شَمْرُ وَجميع مَنْ كان معه ، واحتزوا رؤوسهم ، فَأَتَوْا بها أَمْرُ
ابن سَلِيط ، فوجهها إلى المختار ، فوجه المختار برأس شَمْرٍ إلى محمد بن الحنفية
بالمدينة .

وسار مُصَنَّبُ بن الزبير بجماعة أهل البصرة نحو المَذَارَ ، وتخلّف عنه التندر
ابن الجارود ، وهرب منه نحو كِرْمَانَ في جماعة من أهل بيته ، ودعا لعبد الملك
ابن مروان .

٢٠

(١) من الأنباط وهم أهل البطائح بين العراقين .

وأقبل مُصْعَبُ حَتَّى وَافَى الْمَذَارَ^(١) ، وأمامه الأحنَفُ بن قَيْسٍ في تميم .
وزحف الفريقان ، بعضهم إلى بعض ، فافتتلوا ، فانهزم أصحاب المختار ،
واستحرج القتال فيهم ، ومضوا نحو الكوفة ، واتَّبَعَهُمْ مُصْعَبُ يَقتُلُهُمْ في جميع طريقه ،
فلم يُفَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا القليل .

فقال أَعْثَى همدان في ذلك :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا لَقِيتُ شِبَامَ^(٢) وَمَا لَاقَتْ عُرَيْنَةُ بِالْمَذَارِ
أَتَبِجَ لَهُمْ بِهَا ضَرْبُ طَلْحِقْ وَطَعْنُ بِالْمُثَقَفَةِ الْجِرَارِ
كَأَنَّ سَحَابَةً صُبِعَتْ عَلَيْهِمْ فَمَعَتْهُمْ هُنَالِكَ بِالْمَذَارِ
وَمَا إِنْ سَاءَ لِي مَا كَانَ مِنْهُمْ لَدَى الْإِسَارِ مِنِّي وَالْيَسَارِ
وَلَكِنِّي فَرِخْتُ وَطَابَ نَوِي وَقَرَّ لِقَاتِلُهُمْ مِنِّي قَرَارِي

وأن مُصْعَبًا سار بالجيوش نحو الكوفة ، فعبّر دَجَلَةَ ، وخرج إلى أرض
كَسْرَكَمْ ، ثم أخذ على حديثة الفُجَّار ، ثم أخذ على النَّجْرَانِيَّةِ حَتَّى قارب
الكوفة .

[قتل المختار]

وبلغ المختار . قتل أصحابه ، فنادى في بقيَّة مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ ، فَقَوَّاهُمْ
بِالْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ ، وسار بهم من الكوفة مستقبلاً لمصعب بن الزبير ، فالتقوا
بِنَهْرِ البَصْرِيِّينَ ، فافتتلوا ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ
الْأَسْعَثِ ، وَقُتِلَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وذلك أنه قدم من الحجاز على المختار ، فقال له المختار :

— هل ممك كتاب محمد بن الحنفية ؟

(١) بلدة في ميسان بين واسط والبصرة ، بها مشهد عظيم ، به قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب .
(٢) شبام : حمى من همدان .

فقال عمر : لا ، ما مى كتابه .

فقال له : انطلق حيث شئت فلا خير لك عندي .

فخرج من عنده ، وسار إلى مُصْعَب ، فاستقبله في بعض الطريق ، فوصله بمائة ألف درهم ، وأقبل مع مُصْعَب حتى حضر الوقعة ، فقتل فيمن قُتل من الناس .

وانهزم المختار حتى دخل الكوفة ، وتبعه مُصْعَب ، فدخل في إثره ، وتحصن المختار في قصر الإمارة ، فأقبل مُصْعَب حتى أناخ عليه ، وحاصره أربعين يوما .

ثم إن المختار قلق [بالحصار قلعا عظيما ، فقال]^(١) للسائب بن مالك الأشعري ، وكان من خاصته :

١٠ - أيها الشيخ ، اخرج بنا نقاتل على أحسابنا لا على الدين .

فاسترجع السائب ، وقال : يا أبا إسحق ، لقد ظنَّ الناس أن قيامك بهذا الأمر دينونة .

فقال المختار : لا ، لممرى ما كان إلا لطلب دُنْيَا ، فإني رأيت عبد الملك ابن مروان قد غلبَ على الشام ، وعبد الله بن الزبير على الحجاز ، ومُصْعَبًا على البصرة ، ونَجْدَةَ الحَرُورِيِّ على العَرُوض^(٢) ، وعبد الله بن خازم على خراسان ، ولست بدون واحد منهم ، ولكن ما كنت أقدر على ما أردتُ إلا بالدعاء إلى الطَّلب بنار الحسين .

ثم قال :

- يا غلام ، على بفرسى ولأمتي .

٢٠ فأتى بدرعه ، فتدَرَّعَها ، وركب فرسه .

ثم قال : قبَّحَ الله العيشَ بعد ما أرى ، يا بَوَّاب ، افتح .
ففتح له الباب .

(١) نحو في الأصل . (٢) العروش : المدينة ومكة واليمن ، وقال ابن الكلبي : بلاد

اليامة والبحرين وما والاها العروش .

وخرج معه حماة أصحابه ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، وانهزم أصحابه ، ومضى هو نحو القصر ، وهو في حامية أصحابه ، فدخل القصر من أصحابه ستة آلاف رجل ، وبقي مع المختار نحو من ثلاثمائة رجل ، فأخذ أصحاب مُصَنَّب عليه باب القصر ، فلجأ المختار فيمن معه إلى حائط القصر ، وأقبل يذمر أصحابه ، ويحمل .

فلم يزل يقاتل حتى قتل أكثر من كان معه .

فحمل عليه أخوان من بني حنيفة من أصحاب المهلب ، فضرباه بالسيف حتى سقط ، وبادرا إليه ، فاخترأ رأسه ، فأتيا به مصعبا ، فأعطاهما ثلاثين ألف درهم .

فقال سُوَيْد بن أبي كاهل يذكر قتل المختار :

يَا لَيْتَ شِمْرِي مَتَى تَغْدُو مُخَيَّبَةً^(١) مِنَّا فَتُبْلِغُ أَهْلَ الْمَوْسِمِ الْخَبْرَا
أَنَا جَزَرْنَا عَنِ الْكَذَابِ هَامَتَهُ مِنْ بَعْدِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ يَكْشِفُ الْخُمْرَا

ووجه مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد الرحمن .

قال عبد الله : فوافيت مكة بعد العشاء الآخرة ، فأتيت المسجد ، وعبد الله

ابن الزبير يصلي ، قال : فجاست أنتظره ، فلم يزل يصلي إلى وقت السحر ، ثم

انفعل من صلاته ، فدنوت منه ، فناولته كتاب الفتح ، فقرأه ، وناولته غلامه ،

وقال :

— أمسكه معك .

قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الرأس مي .

قال : فأتريد ؟ .

قلت : جازني .

قال : خذ الرأس الذي جئت به بجأؤتك .

فتركته ، وانصرفت .

(١) جماعة من راكبي الإبل الخبيسة وهي التي لم تسرح .

[سلطان عبد الله بن الزبير]

قالوا : ولما قتل المختار ، واستتب الأمر لعبد الله بن الزبير ، أرسل إلى عبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية : « إما أن تبايعاني أو تخرجنا من جوارى » .
فخرجنا من مكة ، فنزلا الطائف ، وأقاما هناك .

٥ وتوفي عبد الله بن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية .
وخرج محمد بن الحنفية حتى أتى أَيْلَةَ^(١) ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان ، يستأذنه في القدوم عليه ، والنزول في جواره ، فكتب إليه : وراءك أوسع لك ، ولا حاجة لي فيك .

فأقام محمد بن الحنفية عامه ذلك بأَيْلَةَ ، ثم توفي بها .
١٥ وقُتل المختار ، وإبراهيم بن الأشتر عامله على كورة الجزيرة ، فكتب إلى مصعب يسأله الأمان ، وكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فقدم وبايعه ، وفوض مصعب إليه جميع أمره ، وأظهر برّه وألطافه ، ولم تزل الستة الآلاف^(٢) الذين دخلوا القصر متحصنين فيه شهرين ، حتى نفذ جميع ما كان المختار أعدّه فيه من الطعام ، فسألوا الأمان ، فأبى مصعب أن يعطيهم الأمان إلا على حكمه .
١٥ فأرسلوا إليه : إنّا نزل على حكمك .

فنزّلوا عند ما بلغ إليهم الجوع .
فضرب أعناقهم كلها ، وكانوا ستة آلاف : ألفين من العرب ، وأربعة آلاف من المعجم .
ودعا مصعب بامرأتِ المختار ، أم ثابت ابنة سمرة بن جندب ، وعمرة بنت النعمان بن بشير ، فدعاها إلى البراءة من المختار ، فأما أم ثابت فإنها تبرأت منه ،
٢٠ وأبت عمرة أن تتبرأ منه .
فأمر بها مصعب ، فأخرجت إلى الجبّانة ، فضربت عنقها .

(١) مدينة كانت على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام ، وهي مدينة اليهود الذين اعتدوا في السبت ، وكان حجاج مصر يجتازونها . (٢) في الأصل : آلاف .

فقال بعض الشعراء في ذلك :

إِنَّ مِنْ أَهْبِ الْمَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولٍ^(١)
قَتَلُوهَا بِبَنِيرٍ ذَنْبٍ سَفَاهَا إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُخَصَّنَاتِ جُرٌّ الدُّيُولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أَلَمْ تَمَجِّبِ الْأَنْوَامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ مِنْ الْخَلِصَاتِ الدِّينِ مَخْمُودَةِ الْأَدَبِ؟
مِنْ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بَرِيَّةٍ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ
عَلَيْنَا كِتَابُ اللَّهِ فِي الْقَتْلِ وَاجِبٌ وَهُنَّ الضَّعَافُ فِي الْحِجَالِ وَفِي الْحُجُبِ
قَتَلْتُ وَلَمْ أَظْلِمِ ، أَعْمَرُوا بَنِي مَالِكٍ يُقَتَّلُ ظُلْمًا ، لَمْ يُخَالِفْ وَلَمْ يَرِبْ
وَيَسْبِقُنَا آلُ الزَّيْرِ بَوْتَرُونَا وَنَحْنُ حِمَاةُ النَّاسِ فِي الْبَارِقِ الْأَشْبِ^(٢)
فَإِنْ تَعَقَّبِ الْأَيَّامُ مِنْهُمْ نَجَازِمَهُ عَلَى حَنْقٍ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْحَنْبِ^(٣)

ثم إن مصعب بن الزبير نزل القصر بالكوفة ، واستعمل العمال ، وجبى الخراج ،
فولى البصرة عبيد الله بن معمر التميمي ، وردَّ المهلب إلى قتال الأزارقة .

قالوا : ولما صفا الأمر لعبد الله بن الزبير ودانت له البلدان إلا أرض الشام ،
جمع عبد الملك بن مروان إخوته ، وعظماؤه أهل بيته ، فقال لهم : إن مصعب بن الزبير
قد قتل المختار ، ودانت له أرض العراق ، وسائر البلدان ، ولست آمنه أن
يفزوكم في عُثْرِ بلادكم ، وما من قوم غزوا في عقر دارهم إلا ذلّوا ، فاترون ؟ .

فكلم بشر بن مروان ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، أرى أن تجمع إليك أطرافك ، وتستجيش جنودك ،
وتضم إليك قواصميك ، وتسير إليه ، وتكف الخيل بالخيول ، والرجال بالرجال ،
والنصر من عند الله .

(١) المرأة العطلول هي الفتية الجميلة المتلثة الطويلة العنق . (٢) البارق : موضع قرب
الكوفة ، والأشب : كثير الشجر . (٣) الحنب والتحنيب : اعوجاج في الضلوع .

فقال القوم : هذا الرأي ، فاعمل به ، فإن بنا قوة ونهوضا .
فوجه رسله إلى كور الشام ليجتمع إليه ، فاجتمع له جميع أجناد الشام ؛ ثم
سار وقد احتشد ، ولم ينزل .

١ [خضوع المراق لجند الشام]

وبلغ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ خروجه ، فضمَّ إليه أطرافه ، وجمعَ إليه قَوَاصِيَهُ ،
واستمد ، ثم خرج لمحاربتَه ، فقتلوا في العسكران بدير الحانات ، فقال عَدِيُّ بْنُ
زَيْدِ بْنِ عَدِيٍّ ، وكان مع عبد الملك :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ^(١)
يَجْرُونَ كُلُّ طَوِيلِ الْكُؤُوبِ بِمُقْتَدِلِ النَّصْلِ وَالْتَمَلَبِ^(٢)
يَكُلُّ فَتًى وَاضِحَ وَجْهِهِ كَرِيمِ الضَّرَائِبِ^(٣) وَالْمَنْصِبِ ١٠

ولما نظر أصحاب مُصْعَبٍ إلى كثرة جموع عبد الملك توافوا ، وشملهم الرعب ،
فقال مصعب لعروّة بن المغيرة ، وهو يُسَيره :
أَذْنُ يَا عُرْوَةُ أَكَلْتُكَ .
فَدَنَا مِنْهُ .

١٥ فقال : أَخْبِرْنِي عَنْ الْحُسَيْنِ ، كيف صنع حين نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ ؟
قال عُرْوَةُ : فَعَمِلْتُ أَحَدَهُ بِحَدِيثِ الْحُسَيْنِ ، وما عرض عليه ابن زياد من
النزول على حكمه ، فَأَبَى ذَلِكَ ، وصبر للموت .

فَضْرَبَ مُصْعَبٌ مَعْرَفَةَ^(٤) دَابَّتَهُ بِالسَّوْطِ ، ثم قال :
فَإِنَّ الْأُلَى بِالطَّفِّ^(٥) مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُؤَا لِلْكَرَامِ التَّأَسِّيَا
وَأَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ مُصْعَبٍ يَسْتَمِيلُهُمْ إِلَيْهِ ، ويعرض
عليهم الدخول في طاعته ، ويبذل لهم على ذلك الأموال .

(١) أصحرت الحيل : برزت في الصحراء ، والأكناف جمع كنف (بفتحين) وهو الجانب .

(٢) المقصود بالتملَب طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٣) الضرائب : جمع ضريبة ، وهي الطبيعة والسجية ، أو السيف وحده ، كالضرب .

(٤) المعرفة موضع العرف من الفرس . (٥) الطف : موضع قرب الكوفة .

- وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر فيمن كتب .
 فأقبل إبراهيم بالكتاب مختوماً فَنَآوَلَهُ مُصْعَبًا ، وقال :
 — أيها الأمير ، هذا كتاب الفاسق عبد الملك بن مروان .
 قال له مُصْعَبٌ : فَهَلَّا قَرَأْتَهُ .
 قال : ما كنت لِأَفُضِّهُ ، ولا أَقْرَأَهُ إِلَّا بَعْدَ قِرَاءَتِكَ لَهُ .
 ٥ فَفَضَّهُ مُصْعَبٌ ؛ وَإِذَا فِيهِ :
- « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى إبراهيم
 ابن الأشتر ؛ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ تَرْكَكَ الدُّخُولَ فِي طَاعَتِي لَيْسَ إِلَّا عَنْ مَمْتَنَّةٍ ،
 فَلَكَ الْفُرَاتُ وَمَا سَقَى ، فَأَنْجِزْ إِلَى فِيمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ قَوْمِكَ ، وَالسَّلَامُ » .
 فقال مصعب : فَمَا يَمْنَعُكَ يَا ابْنَ النِّعْمَانِ ؟
 قال : لَوْ جَعَلَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَا أَعْنَتُ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى وَلَدِ صَفِيَّةٍ .
 فقال مصعب : جُرِيتَ خَيْرًا أَبَا النِّعْمَانِ .
- فقال إبراهيم لمصعب : أيها الأمير ، لست أَشُكُّ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَدْ كَتَبَ إِلَى
 عِظَمَاءِ أَصْحَابِكَ بِنَحْوِ مَا كَتَبَ إِلَيَّ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ مَالُوا إِلَيْهِ ، فَأَتَذَنُّ لِي فِي حَبْسِهِمْ
 إِلَى فَرَاعِكَ ، فَإِنْ ظَفَرْتَ مَنَنْتَ بِهِمْ عَلَى عِشَائِرِهِمْ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى كُنْتُ
 قَدْ أَخَذْتُ بِالْحَزْمِ .
 ١٥ قال مصعب : إِذْنٌ يَحْتَجُّوْا عَلَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
- فقال إبراهيم : أيها الأمير ، لَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَكَ الْيَوْمَ ، وَمَا هُوَ إِلَّا
 الْمَوْتُ ، فَمَتَّ كَرِيمًا .
 ٢٠ فقال مصعب : يَا أبا النِّعْمَانِ ، إِنَّمَا هُوَ أَنَا وَأَنْتَ فَتَقَدِّمَ لِلْمَوْتِ .
- قال إبراهيم : إِذْنٌ ، وَاللَّهِ أَفْعَلُ .
 قال : وَلَمَّا نَزَلُوا بِدَيْرِ الْجَائِلِيْقِ^(١) بَاتُوا لَيْلَتِهِمْ .

(١) الجائلق رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية،
 ثم المطران تحت يده ، ثم الأسقف يكون في كل بلد من تحت المطران، ثم القسيس، ثم الشماس .

فلما أصبحوا نظر إبراهيم بن الأشتر ، فإذا القوم الذين اتهمهم قد ساروا تلك الليلة ، فلاحقوا بعبد الملك بن مروان ، فقال لمصعب :
— كيف رأيت رأيي ؟ .

ثم زحف بعضهم إلى بعض ، فافتتلوا ، فاعتزلت ربيعة ، وكانوا في ميمنة مصعب ، وقالوا لمصعب : لا نكون معك ولا عليك .

وثبت مع مصعب أهل الحِفاظ ، فقاتلوا ، وأمامهم إبراهيم بن الأشتر ، فقتل إبراهيم .

فلما رأى مصعب ذلك ، استمات ، فترجّل ، وترجّل معه حُمّة أصحابه ، فقاتلوا حتى قتل عامّتهم ، وانكشف الباقون عن مصعب .

فحمل عليه عبد الله بن ظبيان ، فضربه من ورائه بالسيف ، ولا يشعر به مصعب ، فخرّ صريعا ، فنزل وأجهز عليه ، واختزّ رأسه .

فأتى به عبد الملك ، فحزن عليه حزنا شديداً ، وقال : متى تغدو قريش مثل مصعب ؟ وددت لو أنه قبل الصلح ، وأنى قاسمته مالى .

ولما قُتل مصعب بن الزبير استأمن من بقي من أصحابه إلى عبد الملك ، فأمنهم .

فقال عبد الله بن قيس الرقيّات :

لَقَدْ وَرَدَ الْمِصْرَيْنِ خِزْيٌ وَذِلَّةٌ قَتِيلٌ بِدَيْرِ الْجَائِلِقِ مُقِيمٌ
فَمَا صَبَرَتْ فِي الْحَرْبِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَلَا ثَبَّتَتْ عِنْدَ الْمَاءِ تَمِيمٌ
وَلَكِنَّهُ ضَاعَ الدَّمَارُ فَلَمْ يَكُنْ بِهَا عَرَبِيٌّ عِنْدَ ذَلِكَ كَرِيمٌ
وكان قتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين^(١) .

فارتحل عبد الملك بالناس حتى دخل الكوفة ، فدعاهم إلى البيعة ، فبايعوه .
ثم جهّز الجيوش إلى تهامة لمحاربة عبد الله بن الزبير ، ووَلَّى الحرب قُدَامَةَ ابن مَظْمُون ، وأمره بالسير .

وانصرف عبد الملك إلى الشام .

[مقتل عبد الله بن الزبير]

ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير ، وعزل قدامة بن مظعون ،
فسار الحجاج حتى نزل الطائف ، وأقام شهرا .

ثم كتب إلى عبد الملك : « إنك يا أمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يُعمل فكره ،
ويستجيش ويجمع أنصاره ، وتثوب إليه فُلاله كان في ذلك قوة له ، فاذن في
معاجلته لي » .

فأذن له .

فقال الحجاج لأصحابه : تجهزوا للحج .

وكان ذلك في أيام الموسم .

ثم سار من الطائف حتى دخل مكة ، واصلب المنجنيق على أبي قُبَيْس^(١) .

فقال الأفيشِر الأسدي :

لَمْ أَرَّ جَيْشًا غُرًّا بِالْحَجِّ مِثْلَنَا وَلَمْ أَرَّ جَيْشًا مِثْلَنَا غَيْرَ مَا خُرُسِ
دَلَفْنَا لِبَيْتِ اللَّهِ نَرْمِي سُتُورَهُ بِأَحْجَارِ زَفَنِ الْوَلَايِدِ فِي الْعُرْسِ^(٢)
دَلَفْنَا لَهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مِنْ مِثْنِي بِجَيْشِ كَعْدَرِ الْفِيلِ لَيْسَ بِذِي رَأْسِ
فَالَا تُرْحَنًا مِنْ تَقْيِفٍ وَمُلْكِيهَا نُصَلِّ لِأَيَّامِ السَّبَّاسِ وَالنَّحْسِ^(٣)

فطلبه الحجاج ، فهرب ، وأناخ الحجاج بابن الزبير .

وتحصن منه ابن الزبير في المسجد .

واستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي ، فجعل يرمي أهل المسجد ويقول :

خَطَّارَةٌ مِثْلُ الْفَنِيقِ الْمُلْبِدِ نَرْمِي بِهَا عَوَاذَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ^(٤)

(١) أبو قبيس جبل بمكة سمي باسم رجل من مذحج حدّاد ، لأنه أول من بنى فيه .

(٢) زفن كضرب : رقص . (٣) السباسب هي أيام السعانيين ، والسعانيين ، أو الشعانين :

عيد للنصارى قبل عيد الفصح بأسبوع ، يخرجون فيه بصلبانهم .

(٤) الخطارة : المقلع والمنجنيق ، والفنيق الفعل المكرم .

فلما اشتد على ابن الزبير وأصحابه الحصار ، خرجت بنو سهم من بابهم ، فقال ابن الزبير :

فَرَّتْ سَلَامَانُ ، وَفَرَّتِ النَّمِيرُ وَقَدْ تَكُونُ مَعَهُمْ فَلَا تَفِرْ

وجعل أهل الشام يدخلون عليه المسجد ، فيشد عليهم ، فيخرجهم من المسجد حتى

- رُمى بحجر ، فأصاب جبهته ، فسقط لوجهه ، ثم تحامل ، فقام ، وهو يقول :
- فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْتَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا
- ثم قال لأصحابه : « اخرجوا إلى من بالباب ، واحملوا ، ولا يُلْهَيْنَكُمْ طَلْبِي ، والسؤال عني ، فإنني في الرِّعِيلِ الْأَوَّلِ » .

فخرج ، وخرجوا معه ، فقاتل قتالا شديدا حتى قُتل عامة من كانوا معه ، وأخذوا

- ١٠ به من كل جانب ، فضربوه بأسيا فمهم حتى قتلوه .

فأمر به الحجاج ، فَصُلِبَ .

فمر به عبد الله بن عمر ، فقال :

« رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا ، غَيْرَ أَنَّكَ رَفَعْتَ الدُّنْيَا

فَوْقَ قَدْرِهَا ، وَلَيْسَتْ لَذَلِكَ بِأَهْلٍ ، وَإِنْ أُمَّةٌ أَنْتَ شَرُّهَا لَأُمَّةٌ صَدَقَ » .

- ١٥ وكان مقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وسبعمين^(١) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير خرج أخوه عروة بن الزبير هاربا من الحجاج

حتى أتى الشام ، فاستجار ببعد الملك بن مروان ، فأجاره ، وأظهر إكرامه ،

- ٢٠ وأقام عنده .

فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أن أموال عبد الله بن الزبير عند أخيه عروة ،

فرده إلى لأستخرجها منه .

فقال عبد الملك لبعض أحراسه :

— انطلق بعروة إلى الحجاج .

فقال عُرْوَة :

- يا بني مروان ، ما ذلَّ مَنْ قَتَلْتُمُوهُ ، بل ذلَّ مَنْ مَلَكَتُمُوهُ .
فتذمَّم عبد الملك ، وخرَّ سبيل عُرْوَة .
وكتب إلى الحجاج : « ألهُ عن عُرْوَة ، فلن أسلَّطك عليه » .
فأقام الحجاج بمكة حتى أقام للناس الحج .
وأمر بالكمبة فنُقِضَتْ ، وأعاد بناءها ؛ وهو هذا البناء القائم اليوم .
وفي ذلك العام توفى عبد الله بن عمر ، وله أربع وسبعون سنة . فدفنَ
« بذي طوى »^(١) في مقبرة المهاجرين .
وكان يكنى « أبا عبد الرحمن » .
وفيها مات أبو سعيد الخُدْرِي ، واسمه سعد بن مالك .
وفيها مات رافع بن خديج ، وله ست وثمانون سنة ، وكان يكنى « أبا عبد الله » .

[سك النقود العربية]

- قالوا : وأمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ، ثم أمر بعد ذلك
بضرب الدنانير ، وهو أوَّل من ضربَها في الإسلام .
وإنما كانت الدراهم والدنانير قبل ذلك مما ضربت المجمع .
وفي تلك السنة مات جابر بن عبد الله ، وله سبع وتسعون سنة .

[ابن الأشعث وفتنته]

- ثم خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس على الحجاج .
وكان سبب خروجه أنه دخل على الحجاج يوماً ، فقال له الحجاج :
— إِنَّكَ لَمَنْظَرَانِي .
قال عبد الرحمن : أي والله ، ومَخْبِرَانِي .
وقام عبد الرحمن ، فخرج .

(١) ذو طوى ، مثلث الطاء موضع قرب مكة .

فقال الحجاج لمن كان عنده :

— ما نظرت إلى هذا قط ، إلا اشتيت أن أضرب عنقه .

وكان عامر الشعبي حاضراً .

وإن عبد الرحمن لما خرج قعد بالباب حتى خرج الشعبي ، فقام عبد الرحمن إليه .

فقال له : هل ذكرني الأمير بعد خروجي من عنده بشيء ؟

فقال الشعبي : اعطى عهداً وثيقاً ألا يسمعه منك أحد .

فأعطاه ذلك .

فأخبره بما كان الحجاج قال فيه .

فقال عبد الرحمن :

— والله لأجهدن في قطع خيط رقبتة .

ثم إن عبد الرحمن دبّ في عبّاد أهل الكوفة وقرأهم ، فقال :

« أيها الناس ، ألا ترون هذا الجبار — يعني الحجاج — وما يصنع بالناس ؟

ألا تنضبون لله ؟ ألا ترون أن السنة قد أميتت ، والأحكام قد عطلت ، والمنكر

قد أعلن ، والقتل قد فشا ؟ اغضبوا لله ، واخرجوا مني ، فما يحمل لكم السكوت » .

فلم يزل يدبّ في الناس بهذا وشبهه حتى استجاب له القراء والعبّاد ، ووعدّهم

يوماً يخرجون فيه .

فخرجوا على بكرة أبيهم ، واتبعهم الناس ، فساروا حتى نزلوا الأهواز ،

ثم كتبوا إلى الحجاج :

خَلَعَ السُّلُوكَ وَسَارَ نَحْتَ لَوَائِهِ شَجَرُ الْمَرْمَى وَعُرَاعِرُ الْأَقْوَامِ^(١)

فأرسل الحجاج كتابه إلى عبد الملك بن مروان .

فكتب عبد الملك في جوابه :

وَأِنِّي وَإِبَائُهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ الْقَطَا وَلَوْ لَمْ يُنَبِّهْ بَاتَتِ الطَّيْرُ لَا تَسِرُ^(٢)

إِخَالُ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ مِنْهُمْ سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ

(١) جمع عرور بضم الأول والثاني وهو الأجر . (٢) القطا : طائر ومفرده قطاة .

قالوا : وأُهِدِيَتْ لِعَبْدِ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَارِيَةٌ لِإِفْرِيقِيَّةَ ، أَهْدَاهَا إِلَيْهِ مُوسَى
ابْنُ نَصِيرٍ ، عَامِلُهُ عَلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ دَهْرِهَا ، فَبَاتَتْ
عِنْدَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَلَمْ يَنْلِ مِنْهَا شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ غَمَزَ كَقَمِّهَا ، وَقَالَ لَهَا : إِنَّ
دُونَكَ أُمْنِيَّةَ الْمُتَمَنَّى .

قالت : فما بمنمك ؟

قال : يَمْنَعُنِي بَيْتٌ مُدْخِنًا بِهِ ، وَهُوَ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

فَزَعَمُوا أَنَّهُ مَكَثَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ لَا يَقْرُبُ امْرَأَةً حَتَّى أَتَاهُ قَتْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ .

ثُمَّ إِنَّ الْحِجَّاجَ بَعَثَ أَيُّوبَ بْنَ الْقُرَيْبَةِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَقَالَ :

انْطَلِقْ ، فَادْفَعْهُ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَلَهُ الْأَمَانُ عَلَى مَا سَافَ مِنْ ذَنْبِهِ .

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ ابْنُ الْقُرَيْبَةِ ، فَدَعَاهُ ، فَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

— وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْقُرَيْبَةِ ، أُجِلُّ لَكَ طَاعَتُهُ مَعَ ارْتِكَابِهِ الْعِظَائِمِ ، وَاسْتَحْلَالِهِ

الْمَحَارِمِ ؟ اتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ الْقُرَيْبَةِ ، وَوَالِ عِبَادَ اللَّهِ فِي الْبَرِّيَّةِ .

وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِابْنِ الْقُرَيْبَةِ يُحْتَدِّعُهُ حَتَّى تَرَكَ مَا أُرْسِلَ فِيهِ ، وَأَقَامَ مَعَ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ :

— إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْحِجَّاجِ كِتَابًا مُسَجِّعًا ، أَعْرِفُهُ فِيهِ سُوءَ فِعَالِهِ ،

وَأَبْصُرُهُ قُبْحَ سِرِّرَتِهِ ، فَأَمِلْهُ عَلَيَّ .

فَقَالَ أَيُّوبُ : إِنَّ الْحِجَّاجَ يَعْرِفُ الْفَاطِي .

قال : وما عليك ، إني لأرجو أن نقتله عن قريب .

فَأَمَلَى عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، إِلَى الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ،

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ ، الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا يَسْكَوْنَ دِمَا حَرَامًا ،

وَلَا يُعْطَوْنَ لِلَّهِ أَحْكَامًا ، فَإِنِّي أُحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي بَعَثَنِي لِمَنَاظِلَتِكَ ، وَقَوَّانِي عَلَى مَحَارِبَتِكَ

حين تهتكت سُتُورُكَ ، وتحيرت أمورُكَ ، فأصبحت حيرانَ تأمُّها ، لهفان
لا تعرف حقاً ، ولا تلاثم صدقاً ، ولا ترتقُ فتقاً ، ولا تنفق رنقا ، وطالما تطاولت
فيما تناولت ، فصرت في النى مُدْبِذُبا ، وعلى الشراة مُرَكِّبا ، فتدبر
أمرُكَ ، وقس شيرَكَ بِفَتْرِكَ^(١) ، فإبك مرَّاق عَرَّاق^(٢) ، ومعك عصابة فُسَّاق ،
جعلوك مثاهم ، كخذوهم نعالهم ، فاستعدَّ للأبطال بالسيوف والمَوال^(٣) ، فستذوق
وبال أمرُكَ ، ويرجع عليك غيُّكَ ، والسلام .

فلما قرأ الحجاج الكتاب عرف ألفاظ ابن القِريَّة ، وعلم أنه من إملائه .

فكتب إلى عبد الرحمن في جوابه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف ^{إلى} بن عبد الرحمن بن الأشعث ،
سلام على أهل التورع لا التبذع ، فإني أحمد الله الذي حَيَّرَكَ بعد البصيرة ، فمَرَّقَتْ
عن الطاعة ، وخرجت عن الجماعة ، فمسكرت في الكفر ، وذَهَلَتْ عن الشكر ،
فلا تحمد الله في سراء ، ولا تصبر لأمره في ضراء ؛ قد أناني كتابك بلفظات فاجر ،
فاسق غادر ، وسيء مَكِّن الله منه ، ويهتك سُتُوره ؛ أما بعد فهكُم إلى فِعْل وفَعَال ،
ومماقة الأبطال بالبيض والمَوال ، فإن ذلك أخرى بك من قيل وقال ، والسلام على
من اتبع الهدى ، وخشى الله ، واتقى » .

وإن عبد الملك وجه إلى الحجاج عشرة آلاف رجل من فرسان أهل الشام لمحاربة

عبد الرحمن بن محمد .

فلما قدهوا عليه تجهَّز ، وسار نحو عبد الرحمن ، فالتقوا بالأهواز ، فاقتتلوا ،
فانهزم عبد الرحمن ، ومضى على وجهه ، فرَّ على رجل من أصحابه مَسْلُوب حَافٍ ،
يمشى ويمر .

(٢) الشبر : ما بين أعلى الإبهام وأعلى المنصر ، والفتر بالكسر ما بين طرف الإبهام وطرف

المشيرة .

(٢) المرق : لكثارة مرقعة القدر والمرق العظيم بلحمه .

(٣) الرماح .

فأنشأ عبد الرحمن يقول :

مُنْخَرِقُ الْخُفَّيْنِ يَشْكُو الْوَجَى تُنْكِيهِ أَطْرَافُ مَرَوْ حِدَادِ^(١)
أَخْرَجَهُ الْخِذْلَانُ عَنْ أَرْضِهِ كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ
إِنْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ فَأَلْمَوْتُ حَتَمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

فقال الرجل :

— فَهَلَا ثَبْتُ ، فنقاتل مذك .

فقال له عبد الرحمن :

— أَوْ بِمِثْلِكَ تَسُدُّ الثُّغُورَ ١٩ .

ومضى عبد الرحمن حتى استجار بملك الأتراك ، فأقام عنده .

فكتب عبد الملك إلى ملك الأتراك ، يُخبره بشقاق عبد الرحمن ، وخَلَمَهُ

الطاعة ، وخروجه عليه ، ويسأله أن يرده عليه .

فقال ملك الأتراك لَطْرَ أَخْنِيتَهُ^(٢) :

— إِنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ هَذَا رَجُلٌ مَخَالِفٌ لِلْمُلُوكِ ، فَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ آوِيَهُ ، بَلْ أُبْعَثْ

بِهِ إِلَى مَلِكِهِ ، فَيَتَوَلَّى مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ .

فوجه به مع مائة رجل من ثِقَاتِهِ ، فَأَنْزَلُوهُ فِي طَرِيقِهِ قَصْرًا فِي قَرْيَةٍ ، فَرَقَى

إِلَى ظَهْرِ الْقَصْرِ ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ السُّورِ ، فَات .

وإن أيوب بن القُرَيْبَةِ أَمِيرَ فَيْمَنِ أَمِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَأَدْخَلَ بِهِ

عَلَى الْحِجَابِ .

فلما أُدْخِلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ :

— يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، بِمِثْلِكَ رَسُولًا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَتَرَكْتَ مَا بُعِثْتَ لَهُ ، وَصِرْتَ

وَزِيرًا وَمُسْتِيرًا ، تَصْدُرُ لَهُ الْكُتُبُ ، وَتَسْجَعُ لَهُ الْكَلَامُ ، وَتُدَبِّرُ لَهُ الْأُمُورَ .

(١) الوجى : الحفا ، أو أشد منه ، ونكى : جرح ، والمرو : حجارة بيض تورى النار .

(٢) جمع طرخان بالفتح وهو اسم للرئيس العريف .

فقال ابن القريّة :

أصلح الله الأمير ، كان شيطاناً في مسكٍ إنسان ، استمأ لى بسحره ، وحلبنى
بلفظه ، فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب .

قال الحجاج :

- كذبت يا ابن اللّخفاء^(١) ، بل كان قلبك مُنافِقاً ، ولسانك مُدّاحاً ،
فكتمت أمراً أظهره الله ، وأطمعت فاسقاً خذله الله ، فما بقي من نعتك ؟
قال ابن القريّة : ذهني جديد ، وجوابي عتيّد .

قال : كيف علمك بالأرض ؟

قال : ليسألني الأمير عما أحبّ .

- قال : أخبرني عن الهند . ١٠

قال : بحرهما دُرٌّ ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عطر .

قال : فأخبرني عن مُكرّان .

- قال : ماؤها وشل^(٢) ، وتمرّها دقل^(٣) ، وسهلها جبل ، وليثها بطل ،
إن كثر الجيش بها جأءوا ، وإن قلّوا ضاعوا .

- قال : نفراسان . ١٥

قال : ماؤها جامد ، وهدوها جامد ؛ بأسهم شديد ، وشرّهم عتيّد ،
وخيرهم بعيد .

قال : فاليمين .

قال : أرض العرب ، ومعدن الذهب .

قال : فمّان .

- قال : حرّها شديد ، وصيدها موجود ، وأهلها عبيد . ٢٠

(١) اللخن محرّكة : قبح ريح الفرج ، والمرأة اللخناء التي لم تمتح .

(٢) الوشل محرّكة : الماء القليل .

(٣) الدقل : أردأ النمر .

- قال : فالبَحْرَيْن .
- قال : كُنَّاسَةٌ^(١) بين مِصْرَيْن ، وَجَنَّةٌ بين بَحْرَيْن .
- قال : فَسَكَّة .
- قال : قوم ذَوُو جَفَاء ، ومن سَجَّيْتِهِم الوَفَاء .
- قال : فالمدِينة . ٥
- قال : ذَوُو لُطْفٍ وَبِرٍّ ، وخَيْرٌ وَمِرٍّ .
- قال : فالْبَصْرَة .
- قال : حَرَمًا فَادِحًا ، وَمَاؤُهَا مَالِحٌ ، وَفَيْضُهَا سَائِحٌ .
- قال : فَالْكُوفَة .
- قال : جَنَّةٌ بَيْنَ سَحَابَةٍ وَكَنْةٍ^(٢) ، الْعِرَاقُ تَحْشُدُ لَهَا ، وَالشَّامُ يُدْرِّعُ عَلَيْهَا ، ١٠
- سَفَلْتُ عَنْ بَرْدِ الشَّامِ ، وَارْتَفَعْتُ عَنْ حَرِّ الْحِجَازِ .
- قال : فَالشَّامُ .
- قال : تِلْكَ عَرُوسٌ بَيْنَ نِسْوَةٍ جُلُوسٍ ، تُجَلِّبُ إِلَيْهَا الْأَمْوَالُ ، وَفِيهَا ١٥
- الضَّرَاعِمَةُ الْأَبْطَالُ .
- قال لَهُ الْحِجَّاجُ : نَكَلْتُكَ أُمَّكَ ، أَنْتَ الْمُنْدِرُ الْكَتَبَ لِابْنِ الْأَشْمَثِ ،
- أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي لَا أُصَاحِبُ عَلَى الشَّقَاقِ ، وَلَا أُجَامِعُ عَلَى النِّفَاقِ ؟
- قال ابْنُ الْقِرْبَةِ : اسْتَبَقْنِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
- قال : لِمَاذَا ؟
- قال : لِئَبْوَةٍ بَعْدَ هَفْوَةٍ .
- قال الْحِجَّاجُ : لَا ، بَلْ لِفِدْرَةٍ بَعْدَ نَسْكَةٍ ، يَا غَلَامُ ، نَاوِلْنِي الْحَرَبَةَ . ٢٠
- وَقَدْ أُمْسَكَ ابْنُ الْقِرْبَةِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَهَا ، وَهَزَّ الْحِجَّاجُ
- الْحَرَبَةَ ثَلَاثًا .

(١) الكُنَّاسَةُ : الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ . (٢) مَوْضِعَانِ أَوَّلُهُمَا بِالشَّامِ وَالثَّانِي بِفَارَسٍ .

فقال ابن القريّة : اسمع مني ثلاث كلمات ، تكن بمدى مثلاً .
قال : هات .

قال : لكلّ جَوَادٍ كَبُوءَةٌ ، ولكلّ حَلِيمٍ هَفُوءَةٌ ، ولكلّ شُجَاعٍ نَبُوءَةٌ .
فوضع الحجاج الحرّبة في ثُنْدُوءَةِ ابن القريّة ، ودَفَعَهَا حتى خالطت جوفه ،
ثم خَضَخَفَهَا^(١) ، وأخرجها ، فاتَّبِعَهَا دم أسود .

فقال الحجاج :

هكذا تَشْخُبُ أوداجُ الإبل .

وفحص ابن القريّة برجليه وشخص بصره ، وجعل الحجاج ينظر إليه
حتى قضى .

١٠ فَخِيلَ فِي النُّطْعِ^(٢) .

فقال الحجاج :

لله دَرَكٌ يا ابن القريّة ، أَىْ أَدَبٍ فَقَدْنَا مِنْكَ ، وأَىْ كَلَامٍ رَصِينٍ سَمِعْنَا مِنْكَ .

ودخل بعد ذلك أنس بن مالك .

١٥ فقال له الحجاج :

هَيْهَ يَا أَنَسُ ، يوماً مع المختار ، ويوماً مع ابن الأشعث ، جَوَّالٌ فِي الْفَتَنِ ،
والله لقد هممتُ أَنْ أَطِجَنَكَ طَحْنَ الرَّحَى بِالثَّقَالِ^(٣) ، وأَجْمَلَكَ غَرَضاً لِلنَّبَالِ .

قال أنس : مَنْ يَعْينِي الْأَمِيرُ ؟ أَصْلَحَهُ اللَّهُ .

قال : إِيَّاكَ أَغْنَى ، أَسَاكَ اللَّهُ سَمْعَكَ .

٢٠ فأنصرف أنس إلى منزله ، وكتب من ساعته إلى عبد الملك بن مروان :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك ؛

(١) المضخضة : تحريك الماء . (٢) النطع : بساط من الأديم .

(٣) الثقال ككتاب الحجر الأسفل من الرحى .

أما بعد ، فإن الحجاج قال لي نُكْرًا ، وأُسمَعَنِي هُجْرًا ، ولم أكن لذلك أهلاً ،
فَخُذْ عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَعِدْنِي عَلَيْهِ ، وَالسَّلَامَ » .

فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غَضَبًا ، ثم كتب إليه .

« هَيْهَ يَا ابْنَ يَوْسَفَ ، أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْسَ ، فَإِنْ سَوَّغْتَكَ
مَضَيْتَ قَدُومًا ، وَإِنْ لَمْ يُسَوِّغْكَ رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى ، يَا ابْنَ السُّتْقْرِمَةِ بِعَجَمِ
الزَّرِيبِ ^(١) ، أَنْسَيْتَ مَكَاسِبَ آبَائِكَ بِالطَّائِفِ فِي حَفْرِ الْآبَارِ ، وَسَدِّ السُّكُورِ ^(٢) ،
وَحَمْلِ الْمَسْخُورِ عَلَى الظُّهُورِ ؟ أَبَلَّغَ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُعَنِّتَ بِأَنْسَ
ابْنَ مَالِكٍ ، خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتِّ سَنِينَ ، يُطْلِمُهُ عَلَى سِرِّهِ ،
وَيَفْشِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِيهِ عَنْ رَبِّهِ ؟ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاْمْشِ إِلَيْهِ
عَلَى قَدَمَيْكَ حَتَّى تَأْخُذَ كِتَابَهُ إِلَى الرَّضَى ، وَالسَّلَامَ » .

فلما وصل كتاب عبد الملك إلى الحجاج قال لمن حوله من أصحابه : قوموا بنا إلى
أبي حمزة . فقام ماشيا .

ومضى معه أصحابه حتى أتى أنسًا ، فأقرأه كتاب عبد الملك إليه .

فقال أنس : جَزَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا ، كَذَلِكَ كَانَ رَجَائِي فِيهِ .

قال له الحجاج : فَإِنْ لَكَ الْمُتَشَبِّهِ ، وَأَنَا صَائِرٌ إِلَى مَسَرَّتِكَ ، فَارْتَبِ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّضَى .

فكتب إليه أنس بالرضى عنه .

ودفنه إلى الحجاج ، فأنفذه الحجاج على البريد إلى عبد الملك .

[نَهَايَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ]

قالوا : ولما حضرت عبد الملك الوفاة ، وذلك في سنة ست وثمانين أخذ البيعة

(١) العجم كل ما كان في جوف مأكول كالزبيب ، واستغمرت المرأة بعجم الزبيب يعني أنها
عالجت به فرجها ليضيق .

(٢) السكور جمع سُكْر وهو ما يسد به النهر .

لابنه الوليد ؛ وكان ولده : الوليد ، وسليمان ، يزيد ، وعشام ، ومسلمة ، وعبد .

ثم قال للوليد : يا وليد ، لا أَلْفَيْنَاكَ إِذَا وَضَعْتَنِي فِي حَفْرَتِي أَنْ تَمْصُرَ عَيْنِيكَ
كَالْأَمَةِ الْوَرْهَاءِ^(١) بَلْ أَنْتَزِرَ وَشْتَر ، والبس جِلْدَ النَّمْر ، وادْعُ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ
ثَانِيَا ، فَمَنْ قَالَ بِرَأْسِهِ كَذَا ، فَقُلْ بِالسَّيْفِ كَذَا . وَوُعِكَ وَغَسَا شَدِيدًا .

٥ فلما أصبح جاء الوليد ، فقام بباب المجلس ، وهو غاصّ بالنساء ، فقال :
كيف أصبح أمير المؤمنين ؟
قيل له : يُرْجَى لَهُ الْعَافِيَةُ .

وسمع عبد الملك ذلك ، فقال :
وَكَمْ سَأَلْنَا عَنَّْا يُرِيدُ لَنَا الرَّدَى وَكَمْ سَأَلَاتِ الدَّمُوعُ ذَوَارِفُ
ثم أمر بالنساء ، فخرجن .
١٠

وأذن لبني أمية فدخلوا عليه وفيهم خالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فقال لهما :
يا بني يزيد ، أَتُحِبَّانِ أَنْ أُقِيلَكُمَا بَيْعَةَ الْوَلِيدِ ؟
قالا : مِمَّاذَا اللَّهُ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فال : لو قلتما غير ذلك لأمرت بقتلكما على حالتي هذه .

١٥ ثم خرجوا عنه ، واشتدَّ وَجَعُهُ ، فتمثَّلَ بَيْتُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّامِتِ :
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا
فَلَمْ يُنْمَسِرْ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى قُضِيَ .

وكان سلطانه إحدى وعشرين سنة وستة أشهر ؛ وكان له يوم مات ثمان
وخمسون سنة ، من ذلك سبع سنين ، كان فيها مُحَارِبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ صَفَا لَهُ
الْمُلْكُ بِمَدِّ قَتْلِهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَنَةً وَنِصْفًا .
٢٠

(١) الجارية الحماء .

[الوليد بن عبد الملك]

ولما انصرف الوليد من رَقَبَل أبيه قصد المسجد الأعظم ، واجتمع إليه الناس ، فبايموه .

وعَقَدَ لعمر بن عبد العزيز بن مروان على الحرَمَيْنِ .

٥ فنزل المدينة ، فدعا بعشرة نفر من أفاضل أهلها ، منهم عُرْوَةُ بن الزبير ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بن عُثْبَةَ ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر ابن سليمان بن أبي حَظْمَةَ ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، فاجتمعوا ، فدخلوا عليه ، فقال :

اعلموا أنني لست أقطع أمرا إلا برأيكم ومشورتكم ، فأشيروا عليّ .

١٠ قالوا : نفعل أيها الأمير ، جُزِيت على ما تنوى خير ما جزى مؤثّرٌ لمرضاة ربه . ثم خرجوا .

[إصلاح الحرم النبوي]

ثم كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز ، أن يشتري الدور التي حول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيزيدها في المسجد ، ويجدد بناء المسجد .

١٥ وكتب إلى ملك الروم يعلمه ماهمّ به من ذلك ، ويسأله أن يبعث إليه ما استطاع من الفُسيْفَسَاءِ^(١) .

فوجه إليه منها أربعين وسقا^(٢) .

فبعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فهدم عمر المسجد ، وزاد فيه ، وبناء ، وزيّنه بالفُسيْفَسَاءِ .

(١) الفُسيْفَسَاءُ : ألوان من الحرز تركب في حيطان البيوت من داخل .

(٢) الوسق : ستون صاعا أو حل بعير .

[فتح بخارى وسمرقند]

- وكان على خراسان من قبل الحجاج قتيبة بن مسلم الباهليّ .
فكتب إليه الحجاج يأمره بعبور النهر - نهر بلخ - ، وأن يفتح تلك البلاد .
فاستعد قتيبة ، وسار في المفازة التي بين مدينة مرو وبين مدينة آموية ، وهي
ذات رمال وغضى^(١) ، فصار إلى آموية ، ثم عبر النهر وسار إلى بخارى .
وكان ملك تلك الأرضين يسمى « صول » وكان ملكه على جميع ما وراء النهر ،
فلقيه الملك ، فخاربه قتيبة ، فهزمه ، وهرب صول نحو الصغاريان .
فاحتوى قتيبة على بخارى وحيزها ، فولى عليها رجلا .
وسار حتى وافى بلاد السغد^(٢) ، فأناخ على مدينتها المظمية ، وهي سمرقند ،
فحاصرها أشهراً .
فوجه إليه دُهاقها^(٣) : إنك لو أقت على مدينتي هذه عمرك لم تصل إليها ، لأننا نجد في
كتب آبائنا ، أنه لا يقدر عليها إلا رجل اسمه « بالان » ، لست إياه ، فامض لشأنك .
فزعموا أن قتيبة احتال لما يئس من مكابرتها ، فهيئاً صناديق ، وجعل لها أبواباً
من أسافلها ، تغلق من داخل ، وتفتح ، وجعل في كل صندوق رجلاً مُستلثماً ،
معه سيفه ، وأقفل أبوابها العليا .
ثم أرسل إلى الدهقان : « أما إذا كان هذا هكذا ، فإني راحل عنك إلى
الصغاريان ، وناحيتها ، ومضى فضول أموال وسلاح ، فوادعني ، واحرز هذه
الصناديق عندك إلى عودتي إن سلمت .
فأجابته إلى ذلك ، وتقدم قتيبة إلى الرجال أن يفتحوا أبواب الصناديق في جوف
الليل ، فيخرجوا ، ثم يصيروا إلى باب المدينة فيفتحوه .
وأمر الدهقان بالصناديق ، فأدخلت المدينة .

(١) مفردة غضة وهي الشجرة ، والأرض النضياء كثيرة الشجر .

(٢) السغد بالضم : بساتين نزهة وأماكن مشجرة ، حول سمرقند ، ومنها على بن الحسين وكامل
ابن مكرم وأحمد بن حاجب المحدثون . (٣) الدهقان بالضم وبالكسر لغة ، القوى على
التصرف مع حدّة ، وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم ، انظر معرب .

فلما جنّ الليل ، وهدأ الناس خرج الرجال مستائمين ، معهم السيوف ، لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه ، حتى أتوا باب المدينة ، فقتلوا الحرس ، وفتحوا الباب .
ودخل قتيبة بالجيش ، ووقعت الواعية ، وهرب الدهقان في سَرَب^(١) ، فلاحق بالملك ، وصارت ممرقة في قبضة قتيبة ، تخاف عليها رجلا .

وسار حتى أتى الصفانيان ، فهرب الملك منهم حتى صار في بلاد الترك ، ووَغَلَ فيها ، وخنَى الملكة لَقْتِيبة .

فدخل قتيبة الصفانيان ، ووجه عماله إلى كَش^(٢) ونَسَف^(٣) ، وافتتح جميع ماوراء النهر ، وجميع تخَارِسْتَان ، ولم يبق من خراسان شيء إلا افتتحه .
ولم يزل قتيبة بخراسان سنين حتى شَغَب عليه أجناده ، فقتلوه .
فاستعمل الوليد بن عبد الملك عليها الجراح بن عبد الله الحَكَمِي .

وحجَّ الوليد بن عبد الملك في سنة إحدى وتسعين ، وقد فرغ عمر بن عبد العزيز من بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدخله ، وطاف به ، ونظر إلى بنائه .
ولم يكن بقي في زمن الوليد من الصحابة إلا نفر يسير ، منهم بالمدينة ، سَهْل ابن سَعْد الساعدي ، وكان يُكنى أبا العباس ، توفي في آخر خلافة الوليد ، وكان يوم مات ابن مائة سنة ، ومنهم جابر بن عبد الله .

وبالبصرة أنس بن مالك .
وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى .
وبالشام أبو أمانة الباهلي .

[موت الحجاج]

وفي السنة الخامسة من خلافة الوليد مات الحجاج بواسط ، وله أربع وخمسون سنة ، وكانت إمرته على العراق عشرين سنة .

(١) السرب : الحفير تحت الأرض ، والقناة يدخل منها الماء الحائط .
(٢) مدينة في بخارى بين سمرقند وبُلخ ، وتسمى اليوم شهرى سبزه ، أي المدينة الخضراء ، لحصب ريفها ، ومنها خرج تيمورلنك الذي زينها بالبنائات الفخمة .
(٣) مدينة بفارس ، فيها نشأ الفقيه المحدث النسفي ، صاحب التفسير المشهور .

منها في خلافة عبد الملك خمس عشرة سنة ، وفي خلافة الوليد خمس سنين .
وقد كان قتل سعيد بن جبير قبل موته بأربعين يوما .

قالوا : وكان يقول في طول مرضه إذا هجر : مالى ولك يا ابن جبير ؟
وقُتِلَ ابن جبير وهو ابن تسع وأربعين سنة ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وكان
ولاؤه لبني أمية .

[سليمان بن عبد الملك]

ولما تمّ للوليد بن عبد الملك تسع سنين وستة أشهر حضرته الوفاة ، فأسند الملك
إلى أخيه سليمان بن عبد الملك .

فبويح سليمان في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وسليمان يومئذ من أبناء
سبع وثلاثين سنة .

فلما كان سليمان سنين وثمانية أشهر ، ثم مرض مرضته التي مات فيها .
فلما ثقل كُتِبَ كتابا ، وختمه ، ولم يذّر أحد ما كُتِبَ فيه ، ثم قال
لصاحب سرّه :

«اجمع إليك إخواني ، وعمومي ، وجميع أهل بيتي ، وعظماء أجناد الشام ، واخيلهم
على البَيْمَةِ لِنَ سَمِّيتُ في هذا الكتاب ، فَمَنْ أبى منهم أن يُبايع ، فاضرب عنقه » ،
ففعل .

فلما اجتمعوا في المسجد أمرهم بما أمر به سليمان .

فقالوا : أخيرنا ، من هو ؟ لنبايعه على بصيرة .

فقال : والله ما أذري من هو ، وقد أمرني أن أضرب عنق مَنْ أبى .

قال رَجاء بن حيوة : فدخلت على سليمان ، فأكبت عليه ، وقالت :

يا أمير المؤمنين ، مَنْ صاحب الكتاب الذي أمرتنا بمبايعته ؟

فقال : إن أخوَيَّ يزيد وهشاما لم يبالا أن يؤتمنا على الأمة ، فجعلتها للرجل

الصالح ، عمر بن عبد العزيز ، فإذا توفي عمر رجع الأمر إليهما .

فخرج رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ ، فأخبر يزيد وهشاما بذلك ، فرَضِيَا ، وسَلَمَا ، وبِإِيمَا ،
ثم بايع بعدها جميع الناس .

وكان أكبر ولده يومئذ محمد بن سليمان ، فكانت له اثنتا عشرة سنة .
وجمل يقول ، وهو يجود بنفسه :

٥ إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَيِّفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُّونَ

وذكر عن الكلبي أنه قال : بعث إلى سليمان بن عبد الملك ، فدخلت عليه ،
وقد انتفخ سَخْرِي^(١) ، فسألت عليه بالخلافة ، فردّ على السلام .

ثم أومأ إلى ، فجلست ، فسكت عني حتى إذا سكن جأشي ، قال لي :
يا كلبي ، إن ابني محمداً قرّة عيني وثمره قلبي ، ومد رجوت أن يبلغ الله به
١٠ أفضل ما بلغ رجلا من أهل بيته ، وقد وليتكَ تأديبه ، فملمه القرآن ، وروّ
الأشعار ، فإن الشعر ديوان العرب ، وفهمه أيام الناس ، وخذه بعلم الفرائض ،
وفهمه السنن ، ولا تقتر عنه ليلا ونهارا ، فإذا أخطأ بكلمة ، أوزلّ بحرف ،
أو هفأ بقول ، فلا تؤنّب بين يدي جلسائه ، ولكن إذا خلا لك مجلسك ،
لثلاث تحكّمه^(٢) ، وإذا دخل عليه الناس للتسليم ، نخذه بالطافهم وإظهار برّهم ،
١٥ وإذا حيّوه فليحيهم بأحسن منها ، وأطيباً لمن حضر بمائدتكما الطعام ، واحمله
على طلاقة الوجه ، وحسن البشر ، وكظم الغيظ ، وفلة القدر ، والتثبت في المنطق ،
والوفاء بالمهد ، وتنكّب الكذب ، ولا يركب فرسا مخدّوفاً^(٣) ، ولا مهلوباً^(٤)
ولا يركب بسرّج صغير ، فتبدو أليته منه .

قال : فلم يلبث سليمان بعد ذلك إلا قليلا حتى مات .

(١) السحر : الرئة ، وانتفخ سحره عندما طوره وجاوز تدره .

(٢) حتى لا تنفضه ، والمحك : اللجج .

(٣) الفرس المخدوفة التي تحرك جنبها في مشيها .

(٤) الفرس المهلوب التي تتابع الجري .

[عمر بن عبد العزيز]

وأُسند الأمر إلى عمر بن عبد العزيز .

قالوا : فلما استخلف قعد للناس على الأرض .

ف قيل له : لو أمرت ببساط يُبسطُ لك ، فتجلس ، ويجلس الناس عليه كان

ذلك أهيب لك في قلوب الناس .

فتمثل :

قَضَى مَا قَضَى فِيهَا مَضَى ، ثُمَّ لَا تَرَى لَهُ صَبَوَةً إِحْدَى اللَّيَالِي النَّوَائِرِ

وَلَوْ لَا التَّمَنَّى مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ وَالرَّدَى لَعَاصَيْتُ فِي حُبِّ الصَّبَا كُلَّ زَاجِرِ

وكان إذا جلس للناس قال « بسم الله ، وبالله ، وصلى الله على رسول الله ،

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَمْتَمُونَ » (١) .

ثم تمثل بهذه الأبيات :

نُسْرٌ بِمَا بَيَلَى ، وَنُشْغَلُ بِأَلْمَنِ كَمَا مُرٌّ بِالْأَخْلَامِ فِي النَّوْمِ حَالِهِ

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ ، وَالرَّدَى لَكَ لَا زِمُ

وَسَعْيُكَ فِيهَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبُهُ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
ثم نصب نفسه لرد المظالم .

وبدأ ببني أمية ، وأخذ ما كان في أيديهم من الخُصُوب (٢) ، فردّها على أهلها .

ودخل عليه أناس من خاصته ، فقالوا :

يا أمير المؤمنين ، ألا تخاف غوائل قومك ؟ .

فقال : أَيْيَوْمٍ سِوَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَخُوفُونَنِي ؟ فَكُلْ خَوْفَ أَتَمِّهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا وَقَيْتُهُ .

فلما تم خلافته سنتان وخمسة أشهر مات .

(١) الآية رقم ٢٠٥ من سورة الشعراء .

(٢) المال والعقار والضياع مما أخذوه من أصحابه غضبا وقهرا .

[يزيد بن عبد الملك]

- وأنفى الأمر إلى يزيد بن عبد الملك في أول سنة مائة وإحدى .
فولى المصيرين أخاه مسلمة بن عبد الملك .
وكان مسلمة ذاعقل كامل وأدب فاضل ، فاستعمل مسلمة على خراسان سميد
ابن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص بن أمية . ٥

[ظهور الدعوة إلى العباسيين]

- قالوا : وفي ذلك العام^(١) توافدت الشيعة على الإمام محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان مستقره بأرض الشام ، بمكان يسمى
« الْحَمِيمَةَ » وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدي ، وأبو عكرمة
السراج ، ومحمد بن خنيس ، وحيان العطار . ١٠
فقدم هؤلاء عليه ، فأرادوه على البيعة ، وقالوا له :
« ابسط يدك لنبايمك على طالب هذا الساطان ، لعل الله أن يحيي بك العدل ،
ويعيت بك الجور ، فإن هذا وقت ذلك ، وأوانه ، والذي وجدناه مأثورا عن
علمائكم » .
فقال لهم محمد بن علي : « هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك ، لانقضاء مائة من
التاريخ ، فإنه لم تنقض مائة سنة على أمة قط إلا أظهر الله حق المحقين ، وأبطل
باطل الباطلين ، لقول الله جل اسمه « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ [عَلَى
عُرُوشِهَا ، قَالَ ، أَلَيْسَ فِي هَذِهِ]^(٢) اللَّهُ بِمَدِّ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ،
ثُمَّ بَعَثَهُ^(٣) » فانطلقوا أيها النفر ، فادعوا الناس في رفق وستر ، فإنني أرجو أن
يقيم الله أمركم ، ويظهر دعوتكم ، ولا قوة إلا بالله » . ٢٠

(١) في سنة ٧٢٠ م .

(٢) في الأصل أثر رطوبة مكان ماين الحاصرين . (٣) الآية رقم ٢٥٩ من سورة البقرة .

ثم وجه مَيْسَرَةَ الْعَبْدِيِّ ، ومحمد بن خُنَيْسٍ إلى أرض العراق ، ووجه أبا عكرمة ،
وحيّان المطار إلى خراسان ، وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم
ابن أبي العاص .

فجعلوا يسيران في أرض خراسان من كُورَة إلى أخرى ، فيدهوان الناس إلى
بيمة محمد بن علي ، ويزهدانهم في سلطان بني أمية نلث سيرتهم ، وعظيم جورهم ،
فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير ، وفشا بعض أمرهم وعلن .
فبلغ أمرهما سعيدا ، فأرسل إليهم ، فأثي بهم ، فقال :
— من أنتم ؟

قالوا : نحن قوم تجار .

قال : فما هذا الذي يذكر عنكم ؟

قالوا : وما هو ؟

قال : أخبرنا أنكم جئتم دعاة لبني العباس .

قالوا : أيها الأمير ، لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا .

فأطلقهما .

١٥ نفرجا من عنده ، يدوران كور خراسان ورساتيقها في عداد التجار ،
فيدعُونَ الناس إلى الإمام محمد بن علي ، فـكـنا بذلك عامين .

ثم قدما على الإمام محمد بن علي بأرض الشام ، فأخبراه أنهما قد غرّسا بخراسان
غرّسا يرجوان أن يُشِيرَ في أوامه ، وألفياه قد وُلِدَ له أبو العباس ابنه .

فأمر بإخراجه إليهم ، وقال : هذا صاحبكم .

٢٠ فقبّلوا أطرافه كلها .

وكان مع الجُنَيْدِ بن عبد الرحمن عامل السُّنْدِ رجل من الشَّيْعة ، يُسَمَّى بُكَيْرِ
ابن مَهاكَن ، فانصرف إلى موطنه من الكوفة ، وقد أصاب بأرض السُّنْدِ مالا
كثيرا ، فَلَقِيَهُ مَيْسَرَةُ الْعَبْدِيِّ وابن خُنَيْسٍ ، وأخبراه بأمرهما ، وسألاه أن
يدخل في الأمر معهما ، فأجابهما إليه ، وقام معهما ، وأنفق جميع ما استفاد
بأرض السُّنْدِ من الأموال بذلك السبب .

- ومات مَيَسْرَة بأرض العراق .
- وكتب الإمام محمد بن عليّ إلى بُكَيْر بن مَاهَان ، أن يقوم مقام مَيَسْرَة ، وكان بُكَيْر يكنى بأبي هاشم ، وبها كان يُعرَف في الناس .
- وكان رجلاً مُفَوَّهاً ، فقام بالدُّعَاء ، وتَوَلَّى الدعوة بالعِرَاقَيْن ، وكانت كتب الإمام تَأْنِيه ، فيفسلها بالماء ويمسح بها الدقيق ، ويأمر ، فَيُخْتَبَرُ منه قُرْص ، فلا يبقى أحد من أهله وولده إلا أطمعه منه .
- ثم إنه مرض مرضه الذي مات فيه ، فأَوْصَى إلى أَبِي سَلَمَةَ الْخَلَّال ، وكان أيضاً من كبار الشيعة .
- وكتب إلى الإمام يُعَلِّمه ذلك .
- فكتب محمد بن عليّ إلى أَبِي سَلَمَةَ ، فَوَلَّاه الأمر ، وأمره بالقيام بما كان يقوم به أبو هاشم .
- ثم كتب إلى أَبِي عِكْرِمَةَ وَحْيَانَ ، وكانا صاحبي الأمر بخراسان ، يأمرهما أن يُكَاتِبَا أَبَا سَلَمَةَ ، فدعاهما إلى الدخول معه في أمره ، فأجاباه، ودخلا معه ، وكأَنفَاه .
- ثم إن يزيد بن عبد الملك عَزَلَ أخاه مَسْلَمَةَ عن العراق وخراسان ، واستعمل مكانه خالد بن عبد الله الْقَسْرِيّ ، واستعمل خالدُ أُسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خِرَاسَانَ ، فاتمهي خبر أَبِي عِكْرِمَةَ ، وَحْيَانَ إلى أُسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فأمر بطلبهما ، فَأَخِذَا ، وأُتِيَ بهما ، فضربت أعناقهما ، وَصُلِبَا .
- وبالغ ذلك محمد بن عليّ ، فقال : الحمد لله الذي صحح هذه العلامة ، وقد بقي من شيعتي رجال سوف يفوزون بالشهادة .
- فلما تم لملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وأشهر توفي بالبَلْقَاء من أرض دمشق .
- وكانت وفاته سنة خمس ومائة ، وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة .

[هشام بن عبد الملك]

ثم استخلف هشام بن عبد الملك ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة .
فمزل أسد بن عبد الله عن خراسان ، وولّاهما الجُنَيد بن عبد الرحمن ، وكان
رجلا من اليمانية ، ذا فضل وسخاء .

وهو الذي يقول فيه الشاعر :

ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجُنْدُ جَمِيعًا فَكَلَى الْجُودِ وَالْجُنْدِ السَّلَامُ

ولما قتل أبو عكرمة وحيان وجّه الإمام محمد بن علي إلى خراسان خمسة نفر من
شيخته : سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، ووسى بن كعب ، وخالد بن الهيثم ،
وطالحة بن زريق ، وأمرهم بكتان أمرم ، وألا يَفْشُوهُ إلى أحد إلا بعد أن يأخذوا
عليه اليهود المؤكدة بالكتمان .

فساروا حتى أتوا خراسان ، فكانوا يأتون كورة بعد كورة ، فيدعون الناس
سرا إلى أهل بيت نبيهم ، ويقيمون إليهم بنى أمية ، لما يظهر من جورهم واعتدائهم ،
وركوبهم القبايح ؛ حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان .
وبلغ الجُنَيد أمرم ، فأمر بطلبهم ، وأخذوا ، وأتى بهم الجُنَيد .
فقال : يا فَسَقَة ، قد قدمتم هذه البلاد ، فأفسدتم قلوب الناس على بنى أمية ،
ودعوتهم إلى بنى العباس .

فتكلم سليمان بن كثير ، وقال : أيها الأمير ، أأأذن لي في الكلام ؟

قال : تكلم

قال : إنا وإياك كما قال الشاعر :

لَوْ بَغِيَ الْمَاءُ حَلَقِي شَرِقٌ لَا سَقَمْتُ الْيَوْمَ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ
نملك أيها الأمير ، أنا أناس من قومك اليمانية ، وأن هؤلاء الفَرَسِيَّةَ تعصبوا
علينا ، فَرَقُوا إِلَيْكَ فِينَا الزُّورَ والبُهْتَانَ ، لأننا كنا أشد الناس على قَتِيبة ، فهم الآن
يطلبون بثأره بكل علة .

فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه : « ما ترون ؟ » .

فتكلم عبد الرحمن بن نعيم رئيس ربيعة ، وكان من خاصته :

— نرى أن تَمُنَّ بهم على قومك ، فلعل الأمر كما يقولون .

فأمر بإطلاقهم .

فخرجوا ، وكتبوا بقصتهم إلى الإمام .

فكتب إليهم : « إن هذا أقل ما لكم ، فاكتبوا أمركم ، وترفقوا في

دعوتكم » .

فساروا من مدينة مَرَوْ إلى بخارى ، ومن بخارى إلى سمرقند ، ومن سمرقند إلى

كَشَّ وَنَسَف ، ثم عطفوا على الصَّغَانِيَان ، وجازوا منها إلى خَتْلَانَ^(١) ، وانصرفوا

إلى مَرَوْ الرُّوذ^(٢) ، والطارقان^(٣) ، وعطفوا إلى هِراة^(٤) ، وَبَوْشَنج^(٥) ،

وجازوا إلى سجستان .

ففرسوا في هذه البلدان غرسا كثيرا ، وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان .

وبلغ ذلك الجنيد ، فأسف على تركهم ، ووجه في طلبهم ، فلم يقدر عليهم .

فكتب إلى خالد بن عبد الله القسري ، وكان على العراق ، يُعلمه انتشار

خراسان وما حدث فيها من الدعاة إلى محمد بن علي .

فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يُعلمه بذلك .

فكتب إليه هشام ، يأمره بالكتاب إلى الجنيد ، ألا يرغب في الدماء ،

وأن يكفَّ عن كف عنه ، وَيُسَكِّنَ الناسَ بِجُهدِهِ ، وأن يطلب النفر الذين يدعون

الناس حتى يجدهم ، فينفيهم .

(١) في نسخة أخرى « جيلان » والصواب ما ذكر ، وهي بلاد مجتمعة وراء النهر قرب

سمرقند .

(٢) في الأصل : مرووذ ، وهي مدينة من مدن خراسان .

(٣) قال الإسطخري في كتابه : إن طالقان أكبر مدن خراسان .

(٤) مدينة من أمهات المدن في خراسان ، وقد خربها التتار .

(٥) بليدة حصينة من نواحي هراة .

فلما انتهى ذلك إلى الجُنَيْد بعث رسله في أقطار خراسان .
وكتب إلى عُتَالِه في الكور يطلب القوم ، فطُلبوا ، فلم يُدْرَكْ لهم أثر .

[أبو مسلم الخراساني]

قالوا : وكان بدء أمر أبي مسلم أنه كان مملوكا لعيسى ، ومُعْقِل ، ابْنَيْ إِدْرِيس ،
ابن عيسى العِجْلِيِّين ، وكان مسكنهما بماء البصرة ، مما يلي أصبهان .
وكان أبو مسلم وُلد عندهما ، فنشأ غلاما ، فهِمَا ، أدبيا ، ذهنا ، فأحبَّاه حتى نزل
منهما منزلة الولد .

وكانا يتوليان بني هاشم ، ويُكاتبان الإمام محمد بن علي ؛ فكنا بذلك
ماشاء الله .

ثم إن هشاما عزل خالد بن عبد الله القسري من العراق ؛ وولى مكانه يوسف
ابن عمر الثقفي ، فكان يوسف بن عمر لا يدع أحدا يُعرف بموالاة بني هاشم ، ومودة
أهل بيت رسول الله إلا بعث إليه ، فحبسه عنده بواسط .
فبَلَنه أمر عيسى ، ومُعْقِل ابني إدريس ، فأشخصهما ، وحبسهما بواسط
فيمن حبس من الشيعة .

وكانا أخرجنا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما في الحبس .
وإن سليمان بن كثير ، ومالك بن المهينم ، ولأهز بن قُرط ، وهم كانوا الدُّعَاة
بخراسان قدموا للحج ، وقدم معهم قَحْطَبَةُ بْنُ شَيْبٍ ، وكان ممن بايعهم ، وشايهم
على أمرهم ، فجعلوا طريقهم على مدينة واسط ، ودخلوا الحبس ، فلقوا من كان فيه
من الشيعة ؛ فرأوا أبا مسلم ، فأعجبهم ما رأوا من هيئته ، وفهمه ، واستبصاره في
حب بني هاشم .

ونزل هؤلاء نفر بعض الفنادق بواسط ؛ فكان أبو مَرْسِي يَخْتَلِفُ إليهم طول
مقامهم حتى أنس بهم ، وأنسوا به ، فسألوه عن أمره .

فقال : إن أُمِّي كانت أُمَّةً لُمَيْرِ بْنِ بُطَيْنِ الْعَجَلِيِّ ، فوقَّعَ عليها ، فحملت بي ، فباعها ، وهي حامل ، فاشتراها عيسى ، ومَعْقِلُ ، ابنا إدريس ، فولدت عندهما ، فَأَنَا كَبَيْثَةُ الْمُلُوكِ لَهَا .

ثم إن النفر شخّصوا من واسط ، وأخذوا نحو مكة على طريق البصرة ، فوصلوا إلى مكة ، وقد وافاها الإمام محمد بن علي حاجًا ، فلقوه ، وسلموا عليه ، وأخبروه بما غرسوا به في جميع خراسان من الفرس ، ثم أخبروه بممرِّهم بواسط ، ودخولهم على إخوانهم المحبِّسين بها .

ووصفوا له صفة أبي مسلم ، وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه ، وحسن بصره ، وجودة ذهنه ، وحسن منطِّقه .

فسألهم : أحرُّ هو أم مملوك ؟ ١٠

فقالوا : أما هو ، فيزعم أنه ابن عمير بن بُطَيْنِ الْعَجَلِيِّ ، وكانت قصته كَيْتَ وكَيْتَ ، ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره .

فقال : إن الولد [تبعٌ للأُم ، فإذا انصرفتم فاجعلوا] ^(١) ممرِّكم بواسط ، فاشتروه ، وابعثوا به إلى الحَمِيْمَةِ ^(٢) من أرض الشام ، لأجعله الرسول فيما بيني وبينكم ، على أني أحسبكم لائقوني بعد عاي هذا ، فإن حدث بي حدثٌ فصاحبُكم ابني هذا - يعني إبراهيم - فاستوصُوا به خيرا ، فإنِّي سأوصيه بكم خيرا . ١٥

فانصرف القوم نحو خراسان ، ومَرُّوا بواسط ، ولقوا عيسى ، ومَعْقِلَ ابني إدريس ، فأخبروها بحاجة الإمام إلى أبي مسلم ، وسألوها ببيعة منهم . فزعموا ، أنهما وهبا له .

فوجَّه به القوم إلى الإمام ، فلما رآه تفرَّس فيه الخير ، ورجا أن يكون هو القِيمَ بالأمر ، لعلامات رآها فيه ، قد كانت بليغته . ٢٠

فجعله الرسول فيما بينه وبينهم ، فاختلف إليهم مزارا كثيرة .

(١) مكان ما بين الحاصرتين أثر أرضة في الأصل . (٢) بلد في أطراف الشام ، كان منزل

بني العباس .

[وفاة الإمام]

ثم توفي الإمام محمد بن عليّ ، فقام بالأمر بعده ابنه إبراهيم بن محمد ، وكان أكبر ولده ، فأمر أبا مسلم أن يسير إلى الدعاة بالعراق ، وخراسان ، فيعلمهم وفاة الإمام ، وقيامه بالأمر من بعده .

٥ فسار حتى وافي العراق ، ولقي أبا سلمة ، ومن كان معه من الشيعة ، فأخبرهم بما أمره به .

ثم سار إلى خراسان ولقي الدعاة بها ، فأخبرهم بذلك .

وبلغ وفاة الإمام جميع من بايع في أقطار خراسان ، فسودّوا ثيابهم حزناً لمصابه ، وتسلباً عليه .

١٠ وكان أول من سودّ منهم ثيابه خريش مولى خزاعة ، وكان عظيم أهل نسا^(١) ، ثم سودّها من بعده قحطبة بن شبيب ، ثم سودّ القوم جميعا ، وكثرت الشيعة بخراسان كلها ، وعلن أمرهم .

وكتب يوسف بن عمر ، وكان على العراقين ، إلى هشام ، يُخبره بذلك ؛ فكتب هشام إلى يوسف ، يأمره أن يبعث إليه رجلا ، له علم بخراسان ، ومعرفة بمن فيها من قوّادها ، وجنودها .

١٥ وقد كان يوسف بن عمر عزّال عنها الجُنَيْد بن عبد الرحمن ، واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

فكتب جعفر إلى يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفيّ ، يُخبره بتفاهم أمر السوّدّة بخراسان ، وكثرة من أجاب الدعاة بها .

٢٠ فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن يوجّه إليه رجلا ، له علم بخراسان ، حمل عبد الكريم بن سليط إليه على البريد .

(١) بلد بخراسان تقع بين مرو ونيسابور وقد عرفت بمجودة خيلها ، وفيها قبور الأولياء من الشيوخ والأعلام ، ولها ينسب الشيخ أحمد النسائي المحدث صاحب كتاب السنن أحد الكتب الستة المشهورة في علم الحديث .

قال عبد الكريم : فَسِرْتُ حَتَّى وَافَيْتُ دِمَشْقَ ، فَدَخَلْتُ عَلَى هِشَامَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ .

فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟

قُلْتُ : أَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ سَلِيطِ بْنِ عَطِيَّةِ الْحَنْفِيِّ .

قَالَ : كَيْفَ عَمَلُكَ بِخِرَاسَانَ وَأَهْلِهَا ؟

قُلْتُ : أَنَا بِهَا جِدَّةٌ عَالِمٌ .

ثُمَّ أَخْبَرْتَهُ أَنَّ وَجْهِي كَانَ مِنْهَا بِكِتَابِ أَمِيرِهَا جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيِّ إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُخَبَّرِهِ بِمَا حَدَّثَ فِيهَا .

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُؤَلِّيَ أَمْرَهَا رَجُلًا مِنَ الْقَوَادِ ، الَّذِينَ هُمْ مُرْتَبُونَ بِهَا ،

فَمَنْ تَرَى أَنْ أُؤَلِّيَ أَمْرَهَا مِنْهُمْ ، وَأَيُّهُمْ أَفْوَهمُ بِهَا ؟

قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ : - وَكَانَ هَوَايَ فِي الْيَمَانِيَّةِ - فَقُلْتُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قَوَادِمِهَا ذِي حَزْمٍ ، وَبَأْسٍ ، وَمَكِيدَةٍ ، وَقُوَّةٍ ، وَمُكَانَفَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ؟

قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟

قُلْتُ : جُدَيْعُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَزْدِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْكَرِمَانِيِّ .

قَالَ : وَكَيْفَ يُسَمَّى الْكَرِمَانِيُّ ؟

قُلْتُ : وَلِدَ بَكْرِمَانَ ، كَانَ أَبُوهُ مَعَ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ الْأَزَارِقَةَ ، فَقَوْلِدَ هَذَا هُنَاكَ .

قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي الْيَمَانِيَّةِ - وَكَانَ هِشَامُ يَبْغِضُ الْيَمَانِيَّةَ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ

بَنِي أُمَيَّةٍ - .

قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْمَجْرَبِ الْبَطْلِ الْنَافِذِ اللَّسَنِ ؟

قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟

قُلْتُ : يَحْيَى بْنُ نَعِيمٍ ، الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْمَيْلَاءِ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ .

قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، لِأَنِّي رَيْبَعَةٌ لَا تُسَدُّ بِهَا الثُّغُورُ .

قلت : يا أمير المؤمنين ، فمليك بالماجد اللبيب الأريب ، الكامل الحسيب ،
عَقِيل بن مَعْقِل الليثي .

قال ، فكأنه هَيَوِيَه .

قلت : إن اغتفرت منه هَنَّةً فيه .

قال : وما هي ؟

قلت : ليس بمفيف البطن والفرج .

قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فالكمال النافذ ، الفارس المجرب ، مُحَسِّن بن مُزاحم السُّلَمي .

قال ، فكأنه هَوِيَه ، لِلْمُضَرِّيَةِ .

قلت : إن اغتفرت هَنَّةً فيه .

قال : وما هي ؟

قلت : أ كَذِبُ ، ذِي كَهْجَةٍ .

قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فذو الطاعة لكم ، المتمسك بعهديكم ، المقتدى بقدوتكم ، يحيى بن
الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن وَغَلَة .

قال : ألم أخبرك أن ربيعة لا تُسدِّد بها الثُّغُور ؟

قلت : فالكمال النافذ الشجاع البطل ، قَطَن بن قُتَيْبَة بن مسلم .

قال : قال إليه بالمُضَرِّيَةِ .

قلت : إن اغتفرت منه هَنَّة .

قال : وما هي ؟

قلت : لا آمَنُهُ إِنَّ أَفْضَى إِلَيْهِ السُّلْطَانُ أَنْ يَطْلُبَ جُنُودَ خِرَاسَانَ بِدَمِ أَبِيهِ قُتَيْبَةَ ،
فإنهم جميعاً تظافروا عليه .

قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فأين أنت من العفيف المجرب ، الباسل المحنك ، نَصْر بن سَيَّار الليثي ؟

قال : فكأنه تفاعل به ، ومال إليه ، بالضرية .

قلت : إن اغتفرت منه خصلة .

قال : وما هي ؟

قلت : ليست له بخراسان عَشيرة من جنودها ، وإنما يَقوى على ولاية خراسان مَنْ كانت له بها عشيرة من جنودها .

قال : فأى عشيرة أكثر منى ، لا أبا لك ، يا غلام ؟ انطلق إلى الكتّاب ، فمُرهم بإنشاء عهده ، واثبتوني به .

فكتب له عهده ، وأتى به .

فناولنيه ، وقال : انطلق حتى توصّله إليه .

ثم أمر أن أُحمَل على البريد . ١٠

فسيرت حتى وافيت خراسان ، فأتيته في منزله ، فنأولته المهد ، فأمر لي بمشرة آلاف درهم .

ثم تناول المهد ، فانطلق إلى جعفر بن حنظلة ، الأمير كان بها ، فدخل عليه ، وهو جالس على سريره ، فناوله المهد .

فلما قرأه أخذ بيد نصر ، فرفعه حتى أجلسه معه على سريره ، وقال : سمعاً وطاعةً لأمر المؤمنين . ١٥

فقال له نصر : أبا خلف ، السلطان سلطانك ، فمر بأمرك .

ودعاه جعفر بن حنظلة ، وسلم الأمر إليه .

وإن سليمان بن كثير ، ولاهيز بن قرط ، ومالك بن الهيثم ، وقحطبة ابن شبيب أرادوا الحج ، فخرجوا مع الحاج متنكرين حتى أتوا مكة ، وقد وافاها ٢٠

في ذلك العام إبراهيم بن محمد الإمام ، فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان . وقد كانوا حملوا إليه ما بعثت به إليه الشيعة .

فقالوا : قد حملنا إليك مالا .

قال : وكم هو ؟

قالوا : عشرة آلاف دينار ، ومائتا ألف درهم .

فقال : سلّموه إلى مولاي عُروّة ؛ فدفعوه إليه .

فقال لهم إبراهيم : إني قد رأيت أن أوّل الأمر هناك أبا مُسلم ، لما جرّبت من عقله ، وبلّوت من أمانته ، وأنا مُوجّه معكم ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره ، فإنّ والدي - رحمة الله عليه - قد كان وصّف لنا صِفته ، وقد رجّوت أن يكون هو الذي يسوق إلينا المُلك ، فعآونوه ، وكانفوه ، وانتهوا إلى رأيه ، وأمره .
قالوا : سمعنا وطاعة لك أيها الإمام .

فانصرفوا ، وأبو مسلم معهم ، حتى صاروا إلى خراسان ، فتشعّر أبو مسلم للدعاء ، وأخذ القوم بالبيعة ، ووجّه كل رجل من أصحابه إلى ناحية من خراسان ، فكانوا يدورون بها كورة كورة ، وبلدا بلدا ، في زىّ التجار .

فاتبعه عالمٌ من الناس عظيم ، فواعدهم لظهوره يوما سمّاه لهم ، وولّى على من بايمه في كل كورة رجلا من أهلها ، وتقدّم إليهم بالاستمداد للخروج من ذلك اليوم الذي سمّاه لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان ، سهّلها وجبّلها ، وأقصاها وأدناها .

وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله ، واستتبّ له الأمر على محبّته ، وصار من أعظم الناس منزلا عند شيعته ، حتى كانوا يتحالفون به ، فلا يمحنتون ، ويذكرونه ، فلا يملّون .

وقد كان خالد بن عبد الله ولىّ العراقيين عشر سنين ، أربعا في خلافة يزيد ابن عبد الملك ، وستا في خلافة هشام .

فلما عزله هشام ، وولّى مكانه يوسف بن عمر حاسبه يوسف ، فخرج عليه عشرة آلاف درهم ، قد كان وهبها للناس ، وبذّرّها - وكان من أسخى العرب - فخبسه يوسف بن عمر عنده في العراق .

وكتب إلى هشام يتقاعد خالد بالمال الذي خرج عليه .

فكتب إليه هشام بالبُسط عليه^(١) .

فدعا به يوسف بن عمر وقال :

ما هذا التقاعد بمال السلطان يا ابن الكاهن ؟ - يعني شقيق^{يوسف} ابن صعب المعروف

بالكهانة - وكان خالد بن عبد الله من ولده .

فقال له خالد بن عبد الله .

أُتْعِرَني بِشَرِّي يا ابن الخمار ؟ وإنما كان أبوك وجدك بالطائف أصحاب حانة .

وبلغ هشام أن خالدًا بذّر ذلك السال في الناس ، فكتب إلى يوسف يأمره

بإطلاقه ، والكف عنه .

فلم يزل خالد مقبلاً بالكوفة حتى خرج زيد بن عليّ ، بن الحسين ، بن علي بن أبي

طالب عاينهم السلام بالكوفة .

وكان خروجه في صفر سنة ثمانى عشرة ومائة .

فسار إليه يوسف بن عمر ، فالتقوا بالكُناسة^(٢) .

فانهزم أصحاب زيد ، وخذلوه .

فأخذه يوسف بن عمر ، فضرب عنقه .

وبعث برأسه إلى هشام ، وصلب جسده بالكُناسة .

وإن خالدًا كتب إلى هشام يستأذنه في الخروج إلى طرسوس^(٣) غازیًا متطوِّعًا ،

فأذن له هشام في ذلك ؛ فسار حتى وافى طرسوس فأقام بها مرابطًا .

(١) كذا في الأصل ، وفي اللغة ، بسط فلان من فلان ، أزال منه الاحتشام ، ويقال بسطت

يده عليه أى مُسلط عليه . (٢) محلة مشهورة بالكوفة .

(٣) مدينة بشور الشام ، يشقها نهر بردان ، وبها قبر المأمون .

[وقعة بين خالد وهشام]

وإن رجلا من أهل العراق كان يتلصص ، ويكنى أبا المرّس ، قدم من الكوفة نحو أرض الشام ، في جماعة من لصوص الكوفة ، حتى وافوا مدينة دمشق ، فكان إذا جنته الليل أشعل في ناحية من السوق النار ، فإذا تصايح الناس ، واشتغلوا بإطفاء الحريق ، أقبل في أصحابه إلى ناحية أخرى من السوق ، فكسر الأقفال ،
٥ وأخذ ما قدر عليه ، ثم هرب .

فدخل كُثُوم بن عياض القسريّ على هشام ، وكان معادياً لخالد بن عبد الله ؛ ثمّ وهو ابن عمه ، فقال لهشام :

يا أمير المؤمنين ، إن هذا الحريق لم يكن بدمشق ، وقد حدث ، وما هو إلا عمل عهد بن خالد بن عبد الله القسريّ وغلماؤه .
١٠

فأمر هشام بطلب محمد بن خالد ، فأتوه به ، وبغلماؤله ، فأمر بحبسه ، وحبس غلماؤه .

وبلغ ذلك خالدا ، وهو بطرسوس ، فسار حتى وافى دمشق ، فنزل في داره بها ، وغدا عليه الناس مسلمين ، حتى إذا اجتمعوا عنده قال :

« أيها الناس ، خرجت غازيا بإذن هشام وأمره ، فحبس ابني وغلماؤي ، أيها
١٥ الناس ، مالي ولهشام ؟ والله ليكفّنّ عني هشام - يسمّيه في كل مرة باسمه ولا يقول أمير المؤمنين - أو لأدعونّ إلى عراق الهوى ، شامى الدار ، حجازى الأصل ، إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ألا وإني قد أذنت لكم أن تبلغوا هشاما » .

وبلغ هشامًا ذلك فقال : خَرِفَ أبو الهيثم ، وأنا حَرِيّ باحتماله ، لقد ديم حُرْمته ،
٢٠ وعظيم حقه .

فأقام خالد بن عبد الله بمدينة دمشق عاتبا لهشام ، مصادما له ، لا يركب إليه ، ولا يقبأ به ، وهشام في كل ذلك يحتمله ، ويخلم عنه .

وإن رجلاً يسمى عبد الرحمن بن ثويب السكبيّ دخل على خالد بن عبد الله ،
فسلم عليه ، وعنده نقر من أشراف أهل الشام ، فقال له :
« يا أبا الهيثم ، إني أحبك [لمشر خصال فيك يحبها] ^(١) الله منك : كرمك ،
وعفوك ، ودينك ، وعدلك ، ورأفتك ، ووقارك في مجلسك ، ونجدةك ، ووافائك ،
وصلتك ذوى رحمك ، وأدبك » .

٥

فأثنى عليه خالد ، وقال له خيراً .

وبلغ هشاماً ذلك فقال :

أبلغ من أمر الفاسق عبد الرحمن بن ثويب أن يصف خالدًا بمحاسن لم تجتمع
في أحد من الخلفاء المؤمنين على عباد الله وبلاده ؟
ثم أمر به ، فأحسن أدبه ، ونفى عن دمشق .

١٠

وبلغ ذلك خالدًا ، وعنده أناس من وجوه أهل الشام ، فقال لهم :

« ألا تعجبون من صنيع هشام برجل ذكر مني خصالاً ؟ زعم أنه يحبني لها ،
فضربه وطرده ، وإن أعظم مما قال في عبد الرحمن بن ثويب قول عبد الله بن صيفي
حين قال له : يا أمير المؤمنين ، أخليفتك في أهلك أحب إليك وآثر عندك أم
رسولك ؟ » .

١٥

قال هشام : بل خليفتي في أهلي .

قال : فأنت خليفة الله في أرضه وخلقه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليهم ، فأنت أكرم على الله منه ، فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي ، وهي
تضارع الكفر ، ويغضب على عبد الرحمن بن ثويب ، وينكر عليه ما وصفني به
من خصال ، يحبها الله ، فأحبني لها .

٢٠

فلم يحفل هشام حين بلغه ذلك من قول خالد ، ولم يؤاخذ به بشيء من مقالته ؛
فلما تم خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر مرض مرضته التي ماتت ، فأسند
الخلافة إلى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(١) محو في الأصل .

[الوليد بن يزيد]

فلما استخلف الوليد بن يزيد أمر صاحب شُرطه سميد بن غيلان بأخذ خالد
بالمال الذي عليه من بقايا خراج العراقيين والبُسْط عليه ، وقال : « أسمعني
صياحه » .

٥ فأقبل سميد بن غيلان إلى خالد وهو في منزله ، فأخرجه ، فانطلق به إلى
السَّجْن ، فمذَّبه يومه ذلك بألوان العذاب ، فلم يكلمه خالد بحرف .
وقال الأشعث بن القينى فيما نال خالدًا :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا

أَسِيرُ قُرَيْشٍ عِنْدَهَا فِي السَّلَاسِلِ

١٠ لَبْمَرِي ، لَقَدْ أَعْمَرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا

وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاءَ الْمُتَنَاقِلِ

فَإِنْ تَحْبِسُوا الْقَسِيرَى لَا تَحْبِسُوا اسْمَهُ

وَلَا تَحْبِسُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

وقدم يوسف بن عمر الثقفى بمال العراقيين على الوليد ، فجلس الوليد للناس ،
وأذن لهم إذنا عاما .

١٥

فتكلم زياد بن عبد الرحمن الضمرى ، وكان مُماندًا لخالد ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، على محاسبة خالد بخمسة آلاف ألف درهم ، فسلمه إلى .

فأرسل الوليد إلى خالد - وهو في السَّجْن - أن زياد بن عبد الرحمن قد أعطى
بمحاسبتك خمسة آلاف ألف درهم ، فإن صحَّحتَها لنا ، وإلا دَفَعْنَاكَ إِلَيْهِ .

٢٠ فأرسل له خالد : إن عهدى بالعرب لا تُباع ، وبالله لو سألتنى أن أضمن لك
هذا ، ورفع عُودٍ من الأرض ، ما فعلتُ .

فلما رأى الوليد بن زيد تقاعُد خالد بما عليه من المال أمر به ، فسلم إلى يوسف
ابن عمر ، وقال : « انطلق به إلى العراق ، واستأدِّه جميع ما عليه من المال » .

فحملة يوسف بن عمر معه إلى واسط^(١) ، فكان يخرج كل يوم ويعذبه ، ثم يردّه إلى الحبس ، فأخرجه ذات يوم ، وقال : ما هذا التّعاقد يا ابن المائقة^(٢) . فقال له خالد : ما ذكرك الأمهات ، لعنك الله ؟ والله لا أكلمك بكلمة أبدا . فغضب يوسف بن عمر من ذلك ، فوضّع على خالد المضرسّة^(٣) ، وجعل يعذبه بها حتى قتله ، فدفنه ليلا في عباءة كانت عليه .

فأنشأ الوليد بن يزيد :

أَلَمْ تَهْتَجِ فَتَذَكَّرُ الْوِصَالَ وَحَبَلًا كَانَ مُتَصِلًا فَرَا لَا
بَلَى ، قَالِدُ مَعُ مِنْكَ لَهُ سِجَالٌ كَمَا الْغَرَبِ يَنْهَمِلُ أَنْهَامَا لَا
فَدَعِ عَنْكَ إِذْ كَارَكَ آلَ سَعْدَى فَتَحْنُ الْأُكُثْرُونَ حَصَى وَمَا لَا
وَنَحْنُ أَلْمَالِ كُونَ النَّاسَ قَسْرًا نَسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالنَّكَالَا
وَنُورِدُهُمْ حِيَاضَ الْخَسَفِ ذُلًّا وَمَا نَأْلُوهُمْ إِلَّا خَبَالًا^(٤)
وَطِئْنَا الْأَشْرَبِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ وَلَمْ يَكُ وَطُونًا أَنْ يُسْتَمَالَ
وَكِنْدَةُ وَالسَّكُونُ قَدِ اسْتَعَاذُوا نَسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالْخَبَالَا
شَدَدْنَا مُلْكَنَا بَيْنِي زَارٍ وَقَوْمَنَا بِهِمْ مَنْ كَانَ مَالَا
وَهَذَا خَالِدٍ فِينَا قَتِيلًا أَلَا مَنَعُوهُ إِنْ كَانُوا رِجَالَا
وَلَوْ كَانَتْ بَنُو قَحْطَانَ عُرْبًا لَمَا ذَهَبَتْ صَنَائِمُهُ ضَلَالَا
وَلَا تَرَكَوْهُ مَسْلُوبًا أَسِيرًا نُحْمَلُهُ سَلَاسِلَنَا الثَّقَالَا
وَلَكِنَّ الْمَذَلَّةَ ضَعُفَتُهُمْ فَلَمْ يَحِيدُوا لِذِلَّتِهِمْ مَقَالَا

فلما سمع مَنْ كان بأفطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفا شديدا ،

فاجتمعوا من مدن الشام ، وساروا نحو الوليد بن يزيد .

(٢) الموق هو الحق في غباوة .

(٤) الحبال هو الملاك والنساء .

(١) موضع بين البصرة والكوفة .

(٣) حجر غليظ جدا خشن الوطء .

وبلغ الوليد مسيرهم ، فأمر بمحمد بن خالد بن عبد الله فحُبِسَ بدمشق .
وأقبلت اليمانية ، وخرج إليهم الوليد بمُضَرَّ مستمداً للحرب ، فالتقوا ، واقتتلوا ،
وأثخنت اليمانية القتل في مُضَرَّ ، فانهزمت مُضَرَّ ، وأخذوا نحو دمشق ، ودخل
الوليد قصره ، فتحصن فيه .

وَأقبلت اليمانية حتى دخلت دمشق ، وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ،
ورأى سؤه عليهم .

فأرسل محمد بن خالد إلى ابن عمّ الوليد بن يزيد ، وهو يزيد بن الوليد بن
عبد الملك ، فجاء به ، فبايعوه جميعاً ، وأرسل إلى أشرف المضرّيين ، فبايعوه
طوعاً وكرهاً .

وخلعوا الوليد بن يزيد ، فلبث مخلوعاً أياماً كثيرة ، وهو خليع بنى أمية .

[يزيد بن الوليد]

فقام يزيد بن الوليد بالخلافة ، ووضع للناس العطاء ، وفرّق في اليمانية
الصّلات والجوائز .

وأقبل محمد بن خالد إلى قصر الوليد بن يزيد ، وأمر بالأوثاق^(١) ، فألقيت
في شرف القصر ، وتسلقوا ، فمكّوه ، ونادوا : « يا وليد ، يا لوطي » ،
يا شارب الخمر » ، ثم نزلوا إليه ، فقتلوه .
واستدفع^(٢) الملك ليزيد بن الوليد .

وإن محمد بن خالد وجّه منصور بن جهمور في خيل إلى العراق ، وأمره أن يقصد إلى
مدينة واسط ، فيأخذ الناس بالبيعة ليزيد بن الوليد ، فإذا بايعوا دعا ييوسف بن عمر ،
فضرب عنقه .

٢٠

(١) الحبال جمع وحق .

(٢) استنقب واستقام .

فسار منصور بن جمهور ، فبدأ بالكوفة وأخذهم بالبيعة يزيد بن الوليد ، فلما
بايعوا سار منها إلى واسط ، فاجتمع إليه الناس ، فبايعوا يزيد ، فلما فرغ دعا بيوسف
ابن عمر ، فقال له :

أنت القاتل سيد العرب خالد بن عبد الله ؟

قال يوسف: كنت مأمورا ، ومالي في ذلك من ذنب ، فهل لك أن تُعفيني من القتل ،
وأعطيك ديني عشرة آلاف درهم ؛

فضحك منه ، ثم حمله حتى أتى به محمد بن خالد بالشام ، فقال له محمد :
أما زعمك أني كنت مأمورا فقد صدقت ، وقد قتلت قاتل أبي ، وإنما أقتلك
بعبد غزوان ، ثم قدمه ، فضرب عنقه .
فلما يزيد بن الوليد ستة أشهر ، ثم مات .

[إبراهيم بن الوليد]

وقام بالملك من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد ، فبايعه الناس بالشام ، وجميع
الآفاق ، وجعل ولي العهد من بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ،
واستعمل على العراق يزيد بن عمر بن هُبيرة ، فسار ابن هُبيرة حتى نزل المكان الذي
إلى اليوم يسمى « فصر ابن هُبيرة » وبني فيه قصرا ، واتخذ ذلك المكان منزلا له
ولجنوده .

قالوا : وإن الضرية تَلَاوَمَتْ فيما كان من غَلَبَةِ البِمانية عليها ، وقتلهم الخليفة
الوليد بن يزيد ، فدبّ بعضهم إلى بعض ، واجتمعوا من أقطار الأرض وساروا
حتى وافوا مدينة رَحْص^(١) ، وبها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وكان
يومئذ شيخ بني أُمَيَّة وكبيرهم ، وكان ذا أدبٍ كامل ورأيٍ فاضل ، فاستخرجوه

(١) بلد مشهور في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ، في طرفه القبلي قلعة حصينة
على تل عال كبير ، بين دمشق وحلب ، في نصف الطريق ، وقد سمي باسم من أحدثه ، وهو رَحْص
ابن مكنف العمليقي ، وبه قبر خالد بن الوليد .

من داره ، وبايعوه ، وقالوا له : « أنت شيخ قومك وسيدهم ، فاطلب بنار ابن عمك الوليد بن يزيد » .

فاستمد مروان بجنوده في تميم ، وقيس ، وكنانة ، ونسائر قبائل مُضَرَ ، وسائر نحو مدينة دمشق .

٥ وبلغ ذلك إبراهيم بن الوليد ، فتحصن في قصره .

ودخل مروان بن محمد دمشق ، فأخذ إبراهيم بن الوليد وولى عهده عبد العزيز ابن الحجاج فقتلها ، وهرب محمد بن خالد بن عبد الله القسري نحو العراق حتى أتى الكوفة ، فزل في دار عمرو بن عامر البجلي ، فاستخفى فيها ، وعلى الكوفة يومئذ زياد بن صالح الحارثي ، عاملاً ليزيد بن عمر بن هبيرة .

١٠ [مروان بن محمد]

واستدفع الملك مروان بن محمد ، وأعطاه أهل البلدان الطاعة ؛ ثم إن العصبية وقمت بخراسان بين المضرية واليمانية .

وكان سبب ذلك ، أن جديع بن علي المعروف بالكرماني كان سيده من بآرض خراسان من اليمانية ، وكان نصر بن سيار متعصباً على اليمانية ، مُبغضاً لهم ، فكان لا يستعين بأحد منهم ، وعادى أيضاً ربيعة ليلها إلى اليمانية ، فمات به ١٥ الكرماني في ذلك .

فقال له نصر : ما أنت وذاك ؟

قال الكرماني : إنما أريد بذلك صلاح أمرك ، فإني أخاف أن تُفسد عليك سلطانك ، وتحمل عليك عدوك هذا المُلْك ، يعني السُّودَة^(١) .

٢٠ قال له نصر : أنت شيخ قد خرفت .

فأسمعه الكرماني كلاماً غليظاً ، فغضب نصر ، وأمر بالكرماني إلى الحبس ، فحبس في المُهَنْدُز ، وهي القلعة العتيقة .

(١) السوداء هم المباسيون ، لسواد أغلبية رؤوسهم .

فغضب أحياء العرب للكرمانيّ ، فاعتزلوا نصر بن سيّار ، واجتمع إلى نصر
المصريّة ، فطابقوه وشايموه .

وكان للكرمانيّ مَوْلى من أبناء العجم ، ذودهاء وتجربة ، وكان يخدمه
في محبسه ، وكان الكرمانيّ رجلاً ضخماً عظيم الجثّة ، عريض ما بين النكبين ،
فقال له مولاه :

— أَتَوَطَّنُ نَفْسَكَ عَلَى الشَّدَّةِ وَالْمُخَاطَرَةِ حَتَّى أَخْرِجَكَ مِنَ الْحَبْسِ ؟

قال له الكرمانيّ : وكيف تخرجني ؟

قال : إني قد عيّنتُ على ثقب ضيّق ، يخرج منه ماء المطر إلى الفارقين ، فَوَطَّنْ
نَفْسَكَ عَلَى سَلْخِ جِلْدِكَ لَضِيقِ الثَّقَبِ .

قال الكرمانيّ : لا بد من الصَّبْرِ ، فاعمل ما أردت .

فخرج مولاه إلى اليمانية ، فوَاطَّأهم ، ووطنهم في طريقه ، فلما جَنَّ الليل ،
ونام الأحراس أقبل مولاه من خارج السور ، فوقف له على باب الثقب ، وأقبل
الكرمانيّ حتى أدخل رأسه في الثقب ، وَبَسَطَ فِيهِ يَدَيْهِ حَتَّى بَالَتْ يَدَاهُ كَفَيْ
مولاه ، فاجتذبه اجتذابة شديدة ، سَاخَّ بِهَا بَعْضُ جِلْدِهِ ، ثُمَّ اجْتَذَبَهُ ثَابِتَةً حَتَّى
انتهى به إلى النِّصْفِ ، فإذا هو بِحَيَّةٍ فِي الثَّقَبِ ، فنَادَى الكرمانيّ مولاه :
« بَذِّبْنِي ، مَا رَمَارُ » أَيْ « حَيَّةٌ قَدْ عَرْضَتْ » ، فقال مولاه : « بَكَزْ بَكَزْ »
أَيْ « عَضْهَا » ، ثُمَّ اجْتَذَبَهُ الثَّالِثَةُ ، فَأَخْرَجَهُ ، فقال لمولاه : « أُمْهِلْنِي سَاعَةً ،
حَتَّى أَفِيقَ ، وَيَسْكُنَ مَا بِي مِنْ وَجَعِ الْإِنْسِلَاحِ » .

فلما رجعت إلى الكرمانيّ نفسه نزل من ذلك التلّ ، وأتى بدابة ركبتها حتى
انتهى إلى منزله ، واجتمعت إليه الأزْد ، وسائر مَنْ بِخُرَاسَانَ مِنَ الْيَمَانِيَّةِ ،
وأنحازت ربيعة معهم .

وبلغ نصر بن سيّار الخبر ، فدعا بصاحب الحبس فضرب عنقه ، وظنّ أن
ذلك كان بِمُوَاطَّأَةِ مِنْهُ .

ثم قال لِسَلَم بن أَخَوَز المازني ، وكان على شُرطِه : « انطلق إلى الكرمانى » ،
فأعلمه : أتى لم أرد به مكروها ، وإنما أردت تأديبه لما استقبلنى به ، ومُرّه أن يصير
إلى آمناء ، لأننا ظره فى بعض الأمر .

فصار سَلَم إليه ، فإذا هو بمحمد بن المُثَنَّى الرِّبِّىّ جالساً على الباب فى سبعمائة
رجل من ربيعة ، فدخل عليه ، فأبلغه الرسالة ، فقال الكرمانى : لا ، ولا كرامة ،
٥ ماله عندى إلا السيف .

فأبلغ ذلك نصرا .

فأرسل نصر بعِصْمَة بن عبد الله الأزديّ ، وكان من خاصته ، فقال له : انطلق
إلى ابن عمك ، فأمنه ، ومُرّه أن يصير إلى آمناء ، لأننا ظره فى بعض ما قد دهمنا
١٠ من هذا المدو .

فقال الكرمانى لعصمة ، حين أبلغه رسالة نصر : « يا ابن الخبيثة ، وما أنت وذاك ؟
وقد ذكر لى عمك ، أبك لغير أبيك الذى تُنسب إليه ، إنما تريد أن تقترب إلى
ابن الأقطع - يعنى نصرا - أما لو كنت صحيح النسب لم تفارق قومك ، وتميل إلى من
لا رحم بينه وبينك » .

١٥ فانصرف عصمة إلى نصر ، وأبلغه قوله .

ثم إن الكرمانى كتب إلى عمر بن إبراهيم ، من ولد أبرهة بن الصبّاح ، ملك
رحمير ، وكان آخر ملوكهم ، وكان مستوطناً الكوفة ، يسأله أن يوجه إليه بنسخة
حلف اليمين وربيعة ، الذى كان بينهم فى الجاهلية ، ليُحْيِيَه ، ويجددّه ، وإنما
أراد بذلك أن يستدعى ربيعة إلى مكافئته .

٢٠ فأرسل به إليه .

فجمع الكرمانى إليه أشراف اليمين وعظاء ربيعة ، وقرأ عليهم نسخة الحلف .
وكانت النسخة :

« بسم الله العلىّ الأعظم ، الماجد المنعم ، هذا ما احتلف عليه آل قحطان وربيعة

(٢٣ - الأخبار الطوال)

الأخوان ، احتلفوا على السَّواء السَّوا ، والأواصر والإخا ، ما احتذَى رجل
 حِذاً ، وما راح راكب واغْتَدَى ، يحمله الصنار عن الكبار ، والأشرار عن
 الأخيار . آخرَ الدهر والأبد ، إلى انقضاء مدة الأمد ، وانقراض الآباء والولد ،
 حلفٌ يُوْطَأُ وَيُثَبُّ ، ما طلع نجم وغرب ، خلطوا عليه دماهم ، عند ملك أرضاهم ،
 خلطها بخمر وسقام ، جزّ من نوصيهم أشعارهم ، وقلم عن أناملهم أظفارهم ،
 فجمع ذلك في صرٍّ ، ودفنه تحت ماء غمرٍ ، في جوف قعر بحر آخر الدهر ،
 لا سهو فيه ولا نسيان ، ولا غدر ولا خذلان ، بمقد موكّد شديد ، إلى آخر الدهر
 الأبيد ، مادعا صبي أباه ، وما حاب عبد في إناه ، تحمل عليه الحوامل ، وتقبل عليه
 القوابل ، ما حل بعد عام قابل ، عليه المَحيا والمات ، حتى يَبْيَسَ الفرات ، وكتب
 في الشهر الأصم ^(١) عند ملكٍ أخى ذِمَم ، تبّع بن مَلِكِيكَرِب ، معدن الفضل
 والحسب ، عليهم جميعا كفل ، وشهد الله الأجل ، الذي ماشاء فذل ، عقّله من
 عقل ، وجهله من جهل .

فلما قُرى عليهم هذا الكتاب تواقفوا على أن ينصر بعضهم بعضا ، ويكون
 أمرهم واحدا .

فأرسل الكِرْمَانِي إلى نصر : « إن كنت تريد المحاربة فأبرز إلى خارج المدينة » .
 فنادى نصر في جنوده من مضر .

وخرج ، فمسكر ناحية من الصحراء ، وفعل الكِرْمَانِي مثل ذلك . وخندق
 كل واحد منهما في عسكره ، ويسمى ذلك المكان إلى اليوم « الخَنْدَقَيْن » .

ووجه الكِرْمَانِي محمد بن المشي ، وأبا المَيْلَاء الرِّبْعِيَّ ، في ألف فارس ،
 من ربيعة ، وأمرها أن يتقدما إلى عسكر نصر بن سَيَّار .

فأقبلا ، حتى إذا قاربا عسكره قال نصر لابنه تميم :
 - اخرج إلى القوم في ألف فارس من قيس وتميم .

(١) الشهر الأصم : هو رجب ، وسمى بذلك في الجاهلية لعدم سماع السلاح فيه .

فانتخب ألف فارس ، ثم خرج ، فالتقوا ، واقتتلوا ، وحمل محمد بن المثنى
الرَّبْعَى على تميم بن نصر ، فتضاربا بسيفيهما ، فلم يصنع السيفان شيئا ، لكمال
لأُمَتَيْهِمَا ، فلما رأى محمد بن المثنى ذلك حمل بنفسه على تميم ، فماتته ، فسقطا
جميعا إلى الأرض ، وصار محمد فوق تميم ، فأنحى على حلقه بالسيف ، فذبحه .

وقال نصر بن سيار يرثى ابنه تميما :

نَفَى عَنِّي الْعَزَاءُ وَكُنْتُ جَلْدًا غَدَاةُ جَلَى الْفَوَارِسُ عَنْ تَمِيمٍ
وَمَا قَصُرَتْ يَدَاهُ عَنِ الْأَعَادِي وَلَا أَضْحَى بِمَنْزِلَةِ اللَّثِيمِ
وَفَاءٌ لِلْخَلِيفَةِ وَابْتِدَالًا لِمُهْجَتِهِ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأَيُّ أَنَا الشَّيْخُ الْغَضَنَفَرُ ذُو الْكَلِيمِ
تَمَتَّنِي مِنْ خُزَيْمَةَ بَاذِخَاتٍ بَوَاسِقُ يَنْتَمِينَ إِلَى صَمِيمِ

قالوا : فكثوا بذلك عشرين شهرا ، ينهض بعضهم إلى بعض كل أيام ،
فيقتتلون هويًا ، ثم ينصرفون ، وقد انتصف بعضهم من بعض .

وشغلهم ذلك عن طلب أبي مسلم وأصحابه حتى قوى أمره ، واشتد ركنه ،
وعلى شأنه في جميع كور خراسان .

فقال عقيل بن معقل الليثي لنصر بن سيار : إن هذه العصبية قد تبادت بيننا
وبين هؤلاء القوم ، وقد شغلتك عن جميع أعمالك ، وضبط سلطانك ، وقد
أظلك هذا العدو الكلب ، فأنشدك الله أن تشأم^(١) نفسك وعشيرتك ، فأرب
هذا الشيخ - يعني الكرمانى - بعض المقاربة ، فقد انتقض الأمر على الإمام
مروان بن محمد .

فقال نصر : يا ابن عم ، قد فهمت ما ذكرت ، ولكن هذا الملاح قد ساعدته

(١) يعني أن تأخذ بهم نحو الشام .

عشيرته ، وظافرتهم على أمرهم ربيعة ، فقد عدا من أجل ذلك طوره ، فلا ينوي صلحا ، ولا ينيب إلى أمان ، فانطلق يا ابن عم إن شئت ، فسأله ذلك ، وأعطته عني ما أراد .

فرضى عقيل بن معقل حتى استأذن على الكرماني ، فدخل فسلم .
ثم قال له :

٥

- إنك شيخ العرب وسيدها بهذه الأرض ، فأبقِ عليها ؛ قد تبادت هذه المصيبة بيننا وبينكم ، وقد قتل منا ومنكم ما لا يحصيه أحد ، وقد أرسلني نصر إليك ، وجعل لك حكم الصبي على أبويه ، على أن ترجع إلى طاعته ، لتتأزرا على إطفاء هذه النار المضطربة في جميع كور خراسان ، قبل أن يكشفوا - يعني السودة - .

١٠

قال الكرماني : قد فهمت ما ذكرت ، وكنت كاريها لهذا الأمر ، فأبى ابن عمك - يعني نصرا - إلا البذخ والتطاؤل حتى حبسني في سجنه ، وبمثنى على نفسه وقومه .

قال له عقيل : فما الذي عندك في إطفاء هذه النائرة^(١) ، وحقن هذه الدماء؟

قال الكرماني : عندي من ذلك أن نمتلأ أنا وهو الأمر ، ونؤلى جميعاً أمرنا رجلاً من ربيعة ، فيقوم بالتدبير ، ونساعده جميعاً ، ونشمر لطلب هؤلاء السودة قبل أن يجتمعا ، فلا نقوى بهم ، ولو أخبنا عليهم معنا جميع العرب .
قال عقيل : إن هذا ما لا يرضى به الإمام مروان بن محمد ، ولكن الأمير نصراً يجعل الأمر لك ، تؤلى من شئت ، وتمزل من شئت ، وتدبر في هؤلاء السودة ما شئت ، وتزوج إليك ، وتزوج إليه .

٢٠

قال الكرماني : كيف يتزوج إلى . وليس لي بكفء ؟

قال عقيل : أتقول هذا لرجل له بيت كنانة ؟

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، تقع بين القوم .

قال الكرمانى : لو كان من مُصاص^(١) كِنانة ما فعلتُ ، فكيف وهو مُلصق فيهم ؟ فأما قولك ، إنه يجعل الأمر إلى ، أوّلَى ، وأُغزِل من أريد ، فلا ، ولا كرامة ، أن أكون تبعاً له ، أو أقارؤه على السلطان .

فانصرف عقيل إلى نصر ، فقال : « إنك كنت بهذا الملاح أبصر منى » .
ثم أخبره بما دار بينهما كله .

فكتب نصر بن سيار ، إلى الإمام مروان بن محمد ، يُخبره بخروج الكرمانى عليه ، ومحاربتة إياه ، واشتغاله بذلك عن طَلَب أبى مسلم وأصحابه ، حتى قد عَظُم أمرهم ، وأن المُحصى المُقلِّل لهم يزعم ، أنه قد بايعه مائتا ألف رجل ، من أقطار خراسان ، فتدارك يا أمير المؤمنين أمرك ، وابعث إلى بجنود من قبلك يَقوَ بهم ركنى ، وأستعين بهم على محاربة من خالفنى .

ثم كتب فى أسفل كتابه :

أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُؤَدِّبِ تَذَكَّى وَإِنَّ الشَّرَّ مَبْدُوءُهُ كَلَامُ
وَقُلْتُ مِنَ التَّمَجُّبِ ، لَيْتَ شِعْرَى أَأَيُّقَاطُ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ؟
فَإِنْ يَفِظْتُ ، فَذَلِكَ بَقَاءُ مُلْكٍ وَإِنْ رَقَدْتُ ، فَإِنِّى لَا أَلَامُ
فَإِنْ يَكُ أَصْبَحُوا ، وَثَوُوا نِيَامًا فَقُلْ قَوْمُوا ، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ

فلما وصل كتابه إلى مروان كتب إلى معاوية بن الوليد ، بن عبد الملك ، وكان عامله على دمشق ، ومروان حينئذ بمدينة حمص ، يأمره أن يكتب إلى عامله بالبلقاء^(٢) ، أن يسير إلى الحميمة^(٣) ، فيأخذ إبراهيم بن محمد بن على ، فيشده وثاقا ، ويرسل به إليه .

(١) مصاص القوم : أصل منبتهم .

(٢) أرض بالشام .

(٣) بلد من أعمال عمان فى أطراف الشام كانت منزل بنى العباس .

فأتى إبراهيم ، وهو جالس في مسجده ، فلف رأسه ، وحمل إلى مروان ،
واتبعه من أهل بيته عبد الله بن عليّ ، وعيسى بن موسى بن عليّ ، ونفر
من مواليه .

فلما دخل على مروان قال له : ما هذه الجموع التي خرجت بخراسان تطلب لك
الخلافة ؟

قال له إبراهيم : مالي بشيء من ذلك علم ، فإن كنت إنما تريد التجنّي علينا
فدونك وما تريد .

ثم بسط لسانه على مروان ، فأمر به ، فحبس .

قال الهيثم : « فأخبرني أبو عبيدة ، قال : كنت آتي إبراهيم في محبسه ،
ومعه فيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فأسلم عليه ، وأظل عامة نهارى عنده ،
وربما جئني الليل عنده ، فأبيت معه ؛ فبينما أنا ذات ليلة عنده ، وقد بت معه
في الحبس ، فأنأنا نائم في سقيفة فيه ، إذ قيل ، مؤلى لمروان ، فاستفتح الباب ،
ففتّح له ، فدخل ومعه نحو من عشرين رجلا من موالي مروان ، فلبثوا ساعة ،
ثم خرجوا ، ولم أسمع لأحد صوتا .

فلما أصبحت دخلت البيت لأسلم عليهما ، فإذا هما قتيلا ، فظننت أنهما
خُنِقا . »

ولما قتل إبراهيم بن محمد خاف أخواه : أبو جعفر ، وأبو العباس على أنفسهما ،
فخرجوا من الحيمة هارين من العراق ، ومعهما عبد الله ، وإسماعيل ، وعيسى ، وداد .
بنو عليّ بن عبد الله بن عباس ، حتى قدموا الكوفة ، ونزلوا على أبي سكرة الداعي ،
الذي كان داعية أبيهما ، محمد بن عليّ بأرض العراق .

فأنزلهم جميعاً دار الوليد بن سعد ، التي في بني أؤد ، وألزمهم مُساوِراً
القصاب ، وبقيطينا الأزارى ، وكانا من كبار الشيعة ، وقد كانا لقياً محمد بن عليّ
في حياته ، فأمرها أن يُعينا أبا سكرة على أمره .

وكان أبو سلمة خالاً^(١) ، فكان إذا أمسوا أقبل مُساور بشِقَّة لحم ، وأقبل أبو سلمة بخَلٍّ ، وأقبل يَقِطِينَ بالأَبْزَار ، فيطبخون ، ويأكلون .

وفي ذلك يقول أبو جعفر :

لَحْمٌ مُسَاوِرٌ ، وَخَلٌّ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبْزَارُ يَقِطِينَ ، وَطَابَتِ الْمَرْقَةُ

فلم يزل أبو العباس ، وأبو جعفر مستخفين بالكوفة إلى أن قدم قُحطبة ابن شبيب العراق .

قالوا : وبلغ أبا مسلم قتل الإمام إبراهيم بن محمد ، وهرب أبي العباس ، وأبي جعفر من الشام ، واستخفاؤهما بالكوفة عند أبي سلمة .

فسار من خراسان حتى قدم الكوفة ، ودخل عليهما ، فعزّاهما بأخيها ، إبراهيم الإمام .

ثم قال لأبي العباس : مُدَّ يَدُكَ أَبَايَكَ .

فمدَّ يده ، فبايعه .

ثم سار إلى مكة .

ثم انصرف إليهما .

فتقدم إليه أبو العباس ، ألا يدع بخراسان عربياً لا يدخل في أمره إلا ضرب عنقه .

ثم انصرف أبو مسلم إلى خراسان ، فجعل بدورها ، كُورَةَ كُورَةَ ، ورِسْتَقَا رِسْتَقَا ، فَيُؤَاعِدُهُم اليوم الذي يظهرون فيه ، ويأمرهم بتهيئة السِّلاح والدواب لمن قدر .

قالوا : ولما أُعِيَتْ نصر بن سَيَّار الحِجَلُ في أمر الكِرْمَانِي ، وخاف أَرْوَفَ أبي مسلم كتب إلى مروان :

(١) يمتن بيم الحل .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْوَائِي بِنُصْرَتِهِ قَدْ آتَى لِلْأَمْرِ أَنْ يَأْتِيكَ مِنْ كُتُبِ
أَصْحَتِ خُرَّاسَانُ ، قَدْ بَاضَتْ صُقُورُهَا وَفَرَّخَتْ فِي نَوَاحِيهَا بِلَا رَهْبٍ
فَإِنْ يَطْرُنَ ، وَلَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِهَا يُبْلِهِنَّ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبٍ
فلما وصلت هذه الأبيات إلى مروان كتب إلى يزيد [بن عمر بن هبيرة عامله] (١)

٥ على العراقين ، يأمره أن ينتخب من جنوده اثنا عشر رجلاً ، مع فرض يفرضه
بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ، ويؤلى عليهم رجلاً حازماً ، يرضى عقله
وإقدامه ، ويوجه بهم إلى نصر بن سيار .

فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان : « أن من معه من الجنود لا يفون
بأثنى عشر ألفاً ، ويعلمه أن فرض الشام أفضل من فرض العراق ، لأن عرب
العراق ليست لهم نصيحة للخلفاء من بني أمية ، وفي قلوبهم إحن » . ١٠

ولما أبطأ عن نصر الغوث أعاد إلى مروان :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْإِمَامَ الَّذِي قَامَ بِأَمْرِ بَيْنٍ سَاطِعِ
أَتَى نَذِيرُهُ لَكَ مِنْ دَوْلَةٍ قَامَ بِهَا ذُو رَحْمٍ قَاطِعِ
وَالثَّوْبُ إِنْ أَهْجَ فِيهِ إِلَيَّ أَعْيَى عَلَى ذِي الْحِيلَةِ الصَّانِعِ
كُنَّا نُدَارِيهَا ، فَقَدْ مُزِقَتْ وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ ١٥
فلم يجد عند مروان شيئاً .

[ظهور دعوة أبي مسلم]

وحان الوقت الذي واعد فيه أبو مسلم مُسْتَجِيبِيهِ ، فخرجوا جميعاً في يوم واحد
من جميع كُور خراسان حتى وافوه ، وقد سودوا ثيابهم ، تسلياً على إبراهيم
ابن محمد بن علي بن عباس الذي قتله مروان ، فكان أول من وَرَدَ عليه من القواد ، ٢٠

(١) في الأصل نحو مكان ما بين الحاصرتين .

وقد لبس السواد ، أُسَيْدُ بن عبد الله ، ومُقاتل بن حكيم ، وعِثْقَن بن غَزْوان ،
والحرّيش مولى خُزَاعَة ، وتنادوا : محمد ، يامنصور . يعنون محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس . وهو أول من قام بالأمر ، وبثّ دعااته في الآفاق .

وانجفل الناس على أبي مسلم من هَرَاة ، وبُوشَنج ، ومَرَو الرّوذ ، والطارقان ،
وَمَرَو ، وَنَسَا ، وأَبِيورْد^(١) ، وطُوس^(٢) ، ونَيْسابور ، وسَرَخْس ، وبلغ^٥ ،
والصَّغَانِيان ، والطُّخَارِسْتان ، وخُتْلان ، وكَش^(٣) ، ونَسَف ، فتوافوا جميعا
مسوّدَى الثّيابا ، وقد سوّدوا أيضا أنصاف الخشب التي كانت معهم ، وسمّوها
« كَافِرَه كُوبَات »^(٤) .

وأقبلوا فرسانا ، وحمّارة ، ورجّالة ، يسوقون حميرهم ويرجرونها ، هَرَمَرَوان ،
يسمونها مروان ، ترغيا لمروان بن محمد ، وكانوا زهاء مائة ألف رجل .
فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبي مسلم سَقَطَ في يديه ، وخاف على نفسه ، ولم
يَأْمَن أن ينحاز الكرمانى في اليمانية ، والربميّة إليهم ، فيكون في ذلك اصطلامه ،
فأراد أن يستعطف من كان مع الكرمانى من ربيعة .

فكتب إليهم ، وكانوا جميعا يَمُرُّو :

أَبْلِغْ رَيْبِعَةَ فِي مَرَوٍ وَإِخْوَتَهَا أَنْ يَنْضَبُّوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ النَّضَبُ^{١٥}
مَا بَالَكُمْ تُلْحِقُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَا عَنْ فِعْلِكُمْ غَيْبُ
وَتَرُّ كُوفَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَكُكُمْ مِمَّنْ تَأَشَّبَ ، لَا دِينَ وَلَا حَسَبَ
لَيْسُوا إِلَى عَرَبٍ مِنَّا ، فَتَعْرِفَهُمْ وَلَا صَمِيمَ الْمَوَالِي ، إِنَّهُمْ نُسِبُوا
قَوْمًا يَدِينُونَ دِينًا مَا سَمِعْتُ بِهِ عَنِ الرَّسُولِ ، وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ

(١) مدينة بخراسان تقع بين سرخس ونسا .

(٢) مدينة تشتمل على بلدين بالقرب من نيسابور ، بها قبر هرون الرشيد ، وعلي بن موسى
الرضا في بستان كان له بها ، وكان بينهما وبين نيسابور قصر عظيم بناه بعض التابعة لما قصد الصين ،
ورأى أن حرمة وكنوزه وذخائره .

(٣) قرية من قرى أصفهان .

(٤) كذا في الأصل ، وصوابه « كافر كوباد » أى مضرب الكافر .

فَمَنْ يَكُنْ سَائِلِي عَنْ أَصْلِ دِينِهِمْ فَإِنَّ دِينَهُمْ أَنْ تُقْتَلَ الْعَرَبُ
فلم تحفل ربعة بهذه الأبيات .

وبلغ أبا العباس الإمام ، وهو مستخف بالكوفة أن أبا مسلم لو أراد أن
يصظم^٥ عسكر نصر والكرماني لفعل ، غير أنه يدافع الحرب ، فكتب إليه يؤنبه
في ذلك .

وكان أبو مسلم يحب أن يستميل أحدَ الرجلين ، ليفصم به شوكة الآخر ،
فأرسل إلى الكرماني ، يسأله أن ينضم إليه ، لينتقم له من نصر بن سيار ، فعزم
على المسير إليه ، وأقبل أبو مسلم في عساكره إلى أرض مرو ، فمسكر على ستة
فراسخ من المدينة . ١٠

وخرج إليه الكرماني ليلا في نفر من قومه ، فاستأمن لجميع أصحابه ، فأمنهم
أبو مسلم ، وأكرم الكرماني ، فأقام معه ، وشق ذلك على نصر بن سيار ،
وأيقن بالهلكة .

فكتب إلى الكرماني يسأله الرجوع إليه ، على أن يعتزلا ، ويوليا الأمر رجلا
من ربعة ، يرضيانه ، وهو الأمر الذي كان سألَه إياه . ١٥

فأصغى الكرماني إلى ذلك ، وتحمل ليلا من معسكر أبي مسلم ، حتى انصرف إلى
معسكره ، واسترسل الكرماني إلى نصر ، فلما أصاب منه غرة دس عليه من
قتله .

ويقال : بل وجه إليه نصر رجلا من قواده في ثلاثمائة فارس ، فكنوا له ليلا
عند منصرفه من معسكر أبي مسلم ، فلما حاذاهم ، وهو غافل عنهم ، حملوا عليه ،
فقتلوه . ٢٠

وبلغ ذلك أبا مسلم فقال « لا يُبْعِدُ الله غيره ، لو صبر معنا لقمنا معه ، وانصرناه
على عدوه » .

وقال نصر في ظفري بالكرمانى :

لَعَمْرِي، لَقَدْ كَانَتْ رَبِيعَةٌ ظَافَرَتْ عَدَوِي بِبَدْرِ حِينَ خَابَتْ جُدُودُهَا
وَقَدْ غَمَزُوا مِنِّي قَنَاءَ صَلِيبَةٍ شَدِيدًا عَلَى مَنْ رَامَهَا الْكُسْرَ عُودُهَا
وَكُنْتُ لَهَا حِصْنًا، وَكَهْفًا، وَجُنَّةً يُوَلُّ إِلَيَّ، كَهْلَهَا، وَوَلِيدُهَا
فَمَالُوا إِلَى السَّوْءَاتِ، ثُمَّ تَعَذَّرُوا ٥ وَهَلْ يَفْعَلُ السَّوْءَاتِ إِلَّا مُرِيدُهَا؟
فَأَوْرَدْتُ كَرَمَانِيَّهَا الْمَوْتَ عَنُوءَةً كَذَلِكَ مَنَآيَا النَّاسِ يَدْنُو بَعِيدُهَا
قَالُوا: وَلَا قُتِلَ الْكَرْمَانِيُّ مَضَى ابْنُهُ عَلَى مِنْ خَنْدَقِهِ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَسَأَلَهُ أَنْ
يَطْلُبَ لَهُ بَنَارَ أَبِيهِ.

١٠ فَأَمَرَ قُحْطَبَةَ بْنَ شَيْبٍ أَنْ يَسْتَعِدَّ، وَيَسِيرَ حَتَّى يُنِيبَ عَلَى نَصْرِ فِي خَنْدَقِهِ، فَيُنَازِلَهُ
الْحَرْبَ، أَوْ يُنِيبَ إِلَى الطَّاعَةِ.

فسار قحطبة، فبدأ بالدينية، فدخلها، واستولى عليها، وأرسل إلى نصر
يؤذنه بالحرب.

فكتب نصر إلى أبي مسلم، يسأله الأمان، على أن يدخل معه في أمره؛
فأجابه إلى ذلك، وأمر قحطبة أن يمسك عنه.

١٥ فلما أصاب نصر من قحطبة غَفْلَةً تَحَمَّلَ فِي حَشَمِهِ وَوَلَدَهُ، وَحَاشِيَتِهِ لَيْلًا،
فَخَرَجَ مِنْ مَعْسَكَرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلَمَ أَصْحَابُهُ، وَسَارَ نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ
عَلَى جُرْجَانٍ، فَأَقَامَ بِهَا، فَمَرَضَ فِيهَا، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى سَاوَةِ^(١)، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا
ثُمَّ تَوَفَّى بِهَا.

فَاسْتَأْمَنَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابُ الْكَرْمَانِيِّ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ إِلَّا أَنَسًا كَرِهُوا أَمْرَ
٢٠ أَبِي مُسْلِمٍ، فَسَارُوا مِنْ مَدِينَةِ مَرْوْهُرَّابَا، حَتَّى أَتَوْا طُوسَ، فَأَقَامُوا بِهَا.

(١) وهى ساوى، مدينة فى بلاد فارس الوسطى، واقعة على الطريق بين قزوین والقرم،
وقد ضربها النول سنة ١٢٢٠، وكان سكانها سنين على مذهب أبى حنيفة، والآن كلهم شيعة.

- وأن أبا مسلم استولى على خراسان ، واستعمل عماله عليها .
- فكان أول من عقد له منهم زنباع بن النعمان ، على سمرقند ، وولّى خالد بن إبراهيم ، على طخارستان ، وولّى محمد بن الأشعث ، الطَّبَسَّيْن ^(١) ، ثم وجه أصحابه إلى سائر تلك البلاد ، وضمّ إلى قحطبة بن شبيب أبا عَوْن ، مقاتل بن حكيم العسّكيّ ، وخالد بن برمك ، وحارثة بن خزيمة ، وعبد الجبار بن نَهِيك ، وجهور بن مُراد العجلىّ ، والفضل بن سليمان ، وعبد الله بن النعمان الطائىّ ، وضمّ إلى كل واحد من هؤلاء القوّاد صناديد الجنود وأبطالهم .
- وأمر قحطبة أن يسير إلى طوس ، فيأق من قد اجتمع بها من جنود نصر ابن سيار ، والكرمانىّ ، فيحاربهم حتى يطردهم عنها ، ثم يتقدم ، قُدُماً قُدُماً ، حتى يرد العراق . ١٠
- فسار قحطبة حتى إذا دنا من طوس هرب أولئك الذين قد كانوا تجمّعوا بها ، فتنفّروا ، وسار قحطبة من طوس إلى جُرْجان ، فافتتحها .
- وسار منها إلى الرّىّ ، فوافع عامل مروان عليها ، فهزمه ، ثم سار من الرّىّ إلى أصبهان حتى وافاها ، وبها عامر بن ضُبارة ، من قبّل يزيد بن عمر ، فهرب منه ، ودخلها قحطبة ، واستولى عليها . ١٥
- ثم سار حتى أتى نَهَاوَنْد ، وبها مالك بن أدهم الباهلىّ ، فتحصّن أياها ، ثم استأمن إلى قحطبة ، فأمنه ، فخرج إليه ، وسار فحطبة حتى نزل حُوّان ، فأقام بها .
- وكتب إلى أبي مسلم يُعلمه خبره ، وأن مروان بن محمد قد أقبل من الشام حتى وافتى « الزّابيّين » ^(٢) فأقام بها في ثلاثين ألفاً ، وأن يزيد بن عمر بن هبيرة قد استعد بواسط . ٢٠

(١) كورثان بخراسان .

(٢) كورة على نهر بقرب واسط .

فأتاه كتاب أبي مسلم ، يأمره أن يوجه أبا عؤن العسكى في ثلاثين ألف فارس من أبطال جنوده إلى مروان بن عبد بالزأبين ، فيحاربه ، ويسير هو في بقية الجنود إلى واسط ، فيحارب يزيد بن عمر ، ليشغله عن توجيه المدد إلى مروان .
ف فعل قحطبة ذلك .

٥

وبلغ مروان فُصولَ أبي عون إليه باجيش من حُلوان فاستقبله ، فالتقيا بشهزُور ، فاقتلوا ، فانهزم أهل الشام حتى صاروا إلى مدينة حرّان .

قال الهيثم : فحدثني إسماعيل بن عبد الله القسرى ، أخو خالد بن عبد الله قال :
« دعاني مروان عند وصوله إلى حرّان ، وكنت أخص الناس عنده ، فقال لى :
١٠ « يا أبا هاشم » - وما كنتانى قبل ذلك - .

فقلت : « لبيك يا أمير المؤمنين » .

قال : « ترى ما قد نزل من الأمر ، وأنت الموثوق برأيه ، فما ترى ؟ » .

قلت : « وعلام أجمعت يا أمير المؤمنين ؟ » .

قال : « أجمعت على أن أرتحل بأهلى ، وولدى ، وخاصة أهل بيتى ، ومن

١٥ اتبمنى من أصحابى حتى أقطع الدرب ، وأصير إلى ملك الروم ، فأستوثق منه بالأمان ، ولا يزال يأتينى الخائف من أهل بيتى وجنودى حتى يكثف أمرى ، وأصيب قوة على محاربة عدوى » .

قال إسماعيل : وذلك ، والله ، كان رأى له عندى ، غير أنى ذكرتُ سوء أثره فى

قوى ، ومماداته إليهم ، وتحامله عليهم ؛ فصرفت الرأى عنه .

٢٠ وقلت له : « يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله ، أن تحكم أهل الشرك فى نفسك

وحرّمك ، لأن الروم لا وفاء لهم » .

قال : فما الرأى عندك ؟

قلت : الرأى أن تقطع الفرات ، وتستقرى مدن الشام ، مدينة مدينة ، فإن

لك بكل مدينة صنائع ونصحاء ، وتضمّمهم جميعا إليك ، وتسير حتى تنزل

٢٥ ببلاد مصر ، فهى أكثر أهل الأرض مالا ، وخيلا ، ورجالا ، فتجعل الشام أمامك ،

وإفريقية^(١) خلفك ، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام ، وإن تكن الأخرى
اتسع لك المهرب نحو إفريقية ، فإنها أرض واسعة ، نائية منفردة .

قال : صدقت ، لعمري ، وهو الرأي .

فسار من حرّان حتى قطع الفرات ، وجعل يستقرى مدن الشام ، فيستنهضهم ،
فيروغون عنه ، ويهابون الحرب ، فلم يسر معه منهم إلى قليل .

وسار أبو عون صاحب قحطبة في إثر مروان حتى انتهى إلى الشام ، وقصد
دمشق ، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، فيهم ثمانون رجلا من ولد مروان
ابن الحكم .

[نهاية بني أمية]

ثم عبر الشام سائرا نحو مصر حتى وافاها ، واستعد مروان فيعين كان معه ، من
أهل الوفاء له ، وكانوا نحو من عشرين ألف رجل ، وسار مستقبلا أبا عون حتى
التقى الفريقان ، فاقتتلوا .

فلم يكن لأصحاب مروان ثبات ، فقتل منهم خلق ، وانهزم الباقون ، فتبدّوا ،
وهرب مروان على طريق إفريقية ، وطابته الخيل ، فحال بينها وبينه الليل ، فعب
مروان النيل في سفينة ، فصار في الجانب الغربي ، وكان منجما^(٢) ، فقال
لغلامه :

— إني إن سلمت هذه الليلة رددت خيل خراسان على أعقابها حتى أبلغ خراسان .
ثم نزل ، ودفع دابته إلى غلامه ، وخلع درّعه ، فتوسّدها ، ونام لشدة ماقد
كان مرّبه من التعب ، ولم يكن معه دليل يدلّه على الطريق ، وخاف أن يُوغل في تلك
المفاوز ، فيضلّ .

(١) تذكر إفريقية في كتب التاريخ العربي ، ويقصد بها بلاد شمال إفريقية .

(٢) له دراية بعلم النجوم والفلك .

وأقبل رجل من أصحاب أبي عون، يسمّى « عامر بن إسماعيل » في طلب مروان ، حتى أتى المكان الذى عبر فيه مروان ، فدعا بسفينة ، فجلس فيها ، وعبر ، فأنتهى به السير إلى مروان ، وهو مُستَنقِلٌ نوما ، فضربه بالسيف حتى قتله .

قالوا : ولما بلغ محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، وكان مستترا بالكوفة في بجيلة ، موافاة قحطبة بن شبيب خلوان بجموع أهل خراسان جمع إليه نفرا من ٥ أشراف قومه ، ثم ظهر ، ودعا لأبي العباس الإمام ، فطلبه زياد بن صالح ، عامل يزيد بن عمر ، فاجتمع إليه قومه ، فتمنوه ، وقاموا دونه .

وبلغ ذلك يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمدّ زياد بن صالح بالرجال ، واجتمع إلى محمد جميع من كان بالكوفة من اليمانية والربّمية ، فهرب زياد بن صالح حتى لحق ١٠ يزيد بن عمر بواسط .

وكتب محمد بن خالد إلى قحطبة ، وهو بخلوان ، يسأله أن يؤليه أمر الكوفة ، ويبحث إليه عهده عليها ، ففعل .

فأتى المسجد الأعظم في جَمْع كثير من اليمانية ، وقد أظهروا السّواد ، وذلك يوم عاشواء من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة (١) .

وقال محمد بن خالد فيما كان من قتله الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

فَقَتَلْنَا الْفَاسِقَ الْمُخْتَالَ لَمَّا أَضَاعَ الْحَقَّ ، وَاتَّبَعَ الضَّلَالَا
يَقُولُ لِخَالِدٍ أَلَّا حَمَتُهُ بَنُو قَحْطَانَ إِنْ كَانُوا رِجَالَا
فَكَيفَ رَأَى غَدَاةَ غَدَتٍ عَلَيْهِ كَرَادِيسٌ يُشَبِّهُهَا الْجِبَالَا (٢)
أَلَّا أَبْلِغَ بَنِي مَرْوَانَ عَنِّي بِأَنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَوْدَى ، فَزَالَا

٢٠ وسار يزيد بن عمر بن هبيرة إلى الكوفة يريد محمد بن خالد ، فدخل محمد على

(١) الموافق أغسطس من سنة ٧٤٩ م .

(٢) الكردسة بالضم عظيمة من الخيل ، وكل عظيمين الثقبيا في مفصل ، والكردوسان

قيس ومعاوية ، ابنا مالك بن حنظلة .

أبى سَلَمَةَ الدَّاعِي ، فأخبره بفصول ابن هبيرة نحوه ، وتخوفه أن لا يَقْوَى بِكَثْرَةِ جموعه .

فقال له أبو سَلَمَةَ : إنه قد كان منك من الدعاء إلى الإمام أبي العباس ما لا ينسأه لك ، فلا تُفْسِدْ ذلك بقتلك نفسك ، وَمَنْ مَعَكَ ، ودَعِ الكوفة ، فإنها في يديك ، وسِرْ بِمَنْ مَعَكَ حتى تنضمَّ إلى قحطبة . ٥

قال محمد : لست بخارج من الكوفة حتى أبلى عُذْرًا في محاربة ابن هبيرة . فاستعدَّ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ بالكوفة من اليمين واليسار ، وسار مُسْتَقْبِلًا لابن هبيرة حتى التَقَى .

فَنَادَى محمد بن خالد مَنْ كَانَ مَعِ ابْنِ هَبِيرَةَ مِنْ قَوْمِهِ : « تَبًّا لَكُمْ ، أَنْسَيْتُمْ قَتْلَ أَبِي خَالِدٍ ، وَتَحَامَلُ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْعَهُمْ إِيَّاكُمْ أَعْطَيْتَكُمْ ؟ يَا بَنِي عَمِّ ، قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مُلْكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَدَالَ مِنْهُمْ ، فَانْضَمُّوا إِلَى ابْنِ عَمِّكُمْ ، فَإِنْ هَذَا قَحْطَبَةُ بِحُلُوانَ فِي جَمْعِ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، وَقَدْ قَتَلَ مَرْوَانَ ، فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ؟ وَإِنْ الْأَمِيرُ قَحْطَبَةُ قَدْ وَلَّانِي الْكُوفَةَ ، وَهَذَا عَهْدِي عَلَيْهَا ، فَلَيْكُنْ لَكُمْ أَمْرٌ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ » . ١٠

فلما سمعوا ذلك مَالُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا ، ولم يبقَ مَعِ ابْنِ هَبِيرَةَ إِلَّا قَيْسُ وَتَمِيمٌ . ١٥ فلما رَأَى ذَلِكَ وَلَّى مِنْهُمْ مَعَهُ حَتَّى وَافَى وَاسِطًا ، وَوَجَّهَ فِي نَقْلِ الْمِيرَةِ^(١) إِلَيْهَا ، وَاسْتَعْدَّ لِلْحَصَارِ .

وانصرف محمد بن خالد إلى الكوفة ، فخطب الناس ، ودعا لأبي العباس ، وأخذ بيعة أهل الكوفة .

وأقبل قحطبة من حُلُوانَ حَتَّى وَافَى الْعِرَاقَ ، فَنَزَلَ « دِرِمْيَا »^(٢) - وَهِيَ فِيهَا بَيْنَ بَغْدَادَ وَالْأَنْبَارِ - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُبْنَى بَغْدَادُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قَرْيَةً ، يَقُومُ بِهَا سُوقٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَأَقَامَ مَعْسَكَرًا بِهَا . ٢٠

(١) الطلغام . (٢) كانت قرية كبيرة على فم نهر عيسى قرب الفرات .

فقال علي بن سليمان الأزدي يذكر محمد بن خالد وسبقه إلى الدعاء إلى بني هاشم :

يَا حَادِيَيْنَا بِالطَّرِيقِ قَوْمًا بِيَمَمَلَاتٍ كَالْقَيْسِيِّ رُسَمًا^(١)
تَنْجُو بِأَحْوَاظِ الْفَلَاةِ مَقْدَمًا إِلَى أَمْرِئٍ أَكْرَمَ مَنْ تَكْرَمًا
مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمَا وَأَقْدَمًا ثَارَ بِكُوفَانٍ بِهَا مُعَلَّمًا
فِي عُصْبَةٍ تَطْلُبُ أَمْرًا مُبْرَمًا حَتَّى عَلَا مِنْبَرَهَا مُنَمَّمًا
أَكْرَمَ بِمَا فَازَ بِهِ وَأَعْظَمًا إِذْ كَانَ عَنْهَا النَّاسُ كُلُّهُ نُوْمًا

وإن قحطبة عند مسيره إلى العراق استخلف على أرض الجبل يوسف بن عقييل الطائي ، وأقبل ابن هبيرة حتى صار على شاطئ الفرات الغربي ، وهو في نحو من ثلاثين ألف رجل .

١٠

وأقبل قحطبة حتى نزل في الجانب الشرقي ، فأقام ثلاثاً ، ثم نادى في جنوده ، أن أقحموا خيلكم الماء ؛ فافتحموها ، وقحطبة أمام أصحابه .
ولما عبر أصحاب قحطبة قاتلهم ابن هبيرة ، فلم يبق لهم ، فانهزم حتى أتى واسطاً ، فتحصن فيها ، وفقد قحطبة بن شبيب فلم يدر أين ذهب .
ويزعم بعض الناس أن فرسه غاص به ففرق ، وتوكل أمر الناس ابنه الحسن ابن قحطبة .

١١

ولما تحصن ابن هبيرة بواسط خلف الحسن بن قحطبة عليه بعض قواده في عشرين ألف رجل ، وسار نحو الكوفة ، وقد أخذها محمد بن خالد ، فوافاها الحسن بن قحطبة ، وبها الإمام أبو العباس .

(١) البعلة الناقة النجبية العملة المطبوعة ، والجمل يعمل ، وناقعة عملة بينة العمالة فارمة .

[مبايعة أبي العباس]

فأظهر أبا العباس ، وأقبل به حتى دخل المسجد الأعظم ، واجتمع له الناس ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، عليه السلام ، ثم ذكر انتهاك بنى أمية المحارم ، وهدمهم الكعبة ، ونصبهم عليها المجانيق ، وما أبدعوا من خبيث السير ، ثم نزل .

٥

فأكثر الناس له من الدعاء ، وأقبل نحو دار الإمارة ، فنزلها .
وأمر الحسن بن قحطبة بالانصراف إلى واسط ، والإنابة يزيد بن عمر ابن هبيرة .

فسار الحسن وحاصر يزيد أشهراً كثيرة .

قال الهيثم بن عدي : بُويغ لأبي العباس بالخلافة ، ولأبي جعفر بولاية العهد من بعده ، في رجب ، من سنة اثنتين وثلاثين ومائة^(١) .

١٠

فلما استدف لأبي العباس الإمرة ولّى أبا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه ، وجعله وزيره ، وأسند إليه جميع أموره ، فكان يسمى وزير آل محمد ، فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة .

ويبلغ ذلك أبا مسلم وهو بخراسان ، فدعا مروان الضبيّ ، وكان أحد قوّاده ، وقال له : « انطلق إلى الكوفة ، فأخرج أبا سلمة من عند الإمام أبي العباس ، فاضرب عنقه ، وانصرف من ساعتك » ، ففعل الضبيّ ذلك .

١٥

فقال الشاعر يرثي أبا سلمة :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرُ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا^(٢) .

ثم إن الإمام أبا العباس رأى أن يوجه أخاه أبا جعفر النصور إلى واسط ، ليتولّى

٢٠

(١) الموافق فبراير سنة ٧٥٠ م .

(٢) شأنه أى أفضاه .

محاربة ابن هبيرة ، فوجهه ، وكتب إلى الحسن بن قحطبة يعلمه أن العسكر عسكره ،
و[أنه] أحب أن يكون أخوه المتولى للأمر .

فلما وافى أبو جعفر واسطا تحول الحسن بن قحطبة عن سرذاقه ، وخلاه بما فيه
له ، فنزله أبو جعفر بحريمه وحشمه .

وكتب أبو جعفر إلى قواد يزيد بن عمر وأشراف من العرب ، يستميلهم
بالأطعام ، وينبئهم على حظوظهم ، ويعرفهم انصرام دولة بني أمية ، فأجابوه جميعا .
وكان أول من أجابه وانحرف إليه زياد بن صالح الحارثي ، وكان عامل ابن هبيرة
على الكوفة ، وأخص أصحابه عنده ، وقد كان ابن هبيرة ولّاه حراسة مدينته
بالليل ، ودفع إليه مفاتيح أبوابها .

قال الهيثم : فحدثني أبي ، قال : لما هم زياد بالحق بأبي جعفر أرسل إلى ،
وكان وصي أبي ، فكنت أدعوه أبا وعمّا ، وقد كان رسوله أتانى عند اختلاط
الظلام ، يأمرني بالمصير إليه ، فأتيته ، فغلابي ، وقال :

« يا ابن أخي ، إنك لست ممن أكتمه شيئا ، وقد أتانى كتاب أبي جعفر ،
يدعوني إلى الحقوق به ، ويبدل لي على ذلك منزلة سنّية ، وأعلم في كتابه أنه راع
للخثولة - وكانت أم أبي العباس حارثية - .

قال والدي : « فقلت له ، يا عمّ ، إن لابن هبيرة أيادي جميلة ، وأكره لك
الغدر به » .

فقال : « يا ابن أخي ، أنا من أشكر الناس له ، غير أنني لا أرى أن أقيم على
ملك ، قد انقضت قواه ، ووهت عُراه ، وأنا لابن هبيرة اليوم عند أبي جعفر أنقع
منى له هاهنا ، وأرجو أن يصلح الله أمره بي وعلى يدي ، فأقم عندي إلى وقت
خروجي لأسلم لك المفاتيح » .
فأتمت عنده .

فلما مضى ثلث الليل أمر غلماناه ، فحملوا أثقاله ، وأسرجوا دوابه ، ثم ركب ،

ولخرج من منزله ، وأنا أمشي معه ، حتى أنتهى إلى باب المدينة الذى على دجلة ، وكانت المفاتيح معه ، وأمر الأحراس أن يفتحوا الباب ، وقال لهم : « أريد الخروج لاستطلاع بعض الأمور ، وأنا متصرف بعد ساعة » .

ثم خرج ، وأمرنى بإغلاق الباب وأخذ المفاتيح .

فقال لى فيما بينى وبينه : إذا أصبحت فانطلق بالمفاتيح حتى تدفعها إلى ابن هبيرة من يدك إلى يده ، وأعلمه أنى له هناك أفضل منى له هاهنا ، ثم ودعنى ، ومضى ، وانصرفت إلى منزلى .

فلما أصبحت أتيت باب قصر الإمارة ، فاستأذنت على ابن هبيرة .

فقال لى الحاجب : هو قاعد فى مصلاه ، لم يقم عنه .

قلت : أعلمه أنى أتيت فى مهم .

فأذن لى .

فدخلت ، وهو قاعد فى محرابه ، وعليه كساء برّ كائن^(١) معلم ، فسلمت عليه بالإنارة .

فرد السلام .

وقال : مهم .

فحدثته بأمر زياد بن صالح ، فدمت عيناه .

وقال : بمن تتق اليوم بعد زياد ، وتولى إياه الكوفة ، ويرى به ؟

فقلت : أيها الأمير : إن الله ربما جعل فى الكفر خيرا ، وأرجو أن ينفعك الله بمكانه هناك .

فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : يا غلام ، على بطارق بن قدامة التّسرى .

فدخل عليه ، وأنا جالس عنده ، فدفع إليه تلك المفاتيح .

(١) الكساء البركائى هو ذو اللون الأسود .

وقال : يا طارق ، إني قد اخترتك لحراسة هذه المدينة على جميع أصحابك من خاصتنا ، فكن كمنحو ثقتي بك .

ولما طال على ابن هُبَيْرَةَ الحصار بعث إلى النصور يسأله الأمان ، فأرسل إليه :
« إن أردت أن أؤمّنك على حكم أمير المؤمنين أبي العباس فعلتُ » .
فشاور ابن هبيرة نصحاءه ، فأشاروا عليه أن يفعل .
فأرسل إلى أبي جعفر يُعلمه : أنني راضٍ بذلك .
فكتب إليه أبو جعفر ذلك بخطه ، وأشهد على نفسه بذلك القواد .

فخرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في نفر من بطانته ، فدخل عليه ، وهو في
سُرَادقه ، وحول السُرَادق عشرة آلاف نفر من أهل خراسان مستلثمين في السلاح ؛
فأمر أبو جعفر بوسادة ، فجلس عليها قليلا ، ثم نهض ، ودُعِيَ له بدابته ، فركب ،
وانصرف إلى منزله ، وفُتِحَت أبواب المدينة ، ودخل الناس بعضهم في بعض .
قالوا : وأُخْصِيَ ما في الخزائن من الأموال والسلاح ، وما بقى من الطعام
والعَلَف الذي كان ابن هبيرة قد ادّخَر ، وأعدَّ للحصار ، فكان المال ثلاثة آلاف
ألف درهم ، ومن السلاح شيء كثير ، وطعام ثلاثين ألف رجل ، وعلف عشرين
ألف رأس من الدواب سنة .

وإن أبا جعفر كتب إلى أبي العباس يُخبره بخروج ابن هُبَيْرَةَ على حكمه ،
ويسأله أن يُعلمه الذي يرى فيه .

فكتب أبو العباس : لا حكم لابن هبيرة عندي إلا السيف .
فلما انتهى الكتاب بذلك إلى أبي جعفر كَتَمَهُ عن جميع الناس .
وقال لحاجبه : مُرْ ابن هبيرة إذا ركب إلينا ألا يركب إلا في غلام واحد ،
ويَدَع عنه هذه الجماعات .

فلما كان من غدٍ ركب ابن هبيرة إلى أبي جعفر في موكب عظيم

فقال له سلام الحاجب : « أبا خالد ، كأنك إنما تأتي ولي العهد مُبَاهِيًا ، ولا تأتيه مُسَلِّمًا » .

قال ابن هبيرة : إن كنتم كرهتم ذلك لم آتكم إلا في غلام واحد .
قال : فلا تأتونا إلا في [غلام] واحد ، فإنني لم أقل ذلك استخفافاً بحمقك ،
٥ إلا أن أهل خراسان يُنْكِرُونَ كثرة من يركب معك .
فكان ابن هبيرة بعد ذلك لا يأتيهم إلا في غلام واحد ، فيدخل ، ويسلم ،
وينصرف .

ثم إن أبا جعفر قال للحسن بن قحطبة : « اجمع إليك أبا بكر العُقَيْلِيَّ ،
١٠ والْحَوْثَرَةَ بن سهل ، ومحمد بن بُنَانَةَ ، وعبد الله بن بِشْرٍ ، وطارق بن قُدَامَةَ ،
وَسُوَيْدَ بن الحارث المزَنِيَّ ، وهؤلاء كانوا قُوَادَ يزيد بن عمر ، فإذا اجتمعوا
عندك فاضرب أعناقهم ، وأنتني بخواتيمهم ، ووجه حرساً يحرسون ابن هبيرة ،
لأنفذ فيه أمر الإمام أبي العباس .

فانطلق الحسن بن قحطبة ، فأنفذ أمره في أولئك ، وأتاه بخواتيمهم .
١٥ قال : « فما نطق منهم أحد عند قتله ، وما كان منه جزع ولا امتناع » .
فلما كان في اليوم الثاني دعا أبو جعفر خازمَ بن خُزَيْمَةَ ، وإبراهيم بن عقيل ، فقال
لهما : « انطلقا في عشرة نفر من الحرس حتى تدخلوا على ابن هبيرة فتقتلاه » .
فأقبلا حتى دخلا عليه عند طالع الشمس ، وهو جالس في مسجده في القصر
مسندٌ ظهره إلى المحراب ، ووجهه إلى رحبة القصر .

٢٠ فلما نظر إليهم قال لحاجبه : « يا أبا عثمان ، أحلف بالله أن في وجوه القوم لشرًا .
ففضى أبو عثمان مستقبلًا لهم ، وقال لهم : « ما تريدون ؟ » .
فبمجه إبراهيم بن عقيل بالسيف ، فقتله ، وقام إبراهيم ابنه في وجوه القوم ، فقتل ،
ثم قام ابنه داود في وجوههم ، فقتل ، ثم قام كاتبه عمرو ، فقتل .

وأقبلوا نحو ابن هبيرة ، فلما دنوا منه حوّل وجهه إلى القبلة ، وسجد ،
فضربوه بأسيا فهم حتى خمد .

ثم انصرفا إلى أبي جعفر ، فأخبراه بذلك ، فأمر أبو جعفر مناديا ، فنادى « أيها
الناس ، أنتم آمنون إلا الحكم بن عبد الملك بن بشر ، ومحمد بن ذرّ ، وخالد
ابن سلمة المخزوميّ . »

قال الهيثم : فحدثني أبي قال : قال محمد بن ذرّ ، فضاقت على الأرض برحبها ،
فخرجت ليلا من مدينة واسط على قدمي ، وأنا أقرأ آية الكرسيّ ، فما عرض لي
أحد من الناس حتى تجوت ، فلم أزل خائفا حتى استأمن لي زياد بن عبد الله من
الإمام أبي العباس ، فأمنني .

قال « وهرب الحكم بن عبد الملك إلى كسكر ، فاستخفى بها » .
وضاقت بخالد بن سلمة المخزوميّ الأرض ، فأثى باب أبي جعفر المنصور ليلا ،
فاستأمن له ، فأمنه .
ثم نودي « أيها الناس ، أنتم جميعا آمنون ، يا أهل الشام ، ألحقوا بشامكم ،
ويا أهل الحجاز ، ألحقوا بحجازكم ، فسكن الناس ، وآمنوا ، واطمأنوا . »

١٥

واستعمل المنصور على واسط الهيثم بن زياد الخزاعيّ في خمسة آلاف من أهل
خراسان ، ثم انصرف بسائر الناس حتى قدم على الإمام أبي العباس ، وهو
بالحيرة .

ثم إن الإمام سار من الحيرة في جموعه حتى أتى الأنبار ، فاستطابها ، فابتنى بها
مدينة بأعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه ، وقسمها خططا بين أصحابه من أهل
خراسان ، وبني لنفسه في وسطها قصرا عاليا منيفا ، فسكنه ، وأقام بتلك المدينة
طول خلافته ، وتسمى إلى اليوم مدينة أبي العباس .

ثم إن أبا العباس وجه أخاه أبا جعفر المنصور إلى خراسان ، وأمره أن يأتي

٢٠

أبا مسلم ، فيناظره في بعض الأمور ، ووجهه معه ثلاثين رجلاً من وجوه القواد ، وفيهم الحجاج بن أرطاة الفقيه ، وإسحق بن الفضل الهاشمي .

فلما قدم المنصور على أبي مسلم لم يبالغ أبو مسلم في بره وإكرامه ، ولم يظهر السرور التام بقدومه .

فانصرف إلى أبي العباس ، وقال : « لست بخليفة مادام أبو مسلم حيّاً ، فاحتلّ لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك ، فلقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه ، ومثله لا يؤمن غدرة ونكته » .

فقال أبو العباس : وكيف يمكن ذلك ، ومعه أهل خراسان ؟ وقد أشربت قلوبهم حبه ، واتباع أمره ، وإثبات طاعته .

فقال أبو جعفر : فذاك والله أحرى أن لا تأمنه ، فاحتلّ له .
فقال أبو العباس : يا أخي ، اضرب عن هذا ، ولا تعلمن رأيك في ذلك أحدا .

وإن أبا العباس قال ذات يوم للحجاج بن أرطاة ، وقد خلا معه : ما تقول في أبي مسلم ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول في كتابه : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

قال أبو العباس : أمسيك ، فقد فهمت ما أردت .
ثم إن أبا مسلم وجه محمد بن الأشعث بن عبد الرحمن أميراً على فارس .

ورأى أبو العباس أن يستعمل عليها عمه عيسى بن عليّ ، فعقد له عليها ، وأمره بالسير إليها .

فلما قدم عيسى على محمد بن الأشعث أبى أن يسلم إليه .
فقال له عيسى : يا ابن الأشعث ، أأست في طاعة الإمام أبي العباس ؟
قال : بلى ، غير أن أبا مسلم أمرني ألا أسلم العمل إلى أحد من الناس .

قال عيسى : فإنما أبو مسلم عبد الإمام ، وإن الإمام لا يَرْضَى أن يُرَدَّ أمره .
قال محمد : دَعَّ عنك هذا ، لست أسلم العمل إليك إلا بكتاب أبي مسلم .
فانصرف عيسى إلى أبي العباس ، فأخبره ذلك ، فكظم ، وأمر عمة بالمقام
عنده ، فأقام .

- وإن أبا مسلم عقد للغلس بن السري على أرض طخارستان حتى وافاها ، فخرج
إليه منصور مستعداً للحرب ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فكان الظفر للغلس ، وهرب
منصور في نفر من أصحابه حتى وقعوا في الرمال ، فأتوا عطشاً .
وأقام الغلس على باب بلاد السند .

- ١٠ وإن أبا مسلم كتب إلى الإمام أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه ، والمقام
عنده إلى أوان الحج ليحج ، فأذن له أبو العباس في ذلك ، فسار أبو مسلم حتى
إذا قارب الإمام أمر أبو العباس جميع من كان معه بالحضرة من القواد والأشراف
أن يستقبلوه ، فاستقبل بالكرامة ، وترجل له الأشراف والقواد .
وأقبل حتى وافي مدينة أبي العباس ، فأنزله معه في قصره ، ولم يألُ جهده
في برّه وإكرامه ، حتى إذا حان وقت الحج استأذنه في الحج .
١٥ فقال له أبو العباس : لولا أن أخى أبا جعفر قد عزم على الحج لَوَلَّيْتُكَ الوسم ،
فكونا جميعاً .

قال أبو مسلم : وذاك أحبّ إليّ .

ثم خرجا .

- ٢٠ فكان يرتحل أبو جعفر ، وينزل أبو مسلم حتى وافيًا مكة ، ففضيا حجّهما ،
وانصرفا .

[أبو جعفر المنصور]

فلما وصل أبو جعفر إلى « ذات عرق » في منصرفه أنه نعى الإمام [أبي العباس]^(١) ، فأقام بمكانه حتى وافاه أبو مسلم ، فأخبره بوفاة أبي العباس .
فخفت أبا مسلم [العبرة]^(١) ، وقال : « رحم الله أمير المؤمنين ، إنا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ » .

فقال أبو جعفر : إني قد رأيت أن تخلف أثقالك ومن معك من جنودك على ، فيكونوا مي ، وتركب أنت في عشرة نفرٍ البريد حتى ترد الأنبار ، فتضبط العسكر ، وتسكن الناس .
قال أبو مسلم : أفعل .

فركب في عشرة نفرٍ من خاصته ، وسار بالحث الشديد حتى وافى العراق ، وانتهى إلى مدينة أبي العباس بالأنبار ، فوجد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس قد دعا الناس إلى بيعته ، وخلع ولاية العهد عن أبي جعفر .
فلما رأوا أبا مسلم مألوا معه ، وتركوا عيسى .

فلما وافى أبو جعفر اعتذر إليه عيسى ، وأعلمه أنه إنما أراد بذلك ضبط العسكر ، وحفظ الخزائن ، وبيوت الأموال .

فقبل أبو جعفر منه ذلك ، ولم يؤاخذه بما كان منه .
 واجتمع الناس ، وبايعوا المنصور أبا جعفر .

ثم أنه انتفاض الشام ، وقد كان أبو العباس يستعمل عليها عمه عبد الله بن علي ، فلما بلغه وفاة أبي العباس دعا لنفسه ، واستمال من كان معه من جنود خراسان ، فقالوا معه .

فلما بلغ أبا جعفر ذلك قال لأبي مسلم « أيها الرجل ، إنما هو أنا أو أنت ، فلما أن تسير إلى الشام فتصلح أمرها ، أو أسير أنا » .

(١) رطوبة مؤثرة في الأصل مكان ما بين الحاصرتين .

قال أبو مسلم ، بل أسير أنا .

فاستعده ، وسار في اثني عشر ألفا من أبطال جنود خراسان حتى إذا وافى الشام
أنحاز إليه من كان بها من الجنود جميعهم ، وبقى عبد الله بن علي وحده .
فعفا أبو مسلم عنه ، ولم يؤاخذه بما كان منه .
وكانت خلافة أبي العباس أربع سنين وستة أشهر .

٥

وإن أبا جعفر عند مسير أبي مسلم نحو الشام وجه يقطين بن موسى في إثر
أبي مسلم ، وقال : « إن تسكن هناك غنائم فتول قبضها » .
وبلغ ذلك أبا مسلم ، فشق عليه ، وقال : « إن أمير المؤمنين لم يأتني على ماها هنا
حتى استظهر على بأمين » . ودخلته من ذلك وحشة شديدة .

١٠

ولما بلغ المنصور إصلاح الشام كره انقام بمدينة أبي العباس التي بالأنبار ، فسار
بمسكره إلى المدائن ، فنزل إلى المدينة التي تدعى « الرُّومية » وهي من المدائن على
فرسخ ، وهي المدينة التي بناها كسرى أنوشروان ، وأزلها السبي الذي سباه من
بلاد الروم ، فأقام المنصور بتلك المدينة .

١٥

وإن أبا مسلم انصرف فأخذ على الفرات حتى وافى المراق على الأنبار ، وجاز
حتى وافى كرخ بغداد^(١) ، وهي إذ ذاك قرية ، ثم عبر دجلة من بغداد ، وأخذ
طريق خراسان ، وترك طريق المدائن .
وبلغ ذلك أبا جعفر .

٢٠

فكتب إلى أبي مسلم : أريد مناظرتك في أمور لم يحتملها الكتاب ، فحلف
عسكرك حيث ينتهي إليك كتابي ، فاقدم عليّ .
فلم يلتفت أبو مسلم إلى كتاب المنصور ، ولم يعبا به .

وكان مع المنصور رجل من ولد جرير بن عبد الله البجليّ ، واسمه « جرير بن يزيد
ابن عبد الله » ، وكانت له خلافة ، وتأت في الأمور ، ومكيدة .
فقال له أبو جعفر : « اركب البريد حتى تلحق أبا مسلم ، فتحاول ردّه إلى ،

(١) مكان بين المصرة ونهر عيسى ، اتخذ سوقا ، ورتب فيه كل صنف موضعه ، وذلك أن
أبا جعفر المنصور لما بي مدينة بغداد أمر أن تجعل الأسواق في طافات المدينة بإزاء كل باب سوقا ،
ثم أشير على المنصور بإخراخ الأسواق من المدينة حتى لا يوافي الجواسيس من الأطراف بعلّة التجارة
فيتجسسوا الأخبار ، فأمر ببناء السوق خارج المدينة ، وسمى الكرخ لذلك ،

فإنه قد مَضَى مُنَاضِبًا ، ولا آمن إفساده على ، وتأت في رَدِّه بأفضل التَّاتِي .
فسار الرجل حتى لحقه في بعض الطريق ، وقد نزل بعض المنازل بعسكره ،
فدخل عليه مضربه .

فقال :

« أيها الأمير ، أجهَدْتَ نفسك ، وأسهرتَ ليلك ، وأتعَبْتَ نهارك
في نُصْرَةِ مَوَالِيكَ ، وأهل بيت نبيِّك حتى إذا استحكَمَ لهم الأمر ، وتوطَّدَ لهم
السُّلْطَان ، ونِلْتَ أُمْنِيَّتَكَ فيهم تنصرف على هذه الحال ، فأتقول الناس ؟ ألا تعلم
أن ذلك مَطْمَئِنَةٌ عليك ، ومَسَبَّةٌ ، في حياتك ، وبعد وفاتك ؟ » .

فلم يزل به حتى عزم على الانصراف معه إلى المنصور ، وخلف عسكره بمكانه
ذلك . ١٠

وسار منصورًا في ألف فارس من أفاضل من كان معه من جنود خراسان
والقوَّاد ؛ وقد كان أبو مسلم يقول : إن المُنجِّمين أخبروني أن لا أُقتل إلا بالروم .

[قتل أبي مسلم الخراساني]

حتى وافى أبا جعفر بالرُّومِيَّة ، فدخل عليه ، فقام إليه أبو جعفر ، وعانقه ،
وأظهر السُّرور بانصرافه . ١٥

وفال له : « كدت تمضي من قبل أن أراك ، وأفضى إليك بما أريد ، فضع
عنك ثيابك ، وانزل حتى يذهب كلال السَّير عنك .
نخرج أبو مسلم إلى قصر قد أُعِدَّ له .
ونزل أصحابه حوله .

فكث ثلاثة أيام ، يغدو كل يوم إلى أبي جعفر ، فيدخل على دابته ، حتى
ينتهي إلى باب المجلس الذي فيه الإمام ، فينزل ، ويدخل إليه ، فيجلس عنده مَدِينًا ،
فيتناظران في الأمور . ٢٠

فلما كان في اليوم الرابع وطَّن له أبو جعفر عثمان بن نَهِيك ، وكان على حرسه ،

وَسَبَّحَ بَن رَوْح ، وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ ، وَأَبَا فُلَانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ عَلَى الْحَيْلِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْتُمُوا فِي بَيْتٍ إِلَى جَنْبِ الْمَجْلِسِ الَّذِي كَانَ فِيهِ .

وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا أَنَا صَفَّقْتُ يَدَيَّ ثَلَاثًا فَاخْرُجُوا إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ ، فَبَضُّوهُ .

وَأَمَرَ الْحَاجِبَ إِذَا دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ سَيْفَهُ .

وَأَقْبَلَ أَبُو مُسْلِمٍ ، فَدَخَلَ ، وَأَخَذَ الْحَاجِبَ سَيْفَهُ .

فَدَخَلَ مُنْضَبًا ، وَقَالَ :

— يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فُعِلَ بِي مَا لَمْ يُفْعَلْ بِي مِثْلَهُ قَطً ، أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ عَاتِقِي .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَمَنْ أَخَذَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ ؟ اجْلِسْ ، لَا عَلَيْكَ .

بَجَلَسَ ، وَعَلَيْهِ قَبَاءُ أُسُودَ خَزَّ ، وَوَضَعَ لَهُ مُتَّكِنًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ غَيْرُهُمَا .

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ :

« مَا أُرِدْتَ بِمُضِيَّتِكَ نَحْوَ خِرَاسَانَ قَبْلَ لِقَائِي ؟ »

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ :

« لِأَنَّكَ وَجَّهْتَ فِي إِثْرِي إِلَى الشَّامِ أَمِينًا فِي إِحْصَاءِ الْفَنَائِمِ ، أَمَا وَثَّقْتَ بِي فِيهَا ؟ » .

فَاغْلَظَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْكَلَامَ .

فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْسَيْتَ حُسْنَ بَلَائِي ، وَفَضَلَ رِقَائِي ، وَإِنَّمَا بِي نَفْسِي

لَيْلٍ وَنَهَارِي ؟ حَتَّى سَقَتْ هَذَا السُّلْطَانُ إِلَيْكُمْ » .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ :

« يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ ، وَاللَّهِ لَوْ قَامَتْ مَقَامَكَ أُمَّةٌ سُودَاءُ لَأَغْنَتْ عَنْكَ ، إِنَّمَا تَأْتِي لَكَ

الْأُمُورُ فِي ذَلِكَ بِمَا أَحَبَّ اللَّهُ ، مِنْ إِظْهَارِ دَعْوَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَرَدِّ حَقِّنَا إِلَيْنَا ، وَلَوْ

كَانَ ذَلِكَ بِحَوْلِكَ وَحِيلَتِكَ وَقُوَّتِكَ مَا قَطَعْتَ فَتِيلًا ، أَلَسْتَ يَا ابْنَ الْأَخْنَاءِ الَّذِي

كَتَبْتَ إِلَى تَخْطُبُ عَمَّتِي آمَنَةَ بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ وَتَزْعُمُ فِي كِتَابِكَ أَنَّكَ ابْنُ سُلَيْطِ

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مَرَاتِقَ صَعْبًا » .

فقال أبو مسلم :

يا أمير المؤمنين ، لاتدخل على نفسك الغم والغىظ بسببي ، فإنني أصغر قدرا من أن أبلغ منك هذا .

فصفق أبو جعفر بكفيه ثلاثا ، وخرج عليه القوم بالسيوف .

فلما رآهم أبو مسلم أيقن بالأمر ، فقام إلى أبي جعفر ، فتناول رجله ليقبلها ،

فرفسه أبو جعفر برجله ، فوقع ناحية ، فأخذته السيوف .

فقال أبو مسلم . أما من سلاح يحامي به المرء عن نفسه .

فضربوه حتى نحد .

وأمر به أبو جعفر ، فلُفَّ في بساط ، ووُضِع ناحية من البيت .

وقد كان أبو مسلم قبل دخوله على أبي جعفر قال لعيسى بن علي : « أدخل ممي إلى

أمير المؤمنين ، فإنني أريد معاتبته في بعض الأمور » .

فقال له عيسى : « تقدّم فإنني على إترك » .

فأقبل عيسى حتى دخل على أبي جعفر ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟

قال أبو جعفر : « هاهو ذاك ملقوف في ذلك البساط » .

قال عيسى : « أقتلته ؟ إنا لله ، فكيف تصنع بجنوده ؟ وهؤلاء قد جعلوه

ربّا » .

فأمر أبو جعفر فهيئت ألف صرّة ، في كل صرّة ثلاثة آلاف درهم .

وأحس أصحاب أبي مسلم بالأمر ، فصاحوا ، وسأوا السيوف ، فأمر أبو جعفر

بتلك الصرر ، فقذفت إليهم مع رأس أبي مسلم .

وصعد عيسى بن علي إلى أعلى القصر ، وقال :

يا أهل خراسان ، إنما كان أبو مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين ، وَجَدَ عليه ،

فقتله ، فليفرخ روعكم ، فإن أمير المؤمنين بالغ آمالكهم » .

فترجّل القوم وتناولوا تلك الصرر ، كل واحد صرة ، وترك الرأسُ
مقدوفا .

ثم إن أبا جعفر وضع لأصحاب أبي مسلم العطاء ، ووجه الأموال إلى عسكر
أبي مسلم حيث خلفه ، فأسنى لهم العطاء ، وكتب كتابا ، فقرأ عليهم ، يبسط
فيه آمالهم ؛ وأجزل صلات القواد والأشراف منهم ، فأرضاهم ذلك .
واستدفت الخلافة لأبي جعفر المنصور سنة ثمان وثلاثين ومائة^(١) ، فوجه عماله
إلى أقطار الأرض .

[مدينة بغداد]

وأن أبا جعفر أحب أن يبني لنفسه وجنوده مدينة ليتخذها دار الملكة .
فسار بنفسه يرتاد الأماكن حتى انتهى إلى بغداد ، وهي إذ ذاك قرية يقوم بها
سوق في كل شهر ، فأعجبه المكان ، فخطّ لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل
بيته المدينة ، وسماها « مدينة السلام » ، وبني قصره وسطها إلى المسجد الأعظم .
ثم خطّ لجنوده حول المدينة ، وجعل أهل كل بلد من خراسان في ناحية منها
منفردة ، وأمر الناس بالبناء ، ووسّع عليهم في النفقات ، وأمر ، فحفر نهر الفرات
من ثمانية فراسخ ، وقوّهه النهر من ديمّا^(٢) ، فأجرى إلى بغداد ليأتي فيه مواد الشام
والجزيرة ، كما تأتي مواد الموصل وما اتصل بالموصل في دجلة ، وكان بناءؤه إياها في
سنة تسع وثلاثين ومائة^(٣) .

ثم إن أبا جعفر حج بالناس سنة أربعين ومائة ، وجعل منصرفه على مدينة
الرسول ، فوضع لأهلها العطاء ، فأسنى لهم في الرزق وفرّق فيهم الجوائز .
ومضى نحو الشام قاصدا لبيت المقدس حتى وافاها ، فأقام بها شهرا ، ثم سار
إلى الرقة ، فأقام بها بقيّة عامه ذلك ، ثم سار من الرقة حتى وافى مدينة السلام ،
فأقام بها حولا كاملا .

(١) سنة ٧٥٥ م . (٢) قرية كبيرة على نهر عيسى ، قرب الفرات ، وقد خربت .

(٣) سنة ٧٥٦ م .

[الراوندية]

ثم سار منها سسنة اثنتين وأربعين ومائة نحو البصرة حتى وافاها ، فبلغه أن
الراوندية^(١) تداعوا ، وخرجوا يطلبون بثأر أبي مسلم ، وخلعوا الطاعة ، فوجه
إليهم خازم بن خزيمه ، فقتلهم ، وبدّهم في الأرض ، ثم عقد ليمعن بن زائدة من البصرة
على اليمن ، وأقام عامه ذلك بالبصرة . ٥

وزعموا أن عمرو بن عبّيد دخل إليه ، فلما رآه أبو جعفر صاغحه ، وأجلسه إلى
جانبه ، فتكلم عمرو ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك من الله
ببعضها ، واعلم أن الله لا يرضى منك إلا بما ترضاه منه ، فإنك لا ترضى من الله إلا
بأن يعبد عليك ، وإن الله لا يرضى منك إلا بالعدل في رعيّتك ، يا أمير المؤمنين ،
إن من وراء بابك نيرانا تأجج من الجور ، وما يُعملُ من وراء بابك بكتاب الله
ولا بسنة رسول الله ، يا أمير المؤمنين : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ ، إِرَمَ
ذَاتِ الْعِمَادِ ، حتى أتى على آخر السورة^(٢) ، ثم قال : وَلَنْ يَمَثَلَ اللَّهُ بِمَثَلِ عَمَلِهِمْ .
قالوا : فبكى أبو جعفر .

فقال ابن مجالد : مَهْ يا عمرو ، قد شققت على أمير المؤمنين منذ اليوم . ١٥

قال عمرو : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا أخوك ابن مجالد .

قال عمرو : يا أمير المؤمنين ما أَحَدٌ أَعْدَى لَكَ مِنْ ابْنِ مَجَالِدٍ ، أَيَطْوِي عَنْكَ
النَّصِيحَةَ ، وَيَمْنَعُكَ مَنْ يَنْصَحُكَ ؟ وَإِنَّكَ لِمَبْمُوثٌ وَمَوْقُوفٌ وَمَسْتُؤَلٌّ عَنْ
مَثَاقِيلِ الدَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ . ٢٠

(١) الراوندية فئة تنسب إلى أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وقد كان
معتزليا ، ثم صار شيعيا ، ثم تغير إلى الزيف والإلحاد ، وله مؤلفات تمثل ذلك الاضطراب الذى تقلب فيه
(تاريخ الإلحاد فى الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوى) .
(٢) الآية رقم ٦ من سورة الفجر .

قال : فرمى أبو جعفر بخاتمه ، وقال :

— قد وَلَّيْتُكَ ما وراءَ بابي ، فادعُ أصحابك ، فَوَلَّيْهُمْ .

قال : إن أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عمتَ بالعدل ، كما قلت بالعدل .

ثم انصرف .

- وسار أبو جعفر من البصرة سنة ثلاث وأربعين نحو الجبل حتى وافى مدينة نهاوند ، وقد كان بلنه طيبها ، فأقام بها شهراً .

ثم انصرف حتى أتى المدائن ، فأقام بها بقية عامه ذلك ، وعقد منها لخزينة ابن خازم على جميع طبرستان ، حتى إذا آن أوان الحج خرج منها حاجاً سنة أربع وأربعين ومائة ، ونزل الرَبَذَةَ^(١) ، فلما قضى حجه انصرف ، ولم يدخل المدينة .

- ١٠ وفي ذلك العام خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الملقب بالنفس الزكية ، فوجه إليه أبو جعفر عيسى بن موسى بن علي بن خيل ، فقتل رحمه الله ، وخرج أخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فقتل رضوان الله عليهم .

[موت أبي جعفر المنصور]

- ١٥ وفي سنة ثمان وخمسين ومائة حجَّ أبو جعفر ، فنزل الأبطح على بئر ميمون ، فرض بها ، وتوفي غداة السبت ، لستَ خلونَ من ذى الحجة .
- فأقام الحج للناس في ذلك العام إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وصلى على أبي جعفر عيسى بن موسى ، فكانت خلافته عشرين سنة ، وتوفي وله ثلاث وستون سنة ، ودُفِنَ بأعلى مكة .

(١) الربذة قرية قرب المدينة المنورة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري ، وقد خربها القرامطة

[تولية محمد المهدي]

ثم بُويعَ للمهدي بن المنصور يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة^(١)؛ وفي ذلك العام أمر المهدي باتخاذ القاصير في جميع مساجد الجماعات ، ثم حجَّ المهدي سنة ستين ومائة ، فانصرف على المدينة ، فأمر أن يُشترى ما حول المسجد من النازل والدُّور ، فيوسَّع به المسجد .

وفي سنة اثنتين وستين ومائة خرجت المُحمَّرة بجُرْجان ، فسار إليهم عمر بن العلاء ، ففرَّقهم .

وفي ذلك العام عقد المهدي ولاية العهد لابنه موسى الهادي ، ومن بعده لابنه الرشيد .

وفي سنة تسع وستين خرج موسى بن المهدي إلى جُرْجان ، وخرج المهدي إلى « مَاسَبْدَان »^(٢) فأقام بها متنزهاً .

ومات بها وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصفاً .

[ولاية موسى الهادي]

وأتمت الخلافة موسى الهادي ، وهو بجُرْجان ، وبُويغَ بمدينة السلام لثمان بقين من المحرم .

وفي ذلك العام خرج الحسين بن علي بن الحسن بالمدينة ، وسار نحو مكة ، فلقه عيسى بن موسى والعباس بن علي ، فقتلاه .

وفي سنة سبعين ومائة توفي الإمام موسى بن المهدي بعيساباذ^(٣) في النصف من شهر ربيع الأول ، وكان له يوم توفي أربع وعشرون سنة ، وكانت خلافته سنة وشهراً وأربعة وعشرين يوماً .

(١) الموافق ١٩ أكتوبر سنة ٧٧٤ م .

(٢) أصله ماه ، سبذان ، وهي مدن عدة وبها قبر المهدي ، ولا أثر بها إلا بناء قد تنصت رسومه ولم يبق منه إلا الآثار (٣) كذا في الأصل ، وهي عيساباذ محلة كانت بشرقي بغداد ، وقد بني بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام ، وقد خربت .

[خلافة هرون الرشيد]

وفي ذلك العام استخلف هرون الرشيد ، وحج ، وانصرف إلى المدينة ،
فوضع لأهلها العطاء ، وأجزل لهم .

وأقبل إلى العراق فوآق الكوفة ، وعقد لأبي العباس الطوسي على خراسان ،
فلبث عليها عامين ، ثم عزله .

واستعمل عليها محمد بن الأشعث .

وفي سنة أربع وسبعين ومائة وقعت المصيبة بأرض الشام بين المضرية واليمانية ،
فتحاربوا حتى قُتل من الفريقين بشر كثير .

وحج الرشيد في ذلك العام بالناس ومعه ابنه محمد ، وعبد الله ، وكتب بينهما

كتاباً بولاية العهد لمحمد ، ومن بعده لعبد الله المأمون ، وعلق الكتاب في جوف
الكعبة ، ثم انصرف إلى مدينة السلام .

واستعمل على خراسان الغطريف بن عطاء .

قال علي بن حمزة الكسائي : ولأني الرشيد تأديب محمد وعبد الله ، فكنت
أشد عليهما في الأدب ، وآخذها به أخذاً شديداً ، وبخاصة محمداً ، فأنتى ذات يوم
خالصة جارية أم جعفر .

فقلت : يا كسائي ، إن السيدة تقرأ عليك السلام ، وتقول لك ، حاجتي
إليك أن ترفق بابني محمد ، فإنه ثمرة فؤادي وقرّة عيني ، وأنا أرق عليه رقة شديدة .

فقلت لخالصة : إن محمداً مرشح للخلافة بعد أبيه ، ولا يجوز التقصير في تأديبه .

فقلت لخالصة : إن لركة السيدة سبباً ، أنا مخيرتك به .

إنها في الليلة التي ولدته أريت في منامها كأن أربع نسوة أقبلن إليه ، فاستنقنه

عن يمينه وشماله ، وأمامه وورائه ؛ فقلت التي بين يديه : « ملك قليل العمر ،

ضيق الصدر ، عظيم الكبر ، واهي الأمر ، كثير الوزر ، شديد القدر » ؛

وقالت التي من ورائه : « مَلِكٌ قَصَافٌ ، مُبَذَّرٌ مِتْلَافٌ ، قليلُ الإنصاف ، كثيرُ الإسراف » ؛ وقالت التي عن يمينه : « مَلِكٌ ضَخْمٌ ، قليلُ الجِلْم ، كثيرُ الإثْم ، قَطُوعٌ للرَّحِم » ؛ وقالت التي عن يساره : « مَلِكٌ غَدَّارٌ ، كثيرُ العِثَار ، سريعُ الدِّمَار » . ثم بكت خالصة ، وقالت : « يا كَسَائِي ، وهل يُغْنِي الحَدَّر ؟ » .

وذكرَ عن الأصمِّى قال : دخلت على الرشيد ، وكنت غِبت عنه حَوَليَن بالبصرة ، فأومأ إلى بالجلوس قريباً منه ، فجلست قليلاً ، ثم نهضت ، فأومأ إلى أن اجلس ، فجلست ، حتى خَفَّ الناس .
ثم قال لى :

— يا أصمِّى ، ألا تحبُّ أن ترى محمداً وعبد الله ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، إني لأحب ذلك ، وما أردت القيام إلا إليهما ،
لأسلم عليهما .

قال : تكفى .

ثم قال : علىَّ بمحمد وعبد الله .

فانطلق الرسول .

وقال : أجبيا أمير المؤمنين .

فأقبلا ، كأنهما قرا أُنُق ، قد قاربا خُطاهما ، وضربا ببصرهما الأرض حتى وقفاً على أبيهما ، فسلماً عليه بالخلافة ، وأومأ إليهما ، فدنياً منه ، فأجلس محمداً هن يمينه ، وعبد الله عن شماله ،

ثم أمرني بمطارحتهما ، فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا .

فقال : كيف ترى أديهما ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما ، فأطال الله بقاءهما ، ورزق الأمة من رأفهما ومطقتهما .

فصنمتهما إلى صدره ، وسبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه .

ثم أذن لهما ، حتى إذا نهضا وخرجا ، قال :
 - كيف بكم إذا ظهر تماديهما وبدًا تباغضهما ، ووقع بأسهما بينهما حتى
 تُسْفَكَ الدِّمَاءُ ، وبَوْدُ كثير من الأخياء أنهم كانوا مَوْتَى ؟
 فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا شيء قضى به المُنجَّمون عند مَوْلدهما ، أو شيء
 أثرته العلماء في أمرهما ؟

قال : بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما .
 قالوا : فكان المأمون يقول في خلافته : « قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى
 بيننا من موسى بن جعفر بن محمد ، فلذلك قال ما قال .
 قال الأصمعيّ : وكان الرشيد يحب السَّمَر ، ويشتهي [أحاديث] ^(١) الناس ،
 فكان يرسل إلى إذا نشط لذلك ، وجَنَّ عليه الليل ، فأسامره ، فأثيت ذات ليلة ،
 ولم يكن عنده أحد ، فسامرته ساعة ، ثم أطرق ، وفكر ، ثم قال :
 يا غلام ، عليّ بالعباسيّ - يعني الفضل بن الربيع - .
 فحضر ، ودخل ، فأذن له بالجلوس .

فقال : يا عباسيّ ، إني عَنَيْتُُ بتولية العهد ، ومُثَبِّتِ الأمر في محمد وعبد الله ،
 وقد علمت أني إن ولّيت محمداً مع ركوبه هَوَاهُ ، وإنهما كه في اللهو واللذات
 خَلَطَ على الرِّعْيَةِ ، وضَيَّع الأمر ، نُحْتِ يطمع فيه الأفاصى من أهل البنى والمعاصى ،
 وإن صرفتُ الأمر إلى عبد الله ليسلكن بهم المحبّة ، وليصلحنّ الملكة ، وإن فيه
 لحَزْمُ النصور وشجاعة المهدي ، فما ترى ؟

قال الفضل : يا أمير المؤمنين ، إن هذا أمر خطير عظيم ، والزلة فيه لا تُسْتَقَالُ ،
 وللکلام فيه مكان غير هذا .

فعلمت أنهما يحبّان الخلوة ، فقامت عنهما ، وجلست ناحية من صحن الدار ،
 فما زالا يتناظران إلى أن أصبحا .

(١) يباى في الأصل مكان ما بين الحاصرتين .

واتَّفَقَ رَأْيُهُمَا عَلَى تَوَلِيَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَصْيِيرِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَقِسْمَةِ الْأَمْوَالِ وَالْجُنُودِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنْ يَقِيمَ مُحَمَّدٌ بَدَارَ الْخِلَافَةِ ، وَيَتَوَلَّى الْمَأْمُونُ خِرَاسَانَ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمْرُ بِجَمِيعِ الْقَوَادِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ مُحَمَّدٍ ، وَمِنْ بَعْدِهِ إِلَى بَيْعَةِ الْمَأْمُونِ ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَبَايَعُوا .

٥ وفي سنة ثمانين ومائة^(١) عقد الرشيد لعلّ بن عيسى بن ماهان على خراسان ، وفي ذلك العام خرج الرشيد إلى أرض الشام ، وأخذ على الموصل ، فلما وافاها أمر بهدم مدينتها ، وقد كانوا وثبوا بعامله .

١٠ وفي ذلك العام وثب أهل خراسان بعاملهم ، فقتلوه ، فأقام بالشام عامه ذلك ، ثم خرج حاجباً ، فلما انصرف قصد الأنبار ، فنزل به بمدينة أبي العباس ، وهي من الأنبار على نصف فرسخ ، وقد كانت بقي بها جمع عظيم من أبناء أهل خراسان ، توالدوا بها حتى كثروا ، فهم إلى الآن ، فأقام بها شهراً ، ثم توجه منها إلى الرقة^(٢) فأقام بها شهراً .

١٥ وخرج منها غازياً إلى أرض الروم ، فافتتح مدينة من مدنها ، تسمى « مَعْصُوف » . ثم انصرف إلى الرقة ، فأقام بها بقية عامه ذلك .

فلما كان أوان الحج ، حجّ ، ففضى نسكه ، وجعل منصرفه على الرقة ، فأقام بها ، وولّى يزيد بن مزيد أرمينية ، ثم قدم من الرقة سنة أربع وثمانين ومائة حتى وافى مدينة السلام ، ونزل قصره بالرصافة^(٣) ، وأخذ عماله بالبقايا ، ثم سار من مدينة السلام في سنة خمس وثمانين ومائة عائداً إلى الرقة ، وقد كان استقطبها .

٢٠ فلما كان أوان الحج حجّ ، فرّ بالمدينة ، فأعطاهم ثلاث أعطيات ، وأعطى أهل مكة عطاءً ، ثم انصرف ، فقصد الأنبار ، فأقام بها شهراً ، ثم انصرف إلى مدينة السلام .

(١) سنة ٧٩٦ م .

(٢) مدينة على نهر الفرات كان بها قصران لهشام بن عبد الملك .

(٣) محلة بالجانب الشرق من بغداد ، كان المهدي قد عسكر بها ، فأمره المنصور أن يبني فيها دوراً ، فالتحق بها الناس وعمروها ، وفيها قبور جماعة من الخلفاء العباسيين .

ثم عقد البيعة لابن القاسم ^{لربنه} بعد عهد وعبد الله ، وولاه الشام ، فوجه القاسم عليها عماله .

وحجّ الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة ، وانصرف فنزل الحيرة ^(١) ، فأقام بها أياما ، ثم دخل مدينة السلام .

وفي سنة تسع وثمانين سار إلى الرىّ فأقام بها شهرا ، ثم انصرف نحو مدينة السلام ، فضحى بقصر اللصوص ^(٢) ، ثم دخل بغداد ، ولم ينزلها ، ومضى حتى انتهى إلى السالحين ^(٣) ، وهي من مدينة السلام على ثلاثة فراسخ ، فبات بها ثم سار عابدا للركة حتى وافاها ، وأمر عند ممره ببغداد بخشبة جعفر بن يحيى أن تحرق ، وأقام بالركة بقية ذلك العام .

فلما دخلت سنة تسعين ومائة خرج غازيا لأرض الروم حتى أوغل فيها وانتهى إلى هرقلة ^(٤) ، فافتتحها .

وفي ذلك العام خرج رافع بن نصر بن سيار مغاضبا بأرض خراسان ؛ وكان سبب خروجه أن علي بن عيسى بن ماهان لما ولي خراسان أساء السيرة ، وتحامل على من كان بها من العرب ، وأظهر الجور ، فخرج عليه رافع ، فواقعه وقعات ، ثم انحاز فيمن اتبعه من أهل خراسان ، وكانوا زهاء ثلاثين ألف رجل في سمرقند ، وأقام بمدينة .

وبلغ ذلك الرشيد ، فعزل علي بن عيسى عنها ، واستعمل عليها هرقلة ابن أعين .

ثم انصرف الرشيد قافلا من الروم حتى نزل بمدينة السلام عامه ذلك ، واستخلف ابنه مجدا على دار المملكة ؛ وخرج عامدا لأرض خراسان ليتوّل حرب رافع بنفسه .

ودخلت سنة اثننتين وتسعين ومائة وفيها خرجت « الخرمية » ^(٥) بأرض الجبل

(١) مدينة كانت على ثلاثة أميال من السكوفة على النجف ، وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية ، النعمان وآبؤه ، وسموها بالحيرة البيضاء لحسنها .

(٢) سمى بذلك لأن جيشا من المسلمين نزلوا به ، فسرقوا دوابهم .

(٣) قرية من نهر عيسى ببغداد ، وهي السليحين التي بات بها المشي بن حارثة وصبح ، فأغار على سوق بغداد .

(٤) مدينة ببلاد الروم ، قرب صفين فتحها الرشيد وسمي أهلها وقد خربت ، ولم يبق منها آثار عمارية .

(٥) طائفة تنسب إلى بابك الخرمي ، وتدين بما تدين الباطنية أولاد المجوس الذين تأولوا آيات القرآن وسنن النبي على موافقة أصواتهم .

في المرة الأولى ، فوجه إليهم عبد الأمين بعبد الله بن مالك الخزاعي ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وشرّد بقيتهم في البلدان .

وسار الرشيد حتى وافى مدينة طوس^(١) ، فنزل في دار حميد الطوسي ، ومرض بها مرضا شديدا ، فجمع له الأطباء يما لجونه ، فقال :

٥ إِنَّ الطَّبِيبَ يَطْبَهُ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَحْذُورٍ جَرَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالدَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَشْفِي مِثْلَهُ فَيَا مَضَى
فلما اشتد به الوجع قال للفضل بن الربيع :

يا عباسي ، ماتقول الناس ؟

قال :

١٠ يقولون ، إن شافئ أمير المؤمنين قد مات .
فأمر أن يُسْرَجَ له حمار ليركبه ، ويخرج ، فأُسرَجَ له ، وُحْمِلَ حتى وُضِعَ على
السَّرَجِ ، فاسترخت نخداه ولم يستطع الثبوت .
فقال : أرى الناس قد صدقوا .
ثم توفي .

١٥ وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة يوم السبت ، لخمس ليال خاون من جمادى
الآخرة^(٢) ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ، وشهرا ونصفا .

[تولية محمد الأمين]

فأنت الخلافة محمدا الأمين ببنداد ، يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ، ونماه
للناس يوم الجمعة ، ودعاهم إلى تجديد البيعة ، فبايعوا .

٢٠ ووصل الخبر بوفاة الرشيد إلى المأمون ، وهو بمدينة مرو ، يوم الجمعة لثمان خلون
من الشهر ، فركب إلى المسجد الأعظم ، ونودي في الجنود وسائر الوجوه ،
فاجتمعوا ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي وآله ، ثم قال :

(١) مدينة بالقرب من نيسابور ، بها آثار إسلامية جليّة ، وكان بها دار حميد قحطبة .

(٢) الموافق ٢٧ مارس سنة ٨٠٨ م .

أيها الناس ، أحسن الله عزاءنا وعزاءكم في الخليفة الماضي ، صلوات الله عليه ،
وبارك لنا ولكم في خليفتمكم الحادث ، مد الله في عمره .
ثم خنفته العبرة ، فمسح عينه بسواده .
ثم قال :

٥ - يا أهل خراسان ، جددوا البيعة لإمامكم الأمين .
فبايحه الناس جميعا .

ولما أتت الخلافة محمداً ، وبايحه الناس دخل عليه الشعراء ، وفيهم الحسن
ابن هاني^(١) ، فأنشدوه ، وقام الحسن في آخرهم ، فأنشده قوله :
أَلَا دَارِهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تُلَيْنَهَا فَلَنْ تُكْرِمَ الصُّهْبَاءَ حَتَّى تُهَيِّنَهَا
وَحَمْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَلْقَاكَ دُونَهَا ١٠
كَأَنَّ يَوَاقِيتَنَا رَوَاكِدَ حَوْلَهَا وَزُرْقَ سَنَابِلٍ تُدِيرُ عُيُونَهَا^(٢)
لَقَدْ جَلَّلَ اللَّهُ الْكَرَامَةَ أُمَّةً يَكُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمِينَهَا
حَمِيَّتَ حِمَاهَا بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَا وَوَفَّرَتْ دُنْيَاهَا عَلَيْهَا وَدِينَهَا
يَرَاكَ بَنُو الْمَنْصُورِ أَوْلَاهُمْ بِهَا وَإِنْ أَظْهَرُوا غَيْرَ الَّذِي يَكْتُمُونَهَا
فَوَصَّلَهُمْ جَمِيعاً ، وَفَضَّلَهُ . ١٥

ثم إن محمداً الأمين دعا إسماعيل بن صبيح كاتب السر ، فقال :
- ما الذي ترى يا ابن صبيح ؟
قال : أرى دولة مباركة ، وخلافة مستقيمة ، وأمرًا مقبلاً ، فتمم الله
ذلك لأمر المؤمنين بأفضله وأجزله . ٢٠

(١) وهو المشهور بابي نواس .

(٢) السنانير جمع سنور وهو القط .

- قال له محمد : إني لم أَبْغِكَ قَاصًّا ، إنما أردت منك الرَّأْيَ .
- قال إسماعيل : إن رَأَى أمير المؤمنين أن يوضح لي الأمر لأشير عليه ببلغ رأْيي ونُصِيحِي فَعَلَ .
- قال : إني قد رأيتُ أن أعزل أخِي عبد الله من خراسان ، وأستعمل عليها موسى ابن أمير المؤمنين . ٥
- قال إسماعيل : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تنقض ما أسَّسه الرشيد ، ومهَّده ، وشيَّد أركانه .
- قال محمد : إن الرشيد مُوَّه عليه في أمر عبد الله بالزَّخْرَفَةِ ، وَيَحْكُ يا بن صَبِيح ، إن عبد الملك بن مروان كان أحزم رأياً منك ، حيث قال : « لا يجتمع فَخْلَان في هِجْمَةٍ إِلَّا قَتَلَ أحدهما صاحبه » . ١٠
- قال إسماعيل : أما إذ كان هذا رأيك ، فلا تُجاهره ، بل اكتب إليه ، وأعلمه حاجتك إليه بالحضرة ، ليُعِينِكَ على ما قَلَّدَكَ الله من أمر عبادته وبلاده ، فإذا قدم عليك ، وفرقت بينه وبين جنوده كسرتَ حَدَّه ، وظفرت به ، وصار رَهْنًا في يديك ، فآثرتَ في أمره ما أردت .
- قال محمد : أَجَدَّتْ يا بن صَبِيح ، وأصبت ، هذا لَعَمْرِي الرَّأْيَ . ١٥
- ثم كتب إليه يُعلمه أن الذي قَلَّدَهُ الله من أمر الخلافة والسياسة قد أثقله ، ويسأله أن يقدم عليه لِيُعِينَهُ على أموره ، ويُشير عليه بما فيه مصلحته ، فإن ذلك أَعُوذُ على أمير المؤمنين من مقامه بخراسان ، وأَعْمُرُ للبلاد ، وأَدْرَ للفقهاء ، وأَكْبِتُ للعدو ، وآمَنُ للبيضة .
- ثم وجه الكتاب مع العباس بن موسى ، ومحمد بن عيسى ، وصالح صاحب المصلى . ٢٠
- فساروا نحو خراسان ، فاستقبلهم طاهر بن الحسين مُقْبِلًا من عند المأمون على ولاية الرِّقَى ، حتى انتهوا إلى المأمون وهو بمدينة مَرَوْ ، فدخلوا عليه ، وأوصَلوا الكتاب إليه ، وتكلَّموا .

فذكروا حاجة أمير المؤمنين الأمين إليه ، وما يَرْجُو في قُرْبِهِ من بَسْطِ المَلَكَةِ ،
والْقُوَّةِ على العدوِّ ، فَأُبْلَغُوا في مَقَالَتهم .
وأمر المأمون بإزالتهم وإكرامهم .

ولما جَنَّ عليه الليل بعث إلى الفضل بن سهل ، وكان أخصَّ وزرائه عنده ،
وأوثقهم في نفسه ، وقد كان جَرَّبَ منه وَثَاقَةً رَأْيِي وَفَضْلَ حَزْمٍ ، فلما أتاه
خَلَا به ، وأقرأه كتاب محمد ، وأخبره بما تكلم به الوفد من أمر التَّخْضِيعِ
على السير إلى أخيه ومعاونته على أمره .

قال الفضل : ما يريد بك خيراً ، وما أَرَى لك إلا الامتناع عليه .
قال المأمون : فكيف يمكنني الامتناع عليه ، والرجال والأموال معه ،
والناس مع المال ؟

قال الفضل : أَجَلْنِي ليلتي هذه لَأَتِيكَ غَدًا بما أرى .
قال له المأمون : امْضِ في حِفْظِ الله .

فانصرف الفضل بن سهل إلى منزله ، وكان منجِّماً ، فنظر ليلته كلها في حسابه
ونجومه ، وكان بها ماهراً .

فلما أصبح غَدًا على المأمون ، فأخبره أنه يظهر على محمد ويُنْلبِه ، ويستولى
على الأمر .

فلما قال له ذلك ، بعث إلى الوفد ، فأحسن صِلَاتهم وجوائزهم ، وسألهم أن
يُحَسِّنُوا أمره عند الأمين ، ويسلطوا من عُذْرِهِ .
وكتب معهم إليه :

« أَمَّا بعد ، فإن الإمام الرشيد وَلَّا في هذه الأرض على حين كَلْبٍ من عدوها ،
وَوَهَى من سَدِّها ، وَضَعَفٍ من جنودها ، ومتى أَخْلَلْتُ بِها ، أَوْزَلْتُ عنها
لم آمن انتفاض الأمور فيها ، وَغَلَبَةُ أعدائها عليها ، بما يصل ضرره إلى أمير المؤمنين
حيثُ هو ، فرأى أمير المؤمنين في أن لا ينقض ما أبرمَهُ الإمام الرشيد » .
وسار القوم بالكتاب حتى وافوا به الأمين ، وأَوْصَلُوا الكتاب إليه ،

فلما قرأه جَمَعَ القُوَّاد إليه ، فقال لهم :
إني قد رأيتُ صَرَفَ أَخِي عبد الله عن خراسان ، وتصييره معي ليُعاونني ،
فلا غنى بي عنه ، فما ترون ؟
فأسكت القوم .

٥ . فتكلَّم خازم بن خُزَيْمَة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تحمل قُوَّادك وجنودك
على الغَدَر فيندروا بك ، ولا يرون منك ثَقُص العهد فينقضوا عهده .
قال محمد : ولكن شيخ هذه الدولة على بن عيسى بن مَاهَان لا يَرَى ما رأيتَ ،
بل يَرَى أن يكون عبد الله معي ليؤازرنِي ويحمل عَنِّي ثَقْل ما أنا فيه بصده .
ثم قال لعلِّي بن عيسى : إني قد رأيتُ أن تسير بالجيوش إلى خراسان ، فتكَلِّي أمرها
١٠ من تحت يَدَيَّ موسى بن أمير المؤمنين ، فانتخب من الجنود والجيوش على عينك .
ثم أمر بديوان الجُنْد ، فدَفِعَ إليه ، فانتخب ستين ألف رجل من أبطال
الجنود وفرسانهم ، ووَضَعَ لهم العَطَاء ، وفرق فيهم السَّلاح ؛ وأمره بالسير .
فخرج بالجيوش ، وركب معه محمد ، فجعل يُوصيه ، ويقول : أكرم مَن هناك من
قواد خراسان ، وُضِعَ عن أهل خراسان نصف الخراج ، ولا تُبقِ على أَحَدٍ يشهر
١٥ عليك سيفاً ، أو يرمي عسكرك بسهم ، ولا تدع عبد الله يقيم إلا ثلاثاً من يوم تصل
إليه ، حتى تُشخصه إلى ما قبلي .

وقد كانت زُبَيْدَة تقدَّمت إلى علي بن عيسى ، وكان أناها مودعا ، فتالت له :
— إن محمداً ، وإن كان ابني وثمره فؤادي ، فإن لعبد الله من قلبي نصيباً وافراً من
المحبة ، وأنا التي ربَّيته ، وأنا أحنو عليه ، فأياك أن يبدأ منك مكروه ، أو تسير أمامه ،
٢٠ بل سر إذا سرت معه من ورائه ، وإن دعاك قلبه ، ولا تركب حتى يركب قبلك ،
وخذ بركابه إذا ركب ، وأظهر له الإجلال والإكرام . .

ثم دفعت إليه قيدا من فضة وقالت :
إن استمصى عليك في الشخص فقيده بهذا القيد .
وإن محمد انصرف عنه بعد أن أوعز إليه ، وأوصاه بكل ما أراد .

وسار على بن عيسى بن ماهان حتى صار إلى حلوان ، فاستقبله غير مقبلة من
الرى ، فسألهم عن خبر طاهر ، فأخبروه أنه يستعد للحرب ، فقال : وما طاهر ؟
ومن طاهر ؟ ليس بينه وبين إخلاء الرى إلا أن يبلغه أنى جاوزت عتبة همدان .
ثم سار حتى خلف عتبة همدان ورائه ، فاستقبله غير أخرى ، فسألهم عن الخبر .
فقالوا : إن طاهرا قد وضع العطاء لأصحابه ، وفرق فيهم السلاح ، واستعد للحرب .
فقال : في كم هو ؟

فقالوا : في زهاء عشرة آلاف رجل .
فأقبل الحسن بن علي بن عيسى على أبيه فقال :
— يا أبت ، إن طاهرا لو أراد الهرب لم يقم بالرى يوما واحدا .
فقال : يا بُني ، إنما تستعد الرجال لأقرانها ، وإن طاهرا ليس عندي من الرجال
الذين يستعدون لمثل ، ويستعد له مثلي .
وذكروا أن مشايخ بغداد قالوا : لم نرجش أن أظهر سلاحا ، ولا أكل عُدّة ،
ولا أفرّة خيلا ، ولا أنبل رجلا من جيش على بن عيسى يوم خرج ، إنما كانوا نُخبًا .
وإن طاهر بن الحسين جمع إليه رؤساء أصحابه فاستشارهم في أمره ، فأشاروا
عليه ، أن يتحصن بمدينة الرى ، ويحارب القوم من فوق السور إلى أن يأتيه مدد
من المأمون .

فقال لهم : وَيُحْكَمْ ، إني أبصر بالحرب منكم ؛ إني متى تحصنت استضعفت
نفسى ، ومال أهل المدينة إليه لقوته ، وصاروا أشد على من عدوى ، لخوفهم من على
ابن عيسى ، ولعله أن يستميل بعض من مئى بالأطاع ، والرأى أن أُلْفَ الخيل
بالخيل ، والرجال بالرجال ، والنصر من عند الله .

ثم نادى في جنوده بالخروج عن المدينة ، وأن يمسكروا بموضع يقال له
« الْقَلُوصَة » .

فلما خرجوا عمد أهل الرى إلى أبواب مدينتهم ، فأغلقوها .

فقال طاهر لأصحابه : يا قوم ، اشتغلوا بمن أمامكم ، ولا تلتفتوا إلى من وراءكم ، واعلموا أنه لا وزر لـكم ولا ملجأ إلا سيوفكم ورماحكم ، فاجعلوها حصونكم .

وَأَقْبَلَ عَلَى بْنِ عَيْسَى نَحْوَ الْقَاوِصَةِ ، فَتَوَاقَفَ الْمُسْكَرَانُ لِلْحَرْبِ ، وَالتَّقْوَا ، فَصَدَّقَهُمُ أَصْحَابُ طَاهِرِ الْحِمْلَةِ . ٥

فَانْتَقَضَتْ تَعْبِيَّةُ عَلَى بْنِ عَيْسَى ، وَكَانَتْ مِنْهُمْ جَوْلَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَنَادَاهُمْ عَلَى ابْنِ عَيْسَى ، وَقَالَ :

— أَيُّهَا النَّاسُ ، تُؤْبُوا ، وَاحْمِلُوا مَعِيَ .

فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرٍ ، فَأَثْبَتَهُ ، وَبَعْدَ أَنْ دَنَا مِنْهُ ، وَتَمَكَّنَ رَمَاهُ بِنَشَابَةٍ وَقَعَتْ فِي صَدْرِهِ ، فَنفَذَتْ الدَّرْعَ وَالسَّلَاحَ حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى جَوْفِهِ ، وَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ مَيِّتًا . ١٠

وَاسْتَوَتْ الْهَزِيمَةُ بِأَصْحَابِهِ .

فَإِذَا زَالَ أَصْحَابُ طَاهِرٍ يَقْتُلُونَهُمْ ، وَهُمْ مَوْتُونَ حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ ، وَغَنِمُوا مَا كَانَ فِي مَعْسُكِهِمْ مِنَ السَّلَاحِ وَالْأَمْوَالِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ مُحَمَّدًا ، فَعَقَدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَبْنَاوِيِّ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ ، أَلَّا يَفْتَرُوا كَاغْتِرَارَ عَلَى بْنِ عَيْسَى ، وَلَا يَتَهَاوَنُوا كَتَهَاوَنِهِ . ١٥

وَبَلَغَ ذَلِكَ طَاهِرًا ، فَتَقَدَّمَ ، وَسَارَ نَحْوَهُ ، فَالْتَقَوْا جَمِيعًا ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، فَلَمْ يَكُنْ لِأَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثَبَاتٌ ، فَانْهَزَمَ ، وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ ، فَدَخَلُوا مَدِينَةَ هَمْدَانَ ، فَتَحَصَّنُوا فِيهَا شَهْرًا حَتَّى نَفَدَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الزَّادِ . ٢٠

قَالَ : فَطَلَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَبْنَاوِيُّ الْأَمَانَ لَهُ وَلِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهُ طَاهِرٌ ذَلِكَ .

فَفَتَحَ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ الْفَرِيقَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ .

وَسَارَ طَاهِرٌ حَتَّى هَبَطَ الْعُقْبَةَ ، فَعَسَكَرَ بِنَاحِيَةِ « أَسَدَابَاذَ » (١) .

(١) مَدِينَةُ هَمْدَانَ إِلَى نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ .

ففكر عبد الرحمن ، وقال :

كيف أعتذر إلى أمير المؤمنين ؟

فمبأ أصحابه .

فلما طلع الفجر زحف بأصحابه إلى طاهر ، وهو غار ، فوضع فيهم السيوف ،

فوقفت طائفة من أصحاب طاهر رجالة ، يذبّون عن أصحابهم حتى ركبوا ، واستعدوا ،

ثم حاولوا على عبد الرحمن وأصحابه ، فأكثروا فيهم القتل .

فلما رأى ذلك عبد الرحمن ترجّل في مُحَاة أصحابه ، فقاتلوا حتى قُتل عبد الرحمن ،

وقتلوا معه .

وبلغ ذلك محمدا ، فسقط في يده ، وبرّز جنودَه ، فعقد لعبد الله الحرشي ، في

خمسة آلاف رجل ، وليحيي بن علي بن عيسى ، في مثل ذلك ، فسارا حتى وافيا

« قَرْمِيسِينَ » ^(١) .

وبلغ طاهرا ذلك ، فسار نحوها ، فانهزما من غير قتال حتى رجعا إلى حلوان ،

فأقاما هناك .

فزحف طاهر نحو حلوان ، فانهزما حتى لحقا ببغداد ، وأقام طاهر بحلوان حتى وافته

هرثمة بن أعين من عند المأمون ، في ثلاثين ألف رجل من جنود خراسان ، فأخذ

طاهر من حلوان نحو البصرة والأهواز .

وتقدم هرثمة إلى بغداد ، فلم تقم لمحمد قائمة حتى قُتل ، وكان من أمره

ما كان .

وأن طاهر بن الحسين صعد من البصرة ، وتقدّم هرثمة حتى أهدقا ببغداد ،

وأحاطا بمحمد الأمين ، ونصبا النجنيق على داره حتى ضاق محمد بذلك ذرعا .

وكان هرثمة بن أعين يحبّ صلاح حال محمد ، والإبقاء على حشاشة نفسه ، فأرسل

(١) بلد قرب الدينور بين همدان وحلوان على جادة العراق .

إليه محمد يسأله القيام بأمره ، وإصلاح ما بينه وبين المأمون ، على أن يخلع نفسه عن الخلافة ، ويسلم الأمر لأخيه .

فكتب إليه هزيمة : « قد كان ينبغي لك أن تدعو إلى ذلك قبل تفاقم الأمر ، فأما الآن فقد بلغ السيل الزبى ، وشغل الخلق أهله أن يُعَارَ^(١) ، ومع ذلك فإني مجتهد في إصلاح أمرك ، فصر إلى ليلا ، لأكتب بصورة أمرك إلى أمير المؤمنين ، وأخذ لك عهدا وثيقا ، ولست آلو جهدا ولا اجتهدا في كل ما عاهد بصلاح حالك ، وقربك إلى أمير المؤمنين » .

فلما سمع ذلك محمدا استشار نصحاء ووزراءه ، فأشاورا بذلك عليه ، وطمعوا في بقاء مهجته .

فلما جنة الليل ركب في جماعة من خاصته وثقاته وجواربه ، يريد العبور إلى هزيمة .

فأحس طاهر بن الحسين بالمراسلة التي جرت بينهما والوافقة التي اتفقا عليها . فلما أقبل محمد ، وركب بمن معه الماء شد عليه طاهر ، فأخذه ومن معه ، ثم دعا به في منزله ، فاحتز رأسه ، وأنفذه من ساعته إلى المأمون .

وأقبل المأمون حتى دخل مدينة السلام ، وصفت له الملكة واستوسقت له الأمور .

وكان قتل محمد الأمين ليلة الأحد لخمس خلون من المحرم ، سنة ثمان وتسعين ومائة^(٢) ، وقتل ، وله ثمان وعشرون سنة ، وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر .

[الخليفة عبد الله المأمون]

وبويع المأمون ، وهو عبد الله بن الرشيد ، يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢) مثل عربي ، يضربه المستول شيئا هو أحوج إليه من السائل - يجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٣٠

(٣) أي سنة ٩٠٣ م .

وكان شهماً ، بعيد الهمة ، أبيت النفس ، وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمة ، وقد كان أخذ من جميع العلوم بقسط ، وضرب فيها بسهم ، وهو الذي استخرج كتاب إقليدس من الروم ، وأمر بترجمته وتفصيله ، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات ، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل الملاف .

ودخل بلاد الجزيرة والشام ، فأقام بها مدة طويلة ، ثم غزا الروم ، وفتح فتوحا كثيرة ، وأبلى بلاء حسناً .

ثم توفي على نهر « البندنون »^(١) ، ودُفِنَ بطرسوس يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين^(٢) .

وكانت ولايته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما ، وقد كان بلغ من السن تسعاً وثلاثين سنة .

وقد كان بايع لابنه العباس بن المأمون بولاية العهد من بعده . وخلفه بالعراق .

[ولاية محمد المعتصم]

فلما مات هو على نهر البندنون جمع أخوه أبو إسحق محمد بن هرون المعتصم بالله إليه وجوه القواد والأجناد ، فدعاهم إلى بيعته ، فبايعوه .

١٥

فسار من طرسوس حتى وافى مدينة السلام ، فدخلها ، وخلع العباس بن المأمون عنها ، وغلبه عليها ؛ وبايعه الناس بها .

وكان قدومه بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، فأقام بها سنتين ، ثم مرّ بأثراكه إلى « سُرَّ مَنْ رَأَى » فابتناها ، واتخذها داراً وممسكراً .

(١) في الأصل نهر البدندون والصحيح ما ذكر ، وهو نهر سمي باسم البلد بزندون ، وهي قرية قريبة من طرسوس .

(٢) الموافقة سنة ٢٠٩ م .

وكانت في خلافته فتوحات لم تكن لأحد من الخلفاء الذين مضوا مثلها قبله .
 فنهبا فتح بابك ، وأسرّه وقتله إياه ، وصلّبه ؛ ومنها « مازيار » صاحب
 قلعة طبرستان ، فإنه تحصّن في القلاع والجبال ، فما زال به حتى أخذه ، وقتله ، وصلّبه
 إلى جنب بابك ؛ ومنها جعفر الكردي ، وقد كان أخرب البلاد وسبى الذراري ،
 فوجه الخيول في طلبه ، ولم يزل به حتى أخذه وقتله ، وصلبه إلى جنب بابك ومازيار ،
 ومن ذلك فتح « عمورية » وهي القُسْطَنْطِينِيَّة الصغرى ، والأخرى فتحها الله
 على يديه .

وكان ابتداء أمر بابك ، أنه تحرك في آخر أيام المأمون وقد اختلف الناس
 في نسبه ومذهبه ، والذي صحّ عندنا ، وثبت ، أنه كان من ولد مُطَهَّر بن فاطمة
 بنت أبي مسلم ، هذه التي ينتسب إليها الفاطميّة من الحرّمية ، لا إلى فاطمة بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنشأ بابك ، والجبل مضطرب ، والفتن متصلة ،
 فاستفتح أمره بقتل مَنْ حَوْلَهُ بِالْبَذِّ^(١) ، وإخرا ب تلك الأمصار والقرى التي حواليه ،
 لتصفوله البلاد ، ويصعبَ مَطْلَبَهُ ، وتشتدّ المثونة في التّوصُّل إليه ؛ واشتدت
 شوكته ، واستفحل أمره .

وقد كان المأمون وجّه إليه حين اتّصل به خبره عبد الله بن طاهر بن الحسين
 في جيش عظيم .

فسار إليه ، ونزل في طريقه الدينور^(٢) ، في ظاهرها ، في مكان يُعرَف إلى يومنا
 هذا بقصر عبد الله بن طاهر ، وهو كَرِّمٌ مشهور ، ومكان مذكور .
 ثم سار منها حتى وافى البذّ ، وقد عَظُمَ أمر بابك ، وتهيَّبه الناس ، فخاربه ،
 فلم يقدروا عليه ، ففضّ جَمْعَهُمْ ، وقتل صناديدهم .

(١) البذّ: كورة بين إيران وأذربيجان .

(٢) بلد أبي حنيفة مؤلف الكتاب ، وإليها ينسب .

وكان ممن قُتِلَ في تلك الوقعة محمد بن حميد الطوسي .

وهو الذي رثاه أبو تمام بقصيدته التي يقول فيها :

كَانَ بَيْنِي نَبْهَانٌ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وفيها يقول:

- فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقِعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ ٥
فلما أفضى الأمر إلى أبي إسحق المتصم بالله لم تكن همته غيره ، فأعد له الأموال
والرجال ، وأخرج مولاه الأفشين حيدر بن كاوس ، فسار الأفشين بالمساكر
والجيوش حتى وافى برزند^(١) ، فأقام بها حتى طاب الزمان ، وانحسرت الثلوج عن
الطرقات ، ثم قدم خليفته [يوباره]^(٢) وجعفر بن دينار ، وهو المعروف بجعفر
الخياط في جمع كثير من الفرسان إلى الموضع الذي كان فيه معسكرا ، وأمرها أن
١٠ يحفروا خندقا حصينا ، فسارا حتى نزلا هناك ، واحتفروا الخندق .

فلما فرغا من حفر الخندق استخلف الأفشين بيرزند المربان ، مولى المتصم في جماعة
من القواد ، وسار هو حتى نزل الخندق ، ووجه يوباره ، وجعفر الخياط في جمع كثير
إلى رأس نهر كبير ، وأمرها بحفر خندق آخر هناك . فسارا حتى احتفروا .

- ١٥ فلما فرغا وافاها الأفشين ، ثم خلف في موضعه محمد بن خالد بخاراخذاه ،
وشخص إلى درود^(٣) في خمسة آلاف فارس وألف رجل ، ومعه ألف رجل من الفعلة
حتى نزل درود ، واحتفر بها خندقا عظيما وبني عليها سورا شاهقا ، فكان بابك
وأصحابه يقفون على جبال شاهقة ، فيشرفون منها على العسكر ، ويولولون .

- ثم ركب الأفشين يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شعبان في تعبئة ، وحمل المجانيق ،
وأمر بابك آذين أن يحصن تلة مشرفا على المدينة ، ومعه ثلاثة آلاف رجل ، وقد
٢٠ كان احتفر حوله الآبار لمنع الخيل منهم .

فانصرف الأفشين يوما إلى خندقه ، ثم غدا عليه يوم الجمعة في غرة شهر رمضان ،

(١) بلد من بلاد إرمينية .

(٢) في الأصل يوباره .

(٣) كذا في الأصل ، والصواب « درود » ، مكان في نهر أذربيجان .

فُنصب المجانيق والمرّادات^(١) على المدينة ، وأُحدقت القواد والرؤساء .
وأقبل بابك في أنجاد أصحابه ، وعبّاهم ، فقاتله^(٢) القواد قتالا شديدا إلى العصر ،
ثم انصرفوا ، وقد نكّوا في أصحابه .

• وأقام الأفشين ستة أيام ، ثم ناهضه يوم الخميس لسبع ليال خلون من
شهر رمضان ، واستمد له بابك ، فوضع على البذّ عَجَلا عظيما ليرسله إلى أصحاب
الأفشين .

ثم أرسل بابك رجلا يقال له «موسى الأقطع» إلى الأفشين ، يسأله أن يخرج إليه
ليشافيه بما نفسه ، فإن صار إلى مراده وإلا حاربّه ، فأجابه الأفشين إلى ذلك ، فخرج
بابك حتى صار بالقرب من الأفشين في موضع بينهما واد .

١٠ فلما رأى الأفشين كفرّ له ، فبسطه الأفشين ، وأعلمه ما في الطاعة من السلامة
في الدنيا والآخرة ، فلم يقبل ذلك .

فانصرف إلى موضعه ، وأمر أصحابه بالحرب ، فتسرّعوا إلى ذلك ، ودهدوها^(٣)
العَجَل الذي كانوا أعدوه ، فانكسر المعجل ، وثاب أصحاب الأفشين ، فدفعوهم إلى
رأس الجبل .

١٥ وقد كان يوباره وجعفر الخياط وفقا بحذاء عبد الله أخى بابك ، فحملا ، وحمل
عليهم القواد من جميع النواحي ، فقتلوا قتلا ذريعا ، وانهزموا حتى دخلوا المدينة ،
فدخلوا خلفهم في طلبهم ، وصارت الحرب في ميدان وسط المدينة .

وكانت حربا لم يُرَ مثلها شدة ، وقتلوا في الدور والبساتين ، وهرب عبد الله
أخو بابك .

٢٠ فلما رأى بابك أن العساكر قد أُحدقت به ، والمذاهب قد ضاقت عليه ، وأن
أصحابه قد قتلوا وفُتِلوا توجه إلى أرمينية ، وسار حتى عبر نهر الرّس متوجها إلى الروم .
فلما عبر نهر الرّس قصد نحوه سهل بن سُنْباط صاحب الناحية ، وقد كان

(١) جمع عمادة وهى آلة للحرب أصغر من المنجنيق .

(٢) في الأصل فقاتلوه القواد . (٣) دهده : دحر ج .

الأفشين كتب إلى أصحاب تلك النواحي ، وإلى الأكراد بأرمينية ، والبطارقة بأخذ الطرق عليه .

فوافاه سهل بن سنباط ، وقد كان بابك غير لباسه ، وبدل زيّه ، وشدّ الخرق على رجله ، وركب بغلة ياكاف^(١) ، فأوقع به سهل بن سنباط ، فأخذه أسيراً .
ووجه به إلى الأفشين ، فاستوثق منه الأفشين ، وكتب إلى المعتصم بالفتح ، واستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له ، فسار حتى قدم عليه ، ومعه بابك وأخوه ، فكان من قتل المعتصم لبابك وقطع يديه ورجليه وصلبه ما هو مشهور .
قالوا : ولما قدم الأفشين ومعه بابك أجلسه المعتصم على سرير أمامه ، وعقد التاج على رأسه .

وفي ذلك يقول إسحق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله :
مَا غَبِثَ عَنْ حَرْبٍ تَحَرَّقَ نَارُهَا بِالْبَدِّ كُنْتَ هُنَا وَأَنْتَ هُنَا كَا
عَزَّتْ بِأَفْشِينَ حُسَامِكَ أُمَّةٌ وَالْدِّينُ مُنْتَسِكٌ بِهِ اسْتِمْسَا كَا
لَمَّا أَنْكَرَ بِبَابِكَ تَوَجَّهَتْ وَأَحَقُّ مَنْ أَضْحَى لَهُ تَاجَا كَا
ثم إن أحمد بن أبي داود وجد على الأفشين لكلام بلغه عنه ، فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين نصفاً مع الأفشين ، ونصفاً مع أشناس ، ففعل المعتصم ذلك .

فوجد الأفشين منه ، وطال حزنه ، واشتد حقه .
فقال أحمد بن أبي داود للمعتصم : يا أمير المؤمنين إن أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده في أمر أبي مسلم ، فكان من جوابه أن قال « يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال له المنصور :
« حسبك » ؟ ثم قتل أبا مسلم .

(١) الإكاف : بردعة الحمار .

فقال له المعتصم : « أنت أيضا حسبك يا أبا عبد الله » ، ثم وجه إلى الأفشين ،
فقتله .

وزعموا ، أنهم كشفوا عنه فوجدوه غير مختون .

ومات المعتصم بالله يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول
سنة سبع وعشرين ومائتين^(١) ، وصلى عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي داود ، وكان
المعتصم أوصى إليه بالصلاة عليه ، وكانت ولايته ثمانى سنين وثمانية أشهر وسبعة
عشر يوما ، وكان قد بلغ من السن تسعا وثلاثين سنة .

* * *

وهذا آخر كتاب الأخبار الطوال على ما جمعه أبو حنيفة أحمد بن داود
الدينورى رحمه الله تعالى ورضى عنه . ١٠



صواب أخطاء الطبع

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
١٤	١٦	هلاك	٢٠٨	١٣	« قل تماالوا
٢٥	١	زرا دشت	٢١٠	٢٤	ذراعاه
٢٦	٢٠	إيراخت	٢١٢	٣	قلائدَها
٤٥	١٥	قصبة الأهواز	٢٢٨	١٢	كُدَيْن
٥٥	١١	أصبهند	٢٢٩	٢٢	عروة
٦٢	٨	ذمار	٢٣٠	١٩	وما ناله من الجهد
٦٦	٢٢	أبرقباد	٢٣٣	٦	هانيء بن عروة
٦٧	١	الجزيرة	٢٣٤	٢٢	والفشل
٦٨	٦	هرمزد	٢٣٥	١	لقتله
٦٩	١١	خزين	٢٤٤	١٦	الحسين
٦٩	١٦	والدخول	٢٥٦	٨	عروة
٨٣	١٧	ابن عم له	٢٦٦	٩	أني
١٠٣	٤	البر	٢٧٣	٤	نسلي
١٠٦	٧	بوذ	٣٠٦	١٢	كَنَكِر
١٣٦	١١	يستنزِلُ	٣١٩	٩	إلى عبد الرحمن
١٤١	٢١	فلم ير فيه شيئاً	٣٣٧	٢١	أبو مسلم
١٥٥	٨	هم قتلوا شيخكم	٣٤٤	٤	شق بن صعب
١٧٢	٢٠	ابن يزيد	٣٥٩	٥	مستخفيين
١٧٣	٥	جحل بن أثال	٣٦٥	٢٥	٢٥
			٣٩١	١	لابنه القاسم

الفہارس

١ — فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
١٧	١ أولاد آدم
١٩	١ إدريس ونوح
٢٠	٢ اختلاف أسنة الناس
٢٢	٣ الساميون
٢٢	٤ الضحاك بن علوان
٢٣	٥ الرسول هود بن خالد
٢٣	٦ عمرو بن كنان
٢٥	٧ قحطان وأولاده
٢٦	٧ ثمود
٢٦	٨ الرسول إبراهيم بن آزر
٢٧	٨ هجرة جرم والمتمر
٢٨	٩ عمرو وأولاده
٢٨	٩ إسماعيل بن إبراهيم وأولاده
٢٨	٩ غلبة جرم على الحرم
٢٩	١٠ بنو قحطان
٢٩	١٠ نهاية ملك منوشهر
٣٠	١٠ خبر زاب بن بودكان
٣٢	١١ كيقباز بن زاب ملك بابل
٣٣	١٢ أبرهة بن اللطاط ملك اليمن
٣٣	١٣ كيكاف بن كيقباز ملك المعجم
٣٤	١٣ ملك كيخسرو
٣٥	١٤ إفريقيس بن أبرهة واليمن
٣٧	١٤ ملك ابن إفريقيس وهلاك طسم
٣٨	١٤ وجديس
٣٩	١٦ ملك القند ذى الإذعار
٣٩	١٦ هجرة ربيعة إلى اليمامة والبحرين
	١ داود الملك
	١ ملك بلقيس
	٢ ملك سليمان
	٣ أرخبعم بن سليمان
	٤ انقسام امبراطورية سليمان
	٥ هدم مدينة إيليا
	٦ ملك المعجم واليمن
	٧ زرادشت ودعوته
	٧ ملك اليمن
	٨ ملك المعجم
	٨ خاني زوج بهمن
	٩ دارا بن بهمن
	٩ ملك تبع بن أبي مالك
	٩ دارا والروم
	١٠ ملك داريوش
	١٠ نشأة الإسكندر
	١٠ غلبة الإسكندر
	١١ دارا والإسكندر
	١٢ فتوح الإسكندر
	١٣ خبر الإسكندر في مكة
	١٣ خبر الإسكندر في بلاد المغرب
	١٤ خبر الإسكندر وبلاد الشرق الأقصى
	١٤ ياجوج ومأجوج
	١٤ ملوك الطوائف
	١٦ نهاية الإسكندر
	١٦ ملوك اليمن

٦٧	كسرى أنوشروان	٤٠	ملك أردوان بن أشه
٦٨	دولتنا الروم والفرس في عهد كسرى	٤١	خبر أسعد بن عمرو
٧١	الخراج في عهد كسرى	٤١	بعثة الرسول عليه السلام
٧٤	التاريخ الفارسي والتاريخ النبوي	٤٢	أردشير بن بابك
٧٤	ملك هرمزد	٤٥	ملك الموصل وجرجيس
٨٤	تولية كسرى أبرويز	٤٥	ملك كركب ملك اليمن
١٠٦	حرب أبرويز مع الروم	٤٦	ملك التباينة
١٠٧	تولية شيرويه بن أبرويز	٤٦	سابور
١٠٧	بين الأب والابن	٤٧	خبر ماني الزنديق
١١٠	تولية شيرزاد بن شيرويه	٤٧	هرمز بن سابور والزنديق ماني
١١١	حروب العرب مع العجم	٤٧	أولاد هرمز
	الفتوحات الإسلامية في عهد عمر	٤٨	سابور ذو الأكتاف
١١٣	ابن الخطاب	٤٩	الروم وسابور
١١٩	موقعة القادسية	٥١	خبر بهرام ويزدجرد ابني سابور
١٢٧	موقعة جلولاء	٥٢	مقتل عمرو بن تبّع
١٣٠	يوم مدينة تستر	٥٢	صهبان والمدنانيون بتهامة
١٣٣	وقعة نهاوند	٥٤	ملوك اليمن والحيرة
١٣٩	ولاية عثمان بن عفان	٥٥	عمرو بن عدى
١٣٩	الفتوحات في عهد عثمان	٥٦	ملك بهرام جور
١٤٠	بيعة علي بن أبي طالب		خبر يزدجرد بن بهرام ، ونزاعه
١٤٤	وقعة الجمل	٥٨	مع أخيه فيروز
١٥٥	وقعة صفين	٦١	ذو نواس واليمن
١٧٨	مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب	٦٢	الحبش واليمن
١٧٩	مقتل ذي الكلاع	٦٣	الحبشان والكعبة
١٨٣	مقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص	٦٣	سيف بن ذي يزن
	الرقال	٦٤	الفرس واليمن
١٨٥	مقتل حوشب ذي ظلم	٦٥	الديانة الزردكية

صفحة		صفحة	
٢٦٩	الخوارج	١٩٤	وثيقة التحكيم
٢٧١	حروب المهاب مع الخوارج	١٩٦	الخلاف بعد التحكيم
٣٠٦	قتل المختار	١٩٩	مداولة الحكمين
٣٠٩	سلطان عبد الله بن الزبير	٢٠٠	إعلان الحكم
٣١١	خضوع العراق لجند الشام	٢٠٢	مبايعة معاوية
٣١٤	مقتل عبد الله بن الزبير	٢٠٢	فتنة الخوارج
٣١٦	سك النقود العربية	٢٠٥	قتال الخوارج
٣١٦	ابن الأشعث وفتنته	٢١١	نهاية علي بن أبي طالب
٣٢٤	نهاية عبد الملك بن مروان	٢١٣	مقتل علي بن أبي طالب
٣٢٦	الوليد بن عبد الملك	٢١٥	قتل ابن ملجم
٣٢٦	إصلاح الحرم النبوي	٢١٥	محاولة قتل معاوية بن أبي سفيان
٣٢٧	فتح بخارى وسمرقند	٢١٥	محاولة قتل عمرو بن العاص
٣٢٨	موت الحجاج بن يوسف	٢١٦	مبايعة الحسن بن علي
٣٢٩	سليمان بن عبد الملك	٢١٦	زحف جيوش معاوية
٣٣١	عمر بن عبد العزيز	٢١٨	مبايعة معاوية بالخلافة
٣٣٢	يزيد بن عبد الملك	٢١٩	زياد بن أبيه
٣٣٢	ظهور الدعوة إلى العباسيين	٢٢١	موت الحسن بن علي
٣٣٥	هشام بن عبد الملك	٢٢٢	بين معاوية وعمرو بن العاص
٣٣٧	أبو مسلم الخراساني	٢٢٥	موت معاوية
٣٣٩	وفاة الإمام محمد بن علي	٢٢٧	مبايعة يزيد
٣٤٥	وقعة بين خالد وهشام	٢٢٩	أهل الكوفة والحسين
٣٤٧	الوليد بن يزيد	٢٣١	مسلم بن عقيل في الكوفة
٣٤٩	يزيد بن الوليد	٢٤٠	قتل مسلم بن عقيل
٣٥٠	إبراهيم بن الوليد		خروج الحسين بن علي بن أبي طالب
٣٥١	مروان بن محمد	٢٤٣	إلى الكوفة
٣٦٠	ظهور دعوة أبي مسلم	٣٥١	نهاية الحسين
٣٦٦	نهاية بني أمية	٢٦٢	عبد الله بن الزبير

صفحة	صفحة	
٣٨٦	٣٧٠	مبايعة أبي العباس
٣٨٦	٣٧٨	أبو جعفر المنصور
٣٨٧	٣٨٠	قتل أبي مسلم الخراساني
٣٩٢	٣٨٣	مدينة بغداد
٤٠٠	٣٨٤	الراوندية
٤٠١	٣٨٥	موت أبي جعفر المنصور
		تولية محمد المهدي
		ولاية موسى الهادي
		خلافة هرون الرشيد
		تولية محمد الأمين
		الخليفة عبد الله المأمون
		ولاية محمد المعتصم



ب - فهرس الأعلام

(أ)	ابن الأشر = إبراهيم بن الأشر
أبجر بن جابر المجلى	ابن الأشعث = عبد الرحمن بن محمد
٦: ٢١٤	ابن الأشعث = محمد بن الأشعث بن عبد الرحمن
إبراهيم النبي بن آزر بن تارخ .. ١: ٨	ابن الأشعث = محمد بن الأشعث بن قيس
إبراهيم بن الأشر أبو النعمان ٤: ٢٨٩	ابن الأقطع = نصر بن سيار
١٦: ٢٩١، ٤: ٢٩٣، ٣: ٢٩٤، ٧: ٢٩٤	ابن آكلة الأكباد = معاوية
١٩: ٢٩٥، ١٣: ٢١، ٢٩٦: ١٧،	ابن بديل = عبد الله بن بديل بن ورقاء
٣٠٩: ١٠، ٣١٢: ١٨: ١: ٢١، ٣١٣: ٦	الخزاعي
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ١٢: ٣٨٥	ابن جبير = سعيد بن جبير
إبراهيم بن عقيل ٣٧٤: ١٦: ٢٢	ابن جعفر = عبد الله بن جعفر
إبراهيم بن الإمام محمد بن علي بن عبد الله	ابن حسان البكري ٢١٢: ١
ابن عباس ٣٣٩: ٣٤٣، ٣: ٣٥٧، ١٩:	ابن الحنفية = محمد بن علي بن أبي طالب
٣٥٨: ١٧	ابن خزعة الخثمي ٣١٤: ١٨
إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله	ابن الخمار = يوسف بن عمر
ابن العباس ٣٨٥: ١٧	ابن خنيس = محمد بن خنيس
إبراهيم بن الوليد ٣٥٠: ١٢، ٣٥١: ٥: ٦	ابن ربيعة = عبيد الله بن أسلم بن ربيعة
أبرسام ٤٣: ٥	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
أبرهة الأشرم أبو يكسوم ٦٢: ١١: ١٥	ابن زياد = عبيد الله بن زياد
أبرهة بن الصباح ١٩٩: ١٧	ابن الشربة ٧: ١٣
أبرهة بن اللطاط (ذو المنار) ١٢: ١١	ابن صبيح = إسماعيل بن صبيح
أبرويز = كسرى أبرويز ٧٨: ٢	ابن صفية = الزبير
أبريان الوزير ١٤: ٣	ابن عامر = عبد الله بن عامر بن كريز
أبضنة المقنفير ٣٩: ١٨، ٤٠: ٣	ابن عباس = عبد الله بن عباس
ابن أبي أوفى العبسي = شريح	ابن عبيس = مسلم بن عبيس القرشي
ابن أبي حذيفة = محمد بن أبي حذيفة	ابن عثمان بن عفان = عمرو بن عثمان
ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب	

- ابن عرادة ٢٧١ : ٤
 ابن عضاء = عبد الله بن عضاء
 ابن عفان = عثمان بن عفان
 ابن عقبة = مسلم بن عقبة
 ابن عقيل = مسلم بن عقيل
 ابن القرية = أيوب بن القرية
 ابن قيس = الحارث
 ابن الكواء = عبد الله بن الكواء
 ابن الكيس النمرى ٧ : ١٠
 ابن مالك البكراوى ٢٩٢ : ١٠
 ابن مجالد ٣٨٤ : ١٥
 ابن مرجانة = عبيد الله بن زياد
 ابن معمر = عثمان بن معمر
 ابن مطيع = عبد الله بن مطيع
 ابن المقفع ٦ : ١٦
 ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم
 ابن هبيرة = يزيد بن عمر بن هبيرة
 ابن هند = معاوية بن سفيان
 ابن يوسف = الحجاج
 أبو إسحاق محمد بن هرون = المعتصم بالله
 أبو إسحاق المختار = المختار بن أبي عبيد
 أبو الأسود الدبلى ١٦٦ : ١ ، ٢٠٥ : ٢٠
 أبو الأعور السلى ١٦٧ : ١٢ ، ١٦٨ : ٣ ،
 ١٧٤ : ١١ ، ١٧٦ : ١ ، ١٨٠ : ١٨٩ ، ١٨٩ : ١٧٤
 ١٣ ، ١٩٦ : ٨ ، ١٩٧ : ١٦
 أبو أمامة الباهلى ١٧٠ : ١٠ ، ٣٢٨ : ١٨
 أبو أيوب الأنصارى ٢٠٧ : ١١ ، ٢١٠ : ٢
 أبو بردة بن أبي موسى ٢٢٤ : ٢
 أبو بشر بن عمر الأنصارى ١٩٦ : ٣
 أبو بكر = عبد الله بن الزبير
 أبو بكر الصديق ١٨ : ١١ ، ١١١ : ١٩ ،
 ١١٢ : ١٨
 أبو بكر العقيلى ٣٧٤ : ٩
 أبو بكر بن الحسن بن على ٢٢٨ : ١٥ ،
 ٢٥٧ : ٨
 أبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة ٣٢٦ : ٧
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
 ٣٢٦ : ٦
 أبو تمام الشاعر ٤٠٣ : ٢
 أبو ثمامة الصيداوى ٢٣٨ : ١٦
 أبو ثور = عمر وأبو ثور
 أبو جعفر = المنصور بالله
 أبو الجهم بن حذيفة ١٩٨ : ٤
 أبو الحسن = على بن أبي طالب
 أبو حمزة = أنس بن مالك
 أبو حنيفة = أحمد بن داود الدينورى
 أبو خالد = يزيد بن عمر بن هبيرة
 أبو خلف = جعفر بن حنظلة
 أبو الدرداء ١٧٠ : ١٠
 أبو زرعة بن عمرو البجلي ١٦١ : ١٦

- أبو سعيد بن ربيعة الأنصاري ١٩٦ : ٢
أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك
أبو سفيان ٢١٩ : ١٥ : ١٦
أبو سلمة الخلال ٣٣٤ : ٧ ، ٣٣٩ : ٥ ،
٣٥٨ : ١٩ ، ٣٦٨ : ١ ، ٣٧٠ : ١٢ : ١٦
أبو صرمة = الطفيل
أبو العباس = سهل بن سعد الساعدي
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح ٣٥٨ :
١٧ ، ٣٥٩ ، ١٢ ، ١٦ ، ٣٦٢ ، ٤ ،
٣٧٠ : ٢٠ ، ٣٧٣ : ١٩ ، ٣٧٥ : ٢٣ ،
٣٧٦ : ٩ : ٢٠ ، ٣٧٧ : ١١ : ١٦ ،
٣٧٨ : ١٨
أبو العباس الطوسي ٣٨٧ : ٤
أبو عبد الله = أحمد بن أبي داود
أبو عبد الله = الحسين بن علي بن أبي طالب
أبو عبد الله = رافع بن الخديج
أبو عبد الله = الزبير
أبو عبد الله = سعيد بن جبير
أبو عبد الله = عمرو بن العاص
أبو عبيد بن مسعود الثقفي وهو أبو المختار
١١٣ : ٣
أبو عبيدة بن الجراح ١١٢ : ٨ ، ١٢٠ : ١١
أبو عثمان حاجب بن هيرة ٣٧٤ : ٢٠
أبو عكرمة السراج ٣٣٢ : ٩
أبو عمرة كيسان ٢٨٩ : ٢ : ٢٩٠ : ٥ ،
٢٩٨ : ١
أبو عمرو = عثمان بن عفان
أبو فلان بن عبد الله ٣٨١ : ١
أبو قتادة ٢١٠ : ٣
أبو القلوص الشبامي ٣٠١ : ٦
أبو كرب = شمر
أبو مالك بن شمر ٢٨ : ٧
أبو محجن الثقفي ١١٣ : ١٤ ، ١٢١ : ٢٠ ،
١٢٢ : ١٤
أبو محمد = الحسن بن علي
أبو محمد بن سيرين ١١٢ : ١٤
أبو مريم السلولي ٢١٩ : ١٥
أبو مسعود الأنصاري ١٦٥ : ١٨
أبو مسلم الخولاني ١٦٢ : ٣ : ٩ : ٢١ ،
١٦٣ : ٦
أبو مسلم صاحب الدعوة للعباسيين ٣٣٧ : ٤ :
٢١ ، ٣٤٣ : ٣ : ٨ ، ٣٥٩ : ٨ : ١٨
٣٦٢ : ٧ : ٢٢ ، ٣٦٤ : ١ ، ٣٧٠ :
١٥ ، ٣٧٦ : ١ : ٤ ، ٣٧٧ : ٥ : ١٠ :
١٨ ، ٣٧٨ : ٤ : ٢١ ، ٣٧٩ : ١ : ٩ :
١٥ : ٢١ ، ٣٨٠ : ١٢ : ١٨ ، ٣٨١ :
١٢ ، ٣٨٢ : ١ : ٥ : ٧ : ١١ : ٢٣ ،
٣٨٤ : ٣
أبو المرس ٣٤٥ : ٢
أبو المغلس = عمير بن الحباب
أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ١١٨ :
١٥ ، ١٣٩ : ٦ ، ١٤٥ : ٨ ، ١٩٢ : ١٠ ،
١٩٣ : ٨ ، ١٩٩ : ٢ : ٩ : ١٦ ، ٢٠٠ :
٣ : ٧ : ٢٢ ، ٢٠١ : ٣ : ١٢ : ١٩

- أبو الميلاء الرزبي = يحيى بن نعيم ٢٣: ٣٤٠ ،
 ١٩ : ٣٥٤
 أبو النعمان = إبراهيم بن الأشتر
 أبو هرون العبدى ١٩ : ٢٦٨
 أبو هاشم = إسماعيل بن عبد الله القسرى
 أبو هاشم = بكير بن ماهان
 أبو الهذيل = محمد بن الهذيل العلاف
 أبو هنيذة القينى ٢ : ٢٢٤
 أبو الهيثم = خالد بن عبد الله القسرى
 أنال أبو جحل ١٧٣ : ٧
 أحمد بن أبي داود أبو عبد الله ١٨ : ٤٠٥ ، ١٨ : ٤٠٦ ، ٥ : ٤٠٦
 أحمد بن أبي داود الدينورى أبو حنيفة ٩ : ٤٠٦
 أحمد بن بكير ٢٤١ : ٢٢
 أحمد بن سليط ٢٨٩ : ١ ، ٣٠٥ : ١٠
 أحمد طي ٢٩٧ : ١٥
 الأحنف بن قيس ١٤٨ : ١١ ، ١٦٥ : ٢٢ ،
 ١٧١ : ٢٠ ، ١٩٣ : ٩ ، ١٩٤ : ١٠ ،
 ٢٣١ : ١٩ ، ٢٧١ : ١٢ ، ٢٨٧ : ١٠ ،
 ١ : ٣٠٦
 الأحوص بن جعفر العامرى ٥٣ : ٧
 أخشوان خاقان ٦٠ : ٦ ، ١٣ : ١٣
 أخنوخ بن يرد بن مهليل = إدريس ٩ : ١
 إدريس ١ : ١٠
 آدم عليه السلام ١ : ٣ ، ٥ : ١٥ ، ١٨ : ١٨
 ١٨
 آذين ٤٠٣ : ١٩
 أربد الفزارى ١٦٤ : ١٠
- أرجاسف ٧٩ : ١٩
 أرخيم بن سليمان ٢٢ : ١٧ ، ٢٣ : ١١
 أردشير بن بابكان وهو أردشير بن بابك
 ابن ساسان الأصغر بن فافك بن مهريس
 ابن ساسان الأكبر بن بهمن الملك ابن اسفندياذ
 ابن بشتاسف ٤٢ : ١ ، ٤٥ : ١٠ ، ٨٢ : ١٧
 أردوان بن أشه بن أشفان ٤٠ : ١٤
 أرسطاطليس ٣٠ : ١٦ ، ٣٨ : ٦
 أرسناس ١١ : ٦ ، ٨٨ : ٦
 أروطا بن عبد الله النخعى ١٢٢ : ١١
 أرغشذ بن سام بن نوح ١ : ١٥ ، ٢ : ٢ ،
 ٣ : ٢ ، ٧ : ١
 إرم بن سام ٣ : ٢ ، ١٤ : ١٤ ، ١٥ : ١
 أرميايل ٥ : ٢
 أرمين بن نورج بن سام ٣ : ١٢
 أروى بنت أم حكيم بن عبد المطلب بن هاشم
 ١٣٩ : ٥
 أرباط ٦٢ : ٦ ، ٧ : ١٤
 الأزارقة ٣٠٤ : ١٦ ، ٣٤٠ : ١٧
 الأزرد ١٢٢ : ١١ ، ١٤٦ : ١٣ ، ٢١ : ٢١ ،
 ١٤٩ : ١٠ ، ١٧٢ : ٣ ، ٢٥٩ : ١٥ ،
 ٢٨٧ : ٦ ، ٢٩٩ : ٢٣ ، ٣٥٢ : ٢٠
 آزر بن تارخ ٦ : ١٨ ، ٨ : ٦
 آزر ميدخت ١١٩ : ٤
 أسامة بن زيد ١٤٣ : ٧
 إسحاق بن خلف ٤٠٥ : ١٠
 إسحاق بن الفضل الهاشمى ٣٧٦ : ٢

الأشتر بن الحارث النخعي ١٢٠: ٤، ١٤٣:
 ١٤٧، ٩: ١٠، ١٤٩: ١٢، ١٥٠:
 ١٠: ١٨، ١٥٦: ١٧، ١٦١: ٧،
 ١٦٤: ٨، ٢٠: ١٣، ١٦٧: ١٣، ١٧٢: ٦،
 ١٧٧: ١٤، ١٨٢: ١٥، ١٩٠: ١٧،
 ١٩: ١٩٥، ٢٤:

الأشتر بن عوف ١٣١: ٨

الأشعث بن قيس ٥٢: ١٥، ١٢٠: ١٤،
 ١٢٢: ١٩، ١٣٤: ١٢، ١٥٦: ١١،
 ١٦٩: ١، ١٧١: ١٦، ١٧٤: ٧،
 ١٨٨: ٢١، ١٩٠: ٥، ١٩٥: ٢٤،
 ١٩٦: ٢٠، ٢١١: ٦، ٢٢٤: ١١

الأشعث بن القيني ٣٤٧: ٧

الأشعرون = الأشعريون ١٤٦: ٩

الأشعري = أبو موسى

الأشعانيون ١٢: ٢

أشناس ٤٠٥: ١٥

الأصمعي ٣٨٨: ٥، ٣٨٩: ٩

الأعشى الشاعر ١٦: ٤

أعشى همدان ٣٠٦: ٥

أعين بن ضبيعة ١٥١: ١، ١٧٢: ٢

إفريقيش بن أبرهة ١٢: ١٦، ١٤: ١٠، ١٧:

الأفشين حيدر بن كلوس ٤٠٣: ٦، ١٤: ٢١،

٤٠٥: ٨، ٤٠٦: ١

إقليدس ٤٠١: ٣

الأقشير الأسدي ٣١٤: ١١

الأكراد ٥: ٥، ١٣: ١٦، ٢٧: ١٢

إليريانوس ٤٦: ٢١، ٤٩: ١٧

إسحاق بن محمد بن الأشعث ٢٨٠: ٧
 أسد (بنو) ٥٢: ١٨، ١٧١: ١٨، ٢٣٨:
 ١٦، ٢٥٩: ١٤

أسد بن عبد الله القسري ٢٨١: ٢، ٣٣٤:
 ١٥، ٣٣٥: ٣

الأسدي = الجراح بن قبيصة

إسرائيل (بنو) ١٧: ١٨، ١٨: ٢، ٧:
 ٢٢، ١٨: ٢٣، ١٦: ٢٦، ١٩: ٤١، ٢٠:

أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صبح
 ابن عبد الله بن زيد بن ياسر ينعم ملك اليمن
 ٤١: ٢

أسفندياذ ٢٥: ١١، ٢٦: ٣، ٧٩: ١٩

الإسكندر بن الفيلفوس الرومي ٤: ١٠،
 ١٩: ١٢، ٢٦: ١٣، ٢٨: ١٦، ٢٩:

١٢، ٣٠: ١٣، ٣١: ١، ٣٣: ١٨، ٦:

٣٤: ١٥، ٣٩: ٢

أسلم بن زبيدة ٢٦٩: ١٤

أسماء بن خارجة الفزاري ٢٣٦: ١٨، ٣٠٣: ١٤

أسماء بنت أبي بكر ٢٦٤: ٢

إسماعيل بن إبراهيم ٩: ١٦

إسماعيل بن زفر ٢٩٦: ١٨

إسماعيل بن صبيح ٣٩٣: ١٧، ٣٩٤: ٢، ١١:

إسماعيل بن عبد الله القسري أبو هاشم ٣٦٥:

٨: ١٨

إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ٣٥٨: ١٨

الأسود بن غفار ١٥: ١١، ٥:

الأسود بن سام ٣: ٣، ١٥: ١١

أسيد بن عبد الله ٣٦١: ١

بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ٤٧ : ٩
بهرام جور (بن يزديجرد الأثيم) ٥١ : ١٣ ،
٥٥ : ٩ ، ١٥ : ٦٨ ، ١١

بهرام شويين ٨٩ : ٩ ، ١٥ : ٩٠ ، ٢١ : ٩٢
٩٢ : ٧ : ١٤ ، ٩٤ : ١ : ١٢ : ١٩ ، ٩٦ : ١٤

بهمن بن أسفندياد أبو ساسان ٢٦ : ٤ :
١٨ ، ٢٧ : ٢ : ٤ : ١٠٢ ، ١٨ :
بوخت نرس = بخت نصر
١٧ : ١٠٦

بوران بنت كسرى ١١١ : ٩ : ١١٤ ، ١٢ :

(ت)

تاريس ٢ : ١٣ ، ٣٧ : ٧
تاويل ٣٧ : ٦
تبّع أسعد ٤٦ : ٤
تبّع الأقرن (أو الأقران) ٢٨ : ٨ ، ٣٣ : ١٤
تبّع بن ملكيكرب ٤٦ : ٢
التبعميون ٢٨ : ١٣
تغلب ١٤٦ : ١٤

تيم (بنو) ١٧٢ : ٣ ، ١٩٧ : ٣ ، ٢٣٨ : ١٦ ،
٢٥٩ : ١٣ ، ٢٨٧ : ٩ ، ٣٠٠ : ١ ، ٣٥١ :
٢٢ : ٣٥٤ ، ٣

تيم بن نصر بن سيار ٣٥٤ : ٢١
تيم الرباب ١٤٧ : ٤ ، ٢١٤ : ١ ، ٣٠٠ : ١

(ث)

ثابت بن أقرم ١١٩ : ١٨

بسطام أصهب السواد ٥٥ : ١٠
بسطام خال كسرى أبرويز ٨٣ : ١٠ ، ٨٧ : ١٤ ،
٩٨ : ٨ ، ١٠٢ : ١٠ ، ١٠٥ : ١٤

بسفر وخ ١١٦ : ٦
بشتاسف ٢٣ : ٢٢ ، ٢٥ : ٢ : ٨ ، ٢٦ : ٣

بشر بن أبي ربيعة ١٢٤ : ١٦
بشر بن مالك ٢٧٩ : ١٣
بشر بن مروان ٣١٠ : ١٨
بشر بن مهر الصيدأوى ٢٢٩ : ١٦
بشير بن يزيد البولافي ٢٠٥ : ٧

بغاوير ٩٤ : ١٨ ، ٩٦ : ٥ : ١٠ : ١٨ ، ٩٧ : ٤
بكر بن وائل ١١١ : ١٥ ، ١٤٦ : ١٤ ، ١٧٩ :
٩ ، ٢١٤ : ٦

بكير بن ماهان ٣٣٣ : ٢١ ، ٣٣٤ : ٢
بلاس بن فيروز ٦٩ : ٢
بلقيس ٢٠ : ١ ، ٢١ : ١٥ ، ٢٢ : ٢١
بندوية ٨٣ : ١٠ ، ٨٧ : ١٤ ، ٨٨ : ١٢ :
١٥ ، ٨٩ : ١١ ، ٩٠ : ١٠ ، ٩٢ : ٦ ،
٩٣ : ١٤ ، ٩٨ : ٧ ، ١٠١ : ١٤

بهرام بن بهرام ٤٧ : ٢١٠
بهرام بن بهرام جشنس الملقب ببهرام شويين =
بهرام شويين ٧٩ : ٨ : ١٢ ، ٨٠ : ١١ :
١٦ ، ٨٢ : ٥ : ١١ : ٢٢ ، ٨٣ : ١ : ٣ :
١٥ ، ٨٤ : ٥ : ٨٧ : ٦ ، ٩٤ : ١٨
بهرام بن سابور ٥١ : ٤ ، ٥٦ : ١١ ، ٥٧ :
١ : ٤ : ١٥

بهرام بن سیاوشان ٨٨ : ٢ : ٢٢ ، ٨٩ :
٤ : ١٣ : ٢١ ، ٩٠ : ١٠ : ١٨ ، ٩٧ : ٤

- ثقيف ٢١٩ : ٢ : ٢٥٩ ، ١٦ : ١٦
ثمالة بن حوشب ١٩٦ : ١٦
ثمود ٣ : ٤ : ٧ ، ١٦ : ١٦
ثوير بن عامر ١٦١ : ١٨
ثيادوس (بن قيصر) ٩٢ : ٣ : ١٨ ، ٩٨ : ٩٨
٦ : ١٠٦ ، ٣ : ٣
(ج)
جابر بن عبد الله ٣١٦ : ١٦ : ٣٢٨ ، ١٥ : ١٥
جاسم بن إرم ٣ : ٤
جالوت الجبار ٤ : ٥ : ١٨ ، ٧ : ٧
جاماسف بن فيروز ٦٥ : ١٢ : ٦٦ ، ١٦ : ١٦
جحل بن أثال ١٧٣ : ٥
جديس بن ارم ٣ : ٤ : ١٤ ، ١٥ : ١٥ ، ١ : ١
١٦ : ٨
جديع بن علي الأزدي المعروف بالكرماني
٣٤٠ : ١٥ : ٣٥١ ، ١٣ : ٢١ : ٣٥٢ ، ٣ : ٣
١٠ : ٣٥٣ ، ٥ : ٢١ : ٣٥٤ ، ١٥ : ٣٥٦
١١ : ٢١ : ٣٥٧ ، ١ : ٣٦٢ ، ١١ : ١٦
جذيمة بن عمرو ٥٤ : ١٦ : ٥٥ ، ١ : ١
الجراح بن عبد الله الحكمي ٣٢٨ : ١٠
الجراح بن قبيصة الأسدي ٢١٧ : ٨
جرجيس ٤٥ : ٦
جرم بن قحطان ٧ : ١١ : ٨ ، ١٧ : ١٧
جرير الشاعر ٥٣ : ١٢
جرير بن عبد الله البجلي ١١٤ : ٩ : ١١٩ ، ٩ : ٩
١٢٢ : ١١ : ١٩ ، ١٢٣ : ١٧ : ١٢٩ ، ٤ : ٤
١٣٥ : ١١ : ١٥٦ ، ٨ : ١٦ : ١٦١ ، ٩ : ٩
٢٢٣ : ١٦ : ١٦
جرير بن يزيد بن عبد الله ٣٧٩ : ٢٢
جشنساذريش ٥٥ : ١٣
جند العنزي ١٩٦ : ٢٢
جمدة بن هيرة بن أبي وهب القرشي ١٧٣ :
١٤ ، ٢٢١ : ١٨
جعفر بن حنظلة البهراني ٣٣٩ : ١٧ : ٣٤٢ ، ١٣ : ١٣
جعفر الخياط ٤٠٣ : ١٢
جعفر بن دينار ٤٠٣ : ٨ ، ٤٠٤ : ١٥
جعفر بن علي (بن أبي طالب) ٢٢٨ : ١٥ ،
٢٥٧ : ١٠ : ١٦
جعفر بن يحيى البرمكي ٣٩١ : ٨
جعفر الكردي ٤٠٢ : ٤
جم بن وبو نجهان بن إيران ١ : ١٥ ، ٢ : ٢
٥ ، ٣ : ١٩
جندب بن زهير الأزدي ١٤٦ : ١٧ : ١٧٢ :
٤ ، ١٨٥ : ٢٠
الجنيد بن عبد الرحمن ٣٣٣ : ٢١ : ٣٣٥ :
٣ : ١٥ : ٣٣٦ ، ١ : ٣٣٧ : ١
جهور بن مراد المجلي ٣٦٤ : ٥
جوان شير بن كسرى ١١١ : ٦
جودرز ٧٩ : ٢١ : ٨١ ، ٩ : ٩
جودرز كاتب الجند ٥٥ : ١٢
جيوس ١٢٣ : ١٦
(ح)
حابس بن ربيعة ١٧٢ : ١٨
حابس بن سعد الطائي ١٧١ : ٦
حابس بن سعد ١٥٩ : ١٦
حاتم بن النعمان الباهلي ٢٩٦ : ١٨

الحارث بن أبي ربيعة = الحارث بن عبد الله	حبیب بن مظهر ٢٥٦ : ١٢
ابن أبي ربيعة ٢٧٣ : ٨	حبیب بن المهلب ٢٨٠ : ٣
الحارث بن خالد الأزدي ١٧٢ : ١٧	حبیش بن دلجة القيني ٢٦٤ : ١٨
الحارث بن زفر ١٥٥ : ١١	الحجاج بن أرطاة ٣٧٦ : ١٤
الحارث بن زهير الأزدي ١٥٠ : ٣	الحجاج بن خزيمة بن الصمة ١٥٥ : ٥ : ١٦
الحارث بن عباد بن زياد ٢٨١ : ٦	الحجاج بن غزوة الانصاري ١٤١ : ١٥
الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي	الحجاج بن يوسف ٢٧٧ : ١٦ ، ٢٧٨ :
١٠ : ٢٧١	٢٨٠ ، ١٤ : ١ : ٦ ، ٣١٤ : ٣١٥ ، ٢ :
الحارث بن عمرو السكندی (آكل المرار)	١١ ، ٣١٦ : ١٩ ، ٣٢١ : ٤ ، ٣٢٢ :
١١ : ٢٢٤ ، ١٧ : ١٢ : ٥٢	٢٠ : ١٥ : ٣٢٨ ، ١٥ : ٣٢٤ ، ٢٠ :
الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ٣٩ : ٢٠	حجّار بن أبجر ٢١٤ : ٦ ، ٢٢٩ : ٢٣٩ ، ٢٢ :
الحارث بن قيس ٢٨٢ : ٢ : ٨ : ١٥ ،	١٤ : ٢٥٤ ، ٤
٢١ : ٢٨٣	حجر بن عدي السكندی ١٢٨ : ٥ : ١٤٥ ،
الحارث بن كلدة ٢١٩ : ٣	١٠ ، ١٤٦ : ١٢ ، ١٥٦ : ٩ : ١٧٥ ، ١٧ :
الحارث بن مالك ١٩٦ : ٧	١٩٦ : ٥ : ٢١٠ ، ٢ : ٢١٣ ، ٣ : ٢٢٠ :
الحارث بن مرة العبدي ١٧١ : ١٧	٨ ، ٢٢٣ : ٢ : ٩
الحارث بن مرة الفقمسي ٢٠٧ : ٤	٩ : ٢٢٤
الحارث بن المنذر التنوخي ١٨٣ : ١٦	حجر بن عمرو ٥٢ : ١٤ : ١٨
الحارث بن يزيد بن رويم ٢٥٤ : ١٨	حجر بن يزيد ١٩٦ : ٧
الحارث الهمداني ٢١٢ : ٢٠	حجر الشر ١٧٥ : ١٦
حارثة (بنو) ٢٦٥ : ١١	حذيفة بن اليمان ١٣٤ : ١٠ ، ١٣٦ : ٢٢ :
حارثة بن خزيمة ٣٦٤ : ٤	الحمر بن يزيد التميمي اليربوعي ٢٤٩ : ١ : ١٥ ،
حام بن نوح ١ : ١٦ ، ٢ : ١٤ ، ٤ : ١ ،	٢٥٠ : ٦ ، ٢٥١ : ١١ ، ٢٥٢ : ١ :
٧ : ٣٤	١٤ : ٢٥٦
حبش بن حام ٢ : ١٥	حرقوص بن زهير ٢٠٤ : ٦ ، ٢١٠ : ٥ :
حبیب بن كدين ٢٢٨ : ١٢	حريث (مولى معاوية) ١٧٦ : ١٠ :
حبیب بن مسلمة الفهري ١٧٠ : ٢٠ : ٢٤ ،	حريث بن جابر الحنفي ١٧٨ : ١٦ :
١٧١ : ٢ : ١٧٢ ، ١١ : ١٧٤ ، ٨ : ١٨٢ :	حريش مولى خزاعة ٣٣٩ : ١٠ ، ٣٦١ : ٢ :
٨ : ١٩٦ ، ٢	

الحسين بن الحارث بن عبد المطلب ١٩٦ : ١
الحسين بن معبد بن زرارة ١١٤ : ٧
الحسين بن نعيم السكوني ٢٤٠ : ٤ ، ٢٤٣ :
٣ ، ٢٤٦ : ٢ ، ٢٥٤ : ١٤ ، ٢٥٨ : ٩ ،
٢٥٩ : ١٣ ، ٢٦٤ : ١٨ ، ٢٦٧ : ٣ : ٢٠ ،
٢٦٨ : ٨ : ١٤ ، ٢٩٣ : ٥ : ١٤ ،
٢٩٥ : ١٤
حضر موت ١٤٦ : ١٢ ، ١٧٨ : ١٥
الحسين بن النذر ١٧١ : ٢٠ ، ١٨٩ : ٢١
الحكم بن أبي العاص ١٣٣ : ١٥
الحكم بن أزهر ١٧٥ : ١٨
الحكم بن عبد الملك بن بشر ٣٧٥ : ١٠
الحكم بن مسعود أخو أبي عبيد ١١٣ : ١٦
حكيم بن عبد المطلب بن هاشم ١٣٩ : ٥
الحمراء (وهم أبناء المعجم بالكوفة) ٢٨٨ :
١٠ ، ٢٩٣ : ١١
حمران بن إبان مولى عثمان ١١٢ : ١٤
حمزة بن سيار ٢٠٢ : ١٣
حمزة بن مالك ١٥٩ : ١٦ ، ١٧٢ : ٢٣ ،
١٩٦ : ١٠
حميد بن مسلم ٢٦٠ : ٨
حميد الطوسي ٣٩٢ : ٣
حمير (القبيلة) ١٤٦ : ٨
حمير بن سبأ ١٠ : ١١ ، ٥ : ١٠
حمير بن قحطان ٧ : ١٢
الحميرية ٤٦ : ١١ ، ٥٢ : ٦
حنظلة ١٧٢ : ٢
حنظلة بن بهس ٢٦٩ : ١٢

حسان بن مجدل ١٧٢ : ١٩
حسان بن تبع ٤٦ : ١٠ ، ٥٢ : ٥
حسان بن تبع بن ملكي كرب ٤٦ : ١٠
حسان بن عبد الله البكري ١٥٣ : ١٩
الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ١٤٤ :
١٨ ، ١٨٢ : ١١ ، ١٩٥ : ٢٣ ، ٢١٦ :
٧ : ٩ : ١٦ ، ٢١٧ : ٩ : ١١ : ١٤ ،
٢١٨ : ٢ : ٩ : ١٥ ، ٢٢٠ : ٦ : ٢٣ ،
٢٢١ : ١٠ : ١٢ ، ٢٢٢ : ٥
الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان ٣٩٧ : ٩
الحسن بن قحطبة ٣٦٩ : ١٥ ، ٣٧٤ : ٩
الحسن بن هانيء ٣٩٣ : ٧
الحسن البصري ١١٨ : ٩
الحسين بن علي بن أبي طالب ١٤٥ : ٧ : ١٥ ،
١٨٢ : ١١ ، ١٩٥ : ٢٣ ، ٢١٨ : ٥ ،
٢٢٠ : ١٦ : ٢١ ، ٢٢١ : ١١ : ١٦ ،
٢٢٤ : ١٣ : ٢٠ ، ٢٢٥ : ٤ : ٢٢٦ : ٦ ،
٢٢٧ : ٢٢ : ١ : ١٨ ، ٢٢٨ : ١ : ٢٢٩ :
٣ : ١٦ : ٢٣٠ : ٩ : ١٧ : ٢٣١ ،
٢٤٢ : ١٤ : ٢٤٣ : ٢ : ١٥ : ٢٠ ،
٢٤٤ : ٢٣ : ٢٤٥ : ٢ : ١١ : ١٤ : ١٥ ،
٢٤٦ : ٤ : ٢٤٨ : ١٥ ، ٢٤٩ : ٧ :
١٦ : ٢٠ ، ٢٥٠ : ٥ : ١٠ : ١٥ ،
٢٥٢ : ٤ : ١١ ، ٢٥٣ : ٦ : ١٩ ،
٢٥٦ : ٣ : ١١ : ١٦ ، ٢٥٨ : ١ : ٦ :
الحسين بن علي بن الحسن ٣٨٦ : ١٧
الحسين بن فاطمة الحسين بن علي بن أبي طالب

خالد بن العمر السدوسي ١٧٢، ٢٢: ١٦٥ :

٢٠ : ١٨٩ ، ٣ : ١٧٨ ، ٤

خالد بن الهيثم ٩ : ٣٣٥

خالد بن الوليد ٢١ : ١١١

خالد بن يزيد بن معاوية ١٩: ٢٨٥، ١١: ٣٢٥

خالصة جارية أم جعفر ٢٠ : ١٦ : ٣٨٧

خشعم ٢٣ : ٢٩٩ ، ٥ : ١٦٧ ، ١٤ : ١٤٦

خديجة بنت خويلد ٣ : ٢٦٤

خراسان بن عالم بن سام ١١ : ٣

خرزاد بن هرمز ٩ : ١٢٦

الخرمية ٢١ : ٣٩١

خزّين ١١ : ٦٩

خزاعة ٢٠ : ١٧١ ، ٦ : ١٤٧ ، ١٧ : ٣٣

الخزرج بن يافث ١٣ : ٢

الخزرج ١٠ : ٢٦٧

خزيمة ١٠ : ٣٥٥

خزيمة بن خازم ٧: ٣٨٥ ، ٥ : ١٧٢

خسرو ١٥ : ٥٥

خليد بن كاس ١ : ١٥٤ ، ٢١ : ١٥٣

خثاني ابنة بهمن ١٧ : ١١ : ٥ : ٢٧ ،

١٩ : ١٠٣

خندف ٩ : ١٧٩

الخوارج ٦ : ٢٧٣ ، ١٥ : ٤ : ٢١٠

١٢ : ٢٧٧ ، ١ : ٢٧٦ ، ١٦ : ٢٧٥

خولان ١٢ : ١٦٣

(د)

دارا بن بهمن ٢١: ١٠٢، ١٩: ٢٨، ١٧: ٢٧

حنيفة (بنو) ٧ : ٣٠٨ ، ٨ : ١٧

الحوثة بن سهل ١٠ : ٣٧٤

حوشب ذو ظليم ٢٠ : ١٨٥ ، ١٥ : ١٧٢ ،

٢ : ١٨٦

حولى بن يزيد الأصبحى ١٧ : ٢٥٨

حيّان المطار ١٠ : ٣٣٢

حيالوس ٩ : ١٠٧

(خ)

خاتون امرأة خاقان ٨ : ٩٩ ، ١٤ : ٥٧ ،

١١ : ١٠٠

خارجة بن الصلت ١٦ : ١٢٨

خارجة بن قدامة ٢١ : ١٧١

خازم بن خزيمه ٥: ٣٩٦، ٤: ٣٨٤، ١٦: ٣٧٤

خاقان صاحب الترك ٥٦ : ١٧ : ١٩ : ٥٧ ،

٤ ، ٦٠ : ٧ : ١٢ ، ٦٨ : ٧ : ٩٤ ،

١٠ ، ٩٦ : ١٧ : ٩٧ ، ٢٠ : ٩٩ ، ٣ :

١٠٠ : ١٠ ، ١٣٩ : ١٦

خالد بن إبراهيم ٢ : ٣٦٤

خالد بن برمك ٥ : ٣٦٤

خالد بن جبلة الفسائي ١٤ : ١٠ : ٦٨ ،

١٤ : ٩١

خالد بن الحصين السكسكى ١٢ : ١٩٦

خالد بن زفر العبسى ٥ : ١٤٢

خالد بن سلمة الخزوى ١١ : ٣٧٥

خالد بن عبد الله القسرى أبو الهيثم ٢: ٢٨١ ،

٣٣٤ : ١٥ ، ٣٣٦ : ١٦ ، ٣٣٧ : ١٠ ،

٢٢ : ١٣ : ٣٤٥ ، ٦ : ٣٤٤ ، ١٩ : ٣٤٣

خالد بن عرفة ٦ : ١٢٢ ، ١٧ : ١٢١

ذو ظليم = حوشب	دارا بن دارا ٢٩: ٦ ، ٣١: ١٩ ، ٣٢: ٢
ذو القرنين = الإسكندر	٣٦: ١٠
ذو الكلاع ١٧٢: ١٤ ، ١٧٨: ١ ، ١٧٩:	داريوش ٢٩: ٦
١٠: ٧: ٤	دانيال ٢٣: ١٩ ، ٤٩: ٨
ذو المنار = أبرهة بن اللطاط	داود (النبي) ١٧: ١٤ ، ١٨: ٥ ، ٨:
ذو نواس = زرعة بن زيد بن كعب ٦١:	١٩: ٨ ، ٢٠: ٨
٧: ٦٢ ، ٦	داود بن علي بن عبدالله بن عباس ٣٥٨: ١٨
(ر)	دختنوس ابنة نرسی ٤٨: ١٨
راسب (بنو) ١٩٧: ٢	دقینوس ١٨: ٩
راشد مولى بجيلة ٢٩٨: ٦	دلم بن زياد المرادی ٢٩٧: ١٤
رافع بن خديج الأنصاري أبو عبدالله ١٩٦: ٤	دوس ذو ثعلبان ٦٢: ٤
رافع بن نصر بن سيار ٣٩١: ١٣	دينار ١٣٧: ٢
الراوندية ٣٨٤: ١: ٣	(ذ)
الرائش = اللطاط بن عمرو بن حمير بن سبأ	ذبيان ١٤٦: ١١
الرباب ابنة قطام ٢١٣: ١٨	ذهل ١٧٢: ١
رباب أم سكينه ٢٥٩: ٥	ذو الأذعار = الفند بن ذى جیشان
ربعي بن كاس ١٥٣: ٢٠	ذو الأكتاف = سابور ذو الأكتاف
الربعية = بنو ربعية	ذو ثعلبان = دوس
الربعيون = بنو ربعية	ذو الجناحين = عبد الله بن جعفر
الربيع بن خثيم ١٦٥: ٧	ذو جیشان بن إفريقيس ١٤: ١٧ ، ١٥: ١٦
الربيع بن زياد الحارثي ١٤٧: ٧	١٦: ٩ ، ١٧: ٢ ، ١٩: ١٤
ربيعه (بنو) ١٦: ١٥ ، ١٤٧: ٧ ، ١٧١:	ذو رعين ٤٦: ١٣
١٨ ، ١٧٨: ٢: ١٦ ، ٢٣٨: ١٥ ،	ذو شرح = الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو
٣٥٢: ٤ ، ٣١٣: ١٦ ، ٣٠٠: ١	ابن مالك
٢١ ، ٣٥٣: ٥ ، ٣٦٢: ٢ ، ٣٦٧: ٩	ذو الشناثر ٤٠: ١٠
ربيعه بن شرحبيل ١٩٦: ٦	

زهر بن نهشل ١٨٢ : ٢٣	ربيعة بن نصر اللخمي ، وهو ربيعة بن نصر
زراذشت ٢٥ : ٢	ابن الحارث بن عمر بن نلح ٢٥٤ : ٦١ ، ٤
زربي مولى بجيلة ٣٠١ : ٢٠	رجاء بن حيوة ٢٢٩ : ٢٠ ، ٣٣٠ : ١
زرعة بن شريك التميمي ٢٥٨ : ١٤	رستم الشديد ٤ : ١١ ، ٢٥ : ٥ : ١٢ ، ٤
الزرقاء ١٦ : ٤	٢٦ : ٦
زرمهر بن شوخر ٦٥ : ١٤ ، ٦٦ : ١١	رستم بن هرمز ١١٩ : ٦ ، ١٢٢ : ٢١
زفر بن الحارث السكلابي ١٧٢ : ١٤ ، ١٨٠ : ٦	الرشيد هرون ٣٩٠ : ٥ ، ٣٩١ : ٣ : ١٧
زنباع بن النعمان ٣٦٤ : ٢	٣ : ٣٩٢
الزنج بن حام ٢ : ١٥	رفاعة بن سوار ٢٩٩ : ٢٢
زهير بن جوية ١٢٨ : ٥	رفاعة بن شداد ١٧٢ : ١
زهير بن سليم الأزدي ١٢٣ : ٧ : ١٥	رفاعة بن طليق ١٧٥ : ٢٠
زهير بن القين ٢٤٦ : ١٤ ، ٢٤٨ : ١٥ ،	دمبوزان = بوذ
٢٥٢ : ٨ ، ٢٥٦ : ١٢	دوبيل ٢٦ : ٢١
زو ١٤ : ٣	دوح بن زنباع الجذامي ٢٦٤ : ١٨ ، ٢٨٦ : ٩
زياد بن أبيه وهو زياد بن عبيد ١١٨ :	دوشنك بنت دارا ٣٣ : ٣
٢٣ ، ٢٢٥ : ٧ ، ٣٧١ : ٧	الروم بن إليفر بن سام ٣ : ١٢
زياد بن صالح الحارثي ٣٥١ : ٩ ، ٣٦٧ : ٦	رويم الشيباني ١٧٢ : ١
زياد بن عبد الله ٣٧٥ : ٨	رياح بن الحق ١٥٠ : ١٥
زياد بن عبد الرحمن الضمري ٣٤٧ : ١٦	رياح بن مرة ١٥ : ١٥
زياد بن مرحب ١٥٦ : ١٤	الريان بن الوليد عزيز مصر ٤ : ٤
زياد بن النصر الحارثي ١٤٦ : ٩ ، ١٦٦ : ٤ ،	(ز)
١٦٧ : ٩	زاب بن بودكان بن منوشهر بن أيرج بن عمرو
زياد الأعجم الشاعر ٢٧٢ : ١٥	١٠ : ١٨ ، ١١ : ٩ ، ٨٨ : ٧
زياد بن عبيدوي عرف بزياد بن أبيه ٢١٩ : ٢ :	زبيدة ٣٩٦ : ١٧
٧ : ١٩ ، ٢٢٣ : ٦ : ١١ : ١٤ : ١٨ ،	الزبير بن الأرواح التميمي ٢٤٢ : ١٧
٢٢٤ : ١ ، ٢٨٣ : ٨	الزبير أبو عبد الله ١٤٧ : ١٧
زيد بن أرقم ٢٥٩ : ٢١	زحر بن قيس الجعفي ١٥٦ : ٩ ، ٢٦٠ : ١٣ ،
زيد بن الحارث ١٧٢ : ٢٤	٢٩٢ : ١١

- زيد بن عبد الله النخعي ١٠ : ١٢٢
 زيد بن عدي بن حاتم ١ : ٢٠٥
 زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ١٠ : ٣٤٤
 زيد بن وهب ١٠ : ١٨٢
 زيد مولى عمر بن سعد ٩ : ٢٥٦
 زينب أخت الحسين ١٥ : ٢٢٨
 (س)
 السائب بن الأقرع ٩ : ١٣٥ ، ١ : ١٣٣
 السائب بن مالك الأشعري ٨ : ٣٠٧
 سابور بن أبركان ١٧ : ٨٦ ، ٢٢ : ٩٣ ، ١٥ : ١٠٥ ، ٢١ : ١٠٣
 سابور بن أردشير ٩ : ٤٤ ، ١٣ : ٤٣
 سابور ٢ : ٤٩ ، ١٧ : ٦ : ٤٦ ، ٢٠ : ٤٨
 سابور بن خربنداد ١٨ : ١٠٢
 سابور بن سابور ٢١ : ٥٠
 سابور ذوالأكتاف بن هرمزدان ١٧ : ٤٧ ، ٩ : ٨٨ ، ٣ : ٤٩
 سابور الرازي ٢ : ٦٥
 سارة امرأة إبراهيم ٨ : ٨
 ساسان بن بهمن ٩ : ٢٧
 ساسان الراعي ١٤ : ٢٧
 ساسان الكردي ١٥ : ٢٧
 الساسانية ١٠٢ : ١
 سالم بن عبد الله ٧ : ٣٢٦
 سام بن نوح ١ : ١٤ ، ٢ : ٣ ، ٦ : ٣٤
 سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ٩ : ١٤ ، ٤ : ١٠
 سبيع بن يزيد الحضرمي ١٠ : ١٩٦
 سراج بن مالك الخثعمي ١ : ٢٢١
 سراقه البارقي ٢ : ٣٠٢
 سعد (بنو) ١٢ : ١٤٤
 سعد بن أبي وقاص ١١ : ١١٩ ، ١٣ : ١٢٨ ، ١ : ١٤١ ، ٢٢ : ١٤٢ ، ٩ : ١٩٨
 سعد بن قيس الهمداني ١٧٢ : ٥ ، ١٢ : ١٧٥
 سعد بن مالك ١٠ : ٣١٦
 سعد بن مسعود بن عمرو الثقفي = سميد
 ابن مسعود
 سعيد بن جبير أبو عبد الله ٢ : ٣٢٩
 سعيد بن عبد الله الثقفي ٢١ : ٢٢٩ ، ١ : ٢٣٠
 سعيد بن عبد الله الخثعمي ١٩ : ٢٢٩
 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ٥ : ٣١٠
 سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص
 ابن أمية ٣٣٢ : ٥ ، ٢ : ٣٣٣
 سعيد بن غيلان ٥ : ٣٤٧
 سعيد بن قيس الهمداني ٩ : ١٤٦ ، ٩ : ١٥٠
 ١٨ ، ١٩٦ : ١ ، ٤ : ٢٠٢ ، ٣ : ٢١٣
 سعيد بن مسعود الثقفي ١٤٦ : ١١ ، ١٥٣ : ٢٠ ، ٢ : ٢٠٥ ، ٨ : ٢
 السفاح بن عمرو ١٦ : ٥٣
 السفاح بن كردوس ١ : ٢٩٧
 السفاح = أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي
 سفيان بن الأبرد ٦ : ٢٨٠
 سفيان بن ثور النكري ١٧ : ١٨٩
 سفيان بن عمرو ١٥ : ١٥٩ ، ١٦ : ١٦٧ ، ١٤ : ١٧٢ ، ٣ : ١٦٨

- سفيان بن ليلى ٢٢٠ : ٢٢
سلام حاجب أبي جعفر ٢٧٤ : ١
سلامان ٣١٥ : ٣
سلم بن أحوز المازني ٣٥٣ : ١
سلم بن عمرو ٩ : ٩
سلمان الفارسي ١٢٦ : ١٤
سلمان بن ربيعة الباهلي ٢١٩ : ٢٠
سلمان مولى الحسين ٢٣١ : ١٨
سلمة بن رجاء ١٣٠ : ١٥
سليط بن عبد الله بن عباس ٣٨١ : ٢٢
سليط بن قيس الأنصاري ١١٣ : ٦ : ١٧
سليك بن عبد الله الطائي ١٢٦ : ١٤
سليم بن منصور ١٨٥ : ٣
سليمان بن داود ١٦ : ٦ : ١٢ ، ٢ : ١٩ ، ١٠ : ٢٠ ، ٨ : ١٤ ، ٢١ : ١١ ، ٢٣ : ٧ ، ٤١ : ٣
سليمان بن صرد ١٧١ : ١٧ ، ١٨٦ : ١
١٩٧ : ٨ ، ٢٢٩ : ٢١
سليمان بن عبد الملك بن مروان ٢٨١ : ١
٣٢٥ : ١ ، ٣٢٩ : ٨ : ١١
سليمان بن كثير ٣٣٥ : ٩ : ١٨ ، ٣٣٧ : ١٦ ، ٣٤٢ : ١٩
سليمان بن يسار ٣٢٦ : ٧
سمالك بن عبيد العيسى ١٣٧ : ٣
سمرة بن جندب الفراري ٢٢٥ : ١١ ، ٣٠٩ : ١٩
السميدع بن عمرو بن منظور بن العتمر ..
٩ : ٥
سمية أم زياد بن أبيه ٢١٩ : ٣ : ١٦
- سنان بن أوس النخعي ٢٥٨ : ١٦
سنجبو خاقان ملك الترك ٦٨ : ٣
السند بن حام ٢ : ١٥
سنطرق ملك البحرين ٤٣ : ١٦
سهرك مرزبان فارس ١٣٣ : ١٧
سهل بن حنيف ١٤١ : ٦ ، ١٨٢ : ٤ ، ١٩٦ : ٢
سهل بن سعد الساعدي أبو العباس ٣٢٨ : ١٣
سهل بن سباط ٤٠٥ : ٣
سهل بن العنقة ٤٠ : ٦
سهم (بنو) ٣١٥ : ١
سويد بن أبي كاهل ٣٠٨ : ٩
سويد بن الحارث المزني ٣٧٤ : ١١
سويد بن عبد الرحمن النخعي ٢٥٤ : ٢٢
سويد بن عمرو الأسدي ٥٣ : ٧
سويد بن قطبة العجلي ١١١ : ١٥ ، ١١٦ : ١٧ : ١٣
سويد بن مقرن ١٣٦ : ١٨
سياوش بن كيه كاوس ١٣ : ٨ ، ١٤ : ٢ ، ٧٩ : ٢١
سيف بن ذي يزن ٦٣ : ١٠ ، ٦٤ : ٤
سينة ١٣١ : ٤
- (ش)
شالح ٢ : ٥
شاهين ١٠٨ : ٥
شيث بن ربيعي ١٧٢ : ٥ ، ٢١٠ : ٢ ، ٢٢٩ : ٤
٢٢٩ : ٣ ، ٢٥٤ : ١٤ ، ٢٥٦ : ٨ ، ٣٠١ : ٤

- شبر بن ذى الجوشن ٤: ٢٣٩، ١٤: ٢٥٤،
 ٢١: ٢٥٥، ١٧: ٢٥٦، ١٣: ٢٦٠، ١٥: ٣٠٠
 ٩: ٣٠٠، ٢: ٣٠٢، ١٥: ٣٠٥
 شمر بن الريان المجلى ١٧٨ : ١٠
 شهر يار بن هرمزد ٣: ٩٠، ١١: ١٠٦، ١١: ١١١
 شوخر ٦٠: ٣، ١٥: ٦٤، ٢١: ٦٥، ٥: ٤
 شيبان (بنو) ١٣١ : ٨
 شيث ١ : ٦، ١٥ : ٥
 شيرزاد بن البهوذان ١٠١ : ١١
 شيرزاد بن شيروية ١١١ : ٢
 شيروية بن كسرى ١٠٧ : ٧
 شير بن ١٠٩ : ٣
 (ص)
 صالح (الرسول) ٧ : ١٧
 صالح بن شقيق ١٩٧ : ١
 صالح صاحب المصلى ٣٩٤ : ٢٠
 الصباح بن جلهمة الحميري ١٩٦ : ١٥
 صجار بن إرم ٣ : ٤
 صمصمة بن صوحان ١٦٨ : ١٠ : ٢٠
 صفية أم الزبير ٣١٢ : ١١
 صفية امرأة عبدالله بن خلف الخزاعي ١٥١ : ١٥
 صهبان بن ذى خرب ٥٢ : ٦، ٥٣ : ١٨
 صول ٣٢٧ : ٦
 (ض)
 ضبة (بنو) ١٤٩ : ١٠
 الضحاك بن علوان بن عمليق بن عاد وهو
 البيوراسف ٣ : ١٧، ٤ : ٨، ٥ : ١٦
 الضحاك بن قيس الفهري ١٥٤ : ١٢، ١٧١ :
 شبت بن روح ٣٨١ : ١
 شبل بن يزيد الأصبحي ٢٥٨ : ١٨
 شداد بن عمليق بن عاد بن إرم ٥ : ٧، ٦ : ٢
 شداد الهلالي ١٧٢ : ٨
 شديد بن عمليق بن عاد بن إرم ٣ : ١٦، ٤ : ٧
 شرحبيل بن ذى الكلاع ٢٩٥ : ١٥
 شرحبيل بن السمط الكندي ١٢١ : ١٨،
 ١٢٢ : ١، ١٥٩ : ١١، ١٦٠ : ٥،
 ١٧٠ : ٢٠، ١٧١ : ٢
 شرحبيل بن عمرو الكندي ٥٢ : ١٥
 شرحبيل بن عمرو بن معاوية = شمر بن
 ذى الجوشن ٢٥٦ : ٧
 شروين الدستبای ٦٩ : ١٠
 شروين بن كاجار ٨٦ : ١٨
 شريح بن أبي أوفى العبسى ٢٠٢ : ١٧، ٢٠٣ :
 ١٤ : ١٩، ٢٠٤ : ٦، ٢١٠ : ٤ : ٢٠
 شريح بن هانيء الحارثى ١٦٦ : ٤، ١٦٧ :
 ١٠، ١٩٧ : ١٤، ٢٠١ : ١٦، ٢٠٢ : ٣،
 ٢٢٤ : ٢
 شريح الجذامى ١٨٩ : ٩
 شريح القاضي ٢٣٨ : ٧
 شريك بن الأعور البصرى ٢٣٢ : ٩، ٢٣٣ :
 ١٦، ٢٣٤ : ١ : ٣، ٢٣٥ : ٤
 الشمي ٢٨٨ : ١٩، ٢٨٩ : ٤ : ٢٠، ٢٩٠ : ١٢
 شبيب النبي ٩ : ١٩، ١٢ : ٥، ١٧ : ١٨
 شق الكاهن بن صعب ٣٤٤ : ٤
 شمر بن إفريقيس بن أبرهة بن الرائش أبو كرب
 ٢٤ : ١، ٢٦ : ٩، ٤٦ : ٣

عامر (بنو) ٢٢:٢١١	١٤ ، ٢:١٧٣ ، ٨:١٨٠ ، ٢١:٢٢٥
عامر بن إسماعيل ١: ٣٦٧	١٧: ٢٢٦
عامر بن الجضري ٩: ٢٨٣	الضيزن الغساني ١٦:٤٨ ، ٢:٤٩ ، ١٩:٥٤
عامر بن صعصعة (بنو) ١٩:٣٠١ ، ١٣:٥٢	(ط)
عامر بن ضبارة ١٤: ٣٦٤	طارق بن قدامة القسري ١٠:٣٧٤ ، ١١:٣٧٢
عامر بن لؤي (بنو) ٢:٢١٦	طالوت ١٧: ١٩ ، ٨: ١٨
عامر الشعبي = الشعبي ٦: ٣: ٣١٧	طاهر بن الحسين ٢١: ٣٩٤ ، ١٥: ٣٩٧
عباد بن يزيد ١٩: ١٧٢	١٢: ٤٠٠ ، ١٣: ٣٩٩ ، ٢٤: ١: ٣٩٨
العباس ١٥: ١٦٩	طريف بن حابس ١٦: ١٧٢
العباس بنو ١٧: ٣٣٥ ، ١٢: ٣٣٣	طسم (بن إرم) ١٥: ١٤ ، ٤: ٣ ، ١٠: ١٥
العباس بن جمدة بن هيرة ١٧: ٢٣٨	الطفيل أبو صرمة ٦: ١٧٢
العباس بن علي ١٨: ٣٨٦ ، ١٠: ٢٥٧	الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ١: ١٩٦
العباس بن علي بن أبي طالب ١٥: ٢٢٨ ، ٢١: ٢٥٥	طلحة ١٤٨: ٧
العباس بن المأمون ١٢: ٤٠١	طلحة بن رزيق ١٠: ٣٣٥
العباس بن موسى ٢٠: ٣٩٤	طلحة بن عبيد الله ١٢: ١٣٤
العباسي = الفضل بن الربيع	طلحة بن خويلد الأسدي ١٢٨: ١٤ ، ١١٩: ١٤
عبد الأشل (الأشهل) ١١: ٢٦٧	١٤: ١٣٥ ، ٦
عبد الأعلى بن عبد الله العامري ١١: ٢٧٥	طوس بن عمرو ٩: ٩
عبد الجبار بن نهيك ٥: ٣٦٤	طي (بنو) ١٠: ١٤٦
عبد ربّه ٨: ٢: ٢٧٨ ، ١٣: ٢٧٧	(ع)
عبد الرحمن بن أبي الخزاعي ١٦: ٢٩٨	عائشة أم المؤمنين ١٤١: ١١ ، ١٤٦: ١
٧: ٢٩٩ ، ٢١	٢: ١٥١
عبد الرحمن الأنباوي ٧: ٣٩٩ ، ١٥: ٣٩٨	عابر بن شالح ١٢: ٥
عبد الرحمن بن أبي بكر ٧: ٢٢٦	عاد بن إرم ١: ١٨ ، ٢: ٦ ، ٤: ٣
عبد الرحمن بن الأشعث = عبيد الرحمن	عاصم بن قحطان ١١: ٧
ابن محمد بن الأشعث	عاصي بن قحطان ١٢: ٧
	عالم بن سام ١٣: ٣

عبد الرحمن بن ثويب السكبي ١ : ٣٤٦
 عبد الرحمن بن جابر الراسبي ٦ : ١٤٧
 عبد الرحمن بن جميل الجمحي ٨ : ١١٢
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ١ : ١٤٧
 عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ١٥ : ١٥٤ ، ١٥ : ١٧٢ ، ١٢ : ١٧٧ ، ١٨ : ١٨٥ ، ١٠ : ١٩٦
 عبد الرحمن بن ذي الكلاع ١٦ : ١٩٦
 عبد الرحمن بن الزبير الأسدي ١ : ٢٤٢
 عبد الرحمن بن سبرة ١٢ : ٢٧٥
 عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ٨ : ٢٩٢
 عبد الرحمن بن عبد يغوث ٤ : ١٩٨
 عبد الرحمن بن عبيد الأرحبي ١٧ : ٢٢٩
 عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ٢٢ : ١٤٦
 عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ٣ : ٢٥٧
 عبد الرحمن بن كرز الكندي ١٥ : ٢٣٨
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ١٠ : ٢٤٠ ، ١٠ : ٣١٦ ، ١٨ : ٣١٨ ، ٨ : ١١ : ٣٢٠ ، ١٦ : ٩
 عبد الرحمن بن ملجم المرادي ٩ : ٢١٣
 ١٤ : ١٨ ، ١ : ٢١٤ ، ١٣ : ١٢
 عبد الرحمن بن نعيم ٢ : ٣٣٦
 عبد الرحمن القيني ١٦ : ١٧٢
 عبد شمس = سبأ بن يشجب ١٤ : ٩
 عبد شمس (بنو) ٦ : ٢١٨
 عبد العزى بن عمر العنزي ١٦ : ١٦ ، ١٧ : ١٦
 عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ٦ : ٣٥٠ ، ١٣ : ٣٥٠

عبد القيس (بنو) ١١ : ١١٥
 عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي ٣٣٩ :
 ١٨ ، ١ : ٣٤٠
 عبد الله بن إياض ١٢ : ٢٦٩
 عبد الله بن أبي أوفى ٢٠٦ : ٥ ، ٣٢٨ : ١٧
 عبد الله بن أبي سرح ١٣٩ : ٨ ، ١٦٨ : ١٨
 عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ١٥٠ :
 ١٩ ، ١٧١ : ١٤ ، ١٧٢ : ٣ ، ١٧٥ : ٢٢
 عبد الله بن بشر ١٠ ، ٣٧٤
 عبد الله بن التامر ٢٠ : ٦١
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين
 ١٨٤ : ١٠ ، ١٩٥ : ٢٤ ، ٢١٥ : ٢
 عبد الله بن جون السكسكي ١٧٢ : ٢٠
 عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث
 ابن عبد المطلب بن هاشم ١٨ : ٢٨٣
 عبد الله بن الحارث أخو الأشر ٩ : ٢٩٢
 عبد الله بن حرام بن خويلد ٢١ : ١٤٦
 عبد الله بن حنظلة الراهب ١٣ : ٥ : ٢٦٥
 عبد الله بن خازم السلمي ١٤٠ : ١٠ ، ٣٠٧ : ١٥
 عبد الله بن خالد بن أسيد ٢٢٥ : ١٠ : ١٦
 عبد الله بن خباب بن الارت ١٩٦ : ٢ ، ٢٠٧ : ١
 عبد الله بن خطل ١٠ : ٢١٧
 عبد الله بن خلف الخزاعي ١٤٧ : ٦ ، ١٥١ : ١٣
 عبد الله بن الرشيد (المأمون) ٣٨٧ : ٩ ، ٣٨٩ :
 ٧ ، ٤٠٢ : ١٦

عبد الرحمن بن ثويب السكبي ١ : ٣٤٦
 عبد الرحمن بن جابر الراسبي ٦ : ١٤٧
 عبد الرحمن بن جميل الجمحي ٨ : ١١٢
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ١ : ١٤٧
 عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ١٥ : ١٥٤ ، ١٥ : ١٧٢ ، ١٢ : ١٧٧ ، ١٨ : ١٨٥ ، ١٠ : ١٩٦
 عبد الرحمن بن ذي الكلاع ١٦ : ١٩٦
 عبد الرحمن بن الزبير الأسدي ١ : ٢٤٢
 عبد الرحمن بن سبرة ١٢ : ٢٧٥
 عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ٨ : ٢٩٢
 عبد الرحمن بن عبد يغوث ٤ : ١٩٨
 عبد الرحمن بن عبيد الأرحبي ١٧ : ٢٢٩
 عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ٢٢ : ١٤٦
 عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ٣ : ٢٥٧
 عبد الرحمن بن كرز الكندي ١٥ : ٢٣٨
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ١٠ : ٢٤٠ ، ١٠ : ٣١٦ ، ١٨ : ٣١٨ ، ٨ : ١١ : ٣٢٠ ، ١٦ : ٩
 عبد الرحمن بن ملجم المرادي ٩ : ٢١٣
 ١٤ : ١٨ ، ١ : ٢١٤ ، ١٣ : ١٢
 عبد الرحمن بن نعيم ٢ : ٣٣٦
 عبد الرحمن القيني ١٦ : ١٧٢
 عبد شمس = سبأ بن يشجب ١٤ : ٩
 عبد شمس (بنو) ٦ : ٢١٨
 عبد العزى بن عمر العنزي ١٦ : ١٦ ، ١٧ : ١٦
 عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ٦ : ٣٥٠ ، ١٣ : ٣٥٠

عبد الله بن مالك الخزاعي ٣٩٢ : ١	٣١٠ : ١٥ ، ٣١١ : ٢٠ ، ٣١٣ : ٢٠ ،
عبد الله بن مالك الصيدأوى ٢١٣ : ١٠ : ١٦ ،	٣١٥ : ١٩ : ٢٣ ، ٣١٦ : ١٣ ، ٣١٩ :
٢٣ : ٢١٥	١٦ ، ٣٢٤ : ٣ : ٢٠
عبد الله بن محمد بن عليّ أبو العباس =	عبد الملك بن المهلب ٢٨٠ : ٤
أبو العباس عبد الله ...	عبد مناف (بنو) ١٨٧ : ٦ : ١٤
عبد الله بن مساور ٢٩٧ : ٢	عبد مناف بن قصي ٥٥ : ٧
عبد الله بن مسمود ١٢٩ : ٨ ، ١٣٠ : ٩	عبس (بنو) ١٠ : ٤٠ ، ١٤٢ : ١ ، ١٤٦ : ١١ ،
عبد الله بن مسلم بن عقيل ٢٥٧ : ١ ، ٢٩٧ : ٢	عبيد (أبو زياد)
عبد الله بن مطيع المدوى ٢٢٨ : ١٨ ،	عبيد بن الأبرص ٥٣ : ٧
٢٤٦ : ٤ : ٩ ، ٢٦٥ : ٤ ، ٢٨٧ : ١٦ ،	عبيد بن حريث ٢٤٠ : ١٧
٢٩٠ : ١٥ ، ٢٩١ : ٦ : ١٨ : ٢١ ،	عبيد بن يربوع ١٧ : ٨
٢٩٢ : ١	عبيد الله بن الحر الجمفي ٢٥٠ : ١٧ : ٢٢ ،
عبد الله بن المهلب ٢٨٠ : ٤	٢٥١ : ٤ : ٢٦٢ ، ١ : ٢٩٧ ، ٤ : ١٠ ،
عبد الله بن النعمان الطائي ٣٦٤ : ٦	٢٩٨ : ١٢
عبد الله بن هاشم بن عتبة ١٨٤ : ٢	عبيد الله بن زياد ٢٢٥ : ١٢ : ١٥ ، ٢٢٧ :
عبد الله بن هام ٢٩١ : ١٣	٦ ، ٢٣١ : ١٣ : ١٦ : ٢٤ ، ٢٣٢ : ١٤ ،
عبد الله بن الوداك السلمي التيمي ٢٢١ : ١ ،	٢٣٣ : ٤ ، ٢٣٤ : ٢ : ١٩ : ٢١ ،
٢٢٩ : ١٣	٢٣٥ : ١٠ : ١٢ : ٢٣٧ ، ١٩ : ٢٣٨ ،
عبد الله بن وهب الراسبي ٢٠٢ : ٨ : ١٧ ،	٢٣٩ : ١ : ٢٤١ ، ١ : ٢٤٢ ، ١٠ :
٣٠٣ : ١٣ ، ٢٠٤ : ٦ ، ٢٠٥ : ٤ ،	٢٥١ : ١٦ : ٢٥٣ ، ٩ : ٢٥٩ ،
٢١٠ : ٦	٢٦٠ : ٤ : ١٢ ، ٢٦٩ : ١٤ ، ٢٧٠ : ٤ ،
عبد الله بن يزيد بن معاوية ٣٢٥ : ١١ ،	٢٨١ : ٥ : ١١ ، ٢٨٢ : ١ : ٧ ، ٢٧٣ :
عبد الله أخو بابك ٤٠٤ : ١٨	١٣ : ٢١ ، ٢٨٤ : ١٩ ، ٢٨٥ : ١٢ ،
عبد الله الحبر = عبد الله بن عمر بن الخطاب	٢٩٣ : ٤ ، ٢٩٥ : ١٩ ، ٢٣٨ : ١ : ٤ ،
عبد الملك بن مروان ٢٢ : ١١ ، ٢٦٦ : ١٦ ،	٢٣٩ : ١٨ : ٢٢ ، ٢٤٠ : ٧ : ١٤ ،
٢٧٩ : ١٥ ، ٢٨٦ : ٣ : ١٧ ، ٢٩٢ : ٧ ،	٢٤١ : ١٧ ، ٢٤٣ : ٣ ، ٢٤٦ : ٢ ،
٢٩٣ : ١ ، ٣٠٥ : ٢٠ ، ٣٠٩ : ٦ ،	٢٥٣ : ١٣ ، ٢٥٤ : ٥ : ١٧ : ٢٢

- عبد الله بن سبيع الهمداني ١٣ : ٢٢٩
عبد الله بن عتبة ٦ : ٣٢٦
عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٦١ : ٢٠ ،
١٦٩ : ١٤ : ١٧ ، ١١ : ١٧٢ ، ٢٠ : ١٧٤ ،
١٢ : ٤ : ١٧٨ ، ١٣ : ١٧٧
عبد الله بن عمرو الساعدي ٦ : ٢٩٦
عبد الله بن ماحوز ١٣ : ٢٦٩
عبد الله بن موهب ٢ : ٢٧٨
عبد الله بن ممر التيمي ١٣ : ٣١٠
عبيدة السلماني ٣ : ١٦٥
عبيدة بن عمرو ١٦ : ٢٢٠
عتبة بن أبي سفيان ١٥٧ : ١٢ ، ١٥٨ :
٢٠ ، ١٧٣ : ١٣ ، ١٩٦ : ١٤
عتبة بن غزوان المازني ١١٦ : ١٥ ، ١١٧ :
١ : ١١
عثمان بن أبي العاص ١٣٣ : ١١ ، ١٣٩ :
١٥ : ١١
عثمان بن حنيف ٣ : ١٤١
عثمان بن زياد ٥ : ٢٣١
عثمان بن عفان ١١٢ : ١٥ ، ١٣٤ :
١٢ : ١٥٦ ، ١٣ : ١٤٠ ، ٣ : ١٣٩ ، ١٤
عثمان بن علي بن أبي طالب ٢٥٧ : ١٠ : ١٧
عثمان بن ممر القرشي ٢٧٠ : ١٦ : ١٧
عثمان بن نهيك ٢٣ : ٣٨٠
عدي بن زيد الحنظلي ٨ : ٥٣
عدي (بنو)
عدي بن حاتم الطائي ١١٤ : ٨ : ٢١ ،
١٤٦ : ١٠ ، ١٤٩ : ١٢ ، ١٥٠ : ١٣ ،
١٧٢ : ٢ ، ١٧٧ : ١٩ ، ١٨٦ : ٣ ، ٢٠٥ : ١ : ٦
- عدي بن الحارث ١٥٣ : ١٨
عدي بن ربيعة بن نصر ٥٤ : ١٧
عدي بن زيد بن عدي ٣١٠ : ٦
عدي بن عبد الله بن جعفر الطيار ٢٥٧ : ٢
عروة بن أدية ١٩٧ : ٤
عروة بن الزبير ٣١٥ : ١٨ ، ٣١٦ : ١ ، ٣٢٦ : ٥
عروة بن زيد الخيل الطائي ١١٣ : ١٩ ، ١١٤ : ١ ،
١١٥ : ٨
عروة بن قيس البجلي ١٣٠ : ٦ ، ٢٢٩ :
٢٢ ، ٢٥٦ : ٨
عروة بن المغيرة ٣١١ : ١٢ : ١٦
عروة بن مهمل ١٣٨ : ١٥
عروة بن الورد ١٢٥ : ٥
عروة مولى إبراهيم بن محمد الإمام ٣٤٣ : ٢
عريضة ٣٠٦ : ٦
عزوان ٣٥٠ : ٩
عصمة بن عبد الله الأزدي ٣٥٣ : ٨
عطية بن الأسود ٢٦٩ : ١٢
غفيرة بنت غفار ١٥ : ٥
عقبة بن عامر البدر ١٤٣ : ١٥
عقبة بن عامر الجهني ١٩٦ : ٤
عقيل (بنو) ٢٤٧ : ١٥
عقيل بن معقل الليثي ٣٥٥ : ١٦ ، ٣٥٦ : ٤
عك (بنو) ١٧٩ : ٥
عكاشة بن محصن ١١٩ : ١٨
عكرمة (بنو) ٢٤٨ : ٧
علبة بن حجيّة ١٩٦ : ٧
علقمة بن حكيم ١٩٦ : ١٧

علي الأصغر = علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	عائمة بن يزيد الحضرمي ١٩٦ : ١٢
علي الأكبر = علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	علقة بن يزيد الكلبي ١٩٦ : ١١
عمار بن الأحوص الكلبي ١٩٦ : ١٥	علي بن أبي طالب أبو الحسن ١٣٤ : ٢٠ ،
عمار بن ياسر ١٢٩ : ٨ ، ١٣٠ : ٤ : ١٣٢ :	١٤٠ : ١٤ : ١٨ : ١٤١ : ١٣ : ١٤٦ ،
١٨ : ١٣٩ : ٤ : ١٤٤ : ١٨ : ١٤٥ ،	١٩٧ : ٨ : ١٧ : ١٤٩ : ١ : ١٩ : ٥ ،
٧ : ١٤٧ : ١١ : ١٤٩ : ٣ : ١٦٥ ،	١٥١ : ١١ : ١٣ : ١٦ : ١٨ : ١٥٦ : ٨ ،
١٩ : ١٧١ : ١٤ : ١٧٤ : ١٣ : ١٧٨ : ٥ :	١٦١ : ١٥ : ١٦٣ : ٩ : ١٦٤ : ٥ ،
عمارة بن حسان ١٤١ : ٤	١٦٨ : ٧ : ١٠ : ١٦٩ : ١٥ : ١٩ ،
عمارة بن عقبة بن أبي مبيط ٢٣١ : ٩ : ٢٩١ : ٢٢ :	١٧٤ : ١٥ : ١٧٩ : ١٥ : ١٩ : ١٨١ ،
الماليق ٧ : ١٠ : ٩ : ١ :	١٤ : ١٨٤ : ٧ : ٢٠ : ١٨٦ : ٨ ،
عمر بن إبراهيم من ولد أبرهة بن الصباح	١٨٧ : ٩ : ١٨ : ١٨٨ : ٥ : ١٣ : ١٩٠ ،
٣٥٣ : ١٦	١٩١ : ١٥ : ١٩٢ : ١ : ١١ : ١٦ : ٢٢ ،
عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جراحة	١٩٤ : ١٢ : ١٩٧ : ١٣ : ٢٠٦ : ٤ ،
عمر بن الحسين [بن علي بن أبي طالب]	٢٠٨ : ٩ : ٢٠٩ : ٦ : ١١ : ٢١٠ : ١ ،
٢٥٩ : ٢ : ٢٦١ : ١١ :	٢١١ : ١ : ١٤ : ١٨ : ٢١٣ : ١٢ ،
عمر بن الخطاب ١١٣ : ٢ : ١١٤ : ١ : ١١٦ :	٢١٤ : ١١ : ٢٤ : ٢١٦ : ٧ : ٢١٩ : ٦ ،
١٤ : ١٢٣ : ٢١ : ١٣٩ : ٢ : ١٥٢ :	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو
١٥ : ٢١٩ : ٥ :	علي الأكبر ٢٥٦ : ٢١
عمر بن سعد بن أبي وقاص ٢٤١ : ٥ : ١٥ ،	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأصغر
٢٤٧ : ١٨ : ٢٥٣ : ٩ : ١٢ : ١٧ ،	٢٥٩ : ١ : ٢٦٠ : ١٢ : ٢٦٦ : ١٧ ،
٢٥٤ : ١٠ : ٢٥٥ : ٤ : ١٧ : ٢٢ ،	علي بن حمزة الكسائي ٣٨٧ : ١٤
٢٥٦ : ٦ : ٢٥٩ : ٩ : ١١ : ١٧ ،	علي بن سليمان الأزدي ٣٦٩ : ١
٢٩٨ : ١٥ : ٣٠٠ : ٩ : ٣٠١ : ٤ : ٧ :	علي بن عبد الله بن عباس ٢٦٧ : ١
عمر بن عبد العزيز بن مروان ٣٢٦ : ٤ ،	علي بن عيسى بن ماهان ٣٩٠ : ٥ : ٣٩١ :
٣٣١ : ٢	١٤ : ١٧ : ٣٩٦ : ٧ : ٣٩٧ : ٢ ،
عمر بن العلاء ٣٨٦ : ٦	٣٩٨ : ٤
عمر بن علي بن أبي طالب ٣٠٦ : ١٨ : ٣٠٧ : ١ :	علي بن الكرماني ٣٦٣ : ٧
عمرة بنت النعمان بن بشير ٣٠٩ : ٢٠ :	علي بن محمد بن بشير الهمداني ٢٢٠ : ٢٢

١٨٠ : ٨ ، ١٨١ : ٢١ ، ١٨٤ : ٩ ،

١٨٦ : ٢٢ ، ١٨٨ : ١٩ ، ١٩١ : ٢٢ ،

١٩٢ : ٤ ، ١٩٤ : ٩ ، ١٩٧ : ١٥ ،

١٩٨ : ٢١ : ١٨ ، ١٩٩ : ٢ : ٨ ،

٢٠٠ : ١ : ١٢ ، ٢٠١ : ١ : ٨ ،

٢١٣ : ١٣ ، ٢١٦ : ١ ، ٢٢٢ : ١٠ : ١٤

عمرو بن عامر البجلي ٨ : ٣٥١

عمرو بن عبيد ١٨ : ٦ : ٣٨٤

عمرو بن عثمان بن عفان ١١ : ٢٦٦ ، ٢٠ : ١٩٩ ،

عمرو بن عدى ٢٢ : ١٠٩ ، ٤ : ٥٥ ، ١٧ : ٥٤

عمرو بن كلثوم ١٩ : ٥٣

عمرو بن مالك بن نجبة بن نوفل بن وهب

ابن عبد مناف بن زهرة ١٤ : ١٢٧

عمرو بن مالك النبهاني ٧ : ٢٠٥

عمرو بن مرحوم العبدى ٢٢ : ١٦٥

عمرو بن معدى كرب ٦ : ١٢٨ ، ١ : ١١٢ ،

١٣ : ١٣٥

عمرو بن نابل اللخمي ١٩ : ٥٢

عمرو بن نهشل التميمي ٢ : ٢٥٧

عمرو بن يثربى ١٣ : ١٤٩ ، ٥ : ١٤٧ ،

عمرو الجعفي ٧ : ٢٩٧

عمرو القنا ٦ : ٤٧٦

عمرو كاتب ابن هيرة ٢٣ : ٣٧٤

عمليق ١١ : ٤١ ، ١١ : ٢ : ١٥

عمير بن بطين المجلي ١ : ٣٣٨

عمير بن الحباب السلمي أبو المغلس ١٥ : ٢٩٣ ،

٢٩٤ : ١٠ : ٣ ، ٢٩٥ : ٩ ، ٢٩٧ : ١

عمرو ٦ : ١٢٥

عمرو أبو ثور ٤ : ١٢٥

عمرو بن الأشرف ٢٠ : ١٤٩

عمرو بن بقليلة ٥ : ١٢٢

عمرو بن بئع ٧ : ٥ : ٥٢ ، ١٢ : ٤٦

عمرو بن جرموز ١٣ : ١٤٨

عمرو بن الحارث ٩ : ١٣٨

عمرو بن الحجاج ٩ : ٢٣٨ ، ٢٢ : ٢٢٩

٢٥٥ : ٦ ، ٢٥٦ : ٦ ، ٣٠١ : ٤ ،

١٧ : ٣٠٣

عمرو بن حريث العدوي ٤ : ٢٢٤ ، ٨ : ٢٢٣

عمرو بن حزم الأنصاري ١٣ : ٢٦٥ ، ٩ : ١١٢

عمرو بن الحلق الخزاعي ١٥٠ : ١٣ : ١٤٩ ،

١٣ : ١٦٥ ، ٩ : ١٧١ ، ٢٠ : ١٩٦ ، ٥

عمرو بن حنظلة ٧ : ١٧٢

عمرو بن حنيف ٩ : ١٢٩

عمرو (بن ربيعة بن نصر) ١٢ : ٥٤

عمرو بن زياد بن حذيفة بن هشام بن المغيرة

١١ : ١١٢

عمرو بن سعد بن مقبل الأسدي ٦ : ٢٥٧

عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ٢٠ : ٢٤٤ ،

٢٨٦ : ٢ : ٤ : ١٣

عمرو بن سعيد بن قيس الهمداني ٩ : ٢٩٧

عمرو بن صبح الصيداي ١ : ٢٥٧

عمرو بن العاص أبو عبد الله ٧ : ١٣٩ ،

١٥٨ : ١ : ٧ : ١٠ : ١٦ ، ١٥٩ : ٨ ،

١٦٣ : ٢٠ ، ١٦٤ : ١ ، ١٦٩ : ٦ ،

١٧٣ : ١ ، ١٧٤ : ١٣ ، ١٧٧ : ٤ : ٤

(ف)

فؤور - ملك الهند ٤: ١٠، ٦: ٣٣، ١٢: ٣٦
 فارس بن الأسور بن سام ٣: ١١
 فاطمة بنت أبي مسلم ٤٠٢: ١٠
 فاطمة بنت رسول الله ٤٠٢: ١١
 الفاطمية من الحرّمية ٤٠٢: ١١
 فالج (بنو) ١٨٤: ٢١
 فالج بن غابر ٥: ١٣، ٦: ١٥
 فرات بن سالم ٢٩٣: ١٦
 فراسياب بن توذل بن الترك بن يافث =
 فراسياب بن فايش
 فراسياب بن فايش بن نوذسف بن الترك بن
 يافث ٤: ٨، ١٠: ٨، ٧: ٨٨
 الفرخان ملك الجبل ٤٢: ٧
 الفرزدق ٢٤٥: ٩
 فرعون موسى ١١: ١١
 فروة بن نوفل الأشجعي ٢١٠: ٩، ٢١١: ١١
 فريدون ٦: ١١، ٨: ٢، ٦٦: ٢
 فزارة ١٦٤: ١٠
 الفضل بن آدم ١٨٩: ٩
 الفضل بن الربيع العباسي ٣٨٩: ٢،
 ٣٩٢: ٧
 الفضل بن سليمان ٣٦٤: ٦
 الفضل بن سهل ٣٩٥: ٤، ١٣: ٤
 فناخسرو ٥٥: ١٣
 الفند بن ذي جيشان ذو الأذعار ١٦: ١١،
 ١٧: ١٥، ١٩: ١٤

عمير بن عطارد ١٧٢: ٣

عذس ٤١: ٧

العنقير = أبضعة

عوف بن أبضعة ٤٠: ٧

عوف بن الحارث بن عبد المطلب ١٩٦: ٣

عوف بن منقذ التيمي ٥٣: ٦

عيسى بن إدريس بن عيسى المعجلي ٣٣٧: ٤

عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ٣٥٨:

١٨، ٣٧٦: ٢٠، ٣٧٨: ١١، ٣٨٢:

١١: ١٤، ٢٢:

عيسى بن مريم المسيح ١٩: ١١، ٤٠: ٢٠،

٤١: ١٨

عيسى بن موسى بن علي ٣٥٨: ٢، ٣٨٥:

١٨، ٣٨٦:

عجيمة بن زهير ٢٥٩: ١٥

(غ)

غابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح

١٢: ٥

الغافقي ١٤٠: ١٤

غانم بن علوان ٤: ٧، ٦: ٤

غسان ٤٨: ٥، ٤٩: ١٣، ١٧٢: ٢٣

غسيل الملائكة = عبد الله بن حنظلة الراهب

الغطريف بن عطاء ٣٨٧: ١٢

غفار ١٥: ٥

قورة بن سفيان الحنظلي ١٧: ٢٥٣ ، ٣: ٢٥٤ ،	قهر بن مالك بن النضر ٣٩ : ١٩
قريش ١٤٦ : ١٥ : ٢٢ ، ١٨ : ١٧١ ،	فيرك ٥٥ : ١٢
٢١٢ : ١٤ ، ١٧ : ٢٣٨ ، ٤ : ٢٦٥ ،	فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ٣٨ : ٢ ،
القسري = خالد بن عبد الله	١٤ : ١٢ : ٥٨ ، ٩ : ٥ : ٥٩ ، ٧ : ٦ : ٦٠ ،
قصير ٥٥ : ٢	فيروز دخت ٦٠ : ٢
قضاة ١٤٦ : ١٢ ، ١٤٧ : ٦ ، ١٧٢ : ٢ ،	الفيلقوس ٢٨ : ٢٠
قطام ٢١٣ ، ١٨	فيماوس ٣٦ : ٤
القطامي بن قحطان ٧ : ١١	(ق)
قطري بن الفجاءة ٢٧٥ : ١٨ ، ٢٧٧ : ١ ،	قابوس بن كيقباز ١٢ : ١ ، ١٨ : ٧٩ ،
٣ : ٣٠٥ ، ٦ : ٢٨٠	قارن الجبلي الهاوندي ٩٤ : ١٤
قطن بن قتيبة بن مسلم ٣٤١ : ١٧	القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٥٧ : ٦
القمقاع بن أبرهة ١٧٣ : ١	القاسم بن حنظلة الجهني ١٧٢ : ٨
القمقاع بن شور ٢٣٩ : ٣	القاسم بن الرشيد ٣٩١ : ١
القمقاع الظفري ١٨٤ : ٣	القاسم بن محمد ٣٢٦ : ٨
قنذاقة ملكة المغرب ٣٤ : ١٥	قباد بن فيروز ٦١ : ٤ ، ٦٤ : ١٩ ، ٦٥ : ١١ : ٧ ، ١٣ : ١ : ٦٦ ، ١١ : ٦٧ ،
قيذر بن إسماعيل ٩ : ١٧ : ٢١	القطب بن حام ٢ : ١٥
قيس (بنو) ١٤٦ : ١١ ، ١٤٧ : ٤ : ٥ ،	قتيبة بن مسلم الباهلي ٢٨٠ : ١٩ ، ٣٢٧ : ٢ ،
٢٩٩ : ٢٣ ، ٣٥١ : ٣ ، ٣٥٤ : ٢٢	٣ : ٣٢٨ ، ١٣
قيس بن الأشعث ٢٥٩ : ١٤ ، ٣٠٠ : ١٠ ،	قحطان [بن غابر] ٥ : ١٣ ، ٦ : ١٥ ، ٧ : ٥ ،
٥ : ٣٠٢	قحطان (بنو) ٢٧١ : ٩ ، ٣٤٨ : ١٦ ، ٣٥٣ : ٢٣ ،
قيس بن حبيب ١١٣ : ١٧	قحطبة بن شبيب ٣٣٧ : ١٧ ، ٣٣٩ : ١١ ،
قيس بن خريم ١٢١ : ١٩	٣٤٢ : ١٩ ، ٣٥٩ : ٥ ، ٣٦٣ : ٩ ،
قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ : ٥ ، ١٥٠ : ١٨ ،	٣٦٤ : ١١ ، ٣٦٩ : ١٤
٢٠٧ : ١١ : ١٥ ، ٢١٠ : ٢١ ، ٢١٧ : ٢	قدامة بن مجلان الأزدي ١٥٣ : ١٨
١٢ : ١٠ : ٢١٨ ، ١٣	قدامة بن مظعون ٣١٣ : ٢١
قيس بن مسهر ٢٤٦ : ١	قرط بن كعب ١٥٣ : ١٧
قيس بن معاوية البرجمي ٢١٠ : ١٩	قرميسيا ملك الهند ١٠٩ : ١

ماني الزنديق ٤٧ : ٢
 ماهويه ١٣٩ : ١٧ ، ١٤٠ : ٩
 المتلمس بن قحطان ١١ : ٧
 المثني بن حارثة الشيباني ١١١ : ١٥ ، ١١٣ :
 ١١٩ ، ٩ : ١٢ ، ٥
 مجاشع بن مسعود ١٤٧ : ٤
 مجزأة بن ثور البكري ١٣٠ : ١٥
 معدوج الذهلي ١٤٦ : ١٥
 محرز بن خنيس بن ضليح ١٩٧ : ٩
 محسن بن مزاحم السلمي ٣٤١ : ٨
 محشر التميمي ٢٩٧ : ١٤
 محقن بن ثعلبة ١٢٨ : ١٢ ، ٢٦٠ : ١٣
 محقن بن غزوان ٣٦١ : ١
 محمد الأمين = الأمين محمد بن هرون الرشيد
 محمد بن أبي بكر ١٥٠ : ١٩ ، ١٥١ : ٣
 محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ٢٦٦ : ١
 محمد بن أبي حذيفة ١٥٧ : ١٩
 محمد بن أبي سفيان ١٩٦ : ١٤
 محمد بن الأشعث بن قيس ٢٢٣ : ١٣ ، ١٥ :
 ٢٣٦ ، ١٨ : ٢٣٩ ، ٣ : ٢٤٠ ، ١٢ :
 ٢٤٧ ، ٢٠ : ٢٩٨ ، ١٥ : ٣٠٦ ، ١٧ :
 ٣٨٧ : ٦
 محمد بن الأشعث بن عبد الرحمن ٣٠٠ : ٩ ،
 ٣٠١ : ٤ ، ٣٠٤ : ٨ : ٢١ ، ٣ : ٣٦٤ ،
 ٣٧٦ : ١٩ : ٢٠
 محمد بن بنانة ٣٧٤ : ١٠
 محمد بن حذيفة = محمد بن أبي حذيفة
 محمد بن حميد الطوسي ٤٠٣ : ١

نلم ١٧٩ : ٥
 لقيط بن ناضر الجهني ٢٥٧ : ٥
 لهازم ١٧٢ : ٣
 لهراسف بن كيميس بن كيانبه ١٢ : ٢ ،
 ٢٣ : ٨ : ٢٢
 لوط ٨ : ٨
 لؤي بن غالب ١٧٣ : ٢١
 (م)
 ماروت ١١٦ : ٢٠
 مارية ابنة الزباء الغسانية ٥٤ : ١٩
 مازيار ٤٠٢ : ٢
 مالك الأشتر = الأشتر بن الحارث النخعي
 مالك بن أدهم الباهلي ٣٦٤ : ١٦
 مالك بن بشر الكندي ٢٥٨ : ١
 مالك بن الحارث = الأشتر بن الحارث النخعي
 مالك بن حبيب اليربوعي ١٦٦ : ١٥
 مالك بن المجلان ٤١ : ١٢
 مالك بن عمرو الحضرمي ١٧٨ : ١٥
 مالك بن كعب الهمداني ١٩٦ : ٦
 مالك بن مسمع ٢٣١ : ١٩
 مالك بن هبيرة ٢٢٤ : ٥
 مالك بن الهيثم ٣٣٥ : ٩ ، ٣٣٧ : ١٦ ،
 ٣٤٢ : ١٩
 المأمون (عبد الله بن هرون الرشيد) ٣٩٢ :
 ٢٠ ، ٣٩٤ : ٤ : ٢١ ، ٣ : ٣٩٥ ،
 ٤٠٠ : ١٥ : ٢١
 مانوس ملك الروم ٤٩ : ١٠

- محمد بن الحنفية ١٤٧ : ١١ ، ١٤٩ : ٥ ،
 محمد بن عمير بن عطار ٢٢٩ : ٢٣ ،
 محمد بن عيسى ٣٩٤ : ٢٠ ،
 محمد بن المثنى الربيعي ٣٥٣ : ٤ ، ٣٥٤ : ١٩ ،
 محمد بن مسلمة الأنصاري ١٢٤ : ١٣ ، ١٤١ :
 ٢٢ : ١٤٢ ، ٢ ،
 محمد بن المهلب ٢٨٠ : ٤ ،
 محمد بن هرون = الأمين محمد بن هرون الرشيد
 محمد بن هرون أبو اسحاق = المعتصم بالله
 محمد بن الهذيل العلاف أبو الهذيل ٤٠١ : ٤ ،
 الحمرة ٣٨٦ : ٦ ،
 محمود فيل أبرهة ٦٣ : ٢ ،
 المخارق بن الحارث ١٥٩ : ١٥ ، ١٧٢ : ٢٢ ،
 ١٩٦ : ٩ ،
 المخارق الشاعر ١٨٤ : ١٧ ،
 المختار بن أبي عبيد الثقفي أبو إسحق ٢٠٥ :
 ٢٨٩ ، ١٧ : ٢ ، ٢٨٨ : ٢٣١ ، ٢ : ٨ ،
 ٢٩٢ : ٧ ، ٢٩١ : ١٠ ، ٢٩٠ : ١٨ : ٥ ،
 ٢٩٥ : ٢٠ ، ٢٩٣ : ٣ ، ٢٩٥ : ٢٠ ،
 ٢٩٧ : ٤ : ٧ ، ٢٩٩ : ١٠ ، ٣٠٠ :
 ١٦ : ١١ : ٣٠٢ ، ٤ : ٣٠١ ، ١٤ : ٣ ،
 ٣٠٦ : ٨ : ٣٠٥ ، ٩ : ١ : ٣٠٣ ، ٢١ :
 ١٣ : ٥ : ٣٠٧ ، ١٩ : ١٥ ،
 مخزوم ١٧٣ : ٢٢ ،
 مخنف بن سليم الأزدي ١١٤ : ٦ ، ١٢٣ :
 ١٤ : ١٤٦ ، ٧ ،
- محمد بن الحنفية ١٤٧ : ١١ ، ١٤٩ : ٥ ،
 ١٧٤ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٠ ، ٢٦٤ : ١٣ ،
 ٢٩٥ : ٢٠ ،
 محمد بن خالد بخاراخذام ٤٠٣ : ١٤ ،
 محمد بن خالد بن عبد الله القسري ٣٤٥ : ١٠ ،
 ٣٤٩ : ١٤ : ١٨ ، ٣٥٠ : ٧ ، ٣٥١ :
 ٧ ، ٣٦٧ : ٤ ، ٣٦٨ : ٦ : ٩ : ١٨ ،
 ٣٦٩ : ١ ،
 محمد بن خنيس ٣٣٢ : ١٠ ،
 محمد بن ذر ٣٧٥ : ٦ ،
 محمد بن سليم ١٥٣ : ١٧ ،
 محمد بن سليمان بن عبد الملك ٣٣٠ : ٣ ،
 محمد بن طلحة ١٤٦ : ٢٠ ،
 محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ
 ابن أبي طالب ٣٨٥ : ١٢ ،
 محمد بن عبد الله (الرسول محمد صلى الله عليه
 وسلم) ١٨ : ٢٢ ، ٧٤ : ٢ ، ١٤٧ : ٢٠ ،
 ٢٢١ : ١٥ ،
 محمد بن عبد الملك بن مروان ٣٢٥ : ١ ،
 محمد بن عثمان التيمي ٢٩٢ : ٨ ،
 محمد بن عقيل بن أبي طالب ٢٥٧ : ٣ ،
 محمد بن عليّ بن أبي طالب = محمد بن الحنفية
 ١٨٢ : ١١ ، ٢٨٩ : ٩ ، ٣٠١ : ١٢ ،
 ٣٠٥ : ١٦ ، ٣٠٩ : ٣ ،
 محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
 ابن هاشم ٢٨١ : ٣ ، ٣٣٢ : ٧ : ١٥ ،
 ٣٣٤ : ٢ : ١٨ ، ٣٣٥ : ٨ ، ٣٣٧ : ٨ ،
 ٣٣٨ : ٥ : ٣٣٩ ، ٢ : ٣٦٩ : ١٩ ،

مسمر بن فدي ١٩١ : ٤	مدرك بن الهلب ٢٨٠ : ٤
مسعود بن حارثة ١١٤ : ١٩	مدين بن إسماعيل ٩ : ١٨
مسعود بن عمرو رئيس الأزدي ٢٣١ : ٢٠ ،	مذحج ١٤٦ : ٩ ، ١٤٧ : ٧ ، ١٧٢ : ٦ ،
٢٨٢ : ٢٥ ، ٢٨٣ : ٥ : ١٣ ، ٢٨٧ : ٧	١٧٩ : ٦ ، ٢٣٨ : ٦
مسلم بن ربيعة الثقفي ٢٩٧ : ٢	مراد ١٩٧ : ١
مسلم بن سعيد الحضرمي ٢٣١ : ٩	مرثد بن شداد ٦ : ١٣
مسلم بن عيسى القرشي ٢٧٠ : ٦ : ٩	مردان به ١٠٢ : ١١
مسلم بن عقبة المري ١٧٢ : ١٠ ، ٢٢٦ : ١ ،	مردان سينه الرويدشتي ٨٥ : ٢٢ ، ٩٣ : ٢٠ ،
٢٦٣ : ٢ ، ٢٦٤ : ٨ : ١٩ ، ٢٦٥ : ١٥	١٠٠ : ٩ ، ١٠٢ : ١٤ : ١٧
مسلم بن عقيل ٢٣٠ : ٦ : ٩ : ١٣ ، ٢٣١ :	مردان شاه الحاجب ١١٣ : ١١
١ : ١٤ ، ٢٣٣ : ٤ : ١٨ ، ٢٣٤ : ٣ :	مردان شاه بن هرمزد ١٣٤ : ٢
١٢ : ٢١ ، ٢٣٥ : ١ : ٨ ، ٢٣٦ : ١٣ ،	المرزبان مولى المعتصم ٤٠٣ : ١٢
٢٣٨ : ١٤ ، ٢٣٩ : ١٠ ، ٢٤١ : ٢ :	المراقال = هاشم بن عتبة بن أبي وقاص
١٩ ، ٢٤٢ : ١٩ ، ٢٤٣ : ٧	المرقع بن ثمامة الأسدي ٢٥٩ : ٣
مسلم بن عمرو الباهلي ٢٣١ : ١٥	مرّة بن منقذ العبدي ٢٥٦ : ٢٢
مسلم بن عمرو السكسكي ١٩٦ : ٩	مروان (بنو)
مسلم بن عوسجة ٢٣٦ : ٤ : ٨ ، ٢٣٨ : ١٥	مروان بن الحكم ١٤٨ : ٨ ، ٢٢٢ : ٥ ،
مسلمة بن خالد ١٧٢ : ١٤	٢٢٤ : ١٥ ، ٢٢٧ : ٩ : ١١ ، ٢٢٨ :
مسلمة بن عبد الملك بن مروان ٣٢٥ : ١ ،	٢٨٥ : ١١ : ١٧ ، ٢٨٦ : ٢
٣٣٢ : ٣ ، ٣٣٤ : ١٤	مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ١٦٧ :
السودة ٣٣٩ : ١٩	٤ ، ٣٥٠ : ١٩ ، ٣٥١ : ٣ : ٦ : ١١ ،
السيب بن نجبة ٢٢٠ : ٢٣	٣٥٧ : ٦ ، ٣٦٤ : ١٩ ، ٣٦٧ : ٣
السيح عيسى بن مريم ٤٠ : ٢٠ ، ٦١ : ١٩ ، ٨٢ :	مروان الضبي ٣٧٠ : ١٥
١٨ ، ١٠٦ : ١٠	مزدك بن مازيار ٦٥ : ٩ ، ٦٧ : ١٢
مصر بن حام ١١ : ١٢	مساور القصاب ٣٥٨ : ٢١
مصر بن القبط بن حام ٤ : ٢	مسروق بن أبرهة ٦٣ : ٧ ، ٦٤ : ٥ : ٧
المصطلق (بنو) ٢١٩ : ١٧	مسروق بن جبلة المكي ١٨٦ : ١٧ ، ١٩٦ : ١٣
مصعب بن الزبير ٢٧٤ : ١٧ ، ٢٨٧ : ١٧ ،	مسعدة بن عمرو العتيبي ١٩٦ : ١٥
٣٠١ : ١ ، ٣٠٤ : ٨ : ١٩ ، ٣٠٥ : ١٨ ،	

المتمر بن قحطان ١١ : ٧ ، ٩ : ٣	٣٠٦ : ١ ، ٣٠٨ : ١٢ ، ٣١٠ : ١٢ ،
معد بن عدنان . معد (بنو) ١٤ : ١٤ ،	٣١١ : ٥ : ١٨ ، ٣١٢ : ٤ : ٢٠ ،
٩ : ٥٢ ، ٢ : ٣٤	١٤ : ٣١٣
معدان الغزى ١٩٦ : ٢٢	مصقلة بن هبيرة ٣٤٠ : ٢٣
معدى كرب بن عمرو الكندى ٥٢ : ١٥	مصاص بن عمرو بن عبيد الله بن جرم بن
معقل بن إدريس بن عيس المجلى ٣٣٧ : ٤	قحطان ٨ : ١٩
معقل بن سنان الأشجى ٢٦٦ : ٥	مضر ١٧١ : ١٨ ، ٣٤٩ : ٢ ، ٣٥١ : ٣
معقل بن قيس ١٦٧ : ٢ ، ٢١٣ : ٥	المضرية ٣٤١ : ٩ ، ٣٥٠ : ١٧ ، ٣٥١ :
معقل مولى عبيد الله بن زياد ٢٣٥ : ١١	١٢ ، ٣٨٧ : ٧
معن بن زائدة ٣٨٤ : ٤	المضريون = المضرية
معن بن يزيد بن الأخنس ١٧٠ : ٢٠	مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم ٤٠٢ : ١٠
مفلح بن السرى ٣٧٧ : ٥	معاوية بن أبي سفيان ١٣٩ : ١٣ ، ١٤٠ :
المغيرة بن شعبة ١١٨ : ٦ ، ٢٠ : ١٣٤ ، ١١ :	١٩ ، ١٤١ : ١٩ ، ١٥٤ : ١٣ ، ١٥٥ :
١٤٢ : ٨ ، ١٩٨ : ٩ ، ٢١٨ : ١٨ ،	٢ ، ١٥٦ : ١٦ ، ١٥٧ : ١٢ : ١٨ ،
٢١٩ : ٤ : ٢٠ ، ٢٢٠ : ٤ ، ٢٢٣ : ١ : ٦ :	١٥٨ : ٦ : ١١ : ٢٠ ، ١٥٩ : ٢٣ :
المغيرة بن المهلب ٢٨٠ : ٣	١٦٠ : ١١ ، ١٦١ : ٢١ ، ١٦٧ : ١٦ :
المفضل بن المهلب ٢٧٥ : ١٧ ، ٢٨٠ : ٤	١٦٨ : ٤ : ١٦ : ٢١ ، ١٦٩ : ٨ :
مقاتل بن حكيم المكي أبو عون ٣٦١ : ١ ،	١٧٢ : ١٠ ، ١٧٧ : ١١ ، ١٨٠ : ١٠ :
٣٦٤ : ٤	١٨١ : ١٨ ، ١٨٤ : ١٥ ، ١٨٦ : ٢٣ :
الملحقة فرس عبيد الله بن الحر الجعفى ٣٥١ : ٦	١٨٧ : ١ ، ١٩١ : ٧ ، ١٩٤ : ٨ ، ١٩٧ :
الملطاط بن عمرو بن حمير بن سبأ ١١ : ١٥	١٣ ، ١٩٨ : ٣ ، ٢٠٢ : ٢ ، ٢١٣ : ١٢ :
ملكى كرب بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل	٢١٥ : ١٥ ، ٢١٦ : ١٥ ، ٢١٧ : ١٣ :
ابن ذى الأظفار ٤٥ : ٢٠	٢١٨ : ١٦ ، ٢١٩ : ٧ : ١٢ : ١٩ ،
مليكة بنت الضيزن الفسائى ٤٨ : ١٨	٢٢٠ : ٤ ، ٢٢٢ : ٥ : ١٠ : ٢٢٣ ، ١ :
منجوف بن ثور ١٣٢ : ٢٢	٢٢٤ : ٤ : ٦ : ١٨ ، ٢٢٥ : ٩ : ٢٠ :
النذر أبو النعمان هو النذر الأول ٥١ : ١٣	معاوية بن حديج الكندى ١٩٦ : ٩
النذر الثانى ٦٨ : ١١	معاوية بن الوليد بن عبد الملك ٣٥٧ : ١٧
النذر بن الجارود ٢٣١ : ٢٠ ، ٢٣٢ : ٩ ، ٣٠٥ : ١٨ :	المعتصم بالله أبو إسحق محمد بن هرون ٤٠١ :
	١٤ : ٤٠٣ ، ٤٠٥ : ٤٠٦ ، ٤٠٨ : ٤٠٩ :

منسك ٣٧ : ٧	موسى بن كعب ٣٣٥ : ٩
منصور بن جمهور ٣٤٩ : ١٨ ، ٣٥٠ : ١	موسى بن نصير ٢٢ : ١٢
النصور الخليفة أبو جعفر بن محمد ٣٥٨ : ١٧ ، ٣٧٠ : ٢٠ ، ٣٧١ : ٥ ، ٣٧٣ : ٧ : ١٧ ، ٣٧٤ : ٩ ، ٣٧٥ : ١٦ : ٢٣ ، ٣٧٦ :	موسى الأقطع ٤٠٤ : ٧
٤ : ١١ ، ٣٧٨ : ٢ : ٦ ، ٣٧٩ : ٧ ، ٣٨٠ : ١٤ ، ٣٨١ : ٨ ، ٣٨٢ : ٩ : ١٩ ، ٣٨٣ : ٣ : ٩ ، ٣٨٥ : ٥ : ١٥	موسى الهادي بن المهدي ٣٨٦ : ٨ : ١٩
منصور ٣٧٧ : ٦	موسيل الأرمني ٩٠ : ٤ ، ٩٢ : ٦
منوشهر بن أيرج ٩ : ١٢ ، ١٠ : ١١ ، ٨٨ : ٦	ميسرة العبدي ٣٣٢ : ٩ ، ٣٣٤ : ١
منيع بن قحطان ٧ : ١١	(ن)
المهدي بن المنصور ٣٨٦ : ٢ : ٤	نابت بن إسماعيل ٩ : ١٧ : ٢١
مهران الأكبر ٦٥ : ٢	نابل بن قيس ١٧٢ : ٢٢
مهران بن مهبوية الهمداني ١١٤ : ١٤ ، ١١٥ : ٧	ناجية (بنو) ٢٨٢ : ٢٣
مهران مولى عبيد الله بن زياد ٢٨١ : ١١ : ١٥	نافع بن الأزرق ٢٦٩ : ١٠ ، ٢٧٣ : ٣ : ٦
مهرة ١٤٦ : ١٢	نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ١١٧ : ٩
المهلب بن أبي صفرة ٢٧١ : ١٥ ، ٢٧٣ : ١	نافع بن هلال ٢٥٥ : ١٢
٢٧٦ : ١٣ ، ٢٧٩ : ١١ ، ٢٨٠ : ١	نبهان (بنو) ١٢٥ : ٦ ، ٤٠٣ : ٣
٣ : ٣٠٥ ، ٣ : ٦	التجار (بنو) ١١٣ : ٦
مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ١ : ٤	النجاشي الشاعر ١٧٣ : ١٨
موسى بن جعفر بن محمد ٣٨٩ : ٨	النجاشي ملك الحبشة ٦٢ : ٦
موسى بن أمير المؤمنين الرشيد ٣٩٤ : ٥	نجدة الحروري ٣٠٧ : ١٥
موسى بن عمران (النبي) ١١ : ١٤ ، ١٢ : ٤	النخارجان ٨٦ : ١٧ ، ١٠٤ : ١ ، ١٢٣ :
١٢ : ١٩ ، ٧ : ٢١٦ ، ١٢	٣ : ٦ ، ١٣٧ : ١٤
	النخع (بنو) ٢٩٨ : ٨ ، ٢٩٩ : ٢٣
	نرسی ١٥٤ : ٧
	نرسی أخو بهرام بن بهرام ٤٧ : ١٠
	نزار (بنو) ٣٤٨ : ١٤
	النزال بن عامر ٢١٣ : ١٠ : ١٥ ، ٢١٥ : ١٢
	السناس ١٢ : ١٩

الوليد بن سعد ٣٥٨ : ٢١	هزّان بن طسم ١٧ : ٤
الوليد بن عبد الملك ٢٨١ : ١ ، ٣٢٥ : ١ : ٥ ،	هشام بن عبد الملك ٣٢٥ : ١ ، ٣٣٥ : ٢ ،
٣٢٦ : ٢ ، ٣٢٨ : ١٠ ، ٣٢٩ : ٧	٣٣٦ : ١٧ ، ٣٣٧ : ١٠ ، ٣٣٩ : ١٤ ،
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ١٦٨ : ١٤ ،	٣٤٥ : ١١ : ٢٠
١٧٥ : ٨ ، ٢٢٧ : ٤ ، ٢٢٨ : ٤ : ٧	هلال الأعور ٢٥٩ : ١٥
الوليد بن عقبة بن أبي معيط ١٣٩ : ٤	هلال بن أبي هبيرة ١٧٢ : ١٨
الوليد بن عمرو ٢٥٩ : ١٦	هلال بن عقبة ١١٢ : ١٥
الوليد بن مصعب (فرعون موسى) ٤ : ٥ ،	همام بن قبيصة ١٧٢ : ١٧
١١ : ١١	همدان (بنو) ١٤٦ : ٨ ، ١٧٢ : ٥ ، ١٧٨ : ١٧٨ : ١٤
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٣٤٧ : ٢ ، ٣٤٨ : ٦ ،	٢٣٨ : ١٦ ، ٢٩١ : ٢١ ، ٣٠٠ : ٣ ،
وهز بن الكاجار ٦٤ : ١ : ٤ : ٦	الهند (بن حام) ١٥ : ٢
(ي)	هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري ٢٩٦ : ١
ياسر بنم ٢٠ : ٥ ، ٢٢ : ٢١ ، ٢٤ : ١	هند بنت المنذر بن الجارود ٢٣١ : ٢٤
يافث بن نوح ١ : ١٦ ، ٢ : ١٢ ، ٤ : ٧ ،	هوازن (بنو) ٢٥٩ : ١٢
٨ : ٣٤	هود (النبي) بن خالد بن الخلود ...
يام (بن نوح) ١ : ١٧	٥ : ٩ ، ٦ : ١٢
يحابر ٤٠ : ١٠ ، ٤١ : ٧	الهيثم بن زياد الخزاعي ٣٧٥ : ١٦
يحيى بن الحضيض بن المنذر بن الحارث بن ويلة	الهيثم بن عدي ٣٥٨ : ٩ ، ٣٦٥ : ٨ ،
١٤ : ٣٤١	٣٧٠ : ١٠ ، ٣٧١ : ١١ ، ٣٧٥ : ٦
يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية ٢٢٧ : ٥ ،	هيطل بن عالم بن سام ٣ : ١٣
٨ : ٢٢٩	(و)
يحيى بن زكرياء ٤١ : ١٩	وبار بن إرم بن سام بن نوح ٣ : ٤ ، ١٣ : ٣
يحيى بن علي بن عيسى ٣٩٩ : ١١	الوحيد من بني عامر بن صعصعة ٢٥٦ : ٨
يحيى بن نعيم أبو الميلاء الربيعي ٣٤٠ : ٢٣	وردان غلام عمرو بن الماص ٢٨١ : ١١
يزدان جشنس ٨٢ : ١ ، ٨٣ : ١٣ ، ٨٤ : ٨٤	ورقاء بن العنبر ١٨٩ : ٩
١٥ : ١٠٨ ، ٢٠ : ١٠٧ ، ٢	الوليد بن الريان بن عاد بن إرم ٤ : ١

يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد ١٧٢ : ٢١ ،	يزدان وزير أردشير ٨٢ : ١٩
٣٥٠ : ١٤ ، ٣٥١ : ٩ ، ٣٦٠ : ٨ ،	يزدجرد بن بهرام جور ٥٨ : ١١
٣٦٤ : ١٤ ، ٣٦٧ : ٢٠ ،	يزدجرد بن سابور بن بهرام جور ٥٤ : ١١ ،
يزيد بن قيس الأرحبي ١٥٣ : ١٦ ،	٥٥ : ٥
يزيد بن مزيد ٣٩٠ : ١٧ ،	يزدجرد الأثيم بن سابور بن سابور ٥١ : ٦ ،
يزيد من بني المصطلق ٢١٩ : ١٧ ،	٥٥ : ٨
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ٦٦ : ٢٣ ،	يزدجرد بن شهریار بن كسرى أبرويز ١١٩ :
١٢٥ : ٢١ ، ٢٢٦ : ١٦ ، ٢٢٧ : ٢ ،	٣ ، ١٢٦ : ٦ ، ١٣٩ : ١٤
٢٣١ : ٩ ، ٢٤٢ : ١١ ، ٢٤٥ : ٣ ،	يزد جشنس بن الحلبان ٨٥ : ٢٢ ، ٩٣ :
٢٦٠ : ١٣ ، ٢٦١ : ٣ ، ١٠ : ١٤ ،	٢٠ : ١٠٢ ، ١٧
٢٦٢ : ١٢ ، ٢٦٣ : ١ ، ٢٦٤ : ١٧ ، ٢٨١ :	يزد جشنس فادوسفان الزوابي ٥٥ : ١١
٥ ، ٢٨٥ : ١٧ ،	يزد فنا ٦٩ : ٧
يزيد بن معاوية البجلي ٢٩٢ : ٩ ،	يزدك الكاتب ٨٣ : ١ ، ٨٦ : ١٧
يزيد بن المهلب ٢٨٠ : ٣ : ١٥ ،	يزدك بن مردان شاه مرزبان بابل ١١٠ : ٧
يزيد بن نجبة الفزاري ٢٩٢ : ١١ ،	يزيد الأصبحي ٢٥٧ : ١٧
يزيد بن هاني ١٩٠ : ٩ ،	يزيد بن أبجر العبسي ١٩٦ : ١٣
يزيد بن عمر بن هبيرة ٣٧٠ : ٧ ، ٣٧٤ : ٦ ،	يزيد بن [أبي] أسد العجلي ١٥٥ : ١٠ ،
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٣٤٩ : ٧ : ١٢ ،	١٥٩ : ١٥ ، ١٧٢ : ٢١
٣٥٠ : ١٠ ،	يزيد بن أنس الأسدي ٢٨٩ : ١ ، ٢٩٢ : ١٩
يعرب بن قحطان ٨ : ٧ : ١١ ،	يزيد بن الحارث ٢٢٩ : ٢٢
أليغر بن سام ٣ : ٣ ،	يزيد بن حجة النكري ١٩٦ : ٦
يقطين الأبراري بن موسى ٣٥٨ : ٢٢ ،	يزيد بن الحسين الطائي ٢٠٢ : ١٦ ، ٢٠٤ :
٣٧٩ : ٧ ،	١ : ٦ : ١٩ ، ٢٠٦ : ٥ ، ٢١٠ : ٤
يكسوم بن أبرهة ٦٣ : ٥ ،	يزيد بن الحضير ٢٩٣ : ١٦
يلتكين ٨١ : ٢ : ١٢ : ٥ ،	يزيد بن عبد الله الأسلمي ١٩٦ : ٣
اليمانية ٣٤٠ : ١١ ، ٣٤٨ : ١٩ ، ٣٤٩ :	يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ٢٦٥ : ١٦
٢ : ٥ ، ٣٥٠ : ١٧ ، ٣٥١ : ١٢ ،	يزيد بن عبد الملك ٣٢٥ : ١ ، ٣٣٢ : ٢ ،
٣٥٢ : ٢٠ ، ٣٦٧ : ٩ ، ٣٨٧ : ٧ ،	٣٣٤ : ١٤ : ٢٠

اليهود ٤١ : ١٨	٣٤٣ : ٢٣ ، ٣٤٤ : ٣ : ١٥ ، ٣٤٧ :
يهوذا ١٨ : ١ : ٩	١٤ ، ٣٤٨ : ١ ، ٣٤٠ : ٥
اليوبىانوس ٤٩ : ١٧ ، ٥٠ : ٨	يوسف بن يعقوب (النبي) ١١ : ١٣ ،
يوباره ٤٠٣ : ٨ ، ٤٠٤ : ١٥	١٧ : ١٩
يوسف بن عقيل الطائي ٣٦٩ : ٨	يوشع بن نون ١٢ : ١٣
يوسف بن عمر الثقفي ٣٣٧ : ١٠ ، ٣٣٩ : ١٣	

ج - فهرس الأماكن والبلدان

الإسكندرية ٣٣ : ٢ ، ٣٩ : ٧ ، ١٠٦ : ٩	أبر شهر ٤٨ : ٤ : ١٤ ، ١٤٠ : ٩
اصبهان ٣٩ : ٨ ، ٦٧ : ١٧ ، ١٣٤ : ١ ، ٢٩٩ : ١٠	ابرقباز ٦٦ : ٢٢ ، ١١٨ : ٣
١٥٣ : ١٧ ، ٢٩٢ : ١٠ ، ٣٦٤ : ١٤	الأبطح ٣٨٥ : ١٥
اصطخر ٢٧ : ٢١ ، ٢٨ : ١ ، ٤٢ : ٥	الأبلة ٦٤ : ٤ ، ١١٦ : ٢٣
١٤ : ٥٠ ، ١٩ : ٦٥ ، ٩ : ١٣٣	أبو قبيس ٣١٤ : ١٠
١٤ : ١٣٩ ، ١٤ : ٢١٩ ، ١١	أبيورد ٣٦١ : ٥
إفريقية ١٤ : ١٢ ، ٢١ : ١٩ ، ٣٤ : ١٣	الأتراك = الترك ٣٤ : ٩ ، ٨١ : ١ : ٣
١٣٩ : ١٢ ، ٣٦٦ : ١	أذربيجان ٥٦ : ١٢ : ١٤ ، ٥٩ : ٢٠ ، ٦٧ : ١٨ ، ٧٩ : ٢ : ٨ ، ٩ : ٩٠
آمد ٦٦ : ٢٠ ، ٧٨ : ١٩ ، ١٥٤ : ١١ ، ٢٩٧ : ٣	٩٢٩ : ٥ ، ١٠٦ : ١١ ، ٢٩٢ : ٩
آمل خراسان وهي أموية ٣٧ : ١٥	٢٩٩ : ١٤
أموية ٣٧ : ١٥ ، ٥٧ : ١٦ ، ١٣٩ : ١٩ ، ٣٢٧ : ٤	ارتجان ١٣٣ : ١٤
الأنبار ٤٩ : ٦ ، ١١٢ : ١٠ ، ١١٦ : ٥	أردبيل ٦٠ : ١
١٢٤ : ١٠ ، ١٦٧ : ١ ، ٢٠٥ : ٥	أردشير ١٣٣ : ١٣
٢١١ : ١٥ ، ٢١٦ : ١٦ ، ٢١٧ : ١٣	أردشير خرّ ٤٥ : ١٤
٣٧٨ : ٧ ، ٣٩٠ : ١١	الأردن ٨ : ١٣ ، ١٧٢ : ١٤
الأندلس ١٤ : ١١ ، ٢١ : ١٩ ، ٣٤ : ١٣	إرم ذات العماد ٣٨٤ : ١٢
أنطاكية ٦٣ : ١١ ، ٦٩ : ٢	أرمشير ٦٥ : ١٥
الأهواز ٤٢ : ١٥ ، ٦٥ : ١٥ ، ٦٧ : ١٨	أرمينية ٣ : ١٢ ، ٦٧ : ١٨ ، ٧٩ : ١ : ٩
٧٠ : ٤ ، ١١٦ : ٢ ، ٢٧٣ : ٣ ، ٢٧٤ : ٢	٩٢ : ٥ ، ٣٩٠ : ١٧ ، ٤٠٥ : ١
١٨ : ٣١٧ ، ١٧ : ٣١٩ ، ١٨ : ٣٩٩	أستاذ أردشير ٤٥ : ١٥
إيران ٢ : ٣	أستان الزوابي ١٥٣ : ١٩
إيران شهر ٨٠ : ١٦	أستان العالي ١٥٣ : ١٩
أيلة ٣٠٩ : ٦	الإستانات ١١٦ : ١
إيلياء ٢١ : ٤ ، ٢٣ : ١٢ : ١٦ ، ٢٦ : ٢٢	أسداباذ ٣٩٨ : ٢٤
	الأسفيذهان ١٣٥ : ١٩
	آسك ٢٦٩ : ١٥

بطن الحربث ٢٣٠ : ٢٠	(ب)
بطن الرمة ٢٤٥ : ١٤ ، ٢٤٦ : ٤	باب ماني (بجنديساپور) ٤٧ : ٧
بطن المقيق ٢٤٨ : ٧	بابل ٢ : ٢ ، ١٦ : ٣ ، ١٠ : ٤ ، ١٥ : ٥ ،
بنداد ٢٠٥ : ١٤ ، ٣٧٩ : ١٦ ، ٣٨٣ :	١٧ ، ١١ : ٨ ، ٣٣ : ٢ ، ٦٥ : ٢ ،
١٢ : ١٥ ، ٢١ : ٣٨٧ ، ١١ : ٣٩١ :	١١٠ : ٨ ، ١١٦ : ١٩ ، ١٦٦ : ١٨ ،
١٨ : ٣٩٢ ، ٤	بادوريا ٦٧ : ١
بقردي ١ : ١٣	باذ فيروز ٦٠ : ١
البقيع ٢٢١ : ١٤	بازبدي ١ : ١٣
بلخ ٣ : ١٣ ، ٢٠ : ١٠ ، ١٤ : ٢٠ ، ١٤ :	بانقيا ٢٩٨ : ١٢
٨١ : ١٧ ، ٣٦١ : ٥	البير ١٠٣ : ٤
بلد ساپور ٢٧٥ : ١٩	البحر الأخضر ٣٥ : ١٧
البقاء ٣٣٤ : ٢٠ ، ٣٥٧ : ١٩	البحرين ٣ : ٦ ، ١٤ : ١٥ ، ١٦ : ١٤ ،
البليخ ١٦٧ : ٩	١٧ : ٥ ، ٤٠ : ١١ ، ٤٣ : ١٥ ، ٤٨ :
البندنيجين ٢١٠ : ١٢	٤ ، ٦٧ : ١٩ ، ١١٧ : ٧ ، ٢٨٧ :
بهرسير ٧٣ : ١٥ ، ١٥٣ : ١٨	١٨ : ٣٢٢ ، ١
بهقياذ الأسفل ٦٧ : ٢	بحاري ٣٧ : ١٤ ، ٦٨ : ٥ ، ٣٢٧ : ٥ ،
بهقياذ الأوسط ٦٧ : ١	٨ : ٣٣٦
البهقياذات ١٥٣ : ١٧	بدر ١٨ : ٤٤ ، ٢٦٧ : ١٠
بوشنج ٣٣٦ : ١٠ ، ٣٦١ : ٤	البندون ٤٠١ : ٨
البيت (بيت الله الحرام والبيت الحرام) ٩ : ٢١ ،	البذ ٤٠٢ : ١٣
٢٦٢ : ١٣ ، ٣٩ : ١٨ ، ٤٦ : ٤ ، ٢٦٢ :	برزند ٤٠٣ : ٧
١١ : ٢٦٧ ، ٢١ : ٣١٤ ، ١٣ :	البصرة ١١٦ : ٤ ، ١٤٦ : ٧ ، ١٤٨ : ٧ ،
بيت المقدس ٢١ : ٣ ، ٢٢ : ١٩ ، ٢٣ : ١٥ ،	١٥١ : ١٨ ، ١٦٦ : ١ ، ٣٠٣ : ٢٠ ،
٣٨ : ٤ ، ٣٩ : ٤	٢٠٥ : ١٩ ، ٢٠٦ : ١٩ ، ٢٣ : ٢١٩ ،
بئر الملك ٤١ : ١٥	٢١ ، ٢٢٠ : ٤ ، ٢٢٣ : ٦ ، ٢٣١ : ١٦ ،
بئر ميمون ٣٨٥ : ١٥	٢٧١ : ١ ، ٢٨١ : ٥ ، ٣٠٠ : ١ ،
بينون ٢١ : ١٧	٣٠٤ : ٥ ، ٣٠٧ : ١٥ ، ٣٢٢ : ٧ ،
الببيضة ٣٠٤ : ١	٣٨٤ : ٤ ، ٣٩٩ : ١٧
	بصري ٢٧٣ : ١٩

جبل ذى جشم = ذو جشم	(ت)
١٨: ٢٤٨	ناريس ٢: ١٣
جبل طيء ٧: ٣	التبت ٢٨: ١٢
جدة ٣: ٣٤	تبوك ١٤١: ٧
جذيس ٤١: ١١	تخارستان ٥٨: ١٥، ٦٨: ١، ٣٢٩: ٨
جرجان ٥٧: ٣، ٩٤: ١٥، ٩٨: ٩، ١٠١: ١٠	تدمر ٢٠: ١٧
١٠: ٣٨٦، ١٢: ٣٦٤، ١: ١٣٤، ١	الترك ٢: ١٣، ٢٠: ١٥، ٣٦: ٢، ٥٧: ٥٧
١٥: ١٠، ٣٨٦	١١: ٩٨، ١١
جروين ٣٩: ٩	ترمذ ٥٩: ٥
الجزيرة ١: ١٣، ٦٧: ١، ٦٨: ١٧، ١٧: ١٧	تستر ١٣٠: ٢
٦: ٢٩٢، ١٢: ٢٩٣، ٦: ٤٠١	التنعيم ٢٤٥: ٢
جزيرة العرب ٣٤: ١٤، ١٤: ١٤	تهامة ١٠: ٢، ٢١: ١٣، ٣٣: ١٧، ١٧: ١٧
جسر تستر ٢٠: ٢٠٥	٩: ٤١، ٩: ٥٢، ١٩: ٦٢، ٣١٣: ٢١
جسر الهروان ٢٠٤: ٣، ١٢: ٣	توج ١٣٣: ١٢
جاولاء ٧٣: ٢٠، ١٢٧: ١١، ١٣٠: ١١	التيمة ٦٧: ٤
جنديسابور ٤٦: ٢٠، ٤٧: ٦، ٧٠: ٢	
جوخى ٢: ١، ١٥٣: ١٦، ٢٠٥: ١٥	(ث)
١٢: ٢٩٢	ثبير ٧٢٣: ١٨
الجودى ١: ١٣	الثلمية ١١٣: ٢١، ١١٤: ٩
جى ٣٩: ٨، ٦٧: ٣	ثمود ٣: ١٦، ٧: ١٧، ٢٧٩: ١٧
جيحان ٣٤: ٧	
جيحون ١٤: ٦	(ج)
جيرفت ٢٧٧: ٨، ٢٧٨: ١٧	جازر ٧٣: ١٩
جيلان ١٠٣: ٤	جبانة الحشاشين ٣٠٠: ٢، ١٣: ١٣
	جبانة مراد ٣٠٠: ١
(ح)	الجليل ٦٧: ١٨، ١٥٣: ١٧، ٢٩٧: ٤، ٤: ٤
الحبشة ٣٤: ١١	٢١: ٣٩٢، ٨: ٣٦٩، ١٤: ٢٩٩
الحجاز ٨: ١٨، ١٠: ٢، ٤١: ٩، ١٤٦: ١٤٦	جبل أبى قبيس = أبوقبيس ٢٦٨: ١

٢٠ : ٣٥٢ ، ٢١ : ٣٤٢ ، ٧ : ٣٣٩
١٣ : ٣٨٣ ، ٢٣ : ٣٧٥ ، ١ : ٣٦٤
١٣ : ٣٩١ ، ٥ : ٣٩٠ ، ٤ : ٣٨٧
٢١ : ٤ : ٣٩٤

خرزاد أردشير ١٧ : ٤٥

الخريبة ١١٧ : ٢ : ١٤٦ ، ١٩ :

خزازی ١٧ : ٥٣

الخزر ٢ : ١٣ ، ٣٤ : ١٠ ، ٣٥ : ١ :

خسروماه ١٧ : ٧٣

خطرنه ٦٥ : ٣ ، ١١٠ : ٨ :

الخوارجان ١٣٨ : ٣ :

خوارزم ١٤ : ٦ ، ٩٤ : ٩ ، ١٠٠ : ٢١ :

خوب ٤ : ١٦ :

الخورتق ٥٤ : ١٧ ، ٥٥ : ٩ :

(د)

دارا ٢٨ : ٤ ، ٧٩ : ١ ، ١٥٤ : ١١ :

دارا بجرد ٢٨ : ١ :

دای مرج ٥٨ : ٦ :

دجلة ٢ : ٢ ، ٣٤ : ٦ ، ٢٠٦ : ٣ ، ٣٧٢ : ١ :

١٦ : ٣٨٣ ، ١٦ : ٣٧٩

دجيل ١٣١ : ١٩ :

دروذ ٤٠٣ : ١٦ :

دزيريد ١٣٦ : ٢١ :

دست ميسان ١١٨ : ١ ، ٣٠١ : ١٨ :

الدستي ١٠٣ : ٦ ، ٢٥٣ : ٩ ، ٢٩٢ : ١١ :

دمشق ١٥٩ : ٢٠ ، ١٧٢ : ١٥ ، ١٩٧ : ١٨ :

٢ : ٢٥٠ ، ١ : ٢٢٩ ، ٧ : ١٤٨ ، ١٥

١٤ : ٣٠٧

الحجر الأسود ٣٩ : ١٨ ، ٢٨٨ : ١ :

الحديبية ١٩٤ : ١٣ :

حديثه الفجار ٣٠٦ : ١٢ :

حديثه الوصل ١٦٧ : ٣ :

حران ١٥٤ : ١٣ ، ٢٩٦ : ١٨ ، ٣٦٥ : ٧ :

الحرم ١ : ٣ ، ٣ : ٧ ، ٨ : ١٨ :

حلب ٦٩ : ١ ، ١٠١ : ٩ :

حلوان ٣٨ : ٣ ، ٤٠ : ١٥ ، ١٠٣ : ٧ ،

١٢٦ : ٩ ، ٢١١ : ١٢ ، ٢٩٢ : ١٠ ،

٣٦٤ : ١٧ ، ٣٩٧ : ٢ ، ٣٩٩ : ١٥ :

حمص ٦٩ : ١٣ ، ١٧٢ : ١٥ ، ٣٥٠ : ١٩ ،

٣٥٧ : ١٨ :

الحمية ٣٣٢ : ٩ ، ٣٣٨ : ١٤ ، ٣٥٧ : ١٩ :

الحيرة ٥١ : ١٤ ، ٥٤ : ١٢ ، ١١٣ : ٩ ،

١١٤ : ١١ ، ١١٦ : ١٩ ، ٣٩١ : ٣ :

(خ)

خازر ٢٩٥ : ٨ :

خاقين ١٢٧ : ١٣ :

ختلان ٣٣٦ : ٩ ، ٣٦١ : ٦ :

خراسان ٣ : ١١ ، ٢٠ : ١٠ ، ٢٥ : ٥ ،

٢٨ : ١ ، ٣٩ : ٨ ، ٤٢ : ١٢ ، ٥٦ :

١٠ : ١٧ ، ٨١ : ١٦ ، ٩٨ : ٩ ،

١٥٣ : ٢١ ، ١٥٤ : ١ ، ٢٨٠ : ١٤ ،

٣٠٧ : ١٥ ، ٣٢١ : ١٥ ، ٣٢٧ : ٢ ،

٣٣٤ : ١٥ ، ٣٣٥ : ٣ ، ٣٣٨ : ١٧ ،

الرس ٤٠٤ : ٢١	١٩٨ : ١١ ، ٢٢٥ : ٢١ ، ٢٨٥ : ٧
الرصافة ٣٩٠ : ١٨	٣٤٠ : ١ ، ٣٤٥ : ٣ ، ٣٥١ : ٤
الركة ٤٨ : ١٧ ، ١٥٤ : ١٤ ، ١٦٧ : ٣	٣٥٧ : ١٨ ، ٣٦٦ : ٧
٣٨٣ : ٢١ ، ٣٩٠ : ١٢ ، ٣٩١ : ٨	دئما ٣٦٨ : ٢٠ ، ٣٨٣ : ١٥
الرها ٦٩ : ١ ، ٢٩٦ : ١٨	دئباوند ٦ : ٦ ، ١٣٤ : ١
الروم ٥ : ١٧ ، ٢٦ : ١٤ ، ٢٧ : ١٨	الدولاب ٢٧٠ : ٧
٣٤ : ١٢ ، ١٠٨ : ٨ ، ٣٩١ : ١٠	دومة الجندل ١٩٧ : ١٣ ، ١٩٨ : ٨
الرومية ٦٩ : ٥ ، ٣٧٩ : ١٢ ، ٣٨٠ : ١٤	دير الأعور ١١٩ : ١٣
الرتي ٣٨ : ١ ، ٤٢ : ١٢ ، ٥٩ : ٢٠ ، ٨٣ : ٨٣	دير الجائلق ٣١٢ : ٢٢
٤ ، ١٣٤ : ١ ، ١٦٥ : ٧ ، ٢٥٣ : ٩	دير الحانات ٣١٠ : ٦
٢٨٠ : ٦ ، ٢٩٢ : ١١ ، ٢٩٩ : ١٤	دير المافول ٢٠٥ : ٦
٣٦٤ : ١٣ ، ٣٩١ : ٥ ، ٣٩٧ : ٣	دير كعب ١٢٣ : ٢ ، ١٦٦ : ٢١
(ز)	دير هند ١١٤ : ١١
الزبان ٣٦٤ : ٢٠	الديلم ١٠١ : ٢ ، ٢٥٣ : ١٠
زابلستان ٦٨ : ١	الدينور ٤٠٢ : ١٨
الزابي الأسفل ١١ : ٤	(ذ)
الزابي الأعلى ١١ : ٣	ذات عرق ٣٧٨ : ٢
الزابي الأوسط ١١ : ٤	ذروة ماء لبنى أسد ٣٠٣ : ٥ ، ٣٠٤ : ٣
زبالة ٢٤٧ : ١٨	ذمار ٦٢ : ٨
زبر خسرو ٦٩ : ٥	ذو جشم ٢٤٨ : ١٨
زروود ٢٤٦ : ١٣	ذى طوى ٣١٦ : ٨
الزنج ٢ : ١٥	ذوقار ١٤٤ : ١١ ، ١٤٥ : ١٤
الزندورد ٧٣ : ١٦	(ر)
الزواني ١١ : ٣	رام أردشير ٤٥ : ١٤
(س)	رام فيروز ٥٩ : ٢٠
ساباط (المدائن) ١٦٦ : ٢٢ ، ٢١٦ : ١٨	الربذة ٢٥٩ : ٤ ، ٣٨٥ : ٩
	الرحبة ٢١٢ : ٢٠

سور ١١٥ : ١٠ : ٢٩٨ : ١٣	سايور ١٣٣ : ١٤ : ١٣٩ : ١١ : ٢٧٥ : ٣
سورية ٣٥ : ١٤	سادانيال ٤٩ : ٨
السوس ٢٣ : ٢٠ : ٤٩ : ٧ : ١٣٢ : ١٩	سادماه ٣٠٢ : ٤
السيب ٢٠٤ : ٢١	السالحين ٣٩١ : ٧
سيحان ٣٤ : ٦	ساوة ٣٦٣ : ١٧
(ش)	سجستان ٢٥ : ٥ : ١٠ : ٢٧ : ٢ : ٤٢ :
الشاش ٦٨ : ٤	١٣ : ٦٧ : ١٧ : ١٤٠ : ١١ : ١٥٣ :
الشام ٣ : ٦ : ٢٠ : ٩ : ١٧ : ٢١ : ٤ : ٢٣ :	١١ : ٣٣٦ : ٢٠
١٣ : ٢٦ : ١٩ : ١٠ : ١١ : ٢١٨ : ١٩ :	سدوم ٨ : ١٠ : ١٣
٢٨٧ : ١٩ : ٢٩٢ : ٦ : ٣٠٧ : ١٤ : ٣١٥ :	سر من رأى ٤٠١ : ١٩
١٩ : ٣٢٢ : ١٢ : ٣٦٥ : ٢٥ : ٣٦٦ : ٦ :	سراف ٣٠٣ : ١٨
٣٧٩ : ٢ : ٣٨٣ : ١٥ : ٢٠ : ٣٩٠ :	سراى شيرة ٧١ : ١٦
٦ : ٩ : ٤٠١ : ٦	سرخس ١٤٠ : ١٠ : ٣٦١ : ٥
شراة ١٠٤ : ٨ : ٢٤٨ : ١٢	السفد ٣٢٧ : ٩
شعب على (بمكة) ٢٢٩ : ٤	سفوان ٣ : ٧
الشعثان ١٠ : ١	السقبة ٢٥٢ : ٢
الشعرج ٧١ : ١٧	سلحين ٢١ : ١٧
شهرزور ٣٦٥ : ٧	سمرقند ٢٤ : ٢ : ٢٨ : ١١ : ٣٧ : ١٣ :
(ص)	٦٨ : ٤ : ٣٢٧ : ٩ : ٣٣٦ : ٨ : ٣٦٤ :
صحار ٣ : ٧	١٦ : ٣٩١ : ٢
صحراء الهرمز دجان ٤٢ : ٩	سمرة ٣٤ : ١٩
الصراة ١١٥ : ٢٠	سميساط ٢٩٧ : ١
صريفين ٢٠٦ : ٣	السمينة ١٣٢ : ١٠
الصنانيان ٥٧ : ١٥ : ٦٦ : ٥ : ٦٨ : ٢ :	سنجار ١٥٤ : ١١ : ٢٩٧ : ٢
٣٢٧ : ٧ : ٣٣٦ : ٩ : ٣٦١ : ٦ :	السند ٢ : ١٥ : ٣٤ : ١١ : ٣٧٧ : ٨
صفين ١٤٦ : ١٦ : ١٦٧ : ١٦ : ٢١٩ :	السواد ٤٨ : ٦ : ١١٤ : ١١ : ٢٩٩ : ١٣
٢ : ٢٥٣ : ٦	السودان ١٢ : ١٦ : ٣٣ : ١١ : ٣٤ : ١١ :
	١١ : ٦٣
	سور الروم ١٦٧ : ١١

(ع)	الصفاح ٢٤٥ : ٩
حاد ١٠:٥، ٧:١٩، ١٨:١	الصقالبة ٢ : ١٣، ٣٤ : ١٢، ٢٦ : ١
عالج ١٣ : ٢	صنماء ١٩ : ٢٠، ٢١ : ١٤، ٣٣ : ١٥،
عانات ٦٦ : ٢٣، ١٥٤ : ١٢	٣٩ : ١٨، ٦٢ : ٨، ٦٤ : ٧
العجم ١١٣ : ١١، ٢٠ : ١١٤، ١٦ : ١١٥ :	صيدودا ٣٩ : ٩
٧ : ١١٨، ٢ : ١٢٣، ١٧ :	الصيمرة ١٠٣ : ٧، ١٣٣ : ٢
عدن ٦٢ : ٧، ٣٣ : ١٣	الصين ٢ : ١٣، ٢٠ : ١٥، ٢٤ : ٢، ٢٨ :
العذيب ٢٤٨ : ٨، ٢٥٠ : ١٠	١٠ : ٣٤، ١٠ : ٣٦، ٣ : ١١٧، ٧ :
عذيب الحمامات ٢٥٠ : ١٢	(ط)
العروض ٣٠٧ : ١٥	الطائفان ٣٣٦ : ١٠، ٣٦١ : ٤
العراق ١ : ١١، ١٤ : ٥، ١٦ : ٨، ٢٠ :	الطائف ٣ : ١٩٨، ٧ : ١٠، ٣١٤ : ٣
١٠ : ١٤، ٣٨ : ٣، ٤٢ : ١٥، ٤٩ :	طبرستان ٥٧ : ٢، ٩٨ : ٩، ١٠١ : ١،
١٤ : ٦٧، ١٩ : ١١٤، ٥ : ٢٤٥ :	١٣٤ : ١، ٣٨٥ : ٨
١٠ : ٢٩٢، ٦ : ٣٤٩، ١٨ : ٣٥٠ :	طبرية ٢٦٦ : ٦
١٤ : ٣٥١، ٧ : ٣٧٨، ١٠ : ٣٧٩ :	الطيسان ٣٦٤ : ٣
١٥ : ٣٨٧، ٤ : ٤٠١، ١٢ :	طخارستان ٣٦١ : ٦، ٣٦٤ : ٣
عمان ٣ : ٦، ١٤ : ١٥، ١١٧ : ٧، ٢٨٧ :	طرسوس ٣٣٤ : ١٧، ٤٠١ : ٨
١٨ : ٣٢١، ٢١ :	طسم ٤١ : ١١
العراقان ٣٣٩ : ١٣، ٣٦٠ : ٥	الطاف ٣١١ : ١٩
العرب ١١٦ : ٩، ١١٩ : ١، ١٢٣ : ٥ :	طنجة ١٤ : ١١، ٢١ : ١٩، ٣٤ : ١٣
العروض ٣٠٧ : ١٥	طوس ٣٨ : ١، ٣٦١ : ٥، ٣٦٣ : ٢٠،
العقبة ١٦٥ : ١٩	٣٦٤ : ١١، ٣٩٢ : ٣
العقر ٢٥٢ : ١٥	طيسفون ١١ : ٤، ٣٨ : ٤، ٤٤ : ٢١،
عمان ٤٠ : ١١، ٤٣ : ١٥	٥٠ : ٢، ٥٥ : ١٧، ٦٦ : ١٤، ٧٣ : ١٨
عمورية ٤٠٢ : ٦	طيسفونج ٧٣ : ١٩
عيسيا باذ ٣٨٦ : ١٩	الطيسان ١٠٣ : ٤
عين التمر ١١٢ : ١٠، ٢١٦ : ١٦	

قافونية ١٤:٣٥	(غ)
قالوقية ٤٦: ١٧	الفاضرية ٢٥٢: ٥
قباء ١١:٢٦٧	غمدان ١٧: ٢١
قباب حميد ٨: ٧٣	غمر ذى كندة ٩: ٢٢
قبدوقية ٤٦: ١٨	
قبرس ١٣٩: ١٢	(ف)
قديس ١٢٤: ٢١	فارس ١٣: ١٩، ١٤: ٢، ١٨: ١٩، ١٥: ١٥
قديسجان ١٣٥: ٢٠	٢٧: ٢٠، ٣٣: ٣، ٤٢: ١٤، ٦٧: ٦٧
قرقيسيا ٢٩٦: ١٨	١٨، ١١٣: ١٣، ١١٦: ٢، ١١٧: ٧، ١٨
قرميسين ٣٢٩: ١	٢١٩: ٦، ٢٧٤: ١٧، ٣٧٦: ١٩
قرنيه ٣٩: ١٠	الفرات ٣٤: ٦، ٣٧٩: ١٥
قزوين ١٠٥: ١٥، ١٦٥: ٧	فرات البصرة ١١٧: ٢٢
قس الناطف ١١٣: ١٠	الفرس ١١٣: ١٥، ١١٩: ١
القسطنطينية ١٨: ١٣، ١٠٦: ٧	فرغانة ٣٧: ١٢، ٦٨: ٤
القسطنطينية الصغرى = عمورية	فرنجة ٢١: ١٩، ٣٤: ١٣
قصر ابن هبيرة ٣٥٠: ١٥	فرنیه ٣٩: ١٠
القصر الأبيض بالبصرة ٢٨٤: ٢١	الفلايج ١١٦: ١
القصر الأبيض بالدائن ٢١٧: ١١	فلسطين ١٢: ١٤، ٢٣: ١٤، ١٥٧: ١٤
قصر بنى مقاتل ٢٥٠: ١٦، ٢٥١: ١١،	١٤: ١٧٢
١: ٢٦٠	فوران أردشير ٤٥: ١٦
قصر عبد الله بن طاهر ٤٠٢: ١٩	فيروز سابور ٤٩: ٦
قصر اللصوص ٣٩١: ٦	(ق)
القطقانة ٢٤٣: ٤	القادسية ١١٩: ٧، ١٢٠: ١٧، ١٢١: ١٢١
قميتمان ٩: ٦	٢٠، ٢٤٣: ٤، ٢٤٦: ١، ٢٤٨: ٨
قلعة طبرستان ٤٠٢: ٣	قاشان ١٢٨: ٢١

١٠ : ٣٧٥	قلوص ٥ : ١٠٤
كش ٦ : ٣٦١ ، ٩ : ٣٣٦ ، ٧ : ٣٢٨ ، ٤ : ٦٨	القلوصة ٤ : ٣٩٨
كشمين ٤ : ٥٧	قم ١٠ : ٢٩٢ ، ٢١ : ١٢٨ ، ١٨ : ٦٧
الكعبة ١١ : ٣٨٧	القندهار ١٦ : ٢٠
كفرنوتا ١ : ٢٩٧	قنسرين ١٦ : ١٧٢ ، ١ : ٦٩
كلواذى ١٩ : ٧٣	قنطرة جازر ٣ : ٥٠
كاري ١٣ : ٢	قنطرة جودرز ٢٢ : ٨٦ ، ٣ : ٥٠
الكاسة ١٣ : ٣٣٤ ، ١٤ : ١٦٤	القهندز ٢٢ : ٣٥١
كنمان ١٣ : ٣٤	قوس ١٠ : ١٠٢ ، ٩ : ٩٨ ، ٩ : ٩٥ ، ١٥ : ٩٤
كوفان ٤ : ٣٦٩ ، ٩ : ١٥٢	١٣ : ٢٧٧ ، ١ : ١٣٤
الكوفة ١٨ : ٩ : ٤ : ١٥٢ ، ١٨ : ١٤٤	القيروان ٩ : ٣٥ ، ١٤ : ٢٢
١٠ : ١٥٦ ، ١٧ : ١٦٥ ، ١٨ : ١٩٧	قيسون ٧ : ٣٤
١٠ : ٢١١ ، ١٣ : ٢١٠ ، ٦ : ٢٠٥	(ك)
٤ : ٢٢٠ ، ٢٠ : ٢١٩ ، ١٧ : ٢١٦	كابيل ٢ : ١٥٤
٢٣ : ٢٢٨ ، ١٦ : ٢٢٥ ، ٦ : ١ : ٢٢٣	كابليستان ٢ : ٦٨ ، ١٥ : ٥٨
٢٥٤ ، ١٠ : ٢٣٢ ، ١٤ : ٢ : ٢٣١	كازرون ١٢ : ٢٧٦
٣٢٢ ، ١٦ : ٢٩٧ ، ١٥ : ٢٩٢ ، ٢٢	كاظمة ٤ : ٤٨ ، ٢٢ : ٩
٨ : ٣٥١ ، ١ : ٣٥٠ ، ٢ : ٣٤٥ ، ٩	كبكب ١٨ : ٢٧٣
٤ : ٣٨٧ ، ١٨ : ٣٦٩ ، ١٩ : ٣٥٨	كربلاء ٢٥٣ ، ١٨ : ٢٥٢ ، ١٢ : ٢٥١
كوفية ابن عمر ١١ ، ١٢٤	١١ : ٢٤٩ ، ١
(م)	كرخ بغداد ١٦ : ٣٧٩ ، ٩ : ٢٠٥
مأجوج ٣ : ٣٧	كرخ ميسان ١٦ : ٤٥
ماسبندان ١٠ : ١٣٤ ، ٧ : ١٠٣ ، ١٤ : ٤٠	كركان ٥ : ٢٧٥
١١ : ٣٨٦ ، ١١ : ٢٩٢	كرمان ١٧ : ٦٧ ، ٤ : ٥١ ، ١٣ : ٤٢
ماسفري = حصن ماسفري	٢٧٧ ، ١٨ : ٧ : ٢٧٥ ، ١١ : ١٤٠
ماه البصرة ٥ : ٣٣٧	١٩ : ٣٠٥ ، ٢١ : ٣٠٤ ، ٧
ماه دينار ١ : ١٣٧	كسكر ٢٠ : ١١٥ ، ١٤ : ٧٣ ، ١٧ : ٢٠
	١٢ : ٣٠٦ ، ١٨ : ١٥٣ ، ٩ : ١٣٥

مسجد رسول الله ١٢:٣٢٨، ١٣:٣٢٦	الماهان ١٤: ٤٠، ١٧: ٧٧، ٢٠: ١٣٤، ٢: ١٣٤
مسفرا = ماسفري ١٨: ٧٩	١٤: ٢٩٨، ١٠: ٢٩٧، ٩: ٢٩٢
مسكن ١: ٦٧	الدائن ١: ٤٣، ١٧: ٧٣، ١: ٨٠، ١٧: ٧٣
مصر ١٤: ٨، ٦: ٣٥، ٧: ١٠٦	١٢: ٨١، ١٩: ٨٤، ٢: ١١١
١٩: ٢٨٧، ١٠: ٢٢٢، ٢٣: ٢١٥	١٦: ١٥٢، ٢٠: ١٢٣، ١٠: ١١٥
٢٥: ٣٦٥، ٧: ٢٩٢	١٦: ٢١٦، ٢٠: ٢٠٣، ١: ١٦٧
المصران ٧: ٢٢٥	٩: ٢٣٠، ١٥: ٢١٨، ٨: ٢١٧
المطايخ ٦: ٩	٧: ٣٨٥، ١٢: ٣٧٩، ١٤: ٢٩٨
معصوف ١٥: ٣٩٠	مدين ٩: ١٨، ١٢: ٥
المغرب ١٢: ١٥، ١١: ١٤، ٣: ٣٤	المدينة ٧٤: ٦، ٨: ١٥٢، ٣: ٢٢٠، ٢٣: ٢٢٠
مقبرة وهرز ١٧: ٦٤	١٠: ٢٢١، ١٩: ٢٢٨، ٥: ٣٢٢
مقبرة المهاجرين ٨: ٣١٦	٢: ٣٨٧، ١٧: ٣٨٦، ١٨: ٣٨٣
مكران ١٢: ٣٢١	مدينة أبي العباس ١٤: ٣٧٧، ١١: ٣٧٨
مكة ١٧: ٣٣، ١٩: ٣٩، ١: ٦٣	مدينة الرسول - النبي = المدينة
٢: ٧٤، ١٩: ٢٢٨، ٢٣: ٢٣٠، ٢١: ٩	مدينة سابور ٣: ٢٧٥
٣: ٣٢٢، ٦: ٢٦٣، ١٠: ٢: ٢٤٥	مدينة السلام = بغداد
١٧: ٣٨٦، ١٩: ٣٨٥، ٢٠: ٣٧٧	المدار ١٧: ١١٧، ٧: ٣٠١، ١٠: ٣٠٥
منبج ١: ٦٩	١: ٣٠٦
منسك ١٣: ٢	المربد بالبصرة ٧: ١٥٢
منى ١٤: ٣١٤	المرج ١٤: ١٥٤
مهرجاتنقذ ١٥: ٤٠، ١٣: ١	مرج راهط ١١: ٢٩٥
الموصل ٢: ٢، ١٤: ٤٣، ١٠: ٧، ٢: ٢	مرخانوس ١٨: ٣٧
٨: ٢٩٢، ٢: ١٦٧، ١١: ١٥٤	مرو ١٤: ٢٠، ١٨: ٣٧، ٨: ٣٩
٦: ٣٩٠، ١٦: ٣٨٣، ١٧: ٢٩٦	٥٧: ٣، ٤: ١٣٩، ١٩: ١٦
ميافارقين ٦٦: ٢١، ١٩: ٧٨، ١١: ١٥٤	٣٢٧: ٤، ٨: ٣٣٦، ٥: ٣٦١
٢: ٢٩٧	٢٢: ٣٩٤، ٢٠: ٣٩٢، ٢٠: ٣٦٣
ميسان ١٢: ١١٨، ١٥: ٧٣	مرو الروذ ١٠: ٣٣٦، ٤: ٣٦١
ميلانوس ١: ٣٨	المسجد الحرام ٢١: ٢٦٧

(ن)

نجد ١٠ : ٢
 نجران ١٤ : ١٨ ، ٣٩ : ٨ ، ٦١ : ١٨
 النجرانية ٣٠٦ : ١٢
 النخيلة ١١٥ : ١٣ ، ١٦٥ : ١٧ ، ١٩ : ٢١١ ، ٩
 نسا ٥٧ : ٣ ، ٣٣٩ : ١٠ ، ٣٦١ : ٥
 نسف ٦٨ : ٤ ، ٣٢٨ : ٧ ، ٣٣٦ : ٩
 ٦ : ٣٦١
 نسلي ٢٧٣ : ٤
 نصيبين ٥٠ : ١٦ ، ٧٨ : ١٨ ، ٧٩ : ١
 ١٠٤ : ١١ ، ١٦٧ : ٢ ، ٢٩٢ : ٢١
 ٣ : ٢٩٧
 نهاوند ٤٠ : ١٩ ، ٤٢ : ١١ ، ١٣٣ : ١٩
 ٦ : ٣٨٥ ، ١٦ : ٣٦٤
 النهر = النهروان ٢١١ : ٤
 نهر البصريين ٣٠٦ : ١٧
 نهر بلخ ٣٤ : ٧ ، ٥٧ : ١٦
 نهر بوق ٧٣ : ١٩
 نهر تستر ٤٦ : ٢١ ، ٢٧٢ : ١٤
 نهر الرس = الرس
 نهر الملك ٧٣ : ٢٠
 النهروان = النهر ٨٦ : ٧ ، ٢٠٥ : ١٦ ،
 ٣ : ٢٠٦
 نيسابور ١٥٤ : ١ ، ٣٦١ : ٥
 النيل ٣٤ : ٧
 نيلاب ٤٦ : ٢٠
 نيلاط ٤٦ : ٢٠
 فنوى ٢٥١ : ١٣

(هـ)

هراة ٧٨ : ١٧ ، ٣٣١ : ١٠ ، ٣٦١ : ٤
 هرشي ٢٦٧ : ١٢
 هرقله ١٠٦ : ١٥ ، ٣٩١ : ١١
 هرمزدان أردشير ٤٥ : ١٥
 الهرمزدجان ٤٢ : ٩
 هرمزدره ٧٣ : ١٥
 همدان ٣٢ : ٤ ، ٣٣ : ٢ ، ٨٣ : ٢٠ ، ٨٥ :
 ١٠٤ ، ٢٠ : ٢ ، ١٣٤ : ١ ، ٢٩٢ : ٩
 الهند ٣٣ : ٧ ، ٣٤ : ١١ ، ٣٢١ : ١٠
 الهياطة ٣ : ١٤ ، ٥٨ : ١٥
 هيت ٦٦ : ٢٣ ، ٨٨ : ١٩ ، ١٥٤ : ١١

(و)

وادي الرمل ٢٣ : ٢
 وادي القرى ١٢٥ : ١٤ ، ٢٦٥ : ١
 واسط ٣٣٧ : ٢١ ، ٣٣٨ : ١٧ ، ٣٤٨ : ١
 ٣٤٩ : ١٩ ، ٣٥٠ : ٢ ، ٣٦٤ : ٢١
 ٣٦٩ : ١٤ ، ٣٧٠ : ٧ ، ٣٧٥ : ١٦
 وبار ٣ : ٨
 وبرة ٢٦٤ : ٢٠

(ي)

يأجوج ٣٧ : ٣
 يثرب = المدينة ٤١ : ١٠
 اليرموك ٩١ : ١٤
 اليمامة ٣ : ٦ ، ١٤ : ١٥ ، ١٦ : ٣ ، ١٦ :
 ١٤ ، ١٧ : ٦ ، ٤٠ : ١١ ، ٤٣ : ١٥
 اليمين ٣ : ٥ ، ٨ : ١٨ ، ٢١ : ١٦ ، ٢٦ :
 ١٦ ، ٣٣ : ١٣ ، ٢٤٥ : ٣ ، ٢٨٧ : ١٨
 ٣٨٤ : ٥ ، ٣٢١ : ١٧

د — فهرس الشعر

الغافية	البحر	الصحيفة والسطر	الغافية	البحر	الصحيفة والسطر
النعماء	الخفيف	١٨ : ١٥٢	تفر	الرجز	٣ : ٣١٥
الأدب	الطويل	٦ : ٣١٠	الخبر	الطويل	١٠ : ٢٧٣
الكذب	الرجز	٨ : ١٥٥	وزير	الكامل	١٩ : ٣٧٠
غلب	الرجز	٢ : ١٨٠	شمر	الطويل	٨ : ١٧٦
أحربا	الطويل	١٦ : ٢٧٢	كثيرا	الخفيف	٤ : ٢٧٤
ولا أبي	الطويل	١٥ : ٢٢٢	الخبر	البسيط	١٠ : ٣٠٨
المهابة	الطويل	١٦ : ٢٧٣	انبرى	الرجز	٢ : ٢٦٥
هاضب	الطويل	١٤ : ٣٠١	جرى	الكامل	٥ : ٣٩٢
للمصعب	المتقارب	٨ : ٣١١	تسرى	الرجز	٨ : ٢٧٦
كتب	البسيط	١ : ٣٦٠	تنقرى	الرجز	١٩ : ٢٤٤
مهرب	الرجز	١٧ : ٢٧٦	القدر	الطويل	٢ : ٢٨٧
الغضب	البسيط	١٥ : ٣٦١	لا تسرى	الطويل	٢٢ : ٣١٧
خلتى	الطويل	١٢ : ١٣٨	العوابر	الطويل	٧ : ٣٣١
مصمات	الوافر	١١ : ٣٠٣	الأكثر	الكامل	٨ : ٢٩٦
بالسنوات	الخفيف	٨ : ٢٦٥	بالندار	الوافر	٦ : ٣٠٦
القراح	الرملى	٢١ : ٣٣٥	بأطهار	البسيط	٧ : ٣١٨
زياد	الرجز	٧ : ٢٨٤	الذكر	الرجز	١٤ : ١٨٥
حداد	السريع	٢ : ٣٢٠	المكر	الطويل	١٨ : ١٥
صاعدا	الرجز	١٩ : ١٦	تنور	الطويل	١٧ : ١٢٤
قلادة	الرجز	٣ : ٢٧٧	أدروا	الطويل	٦ : ١٢٥
شريد	الطويل	١٢ : ٢٩٧	مهاجر	الطويل	٩ : ٢٧٧
المسجد	الرجز	١٩ : ٣١٤	البدر	الطويل	٣ : ٤٠٣
نمود	الخفيف	١٧ : ٢٧٩	الأخضر	المتقارب	١٦ : ١٨٥
مراد	الوافر	١٠ : ٢٣٧	يسير	الوافر	٢١ : ٢٢٣
يزيد	الطويل	٧ : ٢٨١	الحجر	البسيط	١٦ : ٢٦٢
أريد	الطويل	١٨ : ١٦٤	قارها	الطويل	١ : ١٨٥
غبر	الرجز	٧ : ١٧٨	وقز	الرملى	١ : ١٥٩

القافية	البحر	المصحفة والسطر	القافية	البحر	المصحفة والسطر
بازٍ	الكامل	١ : ١٧٧	رسمًا	الرجز	٢ : ٣٦٩
خرسٍ	الطويل	١٢ : ٣١٤	أعجم	الطويل	١٥ : ٢١٤
عباسٍ	البسيط	١٧ : ١٩٣	الأفوام	الكامل	١٩ : ٣١٧
عُبَيْسٍ	الخفيف	١١ : ٢٧٠	رحمٌ	رجز	١ : ١٥٠
جَمِيسٍ	الرجز	١٣ : ١٥	تيمٍ	الوافر	٦ : ٣٥٥
قريشٍ	الوافر	٣ : ١٩٤	حامي	الوافر	١٣ : ١٢٥
صنمًا	البسيط	٥ : ١٦	مقيمٌ	الطويل	١٦ : ٣١٣
شموعٍ	الطويل	١٤ : ٢٩١	حالمٌ	الطويل	١٣ : ٣٣١
ساطعٍ	السريع	١٢ : ٣٦٠	الصَّرمُ	البسيط	١٧ : ٢٣٤
للصدفِ	الرجز	٥ : ١٧٧	عظيمٌ	الخفيف	٢٠ : ١٧٣
واقفٌ	الطويل	١٧ : ١٧٨	السلامُ	الخفيف	٦ : ٣٣٥
ذوارفٌ	الطويل	٩ : ٣٢٥	ضرامٌ	الوافر	١٢ : ٣٥٧
والصلفُ	البسيط	٢ : ١٧٤	يُخَنُّ	المتقارب	١٠ : ٢٦
المرقةُ	الرجز	٤ : ٣٥٩	الطحنُ	الرجز	١٤ : ١٧٥
الأزرقِ	الكامل	٩ : ٢٧٤	الرحمنُ	الرجز	١٤ : ١٨٠
التراقي	الوافر	٣ : ٢٦٢	ربيعون	الرجز	٥ : ٣٢٠
هناكا	الكامل	١١ : ٤٠٥	الرافدينأ	الوافر	٢٠ : ٥٣
الأسلُ	الرمل	١٠ : ٢٦٧	همدانًا	البسيط	١٢ : ١١٥
فزالا	الوافر	٧ : ٣٤٨	عثمانًا	الكامل	١٨ : ١٨٠
الضلالا	الوافر	١٦ : ٣٦٧	أربعونًا	الوافر	١٨ : ٢٦٩
الوعُولا	الخفيف	١٦ : ٣٢٥	كارهونًا	المتقارب	١٣ : ١٦٠
عقيلٍ	الطويل	٢ : ٢٤٢	تحذرونًا	المتقارب	٢٢ : ١٦٠
النملِ	الطويل	٨ : ١٥	علينا	الرجز	٤ : ٣٠٣
السلاسلِ	الطويل	٩ : ٣٤٧	تهينها	الطويل	٩ : ٣٩٣
عطبولٍ	الخفيف	٢ : ٣١٠	الأمنِ	الطويل	٦ : ١٨٥
طويلٌ	الطويل	١٨ : ١٥٥	مكانِ	الكامل	١٣ : ٥٣
مخايلةٌ	الطويل	٨ : ٤٠	ثمانٍ	الوافر	٧ : ١٧١
أظلمًا	الطويل	٨ : ٢٦١	عثمانٌ	الطويل	٥ : ٢٧١
مذمما	الطويل	١٨ : ١٨٤	التأسيًا	الطويل	١٩ : ٣١١
الدمًا	الطويل	٦ : ٣١٥			

هـ — فهرس الشعراء

سليمان بن عبد الملك ٣٣٠ : ٤	ابن خزيمة الخثعمي ٣١٤ : ١٨
سويد بن أبي كاهل ٣٠٨ : ٩	ابن عرادة ٢٧٩ : ٤
شاعر ٢١٤ : ١٤ ، ٣١٠ : ١ ، ٣٣٥ : ٥ ، ٣٧٠ : ١٨	أبو تمام ٤٠٣ : ٢
شاعر من الأزدي ٢٧٠ : ١٠	إسحاق بن خلف ٤٠٥ : ١٠
شاعر من تميم ١٦٤ : ١٦	الأسود بن غفار ١٥ : ١١
شاعر من الخوارج ٢٦٩ : ١٤ ، ٢٧٤ : ٨ ، ٢٧٦ : ١٦	الأشتر ١٨٥ : ١٣
شاعر من بني سعد ٢٧٣ : ١٥	الأشعث بن القيني ٣٤٧ : ٧
شاعر من أهل الشام ١٨٠ : ١٧	الأعشى ١٦ : ٥ ، ٢٦ : ١٠
شاعر من الأنصار ٢٦٥ : ٧	أعشى همدان ٣٠١ : ١٣
شاعر من بني ضبة ٢٧٤ : ٣	الأقشير الأسدي ٣١٤ : ١١
شاعر من قيس ٤٠ : ٧	أم حجر بن عدي ٢٢٣ : ١٩
شاعر من أهل البصرة ١٦ : ١٩	أمية بن أبي الصلت ٣٢٥ : ١٥
شاعر من بني يشكر ٢٧٣ : ٩	أوس بن حجر ١٨٥ : ٥
الشنى ١٥٢ : ١٧	أيمن بن خريم ١٩٣ : ١٦ ، ١٩٤ : ١
عبد الله بن الزبير ٣١٥ : ٢ : ٥	بشر بن أبي ربيعة ١٢٤ : ١٦
عبد الله بن قيس الرقيات ٣١٣ : ١٥	بشر بن مالك ٢٧٩ : ١٥
عبد الله بن همام ٢٩١ : ١٣	حابس بن سعد الطائي ١٧١ : ٦
عبد الرحمن بن محمد ٣٢٠ : ١	الحارث بن عباد بن زياد ٢٨١ : ٦
عبد الملك بن مروان ٣١٧ : ٢١ ، ٣٢٥ : ٨	الحجاج بن خزيمة بن الصمة ١٥٥ : ٧
عبيد الله بن الحر ١٧٨ : ٦ ، ٢٦٢ : ٢ ، ٢٩٧ : ١١	الحسن بن هاني ٣٩٣ : ٨
عبيد الله بن عمرو الساعدي ٢٩٦ : ٦	رياح بن مرة ١٥ : ١٨
عتبة بن أبي سفيان ١٥٨ : ٢١	زياد الأنجم ٢٧٢ : ١٥
	سراقة البارقي ٣٠٣ : ٣ : ١١
	سميد بن عبيد الرحمن بن حسان بن ثابت ٣١٠ : ٥

عروة بن زيد الخليل ١١ : ١١٥ ، ١١ : ١٣٨ ،	كعب بن جميل ١٦ : ١٢ ، ١٦ : ١٧٨ ، ١٦ :
عروة بن الورد ٥ : ١٢٥	١ : ١٨٠
عفيرة بنت غفار ٥ : ١٥	محمد بن خالد بن عبد الله القسري ١٥ : ٣٦٧
علي بن سليمان الأزدي ١ : ٣٦٩	المخارق ١٨٤ : ١٧ : ٢٠
عمرو بن الأشرف ٢٠ : ١٤٩	معاوية بن أبي سفيان ١٧ : ١٥٥
عمرو بن الماص ١٣ : ١٧٥ ، ٤ : ١٧٧ ،	المنصور أبو جعفر ٣ : ٣٥٩
١٨٠ : ١٣ ، ١٤ : ٢٢٢	النجاشي ١٦٠ : ٢١ ، ١٧٣ : ١٨ ، ١٧٤ : ١ :
عمرو بن كلثوم ١٩ : ٥٣	١٤ : ١٨٥
عمرو القنا ٦ : ٢٧٦	نصر بن سيار ٥ : ٣٥٥ ، ١١ : ٣٥٧ ،
الفرزدق ١٢ : ٥٣	١ : ٣٦٣ ، ٢٣ : ٣٥٩
قطري بن الفجاءة ١ : ٢٧٧	الوليد بن يزيد ٦ : ٣٤٨
قيس بن هبيرة ١٢ : ١٢٥	يزيد بن معاوية ١ : ٢٦٥

و — فهرس الرواة والأسانيد

عبد الله بن عبد الرحمن ١٢: ٣٠٨	ابن الشرية ١٣: ٧
عبد الكريم بن سليط ١٨: ٣٣٩ ، ١: ٣٤٠	ابن عباس ٥: ٣٤
عمرو بن المغيرة ١٦: ٣١١	ابن الكيس النمرى ١٠: ٧
علي بن حمزة الكسائي ١٤: ٣٨٧	ابن المقفع ١٦: ٦
علي بن محمد الهمداني ٢٢: ٢٢٠	أبو هرون العبدي ١٩: ٢٦٨
القمقاع الظفري ٣: ١٨٤	الأصمى ٩: ٣٨٩ ، ٥: ٣٨٨
الكلبي ٦: ٣٣٠	حميد بن مسلم ٨: ٢٦٠
محسن بن ثعلبة ١١٨: ١٢ ، ١٣: ٢٦٠	رجاء بن حيوة ٢٠: ٢٢٩ ، ١: ٣٣٠
مخنف بن سليم ١٤: ١٤٦ ، ٧: ١٢٣ ، ٦: ١١٤	زيد بن وهب ١٠: ١٨٢
الهيثم بن عدي ٩: ٣٥٨ ، ٨: ٣٦٥ ، ٣٧٠ :	الشعبي ١٩: ٢٨٨ ، ٤: ٢٨٩ ، ١٢: ٢٩٠
١٠ ، ١١: ٣٧١ ، ٦: ٣٧٥	عبد الله بن الصامت ١١: ١٨

ز — فهرس المراجع

- | الرقم | الكتاب |
|-------|---|
| ١ | — آتار البلاد وأخبار العباد للقزويني . |
| ٢ | — أخبار الدول وآتار الأول للدمشقي . |
| ٣ | — أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير . |
| ٤ | — الاشتقاق لابن دريد . |
| ٥ | — الإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر . |
| ٦ | — الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني . |
| ٧ | — إنباء الرواة على أنباء النحاة للقنطري . |
| ٨ | — البلدان لليمقوبي . |
| ٩ | — تاريخ الآداب العربية لبروكلان . |
| ١٠ | — تاريخ إيران لمهدي زاده الأصبهاني (فارسي) . |
| ١١ | — تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . |
| ١٢ | — تاريخ الفرشته لملا قاسم هندوشاه (فارسي) . |
| ١٣ | — الجواهر المضية في طبقات الحنفية تصنيف عبد القادر القرشي . |
| ١٤ | — حبيب السير تأليف خوندميز (فارسي) . |
| ١٥ | — دائرة المعارف الإسلامية . |
| ١٦ | — روضة الصفا تأليف ميرخوند (فارسي) . |
| ١٧ | — شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . |
| ١٨ | — ضحى الإسلام لأحمد أمين . |
| ١٩ | — طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي . |
| ٢٠ | — ظهر الإسلام لأحمد أمين . |
| ٢١ | — فارسنامه لابن بلخي (فارسي) . |
| ٢٢ | — فتوح البلدان للبلاذري . |

- الرقم الكتاب
- ٢٣ - الفهرست لابن النديم .
- ٢٤ - فوات الوفيات تأليف محمد بن شاكر بن أحمد الكشي .
- ٢٥ - القاموس المحيط للفيروزابادي .
- ٢٦ - قاموس الأعلام للزركلي .
- ٢٧ - السكامل في التاريخ لابن الأثير .
- ٢٨ - كتاب التوقيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ تأليف اللواء أحمد مختار .
- ٢٩ - كتاب المعارف لابن قتيبة .
- ٣٠ - لسان العرب لابن منظور .
- ٣١ - معجم الأمثال للميداني .
- ٣٢ - معجم الأدباء لياقوت الحموي .
- ٣٣ - معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ٣٤ - المعجم في اللغة الفارسية تأليف محمد موسى هنداوى .
- ٣٥ - المعجم الفارسي الفرنسي لديمزيون .
- ٣٦ - الملل والنحل للشهرستاني .
- ٣٧ - المنجد تأليف لويس معلوف .
- ٣٨ - نسخ التواريخ تأليف ميرزا محمد تقى (فارسي) .
- ٣٩ - وفيات الأعيان لابن خلكان .
- ٤٠ - وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري .
-

فهرس الفهارس

الصفحة	الفهرس
٤١٠	فهرس الموضوعات .
٤١٤	فهرس الأعلام .
٤٤٩	فهرس الأماكن والبلدان .
٤٦٠	فهرس الشعر .
٤٦٢	فهرس الشعراء .
٤٦٤	فهرس الرواة والأسانيد .
٤٦٥	فهرس المراجع .
